

ميخائيل رومان

ميراث الترجمة

سارتورس

وليم فوكنر

مراجعة: محمد مصطفى بدوي

تقديم: ماهر شفيق فريد

www.library4arab.com

رواية

889



المشروع القومي للترجمة

www.library4arab.com

المشروع القومي للترجمة

سارتورس

(رواية)

www.library4arab.com

تأليف : وليم فوكنر

ترجمة : ميخائيل رومان

مراجعة : محمد مصطفى بدوى

تقديم : ماهر شفيق فريد



٢٠٠٥

www.library4arab.com

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر : طلعت الشايب

- العدد : ٨٨٩

- سارتورس (رواية)

- وليم فوكنر

- ميخائيل رومان

- محمد مصطفى بدوى

- ماهر شفيق فريد

www.library4arab.com

- صدرت الطبعة الأولى ١٩٦٢

هذه ترجمة كتاب :

Sartoris

تأليف

Willian Faulkner

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

www.library4arab.com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

تقديم

صدرت هذه الترجمة لأول مرة في سلسلة الألف كتاب (٤٢٧) عن مؤسسة سجل العرب في ١٩٦٢ . واليوم ، بعد قرابة أربعة عقود ، تعيد سلسلة " ميراث الترجمة " الصادرة عن المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة إصدارها في طبعة جديدة لكي تُعرّف قراء اليوم ، وفيهم من لم يعاصروا الطبعة الأولى أو كانوا أصغر سنا من أن ينتبهوا إليها إبان ظهورها ، بأثر خالد من آثار الروائي الأمريكي وليم فوكنر، نقله إلى العربية كاتب مسرحي موهوب هو ميخائيل رومان ، وراجع ترجمته أستاذ للأدب الإنجليزي وناقد شاعر هو الدكتور محمد مصطفى بدوي .

ولد فوكنر في نيو أولباني عام ١٨٩٧ ، وتلقى دراسته في جامعة مسيسبي باكسفورد (ولكنه لم يتمها) حيث كان أبوه يشتغل قائماً على خزائنها . التحق ببقية السلسلة التي أتت في حقها . وفي ١٩٢٧ ، وبعد أن عمل بعض الوقت نقاشاً أبحر إلى نيو أورليانز؛ حيث أصبح صديقاً للروائي شيروود أندرسون ، وكتب روايتي " راتب الجندي " ١٩٢٦ و " البعوض " ١٩٢٧ . في ١٩٢٩ نشر " الضجر والعنف " ، وهي أولى رواياته المكتوبة بطريقة " تيار الشعور " ؛ حيث يصف الكاتب الأفكار وردود الأفعال بدلاً من وصف الأحداث الفعلية . كان لتلك الرواية ، إلى جانب رواية " وأنا أرقد محتضرة " ١٩٣٠ ، الفضل في توطيد أركان سمعته ، رغم أن " الحرم " ١٩٣١ - وهي من قصص الرعب - كانت أول رواية له تحظى برواج حقيقي . وروايته " سارتورس " ١٩٢٩ فاتحة سلسلة من الروايات التي تتناول أسرة تشكل مركز قصة عن تدهور الجنوب الأمريكي . تقع أحداث هذه الرواية في مقاطعة يوكونا باتاوفا بولاية مسيسبي ، ومدينة جفرسن التي تقع في تلك المقاطعة يمكن أن تعد معادلاً لمدينة أكسفورد الأمريكية . في ١٩٣٩ نال الجائزة الأولى في مسابقة أو . هنري

التذكارية ، وفي ١٩٤٩ نال جائزة نوبل للآداب . من بين رواياته اللاحقة : ضوء في أغسطس ، أبشالوم أبشالوم ، نخلات برية ، المحلة (القرية الصغيرة) ، خيل في الرغام ، قداس الراهبة . تشمل مجاميعه القصصية : قصيدة حاملة في الصحراء ، دكتورمارتينو ، انحدر ياموسى . إن إنتاجه سُخرى وغامض فى أغلب الأحيان ، ويوصف بأنه يجرى على سِنن قصص إدجار پو القوطية الحافلة بعناصر اللغز والقسوة والرعب والإثارة . وتوفى فوكنر فى ١٩٦٢ .

كان جد جده - الكولونيل وليم فوكنر - من الشخصيات القوية فى الجنوب الأمريكى ، ولم يكن كاتبنا مبرزاً فى دراسته ، وقد اشتغل فى بنك جده ، وظل يمارس مهناً متنوعة لعدة سنوات . وفى عام ١٩٢٩ - وهو عام زواجه - اشتغل فى محطة كهرباء لفترة الليل ، وكان يكتب روايته " وأنا أرقد محتضرة " فى الساعات الممتدة من منتصف الليل حتى الرابعة صباحاً ، وذلك خلال ستة أسابيع فى الصيف . وما لبث أن كتب روايته " الحرم " منتوياً أن يُعنى بجانب الإثارة فيها حتى يضمن لها الزواج ؛ لأن الإقبال لم يكن من نصيبها .

كان فوكنر روائياً فى المقام الأول رغم أنه عالج الشعر (دون نجاح) والقصة القصيرة والمتوسطة الطول بنجاح ، ورواياته تغطى مسرحاً إنسانياً كبيراً ؛ ففي رواية " راتب الجندى " مثلاً نراه يروى قصة ضابط جريح عديم الحول محتضر يعود إلى الوطن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ليجد أباه المخلص ومحبوبته المتقلبة . ومسرح الرواية - بخلاف روايات فوكنر اللاحقة - هو ولاية جورجيا ، ولكنها تتضمن ما يوحى باهتمامه بالجنوب ، والأنماط البشرية التى تعيش فيه .

وعندما نشرت الرواية فى إنجلترا فى ١٩٣٠ كتب عنها الروائى البريطانى أرنولد بنيت ، ببصيرة مستقبلية ، يقول :

" إن فوكنر هو الرجل القادم ، إنه يملك إبداعاً لا ينضب له معين ، وخيالاً قوياً ، ومملكة مدهشة لرسم الشخصيات ، وبراعة مصقولة فى الحوار ، وهو - عموماً - يكتب كملك . إنه يملك فى طواياه عناصر العظمة الحقة ، و" راتب الجندى " تشتمل على عدة صفحات مدهشة تماماً " (انظر طبعة پنجوين للرواية ، وقد استفدت فى كتابة

هذه المقدمة من تعليقات بلغت عبقرية فوكنر قمتها فى روايته المسماة " الضجر والعنف " (نقلها جبرا إبراهيم جبرا إلى العربية) وعنوان الرواية مستمد من مسرحية " مكبث " لشكسبير . ومنذ الضجة التى أثارها هذه الرواية لدى ظهورها لأول مرة فى ١٩٢٩ وهى تعد واحدة من أهم روايات القرن العشرين ، ورغم أنها صعبة ، كما أن " يوليسيز " جويس صعبة ، فإنها تجزى القارئ عن المجهود الذى يبذله لفهمها . قلّ من القراء من لن ينغمس فى متابعة هذا الإبداع التخيلى لأسرة متدهورة متحللة ، هى أسرة كومپسون .

إن فوكنر لا ينظر إلى شخصياته على أنها يبادق تتحرك على رقعة شطرنج ، وإنما هو مهتم بعقولهم وانفعالاتهم ، بتفاعل الشخصيات والطريقة التى تؤثر بها الأحداث والمصادفات فى الأفراد وعلاقاتهم . وهو يحقق هذا من خلال تقسيم الرواية إلى أربعة أقسام : القسم الأول حكاية " يرويها أبله " : بنجى الذى ليس للزمن وجود بالنسبة إليه ، وإنما فى القسمين التاليين ؛ حيث يسمع القارئ القصة كما يرويها

شقة تالينى ، تبدأ الرواية بالكشف عن أطلالها .
www.library4arab.com

هذه ، أساسا ، رواية عن غياب الحب : " الأبله وحده لا يعرف الحزن . الأحق وحده خليق أن ينسأه . أى شىء أخر فى عالمنا هذا حاد بما يكفى لجعلة يلتصق بأحشائك ؟ " . إنها رواية عن علاقات أسرة ، جادة ومفعمة بالعاطفة ، لا حب فيها ، وإنما هى متمركزة حول الذات فحسب .

وفى رواية " وأنا أرقد محتضرة " بلغ فوكنر قمة نضجه الفنى بعد أن تخلص من تأثير أولدس هكسلى وجيمز جويس فيه . ويرى كثير من النقاد أن هذه الرواية تحفته الكبرى . إنها عن عائلة تحاول دفن الأم أدى باندرين . والرواية تُروى على ألسنة أفراد العائلة؛ إذ ينقلون تابوت أمهم إلى چفرسن بالميسيسيپى كيما تدفن بين أهلها . ويبين فوكنر مخاوف هؤلاء الأفراد ورغباتهم من طريق المونولوج الداخلى والحوار العامى ، ولكنه يبني فى الوقت ذاته عملاً ملحمياً كالتوراة أو العهد القديم ، فيه من روح الملهاة ما فى أبى الشعر الإنجليزى تشوسر ، وفيه من الخصائص الأمريكية الصميمة ما فى مارك توين .

فإذا جئنا إلى رواية " الحرم " وجدنا أن مسرح هذه الدراما الجياشة المعتكرة هو ولاية تنسى وأعماق الجنوب . وشخصياتها مجموعة من الناشزين والمنبوذين اجتماعيا تتداخل مصائرهم في إساءة تطبيق للعدالة يدعو للأسى ، لكن ما من قارئ نافذ البصيرة لهذه المأساة عن منطلين وجانحين سيعدها ميلودراما شنيعة عن العنف . إن فوكنر يستكشف الدوافع الملتوية التي تحدد السلوك الإنساني في مظاهره الوضيعة كما في مظاهره النبيلة . ومن النقاد من يرى أن " الحرم " هي أفضل رواياته .

وعندما نشرت رواية " ضوء في أغسطس " لأول مرة في ١٩٢٢ عددا كثير من النقاد فانتازيا قبرية ، بل ذهب أحدهم إلى حد القول بأنها " نوبة صرع " . أما الآن فقد غدت من علامات الطريق في مسيرة القصة الأمريكية .

إن البطل هنا ، واسمه على نحو ساخر ، چوكرسماس (نسبة إلى السيد المسيح) ، يقتل عشيقته التي أمرته بالركوع والصلاة تحت تهديد المسدس ، ولا يلبث أن يطارده جمهور متعطش إلى شنقه دون محاكمة . ومن خلال ملاحظته لشخصية هذا الرجل والأناس الذين يلتقى بهم ، يتوغل نوكنر عميقاً في الزوايا المخيفة للروح الكالثينية

ومجتمع الولايات الجنوبية
www.library4arab.com

كتب ناقد " ملحق التاييمز الأدبي " : " من خيوط البشاعة والكراهية والشهوة والوحشية والأفكار المستحوذة ينسج نموذجاً متداخلاً لطنفسة مظلمة ، يقيناً ، ولكنها غنية لامعة بجمال مرعد مهدد " .

وكتب ناقد مجلة " سبكتيتور " عن الرواية : " إنها تشتعل طوال الوقت بحرق صارٍ ضد القسوة والغباء والتحيز .. كتاب عظيم " .

وفي رواية " نخلات برية " نقراً : لكني لم أر بوضوح إلا حديثاً ، مقتنياً النتيجة المنطقية ، إن إحدى ما ندعوه الفضائل الأولية - الاقتصاد ، الجو ، الاستقلال - هي ما يولد كل الرذائل : التعصب ، والتباهي ، والتدخل في شئون الغير ، والخوف ثم أسوأها قاطبة : الوقار " .

هذه الكلمات المحيرة يضعها فوكنر على لسان هاري ولبورن؛ إذ يهرب مع حبيبته من حبائل شيكاغو والحياة الآمنة . إن ظلال السجن (بتعبير وردزورث) والجائحة

والموت يلوح أنها تنطبق عليهما؛ إذ يوليان الحياة ظهرهما كي يحفظا حبهما . وكما هو الشأن مع نزلاء إصلاحية الولاية - الذين تتواشج مصائرهم ومصائر الجيبين - فإن هارى وشارلوت سجينان، إن لم يكن لشيء فداخل ذواتهما . وعلى نحو أعمى لا يعرف الندم ، يطاردهما ازدرأؤهما للمجتمع والأمن وأعمق ينابيع الحياة إلى الهوة الأخيرة

www.library4arab.com

كتبت عنها مجلة " تايم آند تايد " : " لامعة ، شاطرة ، بارعة ، خطيرة بصورة بالغة وناجحة بصورة غريبة .. يجب أن يقرأها كل امرئ مهتم بإمكانات الشكل الروائي " وإلى جانب قصة " الدب " ، وهى نوفيلا (قصة متوسطة الطول) ، أخرج فوكنر عدداً من القصص القصير جمع بعضه فى كتابه المسمى " انحدر يا موسى " . إن القصص الدرامية السبع التى يشتمل عليها هذا المجلد ، المنشور لأول مرة فى ١٩٤٢ ، تبين فهم فوكنر المتعاطف لعالم الزوج فى أعماق الجنوب . شخوصه هم الأتاس المتضعون الذين يقضون حياتهم فى دائرة صغيرة من الأرض ، ويموتون دون أن يسجل ذكراهم أحد . ونثره القوى مثقل بعاطفة وعذاب الجسد والروح الإنسانية .

وفى رواية " جناز لراهبة " يصور نانسى وهى مربية أطفال زنجية قتلت طفل سيدتها وحكم عليها بالإعدام . ولا يلبث محامى المربية ، چاڤين ستقنز ، أن يرغم السيدة على الاعتراف بسبب إقدام المربية على الجريمة . ولا يلبث القانون أن يأخذ مجراه ، وإن يكن فوكنر يرى أن ما حدث عدل .

ويلاحظ النقاد أن روايات فوكنر ذات طابع درامى : فهو يضيف على هذه الرواية ، مثلاً ، شكل المسرحية ، ويمهد لكل فصل فيها بنبذة تؤرخ لما سيحدث . والرواية على ذلك ذات أبعاد ثلاثة : فهى تصور دراما الجريمة والاعتراف من ناحية ، وتصور العواطف الإنسانية من ناحية أخرى ، كما تصور الماضى الذى يتحكم فى توجيه الحاضر . وجدير بالذكر أن الأديب الفرنسى ألبير كامو قد حول هذه الرواية إلى مسرحية ناجحة مثلت على مسرح " رويال كورت " بلندن عام ١٩٥٨ .

ومع صدور " جناز لراهبة " انطلق كوراس النقاد محيياً : مستترفوكنر .. هو أعظم روائى بقاء الحياة فى اللغة الإنجليزية " (نيوستتسمان) ، " ثمة فى هذه

الدراما ما فيه الكفاية من التوتر والعاطفة . إن زخمها لا يصبه وهن قط " أوبرزفر) ،
" إنها حاذقة مستخفية ، متفجرة ، درامية ، تدعم حق فوكنر فى أن يعد الأعظم بين
الروائيين الأمريكيين المعاصرين " (كوين) ، " مثل مدهش لقدرة فوكنر على توليد
إثارة درامية .. إن فوكنر شاعر وتراچيدى عظيم " (ليسنر) .

فى هذه الأعمال كلها - ويمكن أن نضيف إليها " الذين لا يقهرون " (١٩٢٨)
و" دخيل فى الرغام (١٩٤٨) وغيرها - نجد أن فوكنر كاتب أخلاقى معنى بطبيعة الشر ،
يكتب قصصاً عن الانحراف والبشاعة والقنوط ، تحفل بمشاهد التدهور والجريمة
والرعب ، وتقوم بتحريف متعمد للتتابع الزمنى ومراحل الفعل التاريخية ، مع استخدام
لعنصر الترقب والتشويق بحجب المعلومات الأساسية عن القارئ . ثمة ، عنده ، نقاط
تقاطع كثيرة بين الآن وأنداك ، هنا وهناك ، لا تكاد تلمها العين أو الأخرى أن الكاتب
يقدم علينا عالمياً

قال الناقد البريطانى ولتر آلن فى كتابه " الموروث والحلم " : " ليس فوكنر بشيء
إن لم يكن كاتباً رومانتيكياً بكل ما تتضمن هذه الكلمة من قدح ومدح " . إنه يعبر عن
اتجاه تشاؤمى إزاء الحياة ، وكراهية للجنس البشرى ، قدرى النظرة ، يواصل ما دعاه
الناقد الأمريكى مالكولم كاولى (وقد حرر مختارات من أعمال فوكنر) " موروث
البشاعة السيكولوجية فى الكتابة الأمريكية " . إن عالمه مركب من شناعات المسرح
اليقوبى (أى المسرح الإنجليزى فى عصر الملك جيمز الأول الذى خلف الملكة إليزابيث
الأولى) وتوكيد ناتورالى لما هو فظ وعنيف فى الطبيعة البشرية . أسلوبه النثرى مشتق
من الشعر الإليزابيثى ، فيه خاصة باروكية عنيفة ، يسرف فى استخدام النعوت
ويخطئ أحياناً فى النحو ، جملة ملفوفة معقدة (فى قصة " الدب " جملة واحدة تغطى
ست صفحات) ، أعماله مثقلة بالانفعال . قيل عن أسلوبه إنه يقع فى مكان ما بين
دستويكى وكتاب سناريوهات أفلام هوليوود .

" سارتورس " (نيويورك ١٩٢٩) أولى سلسلة من الروايات يصف فيها فوكنر
اضمحلال أسرتى كومپسون وسارتورس ، ممثلى الجنوب القديم ، وعلو نجم أسرة
سنوپس الفجة التى لا تلقى كبير بال لمتطلبات الضمير . والمهاد الأساسى لهذه

الروايات هو " جفرسن " - صورة مركبة لعدة بلدات فى إقليم المسيسيبي - فى مقاطعة يوكونا باتاوقا التى ابتدعها خيال المؤلف . وتدهور أسرة كمبسون يتمثل فى إدمان الخمر ، ورفض العمل والحياة ، والتعلق بماضٍ أسطورى ، والانغماس فى خطابة جوفاء .

تقوم الرواية على هرمية من القيم ، وتقرر - بشكل جنينى على الأقل - أغلب الخيوط التى طورها فوكنر فيما بعد فى سلسلة من الأعمال ، وكثيراً ما كان يشير إليها - وفى ذهنه الصلات الداخلية بين روايات بلزاك وپروست - باسم " الكتاب " : أثر الماضى فى الحاضر ، عزلة الفرد ، تاكل تقاليد الجنوب تحت وطأة القيم العلمانية للعصر الحديث . وفى " سارتوريس " تتمثل الحداثة فى السيارة التى يقودها بايارد سارتوريس على نحو أهوج فى الدروب المتربة ؛ حيث قُتل أخوه التوأم ، ومات جده

www.library4arab.com

وأل سنوپس هم محدثو النعمة الذين جاءوا من قرية فرنش مانزبند خلال السنوات العشر الأخيرة ، وفلم هو أول شخص من أسرة سنوپس ينتقل إلى جفرسن - ورغم أنه كان عاجزاً جنسياً فإنه ، روحياً ، أبوهم جميعاً (انظر الكتاب " أدب الولايات المتحدة " لمؤلفه مارشال وكر) .

وصف فوكنر الإقليم الذى تخصص فى الكتابة عنه بأنه " طابع بريد صغير خاص به من الأرض المحلية " . و " سارتورس " رواية عن الحياة فى شمالى المسيسيبي : ثمة شعور بالملل من الحياة ، كذلك الذى كان يخامر " الجيل الضائع " عند جرترود ستاين وسكوت فنزجرالد وهمنجواى ، يسرى فيها ، ولكن أجزاء منها ترتفع إلى مستوى الواقعية والانفعالية والتاريخية التى تبلغها أعماله عن يوكونا باتاوقا . قص الرواية متجذر فى الذاكرة الشعبية ، وليس نتاج تجريد أولى ، وفكاهتها منحدره من قصص المبالغات الكوميديّة ومن مارك توين . إن منهج فوكنر هو المأساة وإن تكن مأساة ملهوية أحياناً ، والملحمة وإن تكن ملحمة ساخرة . وتسمى رواية " سارتورس " إلى ما سيجىء بعدها : ف " الذين لا يُقهرُونَ " تصل فصولاً ، سبق نشرها على شكل قصص قصيرة ، فى رواية عن أقدار أسرة سارتورس فى الحرب الأهلية الأمريكية بين الجنوب والشمال ، وبين مجتمع تقليدى كان يعيش على زراعة القطن واستخدام الزنوج رقيقاً ومجتمع اليانكى الصناعى المادى . ويفصل خط ميسون ويكسون بين هذين العالمين .

تقع رواية " سارتورس " فى نقطة مفصلية من إنتاج فوكنر . إذ تسبقها روايتا " راتب الجندى " و " البعوض " وتسبقها روايتا " الضجر والعنف " و " وأنا أرقد محتضرة " . وهى بهذه المثابة جسر بين بداياته ونهاياته . إنها رواية نهريّة ، أو رواية أجيال مثل " بودنبوك " توماس مان ، ذات نفس ملحمى ، تجمع بين ذكريات الحرب الأهلية وذكريات الحرب العالمية الأولى . تصور زوال مجتمع تقليدى ، بخيره وشره ، وتنقل حساً مخامراً بالحنين إلى الماضى وانقشاع الأوهام . كتب سارتر فى مقالة له عن " سارتورس " (فبراير ١٩٢٨) : " تأدى بى هذا الكتاب إلى فهم لينبوع فن فوكنر . هذا لينبوع هو الوهم . من الحق أن كل فن زائف . ففن التصوير يكذب فى صدد المتصور " . " سارتورس " رواية عن الصراع بين الواقع والوهم ، بين ماضٍ أخذ فى الزوال وحاضر أخذ فى الهيمنة (سلفت الإشارة إلى حفيد بايارد العجوز الذى ينطلق بالسيارة ، بسرعة مجنونة ، فى شوارع البلدة) . وسرعان ما تحل

السيارة من السيارة .
www.library4arab.com

نسيج الرواية كثيف أشبه بدغل متشابك الأفنان ، وهو فى هذا شديد الاختلاف عن وضوح ستاينيك البلورى ، أو خلوص نثر همنجواى من الزوائد (كتب الروائى البريطانى أنطونى بيرچس عن فوكنر فى كتابه المسمى " الرواية الآن " : " إنه ليس روائياً إقليمياً قدر ما هو تجريبى مثير للغىظ . إنه - من عدة زوايا - أصعب من چويس بجملة التى لا تنتهى ، والتى تقل فيها علامات الترقيم ، ومونولوجاته الداخلية الثقيلة . إن تعقيد نثره يعكس حالات ذهنية معقدة ") . نحن هنا نرى خريطة لبلدة چفرسن ، ومعمار البيوت ، وموضات اللباس ، وحواجز الأجران ، وزرائب الخنازير ، وبيوت الدجاج . ونحضر حفلات الرقص فى البيوتات العريقة حيث يتعارف الشبان والفتيات وتتشأ زيجات وتترعرع ، فى ظل العاطفة الجنسية ، جرائم الحب والكراهية والغيرة (انظر أقصوصة فوكنر " وردة لإمبلى " وقد ترجمها إلى العربية إدوار الخراط ، ومن قبله العقاد) . هكذا يتجاوز الخير والإحساس والشجاعة والتسامح والجلد مع الجريمة وإشعال الحرائق والقتل والفسق والعنف والزنا . على الحيطان - فى « سارتوس » - تقوم لوجات كورو ، وقرب الفراش روايات ألكسندر ديما الأب . وفى حدائق البيوت والحقول البعيدة والأجام الملتفة أشجار المنوليا والبلوط والشربين والصنوبر والشجيرات

المزهرة والياسمين البرى وزهور الزينيا والديلفنيم . الظلمة تضيئها حياحب مضيئة
سباحة ، والسكون تقطعه بين الحين والحين مرخة بومة أو أصوات جدجد أو ضفدع .

وعلى طول أجزاء الرواية الخمسة تتجاوز بلاغة العهد القديم وسبحات خيال
شكسبير وملتون . ففوكنر صاحب أسلوب غنى مثقل بالإيحاءات والرموز ، فيه من
الشعر تركيزه وزخمه وفورانه (أخرج ديوانين من الشعر فى أواخر العشرينيات وأوائل
الثلاثينيات) . لن تخطئ الأذن صور الشعر الإنجليزى وإيقاعاته فى تسعينيات القرن
التاسع عشر ، أصداً سونبرن وپاترو وايلد فى مثل هذه القطعة :

" وبعد ذلك استقلت فى غرفتها المعتمة ، وعبر المر كانت العمه سالى تغط فى
نومها ، وشخيرها هادئ منتظم ، وقد استلقى هوراس أيضاً فى الغرفة المجاورة ،
بينما ارتجل ضياعه الوحشى الضارب فى الخيال من حوله وذهب يجوب أماكنه العزلاء
الوحيدة ، فيما وراء القمر ، بين مراعى ثبتت بمسامير من نجوم إلى سقف كل الأشياء
الأعلى ، حيث يملأ وقع أقدام حيوانات وحيد القرن الهواء المحمل بحمحماتها أو تشغل
هناك يأكل الكلا ، أو تستلقى على ظهورها فى استراحة نسيئة الحافر "

www.library4arab.com
كذلك تزخر " سارتورس " بأصداً من الشعر الرومانتيكى الإنجليزى فى مطلع
القرن التاسع عشر . عندما يقول فوكنر " كل صنوف الربيع لا تستطيع أن تكون ربيعاً
واحداً كشفاه سيدات بيرون " نتذكر كيف تمنى شاعر " تشايلد هارولد " و " بون
چوان " لو كان لنساء الأرض جميعاً ثغر واحد يقبله ويستريح ! وحين يقول فوكنر " أنت
يا عروس الصمت التى لم يمسهأ أحد حتى الآن " ندرك أن هذه إشارة إلى البيت
الافتتاحى لقصيدة كيتس " أنشودة إلى إناء إغريقى " وهكذا . لكن هذا الحضور
الرومانتيكى لا ينفصل عن حس واقعى قوى ، بل ناتورالى كما أسلفت : انظر مثلاً
مشاهد الصيد قرب نهاية الجزء الرابع من الرواية ، أو المشهد الختامى فى المقبرة .

أود أن أختتم بهذه الكلمات للناقد والشاعر والروائى الأمريكى روبرت بن وارن -
وهو مثل فوكنر وألن تيت ويودوراوتى وتنسى وليمز وتوماس ولف من أدباء الجنوب
الأمريكى . كلمات بن وارن ترد فى مقال له نشر عام ١٩٤٦ ، وقد ساقها وليم فان
أوكونر فى كتابه عن فوكنر (ترجمة جبرا إبراهيم جبرا) :

" لقد كتب وليم فوكنر تسعة عشر كتاباً ليس ما يضاهاها في بلدنا وعصرنا، هذا من حيث الاتساع والقوى والعمق الفلسفى وأصالة الأسلوب وتنوع الشخصيات والفكاهة والتوتر المأسوى ولنسلم جدلاً ، برغم ذلك ، أن فى كتب فوكنر نواقص جسيمة . فالتوتر المأسوى يتحول أحياناً إلى مجرد تهويل عاطفى ، والبراعة الفنية تتحول إلى مجرد تعقيد ، والعمق الفلسفى يتحول إلى مجرد فوضى ذهنية . فلنسلم بذلك كله ، ففوكنر كانت متفاوت ، ولكن هذا التفاوت نفسه إن هو إلا دليل على حيويته واستعداده للمجازفة ومحاولة خلق التأثيرات الجديدة ، واستقصائه المستمر إمكانيات المادة والأسلوب " .

بين يدك أيها القارئ رواية تجمع ، رغم أى عيوب أو شروخ بين بعض صفات شكسبير ودكنز وپو دوستويفسكى . هذا فن عميق الإنسانيه يخاطب الروح ، مهموم بقضايا فكرية كبرى تخاطب العقل ، وله حضور فيزيقى كئيف يخاطب الحواس . قد يكون فوكنر ميلودرامياً أو ميالاً إلى التهويل أو الإثارة أحياناً - أى كاتب من هؤلاء الذين نكرتهم قد نجا من هذه الأفات ؟ - ولكنه دائماً يستند إلى أساس راسخ من معرفة القلب وتلايف العقل ونبضات البدن ، حتى لنغدو مع - كما قال فى خطاب تسلمه خلال جائزة نوبل - على ذكر من تلك القيم الخالدة التى هى مناط فخر الإنسان ومحك امتيازاه على سائر الكائنات : " الحب والشرف والرحمة والكبرياء والعطف والتضحية " ، وإن نصيبه من ذلك كله لعظيم .

www.library4arab.com

ماهر مفيين فريد

إشارات

وليم فوكنر (١٨٩٧ - ١٩٦٢)

أكبر روائى الجنوب الأمريكى فى القرن العشرين . ولد فى أولبانى ، وتلقى دراسته فى جامعة مسيسى بأكسفورد، ولكنه لم يتمها . التحق بالقوات الجوية الكندية فى الحرب العالمية الأولى ، وجرح فى فرنسا . تقلب بين عدة مهن ، وفى أواخر حياته كتب عدداً من السيناريوهات لهوليوود . له مجاميع قصصية ودواوين شعرية . أهم رواياته : سارتورس - الضجر والعنف - وأنا أرقد محتضرة - ضوء فى أغسطس - أبشالوم ، أبشالوم - نخلات برية - جناز لراهبة . نال جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٤٩ .

www.library4arab.com

ميخائيل رومان (١٩٢٠ - ١٩٧٣)

كاتب مسرحى ومترجم . ولد بمحافظة أسيوط، وتخرج فى كلية العلوم بجامعة القاهرة فى ١٩٤٣، وعين مدرسا للعلوم بإحدى المدن الصغيرة حيث أمضى عامين ، فمدرسا وأستاذاً مساعداً للفزياء بالمعهد العالى الصناعى بشبين الكوم . ساهم منذ أواخر الخمسينيات فى إمداد البرنامج الثانى بإذاعة القاهرة بعدة برامج درامية وترجمات وأحاديث . له أكثر من أربع عشرة مسرحية منها : الدخان - المعار والمأجور - الليلة نضحك - العرضحالجى - ليلة مصرع جيفارا - إيزيس حبيبتي . ترجم أعمالاً من الأدب الأمريكى لأرثر ميلروتسى وليمز وغيرهما .

محمد مصطفى بدوى :

كان قبل تقاعده زميلاً بكلية سانت أنطوني بجامعة أكسفورد حيث لعب دوراً كبيراً فى تقديم الأدب العربى إلى قراء الانجليزية بترجماته وكتاباتاته والرسائل الجامعية التى أشرف عليها ومشاركته فى إصدار " مجلة الأدب العربى " السنوية (بالإنجليزية) .

ليسانس من قسم اللغة الإنجليزية بأداب الإسكندرية (١٩٤٦) وليسانس الشرف من جامعة لندن (١٩٥٠) ، ومن هذه الأخيرة حصل على درجة الدكتوراه . من مؤلفاته بالعربية : رسائل من لندن (شعر) - أطلال ورسائل من لندن (شعر) - كولردج - دراسات فى الشعر والمسرح - قضية الحداثة . من مترجماته : " مبادئ النقد الأدبى " و " العلم والشعر " ل " أ. أ. رتشاردز " - الحياة والشاعر لستفن سبندر - الإحساس بالجمال لجورج سانتيانا - الشعر والتأمل لروستريفور هاملتون - الملك لير لشكسبير - الفكر الأدبى المعاصر لجورج واطسون - مختارات من شعر فيليب لاركن . نقل إلى الإنجليزية : سارة للعقاد ، قنديل أم هاشم ليحيى حقى ، " السلطان الحائر " و " أغنية الموت " لتوفيق الحكيم ، و « اللص والكلاب » لنجيب محفوظ (مع تريفورلى جاسيك) .

www.library4arab.com

ماهر شفيق فريد

ناقد ومترجم وقاص . ولد بالقاهرة فى ١٩٤٤ . تخرج فى كلية الآداب بجامعة القاهرة فى ١٩٦٥ . أستاذ مساعد الأدب الإنجليزى بجامعة القاهرة . ماجستير من جامعة كيل البريطانية ، ودكتوراه من جامعة القاهرة برسالة موضوعها " أثر ت . س إليوت فى و . ه . أودن " . من مؤلفاته : النقد الإنجليزى الحديث ١٩٧٠ - الشعر الإنجليزى الحديث ١٩٧١ - خريف الأزهار الحجرية (قصص قصيرة ١٩٨٤ / طبعة ثانية مزيده ومنقحة ١٩٩٩) - فسيفساء نقدية : تأملات فى العالم الروائى لمحمد

جبريل ١٩٩٩ - أربعة نقاد معاصرون ١٩٩٩ - الرجل نو الجيتار الأزرق : تأملات في شعر أحمد تيمور ١٩٩٩ . من ترجماته إلى العربية : قصائد ت . س . إليوت ١٩٩٦ - شذرات شعرية ومسرحية لإليوت ١٩٩٨ - المختار من نقد ت . س . إليوت (المشروع القومي للترجمة - ٣ أجزاء ٢٠٠٠) وله في سلسلة آفاق الترجمة : هبوط الليل : مختارات من شعر و . ه . أودن ١٩٩٦ . حرر عدداً من الكتب والمختارات الشعرية بالإنجليزية بالاشتراك مع د . محمد عناني ، ونقل إلى الإنجليزية - بالاشتراك مع سعاد نجيب - مختارات من شعر محمد إبراهيم أبو سنة .

www.library4arab.com

www.library4arab.com

تاريخ

تصدره هذه السلسلة بمعاونة
المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الطماى للطبساء
شارع الجيش - كنيسة الأرمين

الألف كتاب

سار توریس

تأليف ولیم فوکنر

ترجمه: الدكتور محمد طه بدي

ترجمه: میخائیل درمان

مؤسسه سحر العرب
بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد
المنعم
٢٦ شارع شريف باشا - القاهرة
تليفون ٤٩٩٩٩

١٩٦٢

هذه ترجمة كتاب :

Sartoris .

تأليف

William Faulkner

مُقَدِّمَةٌ

بقلم
روبرت كاستويل

- ١ -

تعتبر سارتورس ثالثة روايات وليم فوكنر التي نشرت للمرة الأولى سنة ١٩٢٩ ، سفرأ أساسياً بين أعماله كلها وذلك من عدة نواح . فهي تحدد الإطار لها جميعا . وسارتورس تقدم لنا الأسرتين العظيمتين اللتين تظهران بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في حلقة رواياته كلها ، أسرتي سارتورس وسنوبس . وفي سارتورس رسم فوكنر - أول مارسم - مدينة جيفرسون التي هي مركز رواياته ، وشهدت سارتورس أيضا تغيراً حاسماً في موقف فوكنر من أعماله فقد كان أول كتابين له « أجر الجندي » و « البعوض » للاحين ساخرين وفي بعض أجزائهما يمتازين ، كروايات ، إلا أنهما تميزا بجزء عفوى غير مستهدف ولا مبال ، أما في سارتورس فإن عمله أصبح جاداً وظل كذلك بعدها دائماً .

أما التطور ، الذي يكاد أن يلبس في أسلوب فوكنر والرواية تتقدم في صفحاتها فإنه يعتبر من أغرب وأشد ما شوهد في تاريخ الأدب .

وقد تحدث فوكنر عن بداية كتابته للرواية تحت تأثير شيروند أندرسون ، الذي أهدى إليه سارتورس بعد ذلك . فقد لاحظ أن أندرسون كان يحيا حياة راضية طيبة ، فلم يكن يعمل إلا في الصباح . لذلك تصور أنه يود أن يكون كاتباً أيضا . وقالت له زوجة أندرسون إنه إذا كتب رواية فإنها ستجعل شيروند يقرأها ، فإذا رضى عنها شيروند فسيجعل ناشره ليفرايت يتولى أمر نشرها .

وقد كتب فوكنر « أجرة الجندي » ، في ستة أسابيع ، وأخذ مخطوطها إلى مسز أندرسون ، فأعادته إليه في اليوم التالي ، وقالت له ، « شيرود يقول لك إنه إذا لم يكن مطلوباً منه قراءتها فسيكلف الناشر بطبعها ، وهكذا أصبح فوكنر روائياً . ودفع له الناشر مائتي دولار مقدماً عن كل من عمليه التاليين . قال فوكنر « وبعد ، فقد استلمت هذه النقود ، وبدلاً من أن هذه طريقة سهلة جداً لكسب المال ، .

قال الناقد إيرفينج هو في كتابه الأخير « وليم فوكنر ، إن الكاتب يحاول الضحك من الجماهير بقصته هذه ولكنه وصل إلى هذا الاستنتاج بتجاهله لأكثر أجزائها أهمية . إن ما قصد إليه فوكنر هو أن ذلك كان موقفه من كتاباته حتى كتب سارتوروس . كان في منتصف الطريق للإلتواء منها عندما قال ، « فجأة ، اكتشفت أن الكتابة عمل يبلغ أقصى درجة من الروعة . إن في استطاعتك حينئذ أن تجعل الناس يقفون على أطرافهم الخلفية ويرمون ظلالهم . أحسست أنني أملك كل هؤلاء الناس ، وفي اللحظة التي اكتشفت فيها هذا ، أخذتني رغبة في استحضارهم جميعاً للوجود ، .

وبما يؤكد صدق هذه القصة الطرفة التي حققها أسلوبه في سارتوروس . وبعد سارتوروس أتم فوكنر ، في بضعة أشهر في فورة غير متقطعة من النشاط الخلاق ، الروايات العظيمة التي ترتكز عليها مكانته كروائي : « الجلبة والهيلاج ، و « أنا مضطجع للموت ، و « المحراب ، (رغم أنها لا تصنف عادة معها ، وقد كتب مقللاً من شأنها) و « النور في أغسطس ، ، وعندما عرج مبتعداً عن موضوع سارتوروس ومدينة جيفرسون ، إلى « بايون ، و « النخيل الوحشي ، ، ظهر في رواياته إحساس من الإجماد ، بدا وكأنه يحاول أن يلتقط فيها منابع إلهامه الأولى ، أكثر من كونه ملهماً فعلاً ، وعندما عاد مرة أخرى في سنة ١٩٤٢ إلى قصة سارتوروس وأجوائها في رواية « القرية ، كتب واحدة من أحسن رواياته .

وفي سارتورس يقع الخط الفاصل في أعماله بين مرحلتها الأولى التي تتميز بالخفة والاصطناع الفني ، ومرحلتها العظيمة التالية المملوءة بالقوة .
وبتحديد أكثر ، أنه في شيء ما في سارتورس ، خلق فوق الرواية نفسها ، وأتيحت له رؤية شاملة لأعماله كلها ، لقد كان أول ما كتبه روايتين من « النقد الساخر » ، إلا أن الأساس الفني لما فيها من نقد ساخر لم يكن منتظماً أو سوياً ، إلى الدرجة التي بدأت معها وكأنهما تعبير عن المضايقة الشخصية والنفور العصبي . فإذا تركناهما إلى سارتورس فإننا نجد أنفسنا على الفور في واقعية بلدة جيفرسون المحددة ، التي تبعد عن ممفيس خمسة وسبعين ميلاً ، وهي بلدة تقع في منطقة مرتفعة وقاعة فوق منحدرات مائلة ومن ورائها زرقة تلال متصلة ، وفي أحضان حقول غنية عريضة ، وسنارة داما في ثرائها . وإذ تمضي الرواية بنا ، يفيض بنا وعي بإحساس غامض بالإثارة والحدة والاحتدام ، تنقله إلينا صور البلدة الحسية والريف والغابات ، أكثر مما تنقله إلينا أفعال العنف ، أو صور العنف ، كما هي العادة في أعمال فوكنر .

وهنا توجد علامات الطريق التي توجد بكثرة في أعمال فوكنر ، بيت القضاء المبنى من الآجر ذي الأقواس الحجرية وهو يصعد بين أشجار الدردار ، وتمثال الجنسدي الاتحادي تحت الأشجار ، وهو يظل عينيه المنحوتتين بيده الحجرية ، وميدان بيت القضاء ، ونظ الأفق المتصل من حوله الذي يحده جدار قديم ملوح من الآجر . وعلى بعد أربعة أميال من الميدان ، من وراء الشوارع التي تنعقد فوقها أغصان الأشجار ، يقع بيت آل سارتورس ، أبيض وبسيط ، بمر منحن وبوابات حديدية ، وقد أقيم بين أشجار الخروب والبلوط ، بأشجار الويستريا والورد عند أحد طرفي الشرفة ، وداخله درج متعرج عليه دعائم بيضاء وبساط أحمر ، وحزم متقطعة من ضوء الشمس تتكسر على التريا البلورية والمرآة الطويلة .

ومن هذه الشرفه ، كان في استطاعة الكولونيل سارتورس أن يرى القطارين اليوميين في جريهما فوق خط السكة الحديدية الذي بناه . كان يراها وهما ، ييزغان من التلال ، ويعبران الوادي إلى التلال ، بأضواء ودخان وادعاء بالسرعة عجاج ، وأمام بيت سارتورس يوجد حوض السيلفيا حيث أوقفت دورية اليانكي التي كانت تبحث عن الكولونيل خيولها . وعلى أحد الجانبين يوجد الجرن الذي قبع . وراءه ، متوقفا في أية لحظة طلقة نارية بين كتفيه . وفي معازل بيت سارتورس الرطبة المعتمة توجد آثار الكولونيل - سيفه في غمد مخملي ، حسامه الذي كان يقاتل به فوق حصانه ، قبعة مشاة الجيش سنة ١٨٤٠ ، قنينة زيت فضية أهديت إليه عند الانتهاء من مسد خطه الحديدي . ستره جيش الجنوب مزينة بأشرطة ومشقوقه من الخلف ، غدارتا تزال مطليتان بالفضة ، وغدارة ثقيل ذات ثلاث أنابيب . أما الهو الذي استلقى فيه كولونيل سارتورس بعد أن قتل فإنه لا يستخدم بكثرة في الرواية ، وكذلك قطع الأثاث المفطاة المتشاحخة في الغموض الوقور ، « بسمة من الرقة الشبحية » . وفي ختام سارتورس ، وعند بداية أسطورة سارتورس ، لا يبقى من الأسرة ثمة شيء ، ويفتقد البيت الحياة إلا من همهمة الزنوج وموسيقا أرملة آخر آل سارتورس الشابة ، وهي تعزف على البيانو في ساعة الغسق ، الماهولة بشبح أشياء عتيقة فتانة وفاجعة معاً .

إننا نجد في سارتورس أصول المسائل الكبرى التي يعالجها فوكنر في روايته التالية ، وأصول الكثير من شخص هذه الروايات ، وأحسن قصصه وأحياناً روايات كاملة له لا تعتبر إلا تطورا ، وامتداداً واستمراراً لأحداث في هذا الكتاب ، فإن جملة واحدة في الجزء الثالث ، « ظهر فلم أول أفراد آل سنوبس ، دون مقدمة . ذات يوم وراء نضد في مطعم صغير في شارع جانبي يؤمه أهل الريف ، تطورت إلى رواية هي مزيج من

المأساة والمهابة يبلغ عدد صفحاتها ٤١١ صفحة وهي «القرية»، التي كتبت بعد نشر سارتوروس بثلاثة عشر عاماً. أما القصة القصيرة، «كانت هناك ملكة»، و«القنطروس»، و«بغل في الفناء»، و«نحو النجوم»، و«عبر المقهور»، و«جميع القباطنة الموتى»، و«جدتي ميلارد»، و«وردة لاميلى»، و«لن يغنوا»، فهي تكملة لقصة في سارتوروس، وتدور حول نفس الشخصيات. وتظهر بلدة فرنشمازبند الشريرة أول ما تظهر في الرواية. وبعد أسابيع من الانتهاء من سارتوروس جعل فوكنر من فرنشمازبند مسرحاً للشهد الافتتاحي المروع في روايته المحراب. لقد أصبحت الآن غمماً للسفاحين، وعندما يتوقف هوارس بينبو (الذي يظهر في سارتوروس) عندها من أجل جرعة ماء فإنه يرى خلال الأعشاب عبر النبع عيني بوبي الزجاجيتين وغدارته، وهو الصادى والقاتل، وبعد ذلك خصص فوكنر كل روايته القرية لعملية استيلاء عائلة سنوبس الرهيب على قرية فرنشمازبند، بحياتها المتكاثفة والموحلة، كأدغال الغاب المحيطة بها، ملوثة المنطقة كلها، وكأنها فيض من مجرى ماء مسمم.

وأهم من ذلك أن الموضوع الذي تدور حوله أعمال فوكنر كلها يظهر في سارتوروس يقول جورج أودرنيل وهو أول من درس مضمون هذه الرواية إن موضوعها هو الصراع بين عالم سارتوروس وعالم سنوبس: وآل سارتوروس بشر محترمون يسلكون حسبما تقتضى التقاليد، وبمقتضى قانون اجتماعى حيوى الأهمية، وآل سنوبس ناس يسلكون بدافع المصلحة الذاتية، ودون اعتبار لمدى شرعية وسائلهم. وفي مفتتح سارتوروس، نجد آل سنوبس وقد اتخذوا لأنفسهم موطناً. قدم في جيفرسون، إذ أصبح أحدهم نائباً لمدير مصرف سارتوروس. وعلى أحد الجانبين يوجد الذين يقبلون بدرجات مختلفة القيم السارتوروسية أو يمثلونها - أسردى سبين، وساتين، وكومبسون، وبينبو، وجريرسون، وملاك المزارع وأبطال الحرب الأهلية، وعلى الجانب الآخر يوجد أب سنوبس عميد هذه القبيلة، حارق الأجران،

الذى يفتح الطريق للغزو الذى تقوم به أسرته ، بتهديده بحرق أجران من يعترض طريقه من ملاك الأراضى ، وقليم سنوبس الذى يصبح من العاملين فى ميدان المصارف ، وموتتجومرى وارد سنوبس ، الهارب من التجنيد ، و . . . سنوبس ، أحد أبطال قصة « بغل فى الفناء » ، الذى يسوق بغاله إلى خط السكة الحديدية ليتمكن بذلك من الحصول على تعويض من إدارتها ، ومنك سنوبس ، القاتل فى رواية القرية - البهايل ، والقوادون، والمبتزون، وسارقو الخيل، والشواذ، والصاديون، والقتلة ، والعاملون « بأسلوب منيع من الانتهازية - التى تعتبر عند أهل الريف - وأهل المدن أيضاً براعة أمينة » . ويأخذ آل سنوبس بالمداهنة الوظائف ، ويزورون ، ويكذبون ، ويخدعون ويسرقون ، ويحرضون أحد العمال الزنوج ضد زميله ، إذ يسرون لكل منهما أن الآخر يسعى لاستلاب وظيفة ، ويتجرون بزوجاتهم من أجل الوظائف السياسية الصغيرة ، أو المشاركة المحدودة فى الأعمال ، وهم يتسلقون ويتسلقون ويتسلقون ، مكرسين دون تعب فى سبيل تحقيق مصالحهم الشخصية عقولهم الكبيرة ، وقلوبهم الباردة ، وشرفهم المقدس .

تبدأ سارتورس بمشهد يتحدث فيه كهلان عن كولونيل سارتوس ، وشبحه الذى يتلصقاً فى الغرفة بعد أن صمتا . لقد أصبحت البلدة على وشك الوقوع تحت سيطرة أسرة سنوبس . وهذه سلالة كولونيل سارتورس - ناس عالم سارتورس ، عاجزون عن الوقوف فى طريقها . فهوراس بينبوفى « سارتورس » ، والمحراب ، غير ذى فاعلية ، ويقتل كونتان كومبسون فى « الجليلة والهاياج » ، نفسه ، أما جاسون كومبسون فى نفس الرواية فإنه يعيش ويقاوم آل سنوبس ، إلا أنه يتمكن من ذلك بتحوله هو بشكل ما إلى سنوبس متمسك . وقد قتل أحد أحفاد سارتورس المتهورين فى الحرب ، أما الآخر ، بايارد ، فهو يقود سيارته بجنون فى طرق الريف ،

ويوجه الإهانات إلى أهل البلدة ، ويبدد حياته التي يكاد أن يزدريها .
ويحتفظ بايارد العجوز المصرف بالشكل الخارجي لأساليب الحياة القديمة ،
ويرمز ذلك أنه يذهب إلى المصرف في عربته . ولا يبقى حياً من أيام
الكولونيل إلا العمة جيني سارتورس دوبرى ، شقيقة الكولونيل ، وهي
مشغولة في المحل الأول بترتيب زواج بايارد سارتورس وناريسيا بينبو ،
ليكون بذلك وريثاً للأسرة . ولكن ناريسيا تقع فريسة تهديد أحد أفراد
أسرة سنوبس (في قصة نشرت بعد ذلك بعدة سنوات ، كانت هناك ملكة ،
تعرف أن ناريسيا عندما تعرف للعمة جيني ، تموت السيدة العجوز في مقعدها ،
فتحطم الإهانة الأخيرة لقيم آل سارتورس لإرادة الحياة فيها . يقول الطاهي
الزنجي ، « أن تولد من سبط سارتورس ، أو تولد من علية القوم على
الإطلاق ، ليس شيئاً سلبياً إنه ذو فاعلية . لأن مس جيني من علية القوم ،
هذا هو السبب . وهذا شيء لا تعرف عنه شيئاً على الإطلاق ، لأنك
ولدت متأخراً جداً عن أن ترى أى شيء منه عدا رؤيتها هي) .

وكولونيل سارتورس (١) ليس إلا شبحاً في مدخل سارتورس ، ولكنه
شبح يتميز بالركة : « متحرراً كما كان من الزمن والجسد ، فقد كان وجوده
أشد جلاء من أى من العجوزين ... » ، إنه حقيقة حية بالنسبة لمن عرفوه
من الرجال ، وذكرياتهم عنه رقيقة وودودة ، رغم أنهم فيما يبدو
يستذكرون أعمال عنفه ، التي تتعلق بها . بشكل ما أهمية شديدة رغم
أن الآثار الفعلية - تذكارات العائلة القليلة ، والأساطير ، والتفسيرات الحائرة
لحياته - قليلة وغير كافية بالنسبة للشعور المستثار . كان يلقى فيما يبدو على
الحياة دثاراً من الرقة الشبهية التي تتعلق بالهو المغطى حيث اضطلع
إثر مقتله .

(١) كولونيل سارتورس الذي مات في الرواية في سنة ١٨٧٦ كان حياً لا يزال في سنة
١٨٦٤ في رواية « وردة لإميلي » . كانت أهميته في القصة القصيرة محدودة : قال المساميل
إنها ليست مدينة بأية ضرائب ، لأن البلدة كانت مدينة لأبيها .

وهو يهيم على الرواية . وإن كنا في الواقع لا نقرأ عنه الكثير جدا ، لا في هذا الكتاب ، ولا في حلقة الروايات كلها التي كان منبع الوحي بها . وفي قصص الحرب الأهلية في رواية « غير المقهورين » يسلك كولونيل سارتورس بشجاعة وعبقرية وبوقار الشيوخ ، الأمر الذي يجعل منه ، مثل لي ، تجسيدا لشهامة القضية الخاسرة أما الاستهتار البطولي الذي تميز به بعض فروع أسرة سارتورس فقد حد منه في حالته إحساسه بالمسئولية الاجتماعية . أما فشلهم في الحياة في مستوى مثله ، والفروق بين الجنوب الجديد الفج وأرض المزارع اليانعة في أيامه ، ونبل جيله المهذب ، فهي تسهم في الإحساس بعذاب العجز في جيل كوينتان كومبسون وبايارد سارتورس . وبنفس الشكل أيضاً ، فإن تجسد سمات المرأة الجنوبية المصنفة في العمة جيني ، وملاحظها الرقيقة وشعرها الأبيض ، وماضيها البطولي ، بما في ذلك مشاركتها في الرقص مع جب ستيوارت ، والوقت الذي قهرت فيه المحرضين السياسيين والملتلكيين من رجال الجنوب بوجودها المسيطر - تقابل وتبرز بوضوح أزمت النساء الجنسية في الروايات التالية .

كانديس كومبسون ودالتون أمس في « الجلبة والهباج » ومشاهد دار الدعارة في تمبل دريك ورد في « المحراب » ، والصراع الذي يعانيناه ليس صراع ضمير ، كما هو الأمر في روايات هوثورن عن نيوانجلند ، ولكنه ينبع من انتهاكهما لإحساسهما بأنهما تنتميان إلى علية القوم : تمبل وكانديس ، بل وكل البنات في روايات فوكنر يواجهن في الجنس صراعا اجتماعياً ، أما الاعتداء على شيء تنتصب مس جيني كرمز له ، كما في « المحراب » أو قبول دور لا يعني إلا الإحساس الذاتي بالخروج من عالمها كما هو الأمر في « الجلبة في الهياج » ، « وقدياس على روح راهبة » .

وبنفس الشكل أيضاً ، فإن الرجال لا يستطيعون الحياة في مستوى أسطورة سارتورس . وهكذا فإن اليأس الوحشي الذي يفيض بحياة بايارد سارتورس الصغير يسبب الأزمة القلبية التي تقتل بايارد العجوز . ويحقق موته استراحة وقتيه في انحدار آل سارتورس اللولبي الذي تتبعه الرواية . إنها عودة مفاجئة وإن تكن قصيرة إلى الواقع : الإدراك المتزايد الذي نجده في وصف هروب بايارد إلى كوخ في التلال وفي صيد الثعالب - الصقيع في الهواء الساكن ، والصوت الجاف الوحشي في أشجار الصنوبر والأرض الزرقاء في لون الدخان ، وكبيريا . أهل الريف الأليفة الهادئة ، والبيوت المضيئة في الداخل بنيران المدافئ ، والدخان الأزرق الشاحب المحمل بروائح الطهو ، وأصوات الكلاب الرناتة كالتواقيس وأصداؤها التي تتردد بين التلال حيث يجلس الصيادون في سكون تام على خيولهم في ضوء القمر المحمل بالصقيع . لقد حدث تغير للأسلوب في هذه الفقرات فيه وفي الجزء الأول من الكتاب ، وتغير أيضاً أكثر أهمية فيما بينهما ومرح فوكنر النقدي في كتبه الأولى . إنه قبول مفاجئ للعالم المحيط ببايارد سارتورس وشعور دائم بالاستمتاع به والمشاركة فيه .

إن المشهد الرائع الذي نرى فيه عيد الميلاد الذي شهده بايارد مع العائلة الزنجية ، ليشير العاطفة بتواضعه الخجول ، ويفيض بالمأساة عند كشفه عن الحذر الذي أصاب عقل بايارد . . . حدة عينيه على الغرفة التي تناثرت فيها الأشياء ، وعشى عينيه عن رؤية الأطفال الزوج . . . إنه موسيقى - فقرات من الشعر المصنفي رغم جنوة سطحها ، إنها فقرة من السلام ، تحقق سحر جمالها ، لا ببراعة الأسلوب ، وبالتأكيد ليس بذلك النثر الشعري أو الشعر المنشور من النوع الذي يحاول فوكنر أحيانا كتابته ، ولكن بقبول المعتاد أو المؤلف في الأشكال التي يوجدان بها . والأثر الذي يولده هذا المشهد هو أنه يكشف الأوهام الحادة التي تفيض بها حياة بايارد في الفترة التي سبقت المشهد . فكان المجتمع لم يعرف أبداً إلا توهجات وزوايا

حادة في علاقاته الاجتماعية ، أشبه بصور بيكاسو ، ثم يعي فجأة من حوله بيوتنا هادئة نقشت في لوحات رسامين من المدرسة الفلمنكية . كذلك فإن الهروب إلى الغابات والمشهد في كوخ الزنجي (الذي يقارنه هو بشيء من العدل بمشهد صيد الذئب في الحرب والسلام ، لتولستوى) يلقى ضوءاً على ضياع بايارد ورحلاته الشاردة بعد ذلك ، رحلته الغامضة إلى المكسيك والبرازيل ، وموته وهو يحاول التحليق بطائرة حديثة صممها مخترع مجنون ، التي ربما يبدو فيها التشويه مبالغاً فيه وتدل العواطف الخفية الغامضة على إهمال وعجلة في الكتابة .

وهكذا فن نجد في النهاية إلا أرملة بايارد الصغير وهي تعزف على البيانو في ساعة الغسق في بيت سارتورس القديم ، وبفضل احتدام في أسلوب الرواية ، أكثر من أن يكون بفضل أفعالهم وأقوالهم ، فإننا ندفع إلى الإحساس بأن مصير آل سارتورس تراجيدي حقا . وتظهر فعلا بعض سمات الغموض والغايات السامية ، على الرغم من أنه كثيراً ما تبدو تصرفات الأشخاص ميلودرامية ، وشجعانهم مجرد استهتار أحمق وإخلاصهم لمثلهم ليس إلا كبرياء أسرية ضيقة الأفق . وفي كتابات فوكنر توجد فقرات قليلة ، ترقى فيها دقائق أسلوبه إلى مستوى الفكرة الكلية للعمل . وحتى في مشاهد التلال فهناك صور غير مناسبة - الشمس التي انتشرت كبيضه قرمزية تحطمت على التلال النهائية ، أو الصقيع الذي قارنه بغلاف وردى للاء من السكر على كهكة العيد - ذلك في الوقت الذي تذكر فيه في عالم الرواية الكثرة التي ألقت حلقات من الروايات حول أسر ، وكيف أصابنا السأم حتى من أفضلهم من أمثال الدينبروك والفورسايت نتيجة لشهورهم الزائد بالأهمية . ولكن سارتورس ينجو من هذا المصير بالجدية البالغة التي تلتصق على نحو غامض بمصير الأسرة . إن سقوط سارتورس له علاقة بانفصال بايارد عن تلاله ، وربما بانفصالنا جميعاً عما ننتهي إليه ، وانعدام الحبس الذي تؤدي إليه الحياة الاجتماعية والذي تصبح فيه لحظات الوعي

بالعالم المادى ، وبالعلاقات البسيطة أمراً نادراً وقليل الوقوع أو اضطرارياً :
ربما بعذاب ، « الجلبة والهياج » - وبانتصار بوبى الوحشى فى الحزاب
وفليم سنوبس فى « القرية » .

الإلهام هو الشيء الذى يضيف إلى سمة الاحتدام فى سارتورس ، ومنابع
الإلهام دائماً بعيدة عن متناول التحليل النقدى . وكل ما يمكن أن يقال
هو أن الجهد المتصل فى اتجاه من المرجح أن يكون مشعراً يضمن للإلهام
حين يأتى ، إذا جاء على الإطلاق ، أن يجد لنفسه مخرجاً ، كأن فوكنر
قد قضى جانباً كبيراً من الوقت وهو يكتب « أجر الجندى » ، و « البعوض » ،
عندما ألهم فكرة كولونيل سارتورس التى جاءت مع هذا الكتاب . وقد
شخنت رؤى روايات جيفرسون التى لم تكن قد كتبت بعد ، كل جزء من
هذه الروايات باحتدام أقوى من محتواها المباشر . . . وأحياناً ، وعلى سبيل
المثال ، كما هو الحال فى الحادثة التى وقعت بين كولونيل سارتورس والمحرضين
السياسيين ، فإن الدرس الوحيد المستخلص منها يبدو وكأنه يريد أن يقول
إن العالم كان سيصبح مختلفاً أو أن الجانب الذى يقف فيه الكولونيل كسب
الحرب الأهلية ولكن كثيراً ما يبدو وكأن هناك أشياء ذات فائدة عملية
كانت فى حياته ، رغم أننا لسنا على معرفة واضحة تماماً بحقيقة معناها .
كأنه قد اخترع للجمع شيئاً مفيداً فقد بعد ذلك . وهناك منابع أخرى
واضحة لإلهام فوكنر . . . لقد عاد إلى ربوعه الريفية وجدانياً وجسدياً ،
وللى أسطورة أسرته الخاصة ، ذلك أن كولونيل سارتورس قد رسم على نمط
كولونيل وليم س . فوكنر ، جده الأكبر . إلا أننى أعتقد أن المنبع
الرئيسى يكمن فى التوتر الداخلى الذى تكون بمحاولة التوفيق بين شخصية
كولونيل فوكنر التاريخية وشخصية كولونيل سارتورس الخيالية كتجسيد
لفضائل الجنوب العتيقة .

ولد كولونيل فوكنر فى إقليم نوكس فى تينيسى الشرقية عام ١٨٢٥

(رغم اختلاف الثقة حول تحديد المكان والتاريخ) ، ثم أخذ إلى سانت جنيف بولاية ميسوري حيث مات أبوه وهو لم يزل طفلاً . وكيتم سار على قدميه من ميدلتون بتنيسي إلى ريبلي بولاية ميسيسي ، ليتخذ من بيت عمه موثلاً . وكانت سنة حينئذ تراوح بين العاشرة والرابعة عشرة . . كانت رحلة تاريخية كتب عنها عرضاً وضاء وإن كان رومانسياً في روايته . وردة بمفيس البيضاء ، . وقد عمل لمدة أربع سنوات ، بينما كان تلميذاً في المدرسة ، في سجن بلدة ريبلي ، حيث استخدمه مأمورها . . وقد أفاد من هذه التجربة أيضاً في نفس الرواية .

وفي سنة ١٨٤٥ توقفت أسرة مهاجرة تسمى أدكوك ، في أثناء رحيلها من تنيسي إلى الغرب لقضاء الليل في أرض للتخيم شمال ريبلي . وقتل رجل يسمى ماك كانون كل أفراد الأسرة بفأس ، وسرق العبيد ، ورحل عاتداً إلى تنيسي . وقد قبض على ماك كانون بالقرب من تنيسي وأعد جمهور من الدهماء العدة لقتله . ولكن فوكنر الشاب أقنع في منتصف الليل مع تجريدة مسلحة وراء ماك كانون ، ورحل عشرين ميلاً ، وعاون على إنقاذ القاتل من يد الدهماء ، رغم الأسلحة التي شهرت في وجهه . وأعيد ماك كانون إلى ريبلي ليقف أمام المحكمة إلا أن حشداً آخر من الدهماء اقتنصه من السلطات ، ومرة أخرى وهو على وشك الموت شنقاً اكتسب ماك كانون فسحة من الوقت بالوعد الذي بذله برواية الحقيقة كلها عن الجريمة . وقد اعترف . وفي الفترة التي سبقت تنفيذ حكم الموت فيه ، حكى قصة حياته لفوكنر الشاب ، الذي كتبها ، وطبعها بالأجل في كتيب في مطبعة جريدة « أدفرتايزر » بريبلي .

وقد عرض الكتيب للبيع في يوم لإعدام ماك كانون ، فحقق نجاحاً ساحقاً ، وكسب فوكنر منه بعد دفع دين المطبعة ١٢٥٠ دولاراً . وكانت أول ما اكتسب من نقود . وقد صوره أعداؤه بعد ذلك يتجول في الجموع منادياً على كتابه ، بينما جسد ماك كانون لم يزل يتأرجح من غصن شجرة

في ساحة محكمة ريبلي - وما زالوا يهاجمونه في الواقع حتى اليوم بهذه المنمة ..
إلا أنه لا يوجد دليل معاصر على وقوع مثل هذا المشهد المروع ، ولا أى
دليل في خلق فوكنر على الانحراف إلى العمل بهذا الأسلوب .

إلا أنه يوجد الكثير من الأدلة المعاصرة على أن كتيب فوكنر أثار
عداء حاداً من بعض الأشخاص البارزين في المناطق القريبة - تاسكامبيا ،
وآلاباما ، وهولي سبرنجز ، وميسيسيبي ، وغيرها ، وهم من جاء ذكرهم في رواية
ماك كانون كأصدقائه ومعاقرى الخمر معه . وقد هدد هؤلاء بعقاب
فوكنر بالسياط وبما هو أسوأ . وقد هبت جريدة الأدفرتايزر - بريبل
لعونه . وأعلنت أنه لا يوجد بين شباب البلدة من يفوق فوكنر في
ملاعبة الخلق والشجاعة . وقد نشرت هذه الآراء في سنة ١٨٤٦ . وفي
مايو من هذا العام عندما بدأت الحرب المكسيكية ، انتخب فوكنر
تقريباً أول لفصيلة متطوعى تيباه ، وكان تاريخ توليه سلطات هذا المنصب
هو أول يونية ١٨٤٦ . وقد ألحقت الفصيلة باللواء الثانى في فرقة مشاة
الميسيسيبي الثانية ، واشتركت في الحرب في المكسيك حيث أصيب فوكنر
بجراح في ١٤ أبريل ١٨٤٧ .

كان النقيب الثانى لهذه الفصيلة هو روبرت هندمان الذى كان شقيقته
توماس هندمان جندياً عادياً في الصفوف (١) . كان الاثنان ولدى أسرة
بارزة عريقة ، وكان أبوهما أحد أبطال حرب ١٨١٢ ، وكان يعيش في
بيت كبير جديد يبعد عن ريبلي ميلين ونصف ميل . كانت ثمة صداقة بين
فوكنر الشاب وأبناء أسرة هندمان . وقد عادوا بعد الحرب إلى ريبلي ،

(١) حسبما جاء في « التعريف بالأشخاص الذى كتبه جنرال بات كليورن وجنرال ت . س .
هندمان ، بقلم شارلز إدوارد ناس ، أحد أبناء هندمان ، فإن هندمان الذى كان يتميز بوجهية
جبارة لوقوع في المشكلات « وكان « شديد الطموح شديد العفاف « قد رقى في المكسيك إلى
وظيفة نقيب أول لما أهداه من بمالة .

حيث تزوج فوكنر مس هولاند بيرس من نوكسفيل بولاية تيسى . وبدأ في العمل بالمحاماة في مكتب عمه القانوني .

وفي يوم ٨ مايو ١٨٤٩ التقى فوكنر بروبرت هندمان ، وفيما يبدو بجوار بيت الأخير . وقد هاجمه هندمان بعنف ، الأمر الذي أثار دهشته . وقد صرح فوكنر بأنه لا يدرى سبباً لثورة هندمان الجنوبية . وما قاله مقنع تماماً . وشهر هندمان غدارة ، فقبض فوكنر على ذراعه . فرماه هندمان - وكان الأقوى - على جدار البيت (كان الشقيقان هندمان كبيرى الحجم قويين ، يذكران بين أهل المنطقة « كرجلين شجاعين سريعي الانفعال لا يخشيان شيئاً ، بل وعدوانيين إلى أقصى حد ، يميلان للاستهتار ، ولكن « لم يعش بين الناس قط أشجع من الشقيقين ،) وسدد هندمان غدارته إلى صدر فوكنر وداس على الزناد .

لم تنطلق الرصاصة من الغدارة . وسحب فوكنر سكينه . وسدد هندمان غدارته مرة أخرى وأطلق ومرة أخرى لم تنطلق الرصاصة . وقد تبين من فحص الغدارة بعد ذلك . أن الطلقات لم تكن تناسبها ، فإن شاكوشها لم يكن يقع على رأس الرصاصة تماماً . وإذا كان هندمان يحاول إطلاق النار للمرة الثالثة ، طعنه فوكنر وقتله .

قبض على فوكنر ، ووجهت إليه تهمة القتل . وقد شقت القضية البلدة شطرين .

ولم تعقد جلسات المحاكمة إلا في فبراير التالي ١٨٥١ ، في الدورة القضائية لدائرة المحاكمة . وفي أثناء هذا مانت زوجة فوكنر ، بعد أن ولدت له طفلاً ، وهو جد وليم فوكنر . وقد ألقى توماس هندمان الذي تصادف أن حصل على أجازة القانون في ذلك الوقت خطبته الأولى بصفته نائباً عاماً . وكانت معبأة بالتشهير المرير . إلا أن الشواهد رسمت حالة واضحة من حالات الدفاع عن النفس ، وأطلق سراح فوكنر .

وبمجرد أن خرج من ساحة القضاء إلى شارع ريبلي هاجمه توماس هندمان . ومن ثم قتل فوكنر ، في أثناء الشجار رجلا يسمى موريس ، وكان من أنصار هندمان في الصراع الذي قسم البلدة .

وعلى الفور قبض على فوكنر مرة أخرى ، وحوكم بتهمة قتل موريس ، وأطلق سراحه مرة أخرى وبعد إطلاقه من السجن ، التقى بتوماس هندمان في غرفة الطعام بفندق ريبلي ، وشهر هندمان مسدسه . ولكنه سقط من يده ، وانطلق عند اصطدامه بالأرض فأصاب الطلق الناري السقف فوق رأس فوكنر .

تحدى هندمان فوكنر للبارزة ، وكان فوكنر لا يؤمن بهذه الوسيلة من ناحية المبدأ ، ولكنه قبل التحدي ، وأعد الأمر للالتقاء بهندمان في الساعة السادسة من صباح أول إبريل ١٨٥١ في ساحة النزال التي تبعد أربعمائة قدم من شاطئ أركانساس على نهر المسيسيبي ، أمام نهاية شارع جيفرسون بمدينة ممفيس . وكان المفروض ألا يكون هناك رفاق للمبارزين ، ولا جراخون ، ولكن شاهد واحد فقط ، لم يكن عليه أن يفعل شيئا ، إلا أن يظل بعيداً لا يعترض طريق المبارزين - وكان المفروض أيضا أن يكون كل منهما مسلحا بعبادة ويقف على بعد خمسين خطوة من الآخر ، وعند صدور الإشارة يتقدم كل منهما من الآخر وهو يطلق النار بقدر ما يشاء أو ما يستطيع .

وقبل النزال ، التقى فوكنر وصديق له هو دكتور دى سوتو بهندمان . وشهر دى سوتو مسدسه ليطلق النار على هندمان ، ولكن فوكنر قبض المسدس ، واصطدم شاكوشه بيده .

كان كولونيل جالواى هو الشاهد المختار ، وكان أحد محرري جريدة النداء ، التي تصدر في ممفيس ، وله سمعته كرسول سلام بين الناس .

وقد علم أن فوكنر لا يدرى لعداوة هندمان سبباً ونجح في منع المبارزة ،
ومن ثم ارتحل هندمان إلى أركانساس .

وقد ظل فوكنر في ريبلي حيث أصبح أحد زعماء جماعة الجاهلين
بكل شيء (١) ، ورئيس تحرير جريدتها العم سام ، التي كانت تجمع شمل هذه

(١) حزب الذين مجهلون كل شيء ، كان محاولة لتنظيم التمهيج والإثارة ضد الكاثوليك
والأجانب ، كوسيلة لطمس مشكلة العبيد التي شطرت البلاد شطرين . وعندما بلغ الحزب قوة
نفوذه في سنة ١٨٥٥ انتخب الجاهلون بكل شيء الحكام والشرهين في نيوهامبشير ،
وماساشوسيتس ، ورود ابلاز وكونكتيكت ونيويورك وكينتيكي وكاليفورنيا ، واكتسبوا
تقريباً تكساس وفرجينيا وجورجيا والأباما وميسيسي ولوزيانا . كانت تنظيمها سريعاً شكلي على
هيئة محافل كاللوسون ، ولم يكن يعرف اسم الجمعية الكامل ولا أهدافها الحقيقية من أعضائها إلا
من بلغوا أعظم المراتب فيها . أبنام سنة ٧٦ ، أو من كانوا من درجة اللواء المراكز بالنجوم ،
وكانوا مجهولون عما بوجه لا يهم من أسئلة عن الجمعية بقولهم « أنا لا أعرف » ، الأمر الذي
أعطاهم اسمها الشعبي .

قام هندمان ، بعد رحيله من السبسي ، بصفته محامياً وسياسياً بقيادة حملة عاصفة ضد الذين
تمجهلون كل شيء في أركانساس ، وقد كانوا على وشك الانهيار كحزب على نطاق الأمة كلها ،
وبذلك اكتسب شهرة لقيامه بسحق الذين مجهلون كل شيء في أركانساس بصفة نهائية . وقد
قاتل ، أو تخاشى القتال في آخر لحظة بتدخل الوسطاء ، في عدة مبارزات . وفي اجتماع سياسي عام ،
تكلم فوكنر في صالحه ، الأمر الذي كان محل دهشة من الناس .

وفي سنة ١٨٥٨ اتهم هندمان سياسياً يسمى رايس بالحيانة لحساب حزب الذين مجهلون كل
شيء . وقد غادر رايس البلدة هيلينا بأركانساس وعاد بشقيقه . وإذا خشى هندمان ألا يعطى فرصة
عادة ، طلب معونة كاتب في محل عقاقير هو بات كليبورن . كان بات ضابطاً سابقاً في الجيش
البريطاني ، ثم أصبح بعد ذلك من أحسن ضباط جيش الجنوب . وبينما كان الرجلان يهربان
الطريق أمام متجر مور لاسلم الخافقة في هيلينا ، أخطأ خالق نارى جاء من وراء باب المتجر على
بعد ثلاث أقدام ، أخطأ هندمان . وأصاب طلق نان كليبورن في ظهره ، وأطلق طبيب من
أبناء عمومة رايس ، وكان واقفاً على الجانب الآخر من الطريق ، أطلق النار على صدر هندمان
إلا أن الطبيب قتل برصاص هندمان وكليبورن إذ أطلقا النار على بطنه قبل أن يسقوا وقد ظلت
حياة كليبورن معلقة بين الحياة والموت لمدة عشرة أيام . أما هندمان فلم تسكن إصابته خطيرة

الجماعة . وعندما بدأت الحرب الأهلية كون فوكنر فصيلته التي سماها
فصيلة رماة المانوليا بإقليم نيباه وانتخب قائداً لها في ٢٣ فبراير ١٨٦١ .
وقد أصبحت فصيلة رماة المانوليا جزءاً من فرقة المشاة الثانية بجيش
الجنوب ، التي انتخبت فوكنر كولونيلاً لها . كان ، في أثناء هذا ،
قد تزوج للمرة الثانية ، وأنجبت له زوجته الثانية أربعة أطفال ، ثلاثة
من البنات وولداً . وقد لعبت الفرقة الثانية تحت قيادته دوراً هاماً في
معركة بول رن ، ذهبت بعده إلى معسكراتها في هاربرز فيري لقضاء الشتاء .
وهناك التحقت مسز فوكنر والأطفال بالنكولونيل ، وكان ابنه وطفلة
وليدة عممت باسم إليزابيث ماناساس ، قد ماتا في ريبلي في أثناء غيبته . وفي
الانتخابات التالية في ربيع ١٨٦٢ انتخب جون م . ستون وهو معاون
محطة سابق في بلدة يوكا على خط سكة حديد ممفيس شارلستون ، انتخب
كولونيلاً لفرقة المسيسيبي الثانية ، ومن ثم عاد كولونيل فوكنر إلى ريبلي .
وكان لديه تكليف من جيفرسون ديفيز بتجنيد لواء من الفرسان .

وتقول بعض مصادر ريبلي إن تقارير كولونيل فوكنر عن نشاطه في
الحرب الأهلية لم تكن شيئاً مشرفاً .

يمكن أن يكون محل فخر . وفي الواقع ليست ثمة حاجة لإعطاء مثل
هذا التفسير لعودته إلى البلدة . لقد حدث هذا بعد كارثة الجنوبيين باستيلاء

أما الدكتور باش الذي كان يعمل في متجر عقاقيره كايورن ، والذي كتب مذكراته عن الرجاء
فقد خفي أن يستخرج الرصاص ، من ظهر كايورن الأمر الذي فناه بعد ذلك زوج شقيقة هند ان
وأصبح هندمان قوة سياسية في أركانساس وبنى قصرًا في هيلينا (أصبح بعد ذلك مدرسة
كانوايسكية) واستقال من الكونجرس عند ظهور الحركة الانفصالية فيه . ونطوع كجندي في
لواء مشاة ييل . وانتخب ضابط وأصبح لواء في جيش الجنوب وفر إلى المكسيك حيث أدار
مزرعة لابن بعد انتهاء الحرب الأهلية وقد اعترض أهل زوجته على مغازاته لها وأرسلوها إلى
مدرسة سانت أجنس الكانوايسكية . ممفيس وذلك لإيادها عنه . وقد استطاع هندمان أن
يزورها في المدرسة بتظاهره بأنه عمها ومن ثم تزوجا بعد ذلك . ويبدو أن هندمان قد أترى في
المكسيك ولكن زوجته اعترضت على تولدئة الأطفال على المذهب الكانوايسكي وعاد إلى هيلينا
والبلاد في مرحلة الهمبر وفي اجتماع سياسي اعترض هندمان على تصريحات ألقاها كلايتون بول
في حشد من الزوج وقتل .

جرائنت على قلعة دونلسون والجزيرة رقم ١٠ واشتداد الحاجة للفرسان للعمل في أرض شاسعة ، أصبحت مفتوحة للغزو . لقد كان هذا واضحاً حتى قبل سقوط شيلوه التي تبعد أكثر من واحد وأربعين ميلاً . يضاف إلى هذا الموقف المحلى الغريب في شمال المسيسيبي ، وكان له دائماً شذوذه في التاريخ الأمريكي ، الأمر الذي أوجد الحاجة إلى ضابط مجرب يعرف المنطقة . وقد نظم فوكنر لواء الفرسان السابع بالمسيسيبي ، الذي أطلق عليه أحياناً اسم حرس الأنصار الأول . وقد استكمل لوائه قوته كلها في الربيع ولكن تمزق تماماً قبل نهاية نفس العام . وفي مارس ١٨٦٣ نجده يبلغ رئاسة المخابرات السرية بجيش الجنوب في الغرب الأوسط أن الرجال يتخلون عن الجيش النظامي لينضموا إلى الوحدات غير النظامية بالولايات ، حيث لا يقعون تحت فاعلية النظم العسكرية وينتطعون المعيشة في بيوتهم . وقد بلغ أيضاً أن هؤلاء الجند ينهبون جميع الأهالي ويسرقون الخيل (وفي ذلك نبوة عن آب سنوبس) ويروعون النسوة ويصادرون ممتلكات من كانوا يطلقون عليه اسم المحافظين ، وأبلغ أيضاً أن جرائم السرقة وقتل المواطنين غير المسلحين قد أصبحت أحداثاً يومية وأن الفصائل المستقلة يتزايد تراؤها بالمضاربة والاتجار مع العدو ، وأن الأهالي لن يستطيعوا جمع محصول من الأرض إلا إذا وفرت لهم الحماية ، وأضاف هذه الملاحظة إلى الجنرال وكان يقصد فورست أن ليس عليك أن تخشى أن أفاجأ أو أغلب لأنني أعرف كل جرف وطريق ودرب في هذه المناطق الشمالية .

وقد أبلغت حملة شمالية قامت من ممفيس إلى ريبلي في مايو ١٨٦٤ أن التخريب الكامل قد لحق بالمنطقة لمسافة أربعين ميلاً . وفي يوليو من نفس العام دمرت ريبلي نفسها . وكانت ظروف ذلك غريبة . فقد خرج شيرمان متجهاً إلى أتلاتتا ، وأمر بتحرك ٨٠٠٠ جندي من ممفيس لتشغل فوريسست وتمنعه من ضرب خطوط مواصلاته وعندما وصلت هذه القوة إلى ريبلي سأل كولونيل دي ويت توماس زوجة فوكنر (التي وصفها بأنها امرأة ذكية جداً) . عن مكان جنرال فوريسست وعن عدد جنده . فضحكت

مسز فوكنر وقالت إن فوريسست قد غادر الإقليم ليطارد شيرمان ولكنه عاد وسيبدأ الهجوم بعد بضعة أيام . وقالت إن فوريسست لديه ٢٨ ألف رجل . وقد توقف القائد الشمالي في ريبلي . وعقد مؤتمراً مع كبار ضباطه ، وأعلن عن رغبته في العودة لأنه يعتقد أن فوريسست قد قام - في المرجح - بتعبئة قوة ساحقة ضده .

وقد مال ضباطه للاتفاق معه ، ولكن لما كانت حملة سابقة قد ارتدت أيضاً منذ وقت قصير فقد أحسوا أن الضربة ستصيب معنويات الجند بكارثة .

وهكذا كان الاستمرار في الزحف هو قرارهم . وفي صبيحة ١٠ يونيو سنة ١٨٦٤ التقى الجيشان في جنتاون أو عند تقاطع طرق برايس بالقرب من جرف تشمينجو .

ومن أوصاف البلدة يرجح أن تكون أصل بلدة فرنشمانزبند في قصص فوكنر . وكانت النتيجة كارثة للشماليين . كانت خسائر الشماليين ٢٢٤٠ قتيلًا ومصابًا ومفقودًا ، و ٢٢ مدفعًا ، و ٢٥٠٠ عربة كل منها ذات ستة خيول ، وألف مجموعة من قذائف المدافع ، و ٣٠٠ ألف رطل من ذخائر الأسلحة الصغيرة ، ومخازن هائلة من المهمات الطبية والتوينية .

أما فوريسست الذي كان لديه ٨ آلاف وليس ٢٨ ألف جندي فقد خسر ٩٦ قتيلًا . وعند فجر اليوم التالي وصل الضباط الشماليون الفارون إلى ريبلي . وقد أعدت مسز فوكنر طعام الإفطار ودعت كولونيل توماس لمشاركتها . قال ، لقد أرادت أن تعرف إن كنت لم أجد كلماتها صادقة إلى حد كبير جدًا ، (١)

بعد أن انتهت الحرب ، وكما جاء في سارتورس ، مد كولونيل فوكنر خط سكة حديد ريبلي - شيب أيلاند - وكنتوكي . وفي قمة ثرائه كان يدير

(١) تقرير كولونيل توماس عن أحداثه مع مسز فوكنر ، موجودة ضمن الجزء ٧٧ من التقارير الرسمية عن حرب المصيان .

مزرعة من ١٢٠٠ فدان ويشرف على مائة مستأجر وشغل أيضا طاحون
غلال وخلاجة وورشة نجارة وبدأ مشروع كلية هي كلية شيونويل وكتب
وأخرج مسرحية عن الحرب الأهلية، هي مسرحية «المسألة المفقودة»،
وفي سنة ١٨٨٠ احترقت مطبعة جريدة ريبيل «الأدفرتايزر» وزود
فوكنز الجريدة بالمال اللازم لتبدأ من جديد، وكتب قصة سلسلة هي
«وردة ميفيس البيضاء» ليعاون الجريدة على التوزيع. وقد كانت الوردة
البيضاء حدثاً هاماً ذلك أنها كانت تروي أسرار شيء يشبه الصراع بين
فوكنز وهنرمان وأسهمت في مضاعفة توزيع الجريدة قبل أن تطبع في
كتاب (طبعته خمساً وثلاثين مرة وباعت ١٦٠ ألف نسخة قبل أن تنفذ
في سنة ١٩٠٩) وقد كتب بعد ذلك رواية تاريخية هي «الكنيسة
الصغيرة المبنية بالأجر» وكتاباً عن رحلاته في أوروبا.

وفي سارتورس يأتي في وصف كولونيل سارتورس أنه انتخب
في المجلس التشريعي بعد معركة قاسية. وفي الحياة انتخب فوكنز في
المجلس التشريعي لولاية المسيسيبي بينما كان غائباً في نيويورك. وفي الساعة
الخامسة من مساء يوم انتخابه مضى إلى الميدان العام بريبيل. وحسبما جاء
في وصف الصحف حينئذ، توقف للحديث مع صديق قديم هو توماس
راكر عن قطع بعض الخشب. وتقدم منهما ج. ه. ترموند وهو أحد
رجال الأعمال بريبيل وشريك فوكنز في مد خط السكة الحديدية ثم بعد
ذلك منافسه في ميدان الأعمال وخصمه الشخصي. وحسبما جاء في جريدة
النداء التي تصدر في ميفيس شهر ترموند غدارة ووجهها إلى الكولونيل
دون أن ينطق بكلمة.

قال فوكنز «ديك، ماذا تقصد؟ لا تطلق النار».

ولكن ترموند أطلق النار ونفذت الرصاصة وكانت من عيار ٤٤ ر. من فمه
ومرت تحت لسانه، عظمة عظمة الفك واستقرت في الجانب الأيمن من عنقه
تحت الأذن. وكانت الطلقة من مدى بلغ من قربه أن أحرق البارود وجهه

واكر . سقط كولونيل فوكنر على الطوار وجاء زوج ابنته الدكتور كارتر ومسح الدم من على وجهه وقد استدار فوكنر بعد أن أجلسوه على الطوار إلى ترموند الذى ظل مكانه واقفاً وسأله : « ديك لم فعلت هذا ؟ »

ومات فى ليلة ذلك اليوم فى الساعة الحادية عشرة . وقد حوكم ترموند وأطلق سراحه وكانت محاكمة من أهم المحاكمات وأشدّها إثارة فى تاريخ المسيسي الشمالية . ثم ارتحل بعد ذلك إلى كارولينا الشمالية حيث تمكن من عمل ثروة فى صناعة النسيج ، أما آل فوكنر فقد باعوا خط السكة الحديد وبدأت هجرتهم التى أدت إلى استقرارهم فى أكسفورد بولاية المسيسي حيث يعيش فوكنر الآن فى بيت يواجه بيت جاكوب توسون القديم .

يقول أحد شخوص فوكنر من الزوج تعليقاً على كارثة مشابهة « يا إلهى هؤلاء البيض ، وهو تعليق يتفق مع مثل هذه الحياة الغريبة العنيفة . وقد ظلت أسطورة كولونيل فوكنر حية فى أثناء شباب فوكنر . ولم تكن الطريقة التى مات بها محلاً لأى حديث عابر ، وما زالت فى الإقليم حتى اليوم موضوعاً حساساً . وعندما كان ولیم فوكنر منهمكاً فى كتابة رواياته العظيمة كان كولونيل فوكنر لم يزل حقيقة حية بالنسبة للناس الذين يعيشون حول ريبلى . كانوا يتحدثون عنه وكأنه لا يزال حياً يرزق ، وفى مكان ما من التلال ، ومن الجائز أن يعود فى أية لحظة . وحتى عام ١٩٣٨ عندما سألت هناك عن الكولونيل فوكنر واجهت الإحساس الذى تلتقى به فى العبارات الافتتاحية من سارتورس ، الإحساس بوجود حى فى الغرفة استحضرت بفعل المشاعر الشديدة التى أثارها حياة الكولونيل وموته .

وفى العادة أنا لا أقيم كبير وزن لما يقال عن زيارات الأرواح إلا أنتى يجب أن أسلم بأننى شعرت بشئ من الخوف مما لقيته من انفعال الناس عندما سألتهم عن كولونيل فوكنر ، وأن هؤلاء الناس كانوا أشد منى خوفاً . وفى العام الماضى عندما كنت أقوم بجمع المزيد من المعلومات من ريبلى ، واجهت شعوراً أعمق بالقلق ، كأن الناس الذين

زودوني بالمعلومات كانوا يخشون - بما يفعلون - أن يتعرضوا لخطر إثارة
أرواح كولونيل فوكنز وأرواح منافسيه السابقين فيستأنفون مشاجراتهم
من جديد . وهكذا فإن العبارات الافتتاحية في سارتورس تعتبر بداية
غاية في الشذوذ لرواية . ماذا كان هذا الوصف بالتحديد؟ المصرفى والفقيه
يجلسان فى صمت فى حضرة الرجل الميت الذى كان أشد منهما وجوداً ؟
افتتاح غريب لرواية سارتورس ، ولكنه افتتاح أغرب لحلقة الروايات
التي أوحى بها .

أما الاكتشاف الذى عرفه فوكنز وهو فى منتصف الطريق فى
(سارتورس) وهو أن الكتابة شئ رائع جبار فقد كانت رؤيا ذات
فعالية . لقد أدت إلى خلق صورة مجتمع بأكمله ، ومنطقة بأكملها ،
خلال ثلاثة أجيال ، إلى تصور نوع ما من الحياة لم يكن يحسب قبل ذلك
موجودا . لقد رسم صورة للجنوب ، والحياة فى بلدة جنوبية صغيرة
صورة أدت إلى تغيير أساسى فى الفكر الأمريكى وأثرت فى الأدب
الأمريكى إلى درجة بلغت من العمق أن الكثير من الكتابات المعاصرة
لا تعكس غير هذا إلا ما ندر . لقد أدت إلى سنوات العمل الثلاثين التي
أشار إليها خطاب فوكنز عند قبوله جائزة نوبل .

حضور روحى قوى . وفى حالتى خاصة ، عند سؤالى عن كولونيل
فوكنز لم أحصل تماماً على نفس الإحساس برقة الشبح المستحضر ،
وهو الوصف المعطى لعودة كولونيل سارتورس فى الرواية . الخوف كلمة
أفضل . ولكن من الصدق أن يقال إن الشبح نفسه كان رقيقاً ، ذلك
أن الخوف كان مصطحباً لشيء آخر غير تذكر كولونيل سارتورس شخصياً
وعلى أى حال فإنه يبلغ من صدق أسطورة سارتورس أن المشهد الافتتاحى
فى سارتورس ليس إلا وصفاً ممتداً للحقيقة الاجتماعية فى المنطقة المحيطة برييل
وهذا يؤدي إلى ملاحظة يجب أن توجه كل قارئ يحاول أن يربط بين
خيال فوكنز وبين ريف المسيسيبي .

ومن المعتاد الزعم أن قوة روايات فوكنر تنبع من عمق اندماجه بالحياة في إقليمه ويتفق معظم النقاد على أن الضعف السائد في الأدب الأمريكي الحديث يعود إلى انعدام مثل هذا الإحساس بالاندماج عند أغلب الكتاب . وكنتيجة لهذا أصبح فوكنر وظل دائماً شخصية مركزية للكتاب الإقليميين . وكان هو البرهان الذي يقدمونه على ميزات بقاء الكاتب في بلده الأصلية قريبا من أصوله ، بين ناس يعرفهم بتقاليد يفهمها ، بعيداً عن الجماهير المنكرة في المدن ، التي لا يستطيع أن يعقد معها إلا علاقة شكلية . وأنا أتفق معهم بصفة عامة فيما يقولون . ولكن سارتورس وأكثر منها أسطورتها كولونيل فوكنر ، يبدو أنها تثبت لي أن الكاتب يجب أن يدقق تماماً في اختيار البلدة الصغيرة التي ينوي الإقامة فيها . وما حققه فوكنر لا يعسود إلى اختياره الحياة في مجتمع إقليمي ولكن في اختياره هذه المنطقة بالذات . ذلك أن الحياة في المسيسيبي الشمال التي ركز عليها نشاط خياله تحتاج لمن يفسرها ، كما تحتاج مناطق الصحراء للرى أما الأثر الهائل الذي تركه عمله فهو يقوم كدليل جديد على ما يستطيع أن يفعله رجل واحد .

وبنفس الطريقة ، فإن أهمية سارتورس لا تعود إلى تمجيد فوكنر كبطل إقليمي كان يمثل روح الجنوب العميق . ولكن في تركيزه قدراته التخيلية على التعميمات الاستثنائية التي سادت حياة كولونيل فوكنر . ويتضح تناقض كولونيل فوكنر بما كان معروفا عنه من حب للسلام رغم عنف أسطورته . وقد ذكروا عنه ، عندما نشرت «الوردة البيضاء» أنه عاش في نفس البلدة أربعين عاماً بعد نزاعه مع هندمان ، ولم يشترك فيها بأى مشكلة وقد ذكر عنه أيضاً أنه كان يمشى لمدة سنوات عدة في البلدة وهي في قمة التوتر ، رافضاً أن يسفر لاستعمال العنف ومتحاشياً مع ذلك المصير الذي جاء إليه في عشية نوفمبر وهو في سن الشيخوخة . وقد عرف أيضاً بشخصيته غير العادية . وكان رجل أعمال استطاع أن يجمع بين

إدارة الأعمال وبين ملكة الخيال التي وضحت في الوردة البيضاء وكان من ملاك المزارع ويميزا بالتهذيب الجنوبي الرفيع وبروح المنافسة العملية وكان بناء للخطوط الحديدية أسبغ على الصناعة شيئاً من قوانين المزارع الأرستقراطي ، وضابط جيش جمع بين الانتصارات العسكرية والاهتمام بالسكان المدنيين وأخيراً كان رجلاً ذا ميول سلمية قام بمقاومة فعالة للصف ، ومن هنا تأتي السمة الغريبة التي تتميز بها فقرات من سارتورس حيث تستذكر أفعاله العنيفة جنباً إلى جنب مع السلام والرفقة . ومن هنا يأتي الانطباع الغريب الذي ينقله الكتاب وهو أن كولونيل سارتورس وإن كان مجرد مجوز من الجنوب فإن قصته رغم ذلك ذات معنى عملي غامض بالنسبة للعالم الحديث - شيء يبرر روايتها لتفرع إلى قصص أفراد سنوبس وفرنشمانزبند - وتلك حصيلة ثلاثين عاماً من العمل وهذا ربما يكون السبب ، في شعورنا بأن روايات سارتورس تجعلنا نحس بأن انتصار الجانب الذي يمثله كان سيجعل العالم شيئاً مخالفاً فعلاً ، تماماً كصورة المسيسي الشبلي في عقوانا ، ستكون أمراً مخالفاً لو أن فوكتر لم يكتب رواياته ، وأن انتصار كولونيل يسمى فوكتر أو يسمى سارتورس لو حدث لما كان انتصاراً للجنوب العتيق في الحرب الأهلية ، بل انطلاق جزء من الجنوب العتيق وحده بين أحسن صفاته وبين شيء أفضل .

الجزء الأول

كالعادة ، استحضر العجوز فولزجون سارتورس إلى الغرفة . وكالعادة ، مشى الأميال الثلاثة من ملجأ الفقراء في الإقليم حاملاً معه ، كعطر ، وكراثة ملابس النظيفة الباهتة المفبرة ، روح الرجل الميت إلى تلك الغرفة حيث كان ابن الرجل الميت جالسا ، وحيث سيجلس كلاهما ، المعوز وصاحب المصرف ، لمدة نصف ساعة ، في حضرة ذلك الذي مضى وراء الموت ثم عاد .

على الرغم من أنه كان متحررا من الزمن والجسد ، إلا أن وجوده كان أشد جلاء من أي من العجوزين اللذين جلسا يتصايحان واحداً بعد الآخر عبر صمم كل منهما بينما كانت أعمال البنك تمشي في سبيلها في الغرفة المجاورة ، والناس في المتاجر الملاصقة ينصتون إلى ضجيج صوتيهما مستحيل التمييز ، والناقد لإيهام من خلال الجدران . لقد كان أشد وجودا من أي من الرجلين العجوزين ، اللذين اتحدا بصمم مشترك إزاء مرحلة ميتة ، وازدادا شفافية بفعل الأيام اللطيف البطيء . وحتى بعد ذلك ، ورغم أن العجوز فواز قد رحل ليقطع الأميال الثلاثة على قدميه عائداً إلى ما كان يسميه البيت ، فإن جون سارتورس بدا وكأنه مازال متشائماً في الغرفة ، فوق ابنه ومن حوله . بلحيته ووجهه الصقري ، ولذا فإن بايارد العجوز ، إذ جلس وقدماه معقودتان ، ومستندتان إلى ركن المدفأة الباردة ، وقد قبض على غليونه في يده ، بدا له ، وكأن في استطاعته أن يسمع حتى أنفاس أبيه ، وكان ذلك الآخر كان أشد حضوراً من مجرد جسد مشكل زائل ، إلى الدرجة التي استطاع معها أن ينفذ إلى أقصى أعماق قلعة الصمت التي يقيم فيها ابنه .

كان انتفاخ الغليون مزداناً برسوم محفورة ، وكان متفحفاً من طول الاستعمال ، وعلى الفوهة كانت ، آثار أسنان والده ، هنالك ترك انطباعات عظيمة التي لا تمحى وكأنها منحوتة في الحجر الخالد ، كآثار تلك المخلوقات

من أيام ما قبل التاريخ ، التي صورت ونفذت بنسب وأبعاد هائلة ، لم تكن تتيح لها أن تعيش طويلاً جداً ، أو تفنى تماماً ، من أرض شكلت وأعدت مخلوقات أضال . جلس بايارد العجوز والغليون في يده ، ثم سأل .

« لماذا تميده إلى ، بعد كل هذا الوقت ؟ » .

قال العجوز فولز ، « أظنني احتفظت به إلى المدى الذي أراده لي الكولونيل . إن ملجأ الفقراء ليس مكاناً مناسباً لأي شيء . يخصه يا بايارد . وأنا أمضي الآن في السنة الرابعة والتسعين من عمري » .

وبعد ذلك ، جمع لفافاته الصغيرة ومضى ، ولكن بايارد العجوز ظل جالساً مدة من الوقت والغليون في يده ، وهو يدلك ببطء اتفأخه بإبهامه . وبعد برهة ، رحل جون سارتورس أيضاً ، أو أخذ على الأرجح إلى ذلك المكان حيث يستفرق الموق المطمئنون في تأمل خيبة أيامهم الرائمة ، ثم وقف بايارد العجوز ودفع الغليون في جيبه . وأخذ سيجاراً من المرطب الموضوع على الرف ، وإذا أشعل الثقاب ، انفتح الباب ودخل رجل يضع مظلة خضراء على عينيه واقرب منه .

قال الرجل بصوت منعدم الانفعال تماماً : « كولونيل سيمون هنا يا كولونيل » .

قال بايارد العجوز والثقاب في يده « ماذا ؟ » .

« سيرن جاء » .

« أوه . طيب » .

استدار الآخر وخرج ، ورمى بايارد العجوز الثقاب في فجوة المدفأة ، ووضع السيجار في جيبه ، وأغلق مكتبه ، وأخذ قبعته اللبادية السوداء من فوق المكتب ، وتبع الآخر من الحجرة ، كان الرجل ذو المظلة الخضراء والصراف مشغولين وراء الحاجز . ومضى بايارد العجوز عبر البهو وخرج من الباب الذي أنزلت مظلته الخضراء . ونفذ إلى الشارع ، حيث كان سيمون في انتظاره . كان يرتدى معطفاً تيلياً وقبعة عالية عتيقة وقد جلس في مكانه من العربة وأعنة الحصانين الخصبين المتكافئين في يده ، كانا يتلألآن في أصيل الربيع بجوار الطوار .

كان ثمة مكان لربط عربات الخيل كان بإيارد العجوز قد احتفظ به متجاهلا في ذلك للتقدم الصناعي الذي كان يضيق به ، ولكن سيمون لم يكن يستخدمه مطلقا . وقد ظل سيمون في مقعده ، حتى انفتح الباب وخرج بإيارد العجوز من وراء المظلة المنشورة التي تحمل الكلمتين « المصرف مغلق » في حروف ذهبية متشققة . كان سيمون جالسا في مقعده ، وأعنة الخيل في يده اليسرى ، والسوط ملق إلى الخلف برشاقة من يده اليمنى ، وعادة ، عقب سيجارلا يتغير ، وفيما يبدو لا يحترق ، مثبت بزاوية متعجرفة في وجهه الأسود ، كان يتحدث إلى زوج الخيل اللامعة ، في همس ناعم منتظم يشبه حديث العاشقين . كان يدلل الخيل ، وكان معجبا بآل سارتورس ويحس نحوهم بشعور قوى من الرعاية إلا أنه كان يحب الخيل ، وبين يديه كان في استطاعة أنعس الحيوانات أن يزدهر ويكتسب حسنا وكأنه امرأة مدللة ، ومزاجا وكأنه نجمة من نجوم الأوبرا .

أغلق بإيارد العجوز الباب من ورائه ، ومضى إلى العربية ، وقامتة منتصبه متصلبة ، بالطريقة التي جعلت أحد أهالي البلدة يقول معلقا : إنه لو تعثر يوما فسيتكنفي بطوله على الأرض . وحياء بذلة مبالغ فيها رجل أو رجلان من المارة وتاجر أو أكثر ممن كانوا واقفين بالأبواب المجاورة .

ولم ينزل سيمون من العربية حتى بعد ذلك . ولكنه ، وبما جبل عليه أبناء جلده من إحساس رفيع بالمواقف المسرحية ، نصب قامته ، وسوى أطراف معطفه وبطريقة ما ، أشعر الخيل باللحظة المسرحية ، فهزت هي الأخرى معاطفها ، المتلألئة وهزت بعنف رءوسها الملجمة ، وفي اللحظة التي لمس فيها سيمون طرف قبعته بمقبض السوط ، طفا إلى وجهه الأسود المتفرض شعور هائل لا يوصف بالمجد ، ودخل بإيارد العجوز العربية ، وألقى سيمون إلى الخيل بأمر الرحيل ، وعبرت وخلفت العربية ورائها المارة الذين توقفوا ليشهدوا بإعجاب مسرحية الرحيل القصيرة .

كان ثمّة شيء غريب في مظهر سيمون اليوم ، في نفس شكل ظهره
وزاوية قبعته . بدا وكأنه يكاد يتفجر بشيء خطير لا يستطيع كتمه ،
ولكنه احتفظ به إلى حين ، واندفع بالعربة بسرعة محكمة بين العربات
المقيدة في الميدان ، ثم استدار إلى شارع عريض حيث كان من يسميهم بإيارد
العجوز بالمعوزين يسرعون جيئة وذهابا في سياراتهم ، احتفظ بالسر حتى
أصبحت البلدة خلفه ، ومضوا في خطو سريع عبر ريف مزدهر ، ينتثر
فيه أيضاً معوزون يحملهم الجازولين ولكن على مسافات أكثر تباعداً ،
واسترخى سيده في مقعده ، واستسلم لرتابة الرحلة الهادئة ذات الأميال
الأربعة ، ثم شد سيمون الخيل إلى سرعة أكثر رصانة وأدار رأسه .

لم يكن صوته متميزاً بالقوة ولا كان رناناً إلا أنه كان يستطيع بشكل
ما أن يتحدث دون صعوبة إلى إيارد العجوز ، أما الآخرون فقد كان عليهم أن
يصيحوا حتى يستطيعوا اختراق جدار الصمم الذي كان إيارد العجوز يعيش داخله .

كان سيمون يستطيع ، وكان يدخل معه في أحاديث طويلة مطوقة ،
بصوته الرتيب العالي المنغم ، وخاصة في العربة ، إذ كان اهتزازها يساعد
سمع إيارد قليلاً .

قال سيمون كمن يمضي في حديث « مستر إيارد عاد إلى البلدة » .

ظل إيارد العجوز جالساً في سكّون وصدّره يموج بالغضب ، بينما مضى قلبه
يدق بسرعة أكثر قليلاً ، وبخفة أكثر قليلاً ، وظل يلمن حفيده في لحظات غضبه
الثائر ولكنه ظل جالساً في سكّون إلى الدرجة التي جعلت سيمون ينظر إلى الخلف
ليراه متطلعاً بهدوء عبر الحقول . رفع سيمون صوته قليلاً .

قال « نزل من قطار الثانية ، قفز من اليسار ومضى إلى الغابات . سكتشون رآه .
لم يكن قد عاد إلى البيت عندما غادرته . وظننته معك » . وثار الغبار تحت أقدام
الخيل في دوامات ، ثم تجمع خلفها في سحابة متكاسلة . واندفعت ظلالها في هجمات
فاشلة على حاجز الشجيرات المتكاثفة على جانب الطريق ، هجمات بأسنّة مبرقة ، وسيقان
خطواتها مرتفعة في عبث من الحركة لا يتقدم ، ومضى سيمون يقول وشعور السخط
المفيظ بقلب عليه ولم يشأ حتى أن ينزل في المخزن - المخزن الذي بناه أهله هو

ويقفز بل قفز من يسار القطار وكأنه أفاق شرير ولم يكن حتى يرتدى ملابس الجندي . مجرد سترة كبائع جوال أو ما يشبهه . وعندما أتذكر تلك الأحذية اللامعة والسرراويل الصفراء الخفيفة ، والشريط المزدوج الذى يدور حول كتفه ، التى كان يرتديها هنا فى العام الماضى . . . ثم استدار ونظر إلى الخلف مرة أخرى وقال « كولو نيل ، هل تظنهم ، الناس الأجانب ، فقد فعلوا به شيئاً ؟ . . »

فرد بايارد متسائلاً ماذا تعنى ؟ هل أصبح أعرج ؟

- أعنى ، أن يعود إلى بلده وهو متلصص . أن يتسلسل إلى البلدة ، على نفس السكة الحديدية التى مدها جده الأكبر ، بالضبط وكأنه قامة . هؤلاء الأجانب فعلوا به شيئاً ، أو ربما يتعقبونه بشرطتهم . ظلت أقول له عندما رحل إلى تلك الحرب الأجنبية ، هو ومستر جوني ، لم يكن لايهما شأن ب . . .
وقال بايارد : امض بالعربة اللعنة على جلدك الأسود .

وهتف سيمون بالخيل بالصوت الذى تألفه ، ودفعها للجرى بسرعة أكبر ، ومضى فى الطريق بين صفين متوازيين من الشجيرات المتكاثفة ، تصحبهم حركات ظلالها الماجنة المروعة . ومن وراء أشجار الصمغ والخروب والكروم المتكاثفة التى تحمى الطريق ، انتشرت حقول استصلاح بعضها حديثاً ، بينما كان البعض الآخر تحت الإصلاح ، وامتدت إلى مساحات متباعدة من أرض الغابات التى اخضرت منذ حين ، وقد تناثرت فيها شجيرات الدوجوود ذات الزهور البيضاء والثمار المستديرة القرمزية ، وأشجار الأرجوان ، ومن وراء المحاريك العاملة ثلاثلات فى ضوء الشمس كتل لزجة رطبة من التربة المقلوبة حديثاً .

وكانت تلك أرضاً عالية ، استلقت فى منحدرات مائلة ، ومن ورائها زرقة التلال المتصلة ، ولكن سرعان ما انحدر الطريق بشدة إلى واد من الحقول الطيبة العريضة ، وسنانة فى ثرائها فى الأصيل المتداعى ، ثم دخلوا أرض بايارد الخاصة ومن حين إلى حين كان فلاح يرفع يده من وراء المحراث تحية للعربة ، ثم اقترب الطريق من خط السكة الحديدية وعبره ، وأخيراً بدأ البيت الذى بناه جون سارتوروس بين أشجار الخروب والبلوط ومضوا بين البوابات الحديدية إلى عمر منحني .

وكان ثمة حوض من السافيا حيث حطت ذات يوم دورية من اليابكي واستراحت منذ زمن بعيد . وهنا أوقف سيمون العربية بحركة استعراضية ، ونزل بايارد ، وهتف سيمون بالخييل مرة أخرى ، وأدار سيجاره إلى زاوية ملائمة ثم أخذ الطريق مرة أخرى إلى البلدة .

وقف بايارد برهة أمام بيته . وقد بدت بساطته البيضاء مناسبة كالحلم بين أشجار عتيقة لوجتها الشمس . وقد أزهرت الوستيريا التي تسقت جانبا من الشرفة ، وتساقطت أوراق زهورها ، ومن حول جذورها المعتمة ، وجذور شجرة ورد وجهت أغصانها إلى نفس الشرفة ، تناثرت كومة شاحبة من وريقات الزهور الذابلة . كانت شجرة الورد تخفق ببطء ولكن بانتظام الكرمة الأخرى . وكانت مزدهرة ، وقد تكاثفت عليها البراعم التي لا تزيد في الحجم على ظفر الإبهام وزهور متفتحة لا تكبر الدولار الفضي ، كانت في أعداد جسيمة وبلا رائحة ، وغير قابلة للقطف .

ولكن البيت نفسه كان ساكنا وفيه نبل وصفاء ، وصعد إلى الشرفة الحالية ذات الأعمدة ، وعبرها ودخل إلى البهو . وكان البيت صامتا ومقفرأ من كل حركة وصوت ، ثم توقف وسط البهو .

بايارد ،

تصاعد الدرج بعمده البيضاء وبساطه الأحمر في قوس طويل ناعم إلى العتمة العليا . ومن وسط السقف تدلت ثريا من المنشورات والقطع الصغيرة البلورية ، جهزت في الأصل للشموع ، ثم وصلت بعد ذلك بالأسلاك الكهربائية . وإلى يمين المدخل ، وبجوار باب مطبق يؤدي إلى حجرة معتمة يشع منها جو من الآهة الوقورة التي قل أن تقتحم وتسمى بالردهة ، انتصبت مرآة طويلة ازدحمت بالغموض الحزين ، وكأنها بحيرة ساكنة من ماء الأصيل . وفي الطرف الآخر من البهو ، نفذت أشعة الشمس المنمنمة في شق طويل عبر الباب ، ومن مكان ما من وراء حزمة نور الشمس ، كان ثمة صوت يصعد ويهبط في رتابة منمنمة مستفرقة ، وكأنه ترتيلة . لم يكن من الممكن تمييز كلماتها ، إلا أن بايارد لم يسمها مطلقاً ، ثم رفع صوته مرة أخرى منادياً : « جيني ، »

توقف الترتيل ، وإذ كان يستدير إلى الدرج ، ظهرت امرأة خلاصيه طويلة في أشعة الشمس المائلة عند الباب الخلفي ، ودخلت إلى البيت ، وهي تحدث بقدميها صوتاً كالفحيح . كان ثوبها الأزرق حائل اللون مثبتاً بدبابيس حول ركبتيها . وكان ملطخاً ببقع غامقة مبللة غير منتظمة . ومن تحته كانت ساقها مستقيمتين ورفيعتين وكأنهما ساقا طائر طويل ، وكانت قدميها الحافيتان بقماً بنية اللون باهتة على الأرضية الغامقة المصقولة .

قالت وهي ترفع صوتها لتخترق صممه : « هل كنت تنادي أحداً يا كولونيل ؟ »

وتوقف بايارد ويده على دعامة الدرج المنحوتة من خشب الجوز والتفت إلى وجه المرأة الأصفر اللطيف .

سألها : « هل جاء أحد هنا أصيل اليوم ؟ »

قالت النورا : « لا سيدي . لا يوجد أحد هنا على الإطلاق . هذا ما أعرفه . مس جيني ذهبت إلى اجتماع ناديها في البلدة أصيل اليوم ، ووقف بايارد ، وقدمه على أول الدرج وهو يحملق فيها بوحشية .

ولجأة انفجر غضباً ، بحق جهنم ، أنتم أيها السود لم لا تستطيعون أن تصدقوني القول عن أي شيء ؟ أو لا تقولون لي شيئاً على الإطلاق ؟ »

« بالله ، يا كولونيل ، من سيأتي هنا ، دون أن تراه أنت أو مس جيني ؟ ، ولكنه مضى يصعد الدرج ، وقدماه تدكانه بغضب ناثر . وظلت المرأة تنظر إليه ، ثم رفعت صوتها وقالت : « هل تريد ايزوم أو أي شيء ؟ » لم يستدر إليها وربما لم يسمعها ، وظلت ترقبه حتى اختفى من أمام عينيها .

قالت محدثة نفسها : « لقد تقدمت به السن ، ثم استدارت ومضت من البهو وخرجت من حيث جاءت ، وهي تحدث بقدميها الحافيتين صوتاً كالفحيح .

وقد توقف بايارد مرة أخرى في البهو العلوي . كانت النوافذ الغربية مستورة بستائر شبكية . انساب من خلالها نور الشمس في حزم صفراء هزيلة ، أسهمت فقط في تعميق العتمة وعند الطرف الآخر ، كان ثمة باب عال يؤدي إلى شرفة ذات سور منخفض من الحديد المشغول ، تطل على الوادي ، وشبه دائرة التلال الشرقية التي تحتضنه في مشهد شامل عريض . وعلى كل من جانبي هذا الباب ، كانت نافذة ضيقة ثبتت فيها ألواح من الزجاج الملون كانت هذه الألواح ، مع من أحضرتها ، هي وصية أم جون سارتورس له ، وهي على فراش الموت . وقد أحضرتها أصفر شقيقاته من كارولينا في عربة مملوءة بالتبين في سنة ٦٩ .

كانت تلك هي فيرجينيا دي بري ، التي جاءت إليهم لتقضي عامين كزوجة ، وسبعة أعوام كأرملة في سن الثلاثين - امرأة دقيقة ، بصورة طبق الأصل وإن تكن رقيقة لأنف آل سارتورس ، ورسم الملل الشامل الذي لا يقهر على وجهها ، وهو التعبير الذي تعلمت كل نساء الجنوب أن يحملنه على وجوههن . وقد جاءتهم لا تحمل إلا الملابس التي كانت ترتديها وسيلة مصنوعة من الخيزران ومملوءة بالزجاج ، وكانت هي التي أخبرتهم عن الطريقة التي لاقى بها بايارد سارتورس الموت قبل معركة ماناساس الثانية ، وقد روت القصة مرات كثيرة بعد ذلك (وفي سن الثمانين كانت ترويها أيضا ، وفي مناسبات غير ملائمة عادة) ، وكلما تقدمت بها السن ، كانت القصة تزداد ثراء وثناء ، مكتسبة سخرا ولطفاً كالنيذ حتى أصبح ما كان نزوة ولدين فارغى العقل ، طائشين مستهترين ، في شبابهما ، لحظة بطولية فاجعة نديلة ، رفع إليها تاريخ الأسرة ، من مستنقعات الاسترخاء الروحي القديمة التي تموج بالأبحرة العفنة ، بوساطة ملاكين ، سقطا ببطولة وضاعا ، فقيرا بذلك مجرى الأحداث الإنسانية وطهرا أيضا نفوس الرجال .

وهذا الرجل بايارد القادم من كارولينا لم يكن بالرجل الهين حتى بالنسبة لآل سارتورس . كان مبعث ضيق ، أكثر منه شاة ناشرة ، وكل صفاته كانت إيجابية ، لا يمكن التنبؤ بها .

عيناه كانتا زرقاوين مرحتين ، وشمره الذى كان يميل إلى الطول ينسال فى خصل نحاسية على فوديه . وكان وجهه المملوء بالحوية الشديدة يحمل رسم الصراحة والبلادة التى تخفى الشجاعة البالغة ، إنه التعبير الذى لك أن تتصوره مرسوماً على وجه ريتشارد الأول قبل أن يمضى إلى حربه الصليبية ، ومرة طارد عدداً من الثعالب خلال خيمة خلوية ، كان يعقد فيها عدد من طائفة الميثوديست اجتماعاً روحياً ، وبعد ثلاثين دقيقة (وبعد أن أمسك بالثعلب) عاد وحده وامتطى حصانه وسط الاجتماع الساخط . لقد صنع ذلك بروح المرح وجدها ، إذ أنه كان يؤمن بكل قوة بالعناية الإلهية ، كما بينت كل أفعاله بوضوح ، إلى الدرجة التى لم تمكنه قط من اعتناق أى عقيدة دينية كانت . ولذا فإنه عندما سقطت قلعة مولترى ورفض حاكمها أن يسلمها ، فإن آل سارتورس كانوا فى دخائلهم إلى حد ما مسرورين ، ذلك لأن بايارد كان سيجد حينئذ شيئاً يعمله .

وفى فيرجينيا وجد الكثير ليعمله كأركان حرب لجب ستيوارت . وكأركان حرب خاصة ، ذلك أن ستيوارت ، رغم أنه كانت له أسرة عسكرية كبيرة ، فإنهم كانوا جنوداً يحاولون أن يكسبوا حرباً ، ويحتاجون للنوم من حين إلى حين . أما بايارد سارتورس وحده فقد كان راغباً ، بل مشوقاً ، إلى تأجيل النوم ، حتى ذلك الوقت الذى تعود فيه الرتبة إلى العالم . ولكن تلك كانت عطلة .

وقد كانت الحرب هبة إلهية لستيوارت أيضاً ، وبعد ذلك بوقت قصير ، وفى ظلمة المعارك الدموية فى فرجينيا الشمالية الدموية ، لمح ستيوارت وهو ابن ثلاثين عاماً وبايارد سارتورس ابن الثالثة والعشرين عاماً ، لمعا لفترة قصيرة وكأنهما نجمان متوجان بإكليل الشهرة المصنوعة من أغصان الغار المزهرة وبريحان الموت ووروده . ظهرا بفتة فى سماء جنرال بوب العسكرية المضطربة ، فلما عليه وكأنها ثوب غير طيع ، تلك الشهرة التى ما كان فى استطاعة مهارته كجندى أن تكسبها له أبداً ، وقد حدث هذا كله أيضاً ، بروح المرح الخالصة ، فلم يكن لجب ستيوارت ولا لبايارد سارتورس ،

كما أظهرت أفعالها بوضوح ، أى معتقدات سياسية متصلة بالحرب على الإطلاق .

روت العمه جيني القصة أول ما روت بعد وقت قصير من مجيئها إليهم . كان ذلك في عيد الميلاد ، وقد جلسوا حول نار من أغصان الجوز في مدفأة المكتبة التي أعيد بناؤها . جلست العمه جيني ووجهها حزين حازم ، وجون سارتورس ووجهه ملتج شبيه الصقر ، وأطفاله الثلاثة وضيف . كان مهندساً اسكتلنديا التقى به جون سارتورس في المكسيك في سنة ٤٥ ، ثم جاء به ليعاونه في مد سكتة الحديدية .

كان العمل في مد الخط الحديدى قد توقف لموسم الأجازات ، وعاد جون سارتورس ومهندسه راكبين ساعة الغروب ، من نهاية الخط في التلال الشمالية ، ثم جلسا بعد تناول العشاء في وهج النار الموقدة ، كانت الشمس قد غربت حمراء وخلفت الهواء هشاً مثل الزجاج الرقيق الذى يعلوه الصقيع وهنا جاء جوبى بحمل ذراعه من خشب الوقود . ووضع قطعة حطب أخرى في النار وفي الهواء الجاف ، طقطقت السنة النيران وقفزت ، وتساقت في جمرات حمراء خافية حول المدفأة .

هتف جوبى ، وقد فاض به شعور أهل جنسه الجاد البسيط بالبهجة ، عيد الميلاد ، وأخذ في تقليب قطع الخشب المشتعلة بماسورة بندقية اليانكى المسندة إلى ركن المدخنة ، قلبها حتى تصاعدت الشرارات في دوامة ، وهى فى أقنعتها الذهبية الوحشية ، إلى ظلام انتفاخ المدخنة ، وصاح ، انظروا يا أطفال ، .

كانت كبرى بنات جون سارتورس فى الثانية والعشرين ، وكانت ستزوج فى يونية ، وكان بايارد فى العشرين ، وابنته الصغرى فى السابعة عشرة ، ولذا ، فإن العمه جيني ، بالنسبة لجوبى ، كانت ، رغم كل ترملةا ، طفلة أيضا - ثم أعاد البندقية إلى ركنها وأشعل عودا طويلا من الصنوبر من المدفأة ليضىء به الشموع ، ولكن العمه جيني أوقفته ، ثم

ذهب رجلا متشاقلا في ستره رسمية عتيقة ، اكبر جدا من أن تناسبه ،
مخني الظهر شائب الرأس من الشيخوخة ، وروت مس جيني حكايتها ، وهي
تشير دائما إلى جيب ستيوارت بمستر ستيوارت .

كان الأمر يتصل بأمنية من أمسيات إبريل والقهوة ، أو على الأرجح
بنقص القهوة ، وقد جلس أفراد أسرة ستيوارت العسكرية في الظلام العطر
تحت قر شهر جديد ، كانوا يتحدثون عن السيدات والمتع الميته ، وفي
قلوبهم حنين إلى البيت ، وبعيدا في العتمة تحركت الخيل المغلفة في الظلام
في أصوات مكتومة ، وتخافتت نيران المسكر إلى نقاط متوهجة ، وكأنها
بعض ذباب النار وقد استنفذ جهدها ، وفي مكان ما ، ليس بالبعيد ولا
بالقريب ، لمس خادم الجنرال الخاص قيثارة وبعث أنغاما متكاملة
عشوائية . وهكذا جلسوا في حدة الربيع مع أسي الشباب الموغل في
القدم ، غافلين عن العمل والمجد ، ذاكرين ، بدلا منها ، أمسيات مع
ضحك رقيق ، وأقدام أرق ، وسؤال في رؤوسهم متى سيأتي هذا مرة
أخرى ؟ هل سأشارك فيها مرة أخرى ؟ ، حتى مضى بهم الحديث إلى
حالة من الحنين الوحشي ، وأصبحت الكلمات أقصر ، وأصبح ترددها أقل
وأقل . ثم استنفض الجنرال نفسه وأخرجهم بما هم فيه مرة أخرى بحديثه عن
القهوة أو عن نقصها . شارف الحديث عن القهوة نهايته بعد وقت قصير ،
بمخرج إلى الطريق في منتصف الليل ثم مضى خلال غابات مظلمة كالتقار ،
حيث سارت الخيل في طريقها بخطو بطيء . وراكبوها فوق صهواتها
والسيوف والبنادق مشرعة أمامهم حتى لا تتكسحهم من فوق الخيل
أغصان غير مرئية ، ومضوا حتى قل تكاثف الغابة وبدأت أشباح الفجر ،
وكانت الفصيحة المكونة من عشرين شخصا ، داخل الخطوط الاتحادية تماما .
ثم حقق الفجر وجوده أكثر فتخلت الفصيحة عن محاولة الاستخفاء .
وانطلقوا بجيولهم مرة أخرى ، مخترقين وحدات الحراسة الأمامية المذهولة
وهي في طريق عودتها آمنة إلى المعسكر ، ووحدات العمل بالمعاول
والفئوس والمجارف في لحظة شروق الشمس الذهبية ، وانقضوا وهم

يتصايحون على الأكمة حيث كان جنرال بوب وأركان حربه جالسين لتناول الإفطار .

أسر رجلان ضابط أركان حرب سمينا . وطارد الآخرون الجالسين إلى المائدة للإفطار مسافة قصيرة حتى حوى الغابات ، ولكن غالبيتهم اندفعت إلى خيمة تموين الجنرال الخاصة ، وخرجوا منها في الحال بعد عاصفة من التخريب حاملين الغنائم ، وأوقف ستيوارت والضباط الثلاثة المراقبين له خيولهم المتراقصة عند المائدة ، واجتاح أحدهم من فوقها إناء قهوة مسود ، وقدمه إلى الجنرال ، وبينما كان العدو يتصايح ويطلق نيران البنادق من بين الأشجار تبادلوا التحية بالأنخاب ، بقهوة ساخنة تشوى الفم ينقصها السكر والقشدة ، وكأنها كأس حب .

قال ستيوارت وهو ينحنى للضابط الأسير « سيدى ، فى صحة الجنرال بوب ، ، وشرب وقدم الإناء .

وأجاب الضابط « سيدى ، سأشربه . شكرا لله إنه ليس هنا ، ليرد التحية شخصياً ، .

وقال ستيوارت « لاحظت أنه فيما يلوح قد رحل على عجل . موعد سابق ، ربما ، .

وقال الضابط مؤيداً بجفاف « نعم يا سيدى ، مع جنرال هالك . أنا آسف أن يكون جنرال هالك خصماً لنا بدلاً من لى ، .

وأجاب ستيوارت « كذلك ، أنا يا سيدى ، أنا أحب أن ألتقى بجنرال بوب فى ساحة حرب ، .

كانت الأبواق تدوى حادة من بين الأشجار القرية والبعيدة ، وهى ترسل الذر فى أصداء متطايرة من لواء إلى لواء ، حيث تعسكر فى الغابة ، وكانت الطبول تدق بوحشية داعية للسلاح وقذائف البنادق الشاردة تصطخب وتتقاطر على امتداد النقاط الأمامية المتباعدة ،

وكأنها قعقة مروحة متفتحة ، ذلك لأن اسم جون ستيوارت ، وقد انتقل من حارس إلى حارس ، ملأ الغابات الهادئة الزهرة بالأشباح الرمادية .

استدار ستيوارت في سرجه وهرع إليه رجاله وكفوا خيولهم عن الحركة وتطلعوا إليه مترقبين ، وكانت وجوههم المتلهفة المعروقة مرايا تعكس لهب نيران زعيمهم المشتعلة دائماً ، ثم جاء من أحد الجانبين شيء ما وكأنه طلقات منسقة ، أطاحت بإناء القهوة من يد بايارد سارتورس ، ومضت تالطم وتعضم بين الأغصان المبرقشة فوق رؤوسهم

قال ستيوارت للضابط الأسير « سيدى ، رجاء أن تمتطى حصانك ، ورغم أن لهجته كانت مهذبة إلى درجة ساحرة ، فقد اختفت منها كل آثار الطيش . ثم قال « كابتن ويلى معك أقوى الخيل ، هل تسمح . . . » وترك الكابتن ركاب السرج ورفع الأسير وأجلسه وراءه . وصاح الجنرال ، « إلى الأمام ، ودار كالدوامة ، ووخز حصانه ، وبذلك التناسق العاصف الذى يتميز به « السنطور » (حيوان الأسطورة الذى هو إنسان وحصان فى نفس الوقت) اندفعوا هابطين من الأكمة ، وانقضوا على الغابة فى النقطة التى جاءت منها القذائف المنسقة ، قبل أن يتيسر إطلاقها من جديد . وغطت أشكال ترتدى أردية زرقاء وتناثرت أمامهم ومن تحتهم ، ومضوا مندفعين بين أشجار شريرة اختفت فيها ، كالزنابير ، بنادق مينية . وقد أمسك ستيوارت بقبعته ذات الريش فى يده ، واهتزت خصلات شعره النحاسية مع إيقاع سرعته . وكان يبدو ككلب نبيلة يتصاعد منها دخان جرأتها الوحشية التى تلتهم نفسها .

ومن ورائهم ومن أحد الجناحين ظلت البنادق تنفجر وترمى قذائفها على أشباحهم المبرقة ، ومن الألوية المعسكرة فى الغابة الجذلة على مسافات متباعدة ، تصايحت الأبواق المبرقة فى أصواتها الحادة بنذرها اللوححة ، ومال ستيوارت ببطء إلى اليسار ، فجول بذلك الضجيج خلفه . ثم تكاثف الأشجار ومضوا مسرعين فى طابور . وكان الضابط الأسير يعلو ويهبط بعنف وراء كابتن ويلى ، وشهد الجنرال أعنة حصانه حتى أصبح بجوار الأسود « الجرى » المندفع كالرعد تحت حمله المزدوج .

قال بركة ساحرة ، سيدى ، يجزئنى أن أضايك هكذا ، إذا دلك على الموقع العام لأقرب حارس راكب ، فإنه سيسعدنى إلى أقصى حد أن استولى لك على حصان .

أجاب الضابط ، شكراً لك أيها الجنرال ، ولكن الضباط يمكن استبدالهم بسهولة أكثر من الخيل . لن أزعجك .

وقال ستيوارت بجفاف ، كما تشاء ياسيدى . . . ودفع حصانه مرة أخرى إلى مقدمة الطابور ثم مضوا بخيولهم مسرعين ، متبعين أثر أضيقاً لما كان يوماً طريقاً ، واستداروا ونفذوا بين سياجين من أعشاب الربيع ، ومضوا فيه باندفاع منضبط ، ثم خرجوا فجأة إلى أرض مكشوفة وشدت فصيلة من فرسان اليانكى أعة خيولها مذهولة بالمفاجأة ، ثم اندفعت مرة أخرى إلى الأمام .

ودون تردد دار ستيوارت بفصيلته واندفع مرة أخرى إلى الغابة وكانت طلقات الغدارات تحوم حول رؤوسهم ، وكانت أصوات الطلقات الغليظة تأنفها كأصوات الأغصان المتكسرة فوق هزيم حوافر الخيل المنقضة ثم انحدر ستيوارت من الطريق واندفعوا مباشرة خلال الشجيرات والأعشاب وجاء فرسان الاتحاد من ورائهم وهم يتصايحون ، إلا أن ستيوارت جمع فصيلته فى دائرة محكمة وأوقفها وهى تلمت فى أجمة كشيعة موحلة ، ومن هناك سمعوا أصوات المطاردين وهم يندفعون بعيداً .

ثم استأنفوا سيرهم وعادوا إلى الطريق ومضوا فى اتجاههم السابق ، سامتين ولكن فى انتباه شامل . ومن اليسار قعقت أصوات المطاردين ثم ماتت فى النهاية ثم أسرعوا مرة أخرى ولكن الغابات تكاثفت أيضاً فأرغمهم على الإبطاء ثم على المشى فقط ورغم أنه لم يعد ثمة مزيد من إطلاق النيران ، كما كفت الأبواق ، وصمتت ، فإنه - وفوق أنفاس الخيل القوية والسريعة ، ودوى قلوبهم أنفسهم فى آذانهم - كان ثمة

شيء بلا اسم ، فوتر ينسال من شجرة إلى شجرة وكأنه سحابة غير مرئية ،
حاشداً غابات الصباح الندية بنذر الشؤم ، رغم أن الطيور ظلت تنقض
مبرة من شجرة إلى شجرة ، غير واعية أو متجاهلة هذا كله .

وثمة شيء يلتصق أمامهم من خلال الأشجار . رفع ستيوارت يده
فتوقفوا وأسكتوا خيولهم ومضوا يرقبونه بهدوء وهم يجلسون أنفاسهم
وينصتون . ثم تقدم مرة أخرى واخترق الأعشاب والشجيرات إلى أرض
مكشوفة أخرى ، وتبعوه ، ومن أمامهم كانت الربوة ومائدة الإفطار
المهجورة وخيمة التوين المسلوقة ، واتجهوا إليها حذرين بخطى سريعة
وتوقفوا عند المائدة بينما مضى الجنرال يكتب بسرعة على قطعة من
الورق .

استلقت الربوة تحت ذلك الصباح الذهبي ، هادئة خالية من كل نذير
وقد استلقى في أعماقها ، وكأنها بحيرة ، سلام عميق أزلي ، كأنه نبيذ
ذهبي ، ولكن تحت هذه الوحدة وفي ثناياها ، كان نذير الشؤم الذي لا يحمل
اسماً في الانتظار ، صابراً متأملاً بشيراً .

قال ستيورات أمراً ، سيدى ، سيفك ، ، وخلع الأسير سلاحه
وأخذه ستيورات ، وثبت به مذكرته المخطوطة إلى المائدة .
وتحيات جنرال ستيورات إلى جنرال بوب ، إنه يأسف لأنه لم يجده
مرة أخرى سيأتي للزيارة أيضاً يوماً .

جمع ستيورات أعتته في يده وصاح ، إلى الأمام ،

نزلوا من الربوة وعبروا الأرض الفراخ ، ومضوا ، بسرعة معتدلة ،
في الطريق الذي قطعوه فجر ذلك اليوم ، وهو الطريق الذي يؤدي إلى
مواقعهم . وألقى ستيورات نظرة إلى الخلف على الأسير ، على الأسود
النحيل بحمله المزدوج ، وقال مرة أخرى ، إذا قدتمنا إلى أقرب جنسدى
من حراسكم الراكبين فسأزودك بحصان مناسب .

قال الضابط : د هل يعرض جنرال ستيورات ، قائد الفرسان ، وعين

الجنرال لى ، سلامته وسلامة رجاله ، وقضيته للخطر لى يوفر لضابط صغير راحته الوقتية بإعادة سيفه إليه ؟ ليست هذه شجاعة ، إنها اندفاع ولد متهور عنيد . يوجد خمسة عشر ألف جندى فى حلقة حول هذه النقطة وعلى بعد منهما لا يزيد على ميلين ، حتى جنرال ستيوارت لا يستطيع أن يقهر وحده هذه الكثرة ، رغم أنهم من جنود اليابانكى .

وأجاب ستيوارت مترفعاً « سيدى ، ليس هذا من أجل الأسير . ولكن من أجل الضابط الذى يعانى تقلبات الحرب . مامن سيد مهذب يفعل أقل من هذا ،

وأجاب الضابط « مامن سيد مهذب له شأن بهذه الحرب ، ليس له ثمة مكان هنا ، .

« إنه خطأ تاريخى ، كإسماك الأنشوقة . على الأقل جنرال ستيوارت لم يستول على أنشوقتنا ، ثم استطرد يقول ساخراً « قد يرسل لى شخصيا من أجلها ، .

« أسماك الأنشوقة ، صاح بايارد سارتورس الذى أسرع بحصانه حتى اقترب منهما ، ثم استدار وهتف به ستيوارت ، ولكن سارتورس رفع يده المستهترة العنيدة ومضى مسرعاً ، بينما أخذ الجنرال عدته لىتبعه ، أطلق حارس من اليابانكى سلاحه من جانب الطريق واندفع إلى الغابة ، وهو يصرخ منذراً . وعلى الفور انطلقت بنادق أخرى من كل جانب ، ومن الغابة إلى اليمين جاء صوت وحدة كبيرة أخذت لجأة فى الحركة ، ومن ورائهم ، ومن اتجاه الآلة غير المرئية انفجرت دفعة من الطلقات . وأسرع ضابط ثالث وقبض على سرج ستيوارت . قال منفعلًا « سيدى ماذا ستفعل ؟ ، .

قبض ستيوارت على حصانه ، وهو ينكسر على ساقيه الخلفيتين وانفجرت مجموعة أخرى من القذائف من ورائهم ، ثم تناقصت إلى طلقات متناثرة ، ثم ، انفجرت مرة أخرى ، واقترب الضجيج القادم من يمينهم . وصاح ستيوارت .. « الآن دع الحصان . إنه صديق ، .

ولكن الآخر ظل متعلقا بالسرج وصاح ، لقد انتهى الأمر ، سارتورس
يستطيع أن يقتل ، أما أنت فستأمر .

وقال الضابط الأسير ، سيدى ، أضرع إليك ، إلى الأمام . قيمة إنسان
بالنسبة لإيمان مجدد البشرية .

وقال الضابط أركان الحرب ، يا جنرال ، حباً فى الله ، اذكر لى ، وصاح
، إلى الأمام ، دافعاً حصانه ، ومجرراً حصان الجنرال وراه ، فى اللحظة
التي اندفعت فيها فصيلة من فرسان الاتحاد من الغابات وراهم .

واختتمت العمدة جيني قصتها قائلة ، وهكذا مضى مستر ستيوارت وركب
بايارد عائداً للبحك عن أسماك الأنشوقة ، وكل جيش بوب يطلق عليه
النار ، اندفع على حصانه وهو يصيح ، يا إيه ، على ياقتيان ، حتى
وصل إلى أعلى الربوة وقفز بحصانه فوق مائدة الإفطار ودخل به خيمة
التكوين المحطة وطاه كان محتباً تحت الركام مد ذراعه وأطلق الرصاص على ظهر
بايارد من غدارة كبيرة .

، قائل مستر ستيوارت حتى خرج وعاد إلى المعسكر دون أن يفقد إلا
رجلين . كان يتحدث بالخير دائماً عن بايارد ، قال عنه إنه كان ضابطاً طيباً ،
وفارساً ممتازاً ، إلا أنه كان مستهتراً جداً ، وقد ظلوا جالسين فى صمت برهة
من الزمن فى ضوء نار المدفأة وتصاعدت ألسنة النار وتلوت حول المدفأة
وحلقت الشرارات فى المدخنة فى أعمدة وحشية دوامة ومضت حياة بايارد
سارتورس القصيرة كأنها نجم محترق مرق فوق السهل المعتم الذى يزدحم
بذكرياتهم وعداباتهم المتبادلة ، فأضاه بوهج عابر كأنه رعد مكتوم الصوت
تاركاً وراه بعد موته ، نوعاً ما من الإشعاع . أما الضيف ، المهندس
الإسكتلندى فقد جلس فى صمت ينصت وبعد قليل تكلم .

، وعندما ارتد عليهم لم يكن وانفا تماماً من وجود الأنشوقة ،
أليس كذلك ؟ ،

وأجابته العمدة جيني ، الضابط اليانكى قال إنه هناك أنشوقة ،

قال الإسكتلندي مرة أخرى ، أى ، وهل عادِ مستر ستيوارت في اليوم التالي كما قال في المذكرة ؟ ، .

وأجابته مس جيني ، عاد ذلك الأصيل ليبحث عن بايارد سارتورس ، وتساقطت قشور متوهجة من رماد ناعم كالريش الوردى على الأرض حول المدفأة ، ثم غاضت إلى لون رمادى غاية في الرقة . وانحنى جون سارتورس على ضوء نار المدفأة وقلب قطع الخشب المشتعلة بماسورة بندقية اليانكي .

قال ، أظنه كان ألين جيش عرفه العالم على الإطلاق ، .

وقالت العمة جيني ، أى بايارد كان ألين رجل فيه ، .

وأيدما جون سارتورس قائلاً برصانة ، نعم بايارد كان طائشاً ، .

وتسكلم الإسكتلندي مرة أخرى ، هذا السيد ستيوارت الذى قال إن

شقيقك كان مستهتراً . . . من كان هو ؟ ، .

قالت مس جيني ، كان قائد الفرسان ، جوب ستيوارت ، . وظلت تتطلع إلى النار لحظة وهي مستغرقة في تأملاتها ، وللحظة قصيرة طوفت بوجهها الشاحب الذى لا يقهر رقة هادئة . قالت ، كان له مزاج مرح غريب . مامن شيء كان في استطاعته فيما يبدو أن يسليه قدر تصويره لجنرال بوب في جلباب النوم ، ومضت تحلم مرة أخرى بمكان بعيد جداً وراء الجمرات الحمراء المتعاركة ، ثم قالت : الرجل المسكين ، ثم استطرقت تقول بهدوء :

رافقت في رقصة فالس في بالتيمور عام ٥٨ وكان صوتها فخورا وهادئاً كبنود معفرة في التراب .

ولكن الباب كان مغلقاً الآن ، وما نفذ من ضوء خلال زجاج النوافذ الملون كان عميقاً وحزيناً وإلى يسار بايارد ، كانت غرفة حفيده ، حيث ماتت زوجة هذا الحفيد وطفليها في أكتوبر الماضى وقد وقف بجوار هذا الباب

برهة ، ثم فتحه بهدوء ، كانت الستائر مسدلة ، وقد احتوى الغرفة ذلك الهدوء مبهور الأنفاس الذى يميز الأماكن غير المأهولة .

ثم أغلق الباب ، ومضى متباطئاً ، ووقع أقدامه ثقيل ، شأن من بهم صم ودخل غرفة نومه الخاصة ، وصنع الباب بعنف من ورائه ، كما كانت طريقته فى غلق الأبواب .

جلس وخلع حذاءه ، وهو الحذاء الذى كان يفصل على مقاسه مرتين كل عام ، فى مصنع فى سانت لويس ، ومضى إلى النافذة ، وهو مرتد جواربه وتأمل فرسه المسرجة ، وهى مقيدة إلى شجرة توت فى الفناء الخلفى ، وصديقاً أسود نحيفاً ككلب صيد ، واقفاً بجمود تام بجوارها ، ومن المطبخ ، الذى لا يرى من هذه النافذة ، كان غناء النورا الذى لا ينقطع بفيض على المشهد الهادى . ويفيض دون أن يسمعه بايزد .

عبر الغرفة إلى الصالون وأخرج زوجاً من أحذية الركوب المخدشة ، ووضع قدميه فيهما وأخذ سيجاراً من المرطب الموضوع على المنضدة بجوار فراشه ، ثم ظل واقفاً لحظة والسيجار البارد بين أسنانه . ومن فوق نسيج سترته لمست يده الغليون فى جيبه ، فأخرجه ونظر إليه مرة أخرى وبدأ له وكان فى استطاعته ، أن يسمع ولا يزال ، الفاظ العجوز فولز ، وهى تتردد فى ضجيجها مرة أخرى . « كان الكولونيل جالسا هناك على مقعد ، وساقه مستندة إلى حاجز الفناء ، وكان يدخن من هذا الغليون نفسه . وكانت لوفينيا جالسة على الدرج ، تقشر ملاء قدر من البقول للعشاء ، وفى تلك الأيام ، كان يسعد الرجل أن يحصل على البقول أحياناً . وأنت كنت جالسا هناك مستنداً إلى هذا العمود . لم يكن ثمة شخص آخر ، عدا عمك التى كانت قبل أن تأتى مسجيني . أرسل الكولونيل البنتين إلى جدك فى ممفيس ، عندما ذهب لأول مرة إلى فرجينى مع ذلك اللواء الذى انقلب عليه ، وصوت ضده ، وطرده من القيادة . صوت ضده لأنه رفض أن يرفع السكافة مع كل من هب ودب وكل لص عاص من لصوص المعسكرات ،

الذين يأتون ببندقية مخطوفة زاعمين أنهم جنود . أظنك كنت في منتصف الطريق إلى أن تبلغ أشدك يا بابيارد ، كم كانت سنك حينئذ ؟

« أربعة عشرة . هل على أن أقول لك هذا كل مرة تروى فيها هذه القصة الملعونة ؟ »

وكنت جالسا هناك ، عندما دخلوا من البوابة ، واندفعوا بخيولهم في طريق العربة ، أسقطت لوفيتنا إناء البقول من يدها ، وأطلقت صرخة واحدة ، ولكن الكولونيل أسكتها وأمرها أن تسرع وتعد له حذاءه وغداراته وتنتظره عند الباب الخلفي ، وأنت جريت إلى الجرن لتسرج الحصان . وعندما دخل جنود اليانكي وتوقفوا - توقفوا هناك بالضبط حيث تجد حوض الزهور هذا الآن . لم يكن ثمة أحد على مرأى منهم عدا الكولونيل وهو جالس هناك وكأنه لم يسمع قط عن اليانكي .

« وجلس جنود اليانكي على خيولهم ، يتحدثون معاً ، ويتساءلون إذا كان هذا هو البيت المقصود أم لا ، والكولونيل جالس هناك ، وساقه ذات الجورب القصير على سور الفناء ، يحملن فيهم وكأنه جدى وحشى من التلال . ثم طلب ضابط اليانكي من أحد رجاله أن يركب عائداً إلى الجرن ويبحث عن الحصان ، ثم يقول الضابط للكولونيل .

« جوني ، اسمع ، أين يقيم العاصي جون سارتورس ؟ »

ويقول الكولونيل دون أن يتطرق له عين « يقيم في بيت على الطريق ، على بعد ميلين تقريباً . ولكنك لن تجده الآن . لقد ارتحل مرة أخرى ، ليحارب اليانكي . »

قال ضابط اليانكي ، « حسنا . أظنه من الأفضل ، على أي حال ، أن تأتي معنا ، لتدلنا على الطريق . »

« ثم وقف الكولونيل متباطئا ، وطلب منهم أن يسمحوا له بإحضار حذاءه وعكازته وطلع نحو البيت ، وتركهم هناك جالسين ينتظرونه . »

« وبمجرد أن اختفى من مجال رؤيتهم ، جرى . وكانت لوفينيا العجوز تنتظر عند الباب الخلفي بسترته وحذائه وغداراته وتصبيرة من خبز القمح . أما اليانكي الآخر فقد ركب إلى الجرن ، وأخذ الكولونيل الأشياء من لوفينيا وطواها في سترته ، ومضى عبر الفناء الخارجى ، وكأنه يتمشى . وقرابة هذا الوقت جاء اليانكي أيضا إلى الجرن . »

ويقول اليانكي « لا يوجد حصان هنا على الإطلاق . »

ويقول الكولونيل وهو ماض في طريقه « أظن ذلك . الكابتن يطلب منك أن تعود . » وكان فى استطاعته أن يشعر بذلك اليانكي وهو يرقبه ، ويتطلع مباشرة إلى ما بين كتفيه حيث يمكن أن تقتل الرصاصة . ويقول الكولونيل إن ذلك كان أشق الأشياء التى فعلها فى حياته على الإطلاق ، أن يمضى عبر ذلك الفناء ، وظهره إلى ذلك اليانكى ، دون أن يندفع جارياً . كان متجهاً نحو ركن الجرن ، حتى يصبح فى استطاعته أن يجعل البيت بينهما . قال الكولونيل إنه بدأ له وكأنه ظل ماشياً عاماً كاملاً دون أن يتقدم ، ولا يجرؤ فى نفس الوقت على النظر إلى الخلف . وقال الكولونيل إنه لم يفكر فى شيء أبداً ، عدا شعوره بالسرور لأن البنيتين لم تكونا فى البيت ، وقال إنه لم يفكر قط فى عمك التى كانت هناك فى البيت ، لأنها كما قال . كانت تحمل دم آل سارتورس الخالص . وكانت نداء لآى دسته من جنود اليانكى . »

ثم هتف به اليانكى ، ولكن الكولونيل مضى فى طريقه ، دون أن ينظر إلى الخلف ، أو يفعل شيئاً ، ثم ناداه اليانكى مرة أخرى ، ويقول الكولونيل إنه كان فى استطاعته أن يسمع حركة الحصان وقرر أن اللحظة مناسبة لأن يحرك ساقيه ، فأسرع إلى ركن الجرن ووصل إليه فى اللحظة التى أطلق فيها اليانكى رصاصة الأولى ، وفى الوقت الذى وصل فيه اليانكى إلى الركن ، كان الكولونيل فى الأرض المسيجة مندفعاً خلال الأعشاب متجهاً نحو الخور حيث كنت تنتظره بالحصان المنحياً بين أشجار الصفصاف .

« وكنت هناك واقفاً ، وممسكا بالحصان ، وذلك اليانكي هناك وراكم
بصيح ، حتى وضع الكولونيل حذاءيه في الركاب ، ثم قال لك بعد ذلك أن
تخبر عمك أنه لن يعود للبيت للعشاء . سأله وهو يتحسس الغليون بأصابعه ،
« ولكن لأي سبب تعيده إلى ، بعد كل هذا الوقت ؟ ، وقال المعجوز فولز
إن ملجأ الفقراء لم يكن مكانا مناسباً له .

« شيء كان يضعه في جيبيه ، ويستخلص منه في تلك الأيام البعيدة متعه .
أحسب الأمر كان مختلفاً - على ما أظن - حينما كان يبني خط السكة الحديدية .
كان يردد كثيراً جداً ، في تلك الأيام ، إننا كلنا سنذهب إلى ملجأ الفقراء
قبل حلول مساء السبت إلا أنني سبقته إلى هناك . وصلت إلى هناك قبل أن
يفعل . أو الأرجح ربما كان يقصد المقبرة ، وهو راكب حصانه صاعد
هابط حيث كان يبني الخط ، وحقبة مملوءة بالنقود مثبتة إلى سرجه ، ليلا
ونهاراً ، وكما قال كان بينه وبين الإفلاس مسافة قصيرة كان هذا عندما
تغيرت الأمور ، عندما تحتم عليه أن يبدأ في قتل الناس . فهناك المحرضان
السياسيان اللذان أخذوا في إثارة السود ، دخل مباشرة إلى الغرفة ، حيث كانا
جالسين وراء منضدة ومسديشما موضوعان أمامهما ، وذلك اللص ،
والشخص الآخر الذي قتله ، كلهم بنفس هذا المسدس الأمبريكي الثقيل -
عندما يضطر رجل إلى أن يبدأ في قتل الناس ، فالمرجح دائماً أن
يضطر إلى المضي في قتلهم ، وعندما يفعل ، فإنه يكون قد مات بالفعل .

« طفت ظلال الشوم والهلاك المحتوم على جبين جون سارنورس في
تلك الليلة حينما كان جالساً يتحدث إلى ابنه في ضوء الشموع ، في غرفة
المائدة وهو يدير كأساً من النبيذ بين أصابعه .

« كان خط السكة الحديدية قد تم ، وفي ذلك اليوم انتخب للجلس
التشريعي للقاطنة بعد معركة عنيفة مرة ، حينئذ اضطجع الموت على
جبينه ، والتعب . قال « وعلى ذلك ، سيقتلني ردلو غداً لأنني لن أكون
مسلحاً - تعبت من قتل الرجال . . ناولتي النبيذ يا بايارد ، .

وفي اليوم التالي كان ميتا ، ومن ثم ، وكأنه لم يكن عليه إلا أن ينتظر هذا لكي يتحرر من قوقعة العظم والنفس النبية ، ويتخلص من نقائص جسده ذاته ، ومن ثم ، أصبح الآن في استطاعته أن يشدد ويشكل ذلك الشيء الذي خرج من ظهره ، فكان أشبه بحلم مشثوم يحمله المرء ، وأن يستحضر كروح الجن أو كإله عن طريق ذكريات رجل عجوز أى مملة أو بغليون متفحجم غاضت منه ، منذ زمن بعيد ، حتى رائحة الطباقي المحترق العطنة .

ونفض بايارد العجوز ، وذهب ووضع الغليون على صوانه ، ثم غادر الفرقة ومضى متاقلا على الدرج وخرج من الباب الخلفي .

تذبه الصبي الأسود بسرعة . وفك عقال الفرس وأمسك بالركاب . وامتطى بايارد العجوز حصانه ، وتذكر السيجار أخيراً ، فأشعله . وفتح الزنجي البوابة إلى الأرض الفضاء وركض في مقدمة الحصان ، وفتح البوابة الثانية ، التي تؤدي بالراكب إلى الحقول ومضى بايارد وهو يجرجر وراءه دخانه ذا الرائحة النفاذة ، ومن مكان ماجاء كلب صييد مرقط ومشى بين عقبي الفرس .

وقفت النورا حافية على أرض المطبخ ، ثم قذفت مسحها في دلو الماء ، ثم ضربت الأرض بها مرة أخرى .
الخاطيء يقف من على دكة المنتحبين

الخاطيء يقفز إلى دكة التائبين

عندما يسأله الراعي ما السبب ، لماذا

يقول « الراعي أخذ المرأة تماما مثلي ،

أوه ، يا الله ، أوه ، يا الله !

تلك هي مشكلة الكنييسة اليوم .

كانت وجهة سيمون بيتاً كبيراً من الآجر ، بنى قريباً جداً من الشارع ، كانت الأرض مكاناً لبيت ريفي عتيق جميل ، استقر بين أشجار المنوليا والبلوط والشجيرات المزهرة . ولكن البيت احترق ، وقطعت بعض الأشجار لتدع مكاناً لبشاعة معمارية بلغت من الفظاعة المهيبة حداً أكسبها نوعاً ما من الجلال . كانت تذكراً لحسن تدبير أحد رجال التلال ، وكانت كذلك ضريحاً لأمنيات نسائه الاجتماعية . نزع رجل التلال هذا من ضيعة صغيرة تسمى فرنشمازبند ، حيث كان قد بنى فيها - كما تقول مس جيني دوبري التلال بيت على أجمل قطعة أرض في جيفرسون . وقد احتمل رجل أجمل هذه الحياة عامين كاملين ، كانت نساء بيته خلالها يقضين ساعات الصباح كله جالسات في الشرفة بقبعات النوم الموشاة حوافها بالدااتلا ، ويقضين ساعات الأصيل مرتديات الحرير الملون ، ويتجولن في المدينة في عربات ذات إطارات مطاطية ثم باع رجل التلال بيته لرجل وافد على البلدة ، وعاد بنسائه إلى الريف ، ودون شك ، دفعهن للعمل من جديد .

اصطف عدد من السيارات على امتداد الطوار ، فأشاعت في المكان جو الاحتفالات الرسمية واستدار سيمون بعقب سيجاره المائل ، وحشد الأعنة ، ودخل في مهارة مختصرة صاخبة مع زنجي جالس أمام عجلة قيادة سيارة كانت تنتظر أمام مكان وقوف العربات . واختتم سيمون صخبه بقوله « أيها الولد الأسود ، لاتسد الطريق أمام أي من عربات سارتورس ، وذلك في الوقت الذي دفع فيه الآخر السيارة ، وترك له منفذاً إلى عمود ربط الخيل (ثم قال) : سد الطريق أمام الدهماء ، إذا أردت ، ولكن لاتعرض عربة تنتظر الكولونيل أو مس جيني . لإنهما لن يقبلا شيئاً من هذا . »

ونزل وقيد الخيل ، وقد طاب خاطره باللوم الذي وجهه ، واغتسلت روحه

بجمال الفوز الذى حققه . توقف سيمون وأمعن النظر فى السيارة بشغف
وقدر غير قليل من العجرفة المختلطة ببعض من الفيرة والاحترام ، وتحدث
رقة مع سائقها . - ولكنه لم يتحدث طويلا ، ذلك لأن سيمون كانت له
أخوات فى الله فى المطبخ ، وفى الحال سمح لنفسه بالدخول فى الفناء ومضى
فى الممر المغطى بالحصى حول البيت إلى خلفه . كان فى استطاعته وهو يمر
تحت النوافذ ، أن يسمع ضجيج الحفل - تلك الأثرية المتصلة غير المفهومة
التي تستطيع السيدات البيضاء أن يحطن أنفسهن بها بلا جهد ، والتي يبدو
أنهن يعتبرنها شيئا ضرورياً (أو على الأقل لامناص منه) لقضاء وقت طيب .
أما كونه حفلا للعب الورق ، فلم تبد هذه الحقيقة بالنسبة لسيمون
أمراً غير مألوف أو مثيرا للدهشة ، لأن الزمن والتجربة العميقة الطويلة
قد أكسبته حاسة رقيقة من السباحة تجاه أهواء البيض ، والسيدات من
كل لون .

بنى رجل التلال بيته قريبا جدا إلى الشارع فظل بذلك الجزء الأكبر
من المرج الأصيل بأشجاره العميقة الجميلة خلف البيت . وبوما ما كانت هناك
أشجار ريحان شامى أسود وبرتقال كاذب ، وسوسن أرجوانى ، وخمائل ياسمين
منتشرة بلا نظام ، وحشود من الياسمين البرى فوق الأسوار وسيقان الأشجار ،
وبعد أن احترق البيت الأول ، احتلت المسكان كاه ، واصطنعت ، من
أشكالها الشعثاء ، دغلا مزدحما معطرا ، . أحبته البيضاوات وطيور السمان
المفردة ، حيث كان الأولاد والبنات يتلبثون فى أمسيات الربيع والصيف بين
الحباحب المضيئة السابحة ، وتراويل حشرات الهيورويل ، وعادة صرخة من
بومة صياحة تنسال متقطعة صاعدة هابطة . ثم اشتراه بعد ذلك رجل
التلال وقطع البعض من الأشجار ليبنى بيته بالقرب من الشارع على
طراز الريف ، وقطع الدغل وطفى الأشجار المتبقية باللون الأبيض ،
ومد حواجز أجرانه وزرائب خنازيره وبيوت دجاجه بين سيقانها
التي كانت تبدو كالأشباح . ولم تطل إقامته حتى يعرف عن
الجراجات شيئا .

وعد تناقص بعد ذلك عقم الدمار الذي ألحقته إقامته بالمكان ، فقد زرع
المالك الجديد مزيداً من الشجيرات - ياسمين وبرتقال كاذب وبريتنا - ووضع تحتها
مواد ومقاعد حديدية خضراء ، وبني حمام سباحة وملعب تنس ، ومضى
سيمون بثقة وحذر وأخذ طريقه إلى المطبخ مهتدياً بطنين أصوات نسائية
رتيب ، حيث كانت امرأة نحيفة مرتدية عمامة حداد بنفسجية ، ترفع
بصعوبة بسكوتة إلى فمها كومت عليها المايونيز ، وأخرى جسيمة هائلة
الحجم قد ارتدت مزرعة الخدم الملطخة . وكانت تشرب الجيلاتى الذائب من طبق .
وقد أدارت المرأتان أعينهما نحوه .

كانت الضيفة تقول : رأيت في الشارع - كان في حالة سيئة . إنه لا يهتم بنفسه
أبداً . .

ثم دخل سيمون فتركنا ووضع الحديث ورحبنا به .

قالتا معاً : « إن لم يكن هذا هو الأخ ستروثر ، تفضل يا أخ ستروثر ،
كيف خالك ؟ »

أجاب سيمون : « في حالة سيئة ياسيداتي ، في حالة سيئة ، وخلع قبعته وألقاها
جانبا ونزع عقب السيجارة من فمه ووضعها في القبة ، ثم قال : « إن ظهري يؤلمني
الآن شديداً ، هل كلكم بخير ؟ »

وأجابت الضيفة : « على مايرام ، أشكرك أيها الأخ ستروثر ، وجر سيمون
مقعداً إلى المائدة كما طلب إليه أن يفعل .

سألته الطاهية بكرم ، « أخ ستروثر ، ماذا ستأكل ؟ هنا بعض أطعمة
الحفل وتوجد بعض الخضر الباردة ، وقليل من الجيلاتى السائل المتبقي
بعد العشاء . »

أجاب سيمون : « أخت راشيل . أظنني سأخذ قليلاً من الجيلاتى وبعض
الخضر ، ثم استطرده يقول : « لم تعد أسناني تحتمل أطعمة الحفل ، ونهضت

الطاهية بتودة مهيبة وثبات عبر المطبخ إلى صوان الآنية وأخذت طبقا .
كانت واحدة من أفضل طاهيات جيفرسون ، وما من سيدة كانت تجرؤ
على نقد مستوى مطبخ راشيل الاجتماعى الرفيع .

قالت الضيفة « إذا لم تكن أشقى رجل أأكل الجيلاتى فى سنك ا ،
وقال سيمون « ما زلت أكل الجيلاتى ستين عاما . أى مبرر عندى
لكى أقلع عنه الآن ؟ »

قالت الطاهية مؤيدة ، وهى تضع الطبق أمامه « هذا صحيح أيها الأخ
ستروثر كل الجيلاتى عندما تستطيع الحصول عليه . دقيقة واحدة وسأ . . .
ميلونى ، اسمى ، قطعت حديثها عندما دخلت زنجية شابة رشيقة ترتدى متزوة
بيضاء أنيقة وقبعة . كانت تحمل صينية من الأطباق تحوى بقايا المستحضرات
الغذائية المنقولة من صور المجلات النسائية ، كانت تخلو من الحجم والقوت ،
كانت المختلفة يخدمن بوساطتها شهيتهن لتناول العشاء . قالت الطاهية :
« حبيبتي ، أحضرى للأخ ستروثر ملء هذه القصعة من الجيلاتى » .

قدفت الفتاة الصينية فى حوض الغسيل ، وشطفت الإناء بماء الصنبور ،
بينما كان سيمون يرقبها بعينيه الصغيرتين الثابتتين ، ثم جففته بمنشفة بسرعة
البرق ، باستعراض رفيع من عدم الاهتمام المهين ، ومضت توقع عبر المطبخ
بكعبى خذاتها العاليتين ، وذقتها مرفوعة بزاوية متشاحخة ، بينما كان سيمون
يرقبها بعينيه اللتين لا تطرفان ، ثم صفقت الباب وراءها وأدار سيمون رأسه .

قال مرة أخرى « نعم . سيدتى . ما زلت أكل الجيلاتى منذ زمن طويل
جداً بحيث إنه لا يمكننى أن أقلع عنه فى سنى هذه » .

وقالت الطاهية مؤيدة ، وهى ترفع مرة أخرى طبقها إلى شفيتها : « لن
يؤذيك أى نوع من الطعام ما دام فى استطاعتك أن تهضمه » . ثم عادت
الفتاة ، وما زالت تصرخ خدها ، ووضعت قصعة السائل المزج أمام سيمون
الذى تستر بحركتها ، وأسقط يده على نخذها ، فصفعته دفنقة بكعبه بعنف
على مؤخرة رأسه الشيباء .

قالت : مس راشيل ، ألا تستطيعين أن تجعليه يحتفظ بيديه لنفسه .
فسأته راشيل لأئمة ، ولكن دون مرارة ، ألا تخجل ؟ رجل عجوز أشيب
مثلك ، وبعائلة وأبناء بالغين ، وإحدى قدميه في القبر ؟

قال سيمون بنعومة ، وهو يضع السباغ في الجيلاتن الذائب . اقل
فك يا امرأة . السن على وشك الانتهاء من حفلهن هناك ؟

قالت الضيفة وهي تضع ، بحركة رقيقة متأنقة بسكوتة في فمها
، أظهن على وشك . يبدو أنهن يتكلمن بصوت أعلى .

فصح سيمون ما قالته ، إذن ، فقد بدأ اللعب من جديد . هبط
الحديث فقط عندما كن يا كان . نعم ياسيدي لقد بدأ اللعب من جديد .
هؤلاء هم البيض . ليس للسود ما يكفي من إدراك ، ليلعبوا الورق في مثل
هذا الضجيج .

إلا أنهن كن قد أخذن في التفرق . وقد انتهت مس جيني دوبرى ،
ولم تكذب ، من قصة ، تركت الثلاث الآتى كن معها على المائدة ، خجلات
إلى حد محدود ، .وعينا كل منهن تتحاشى الأخرى ، وتلك كانت طريقتها ،
كانت مس جيني تسافر قليلا جداً ، ولم تكن تترك عربات البولمان على
الإطلاق . وكان الناس يعجبون من أين تأتي بقصصها هذه ، ومن الذى
رواها لها . وكانت تعيد روايتها في أى مكان وفي أى وقت ، متخيرة
في ذلك اللحظة غير المناسبة والجمهور غير المناسب . وبجراحة باردة مرحة
وكان الشباب يميل إليها ، وكانوا يلحفون في طلبها وصحبتها في رحلاتهم .

وقد وقفت تتحدث إلى مضيفتها عبر المائدة وتقول : بيل ، سأعود
إلى البيت الآن . أظننا تعبنا جيداً من حفلك . أنا أعرف أنتى على
الأقل قد تعبت . أما المضيفة فقد كانت امرأة متملثة ، شابة إلى حد ما ،
وطفا على وجهها الجميل بالمساحيق ببراعة ، استغراق عصبي كاد أن يكون
استرخاء تاماً . ثم غاض بسرعة ، عندما اقتحمت مس جيني وعيها بحديثها
عن الانصراف ، وعادت إلى وجهها ملامحه المعتادة التى تعبر عن التوتر

والتبرم الغامض ، واحتجت كما تقتضى ذلك التقاليد ولكن بإخلاص نزق ،
كما قد تفعل فتاة حسنة التربية .

ولكن مس جيني قد عقدت عزمها بإصرار . فوقفت ، ونفضت
يدها المفضنة قنات خبز غير مرئية من صدر ثوبها الأسود الحريري ،
وقالت بصراحتها المعتادة ، إذا انتظرت أكثر ، فسيفوتنى وقت عشاء
بايارد ، نارسيسا ، هيا ، تعالى أوصلك فى عربتى الى بيتك .

قالت المرأة الشابة التى وجهت إليها دعوتها ، « معى سيارتى ، شكراً
لك يا مس جيني . »

وكان صوتها جاداً رناناً رخياً ، ثم وقفت ، ووقفت الأخريات
كذلك وأخذن فى التجمع وأثوابهن تحدث أصواتاً رفيعة غطت على
احتجاجات المضيفة المنفمة الزرقة ، وسرن ببطء إلى البهو ، وتجمعن مرة
أخرى أمام المرايا المختلفة ، وكلهن ألوان وصنخ حاد . ومضت مس
جيني بانتظام نحو الباب .

قالت مرة أخرى « هيا... هيا... هيا... هارى متشل لن يجب أن يجد
نفسه فى كل هذا الضجيج عندما يعود من عمله إلى البيت . »

وهنا ردت عليها المضيفة بعنف « إذن فسيكون فى استطاعته أن يجلس
فى السيارة بالخارج فى الجراج . مس جيني ، أنا أريد منك فعلاً ألا
تذهبي . أحسبى لن أدعوك لزيارتى مرة أخرى . »

ولكن مس جيني قالت بلطف بارد ، « وداعاً . وداعاً ، ووقفت
على أول الدرج ، وأنفها صورة رقيقة طبق الأصل لأنف آل سارتوروس ،
وظهرها مستقيم كظهر الجندى ، لا يتحداه فى الاعتدال ظهر آخر
فى البلدة ، خلا ابن أخيها بايارد . وقفت عند أول الدرج حيث لحقت
بها نارسيسا بنبو ؟ وقد حملت معها كعطري ، هالة الصفاء الحزين الوقور
التى كانت تهبش فيها .

قالت مس جيني ، « بيل عنت هذا أيضاً ؟ »

« عنت ماذا يا مس جيني ؟ »

« ما قالته عن هاري . . . الآن ، أين تظنين هذا الأسود الملعون قد ذهب ؟ » ثم نزلنا الدرج ، ومن السيارات المنتظرة بجوار الطوار جاءت انفجارات تحركها المكثومة ، وقطعت المرأتان المشى القصير الذى تحده أحواض الزهور إلى الشارع ، ثم سألت مس جيني زنجياً فى سيارة قريبة ، « هل رأيت فى أى طريق مضى سائقى ؟ »

- « ذهب متجهاً إلى خلف البيت يا سيدتى ، »

وفتح الزنجى باب السيارة ، وانزلق بقدميه منها . كان يرتدى سترة عسكرية وسروالاً من اللينوليم .

قال « سأذهب لاستدعائه ، »

قالت « أشكرك ، » ثم استطردت تقول « حسناً ، شكراً لله . أن انتهى الحفل ، ثم أضافت « من السيء جداً ألا يكون لدى الناس من حسن التدبير والشجاعة ما يهديهم إلى إرسال الدعوات ثم إلى إغلاق بيوتهم والذهاب بعيداً . كل متعة الحفلات هى فى ارتداء الملابس والذهاب إليها ، جاءت السيدات عبر المشى فى مجموعات تتحدث بأصوات رفيعة ، وركبن السيارات ، أو عدن على الأقدام ، وهن يتبادلن النداءات والتحية بالفاظ بهيجة وإن لم تكن حلوة الوقع تماماً . وكانت الشمس قد انحدرت وراء بيت بيل ، وعندما عبرت النسوة الظل إلى أشعة الشمس الأفقية ، أصبحن رقيقات لامعات كالبيغاوات الصغيرة . كانت نارسيسا بذبو ترتدى ثوباً أزرق وكانت عيناها بنفسجيتين ، وعلى وجهها ، كان استرخاء السوسن الهادى . »

قالت محتجة ، أنت لا تقصدين حفلات الأطفال ،

قالت مس جيني « أنا أتكلم عن الحفلات ، لا عن قضاء وقت بمتع . تتكلمين عن الأطفال . . . بهذه المناسبة ، ما هى أخبار هوراس ؟ »

قالت الأخرى بسرعة ، أوه ، ألم أقل لك ؟ وصلتني برقية أمس .
نزل في نيويورك يوم الأربعاء الماضي . كانت أشد ما تكون اضطراباً . لم
أستطع أبداً أن أفهم ما حاول أن يقوله لي عداً أن عليه أن يبقى في نيويورك
لمدة أسبوع أو ما يقرب من ذلك . كانت أكثر من خمسين كلمة .

سألت مس جيني « وهل كانت رسالة مباشرة ؟ » وقالت الأخرى نعم ،
فاستطردت تقول « هوراس لا بد وقد أصبح ثرياً ، كما يقول الجنود عن
كل أعضاء جمعية الشبان المسيحيين . حسناً ، إذا كانت الحرب قد علمت
رجلاً مثل هوراس كيف يكتسب المال ، فإن الحرب تكون شيئاً طيباً
جداً ، رغم كل شيء . »

« مس جيني ، كيف تستطيعين أن تتحدثي بهذه الطريقة بعد جون - بعد ... »
قالت مس جيني « هراء . أعطت الحرب جون مبرراً طيباً لكي
يقضى على حياته ، ولو لم تيسر له الحرب ، لقضى على حياته بأسلوب
آخر يكون مصدر ضيق كل شخص من حوله . »

« مس جيني ، »

« أنا أعرف يا عزيزتي . لقد عشت مع روس الثيران هؤلاء آل
سارتورس ، ثمانين عاماً ولن أمنح شبحاً واحداً منهم مطلقاً شعور الرضا
بدمعة أزرعها عليه . ماذا قال هوراس في رسالته ؟ »

قالت الأخرى ، « كانت عن شيء سيحضره إلى البيت . »

وامتلاً وجهها الهادي . بنوع ما من الحق الودود ، وقالت . كم
كانت مفككة ومضطربة ، تلك الرسالة - ما استطاع هوراس أبداً أن
يقول لي - وهو بعيد عني - أي شيء - بوضوح ، وعادت إلى
تأملاتها من جديد ، وهي تتطلع إلى الشارع الممتد ، الذي يشبه سرداباً
من أشجار البلوط والدردار ، تنفذ منه أشعة الشمس على مسافات متباعدة ،
لترسم على الأرض وكأنها جلد نمر مبرقش . قالت « هل تظنينه تبني
طفلاً من أيتام الحرب ؟ »

قالت مس جيني مرددة ، ، طفلا من أيتام الحرب ، الأقرب أن تكون أم طفل من أيتام الحرب؟ .

ظهر سيمون من وراء ركن البيت وهو يسمح له بظهر يده ، وعبر المرح مسرعا وهو يجر قدميه على الأرض ، ولم يكن سيجاره ظاهرا .

قالت الأخرى بسرعة وقلق بالغ ، ، لا . أنت لاتعتقدين أنه فعل هذا ؟ . لا ، لا .. لن يفعل ، هوراس لن يفعل هذا . إنه لايفعل شيئا دون أن يخبرني عنه مقدما . لو فعل لكاتب لي . أنا أعرف أنه كان يكتب لي . أنت لاتعتقدين فعلا ، أن هوراس يفعل مثل هذا الأمر ، أليس كذلك ؟ مثل هذا الأمر ؟ .

قالت مس جيني ، وهي تزفر من أنفها النورماندية ذات العظمة المرتفعة .

رجل برى . كهوراس ، بما يتميز به من ثقة وبساطة ، وقد ضل طريقه بين كل هؤلاء النسوة الأوريبات اللاتي يعانين من مجاعة للرجال . لن يعرف هو نفسه الأمر ، قبل قوات الأوان . وخاصة بلغة أجنبية . أنا أراهن ، في كل بلد أقام فيها أكثر من سبعة أيام ، فإن صاحبة البيت أو امرأة ما كانت تحتفظ له بعشائه دافئا على الموقد إذا تأخرت عودته إلى البيت ، أو كانت تحجز له السكر من الرجال الآخرين لتحلى به قوته . . بعض الرجال قد ولدوا لتكون لهم دائما امرأة تجعل من نفسها وطاء ينظفون عليه أحذيتهم ، تماما كما ولد آخرون لتخونهم زوجاتهم . . كم عمرك؟

قالت المرأة الأخرى بصوت متزن ، ، مس جيني ، مازلت في السادسة والعشرين ، . فك سيمون مقاود الخيل ، وقد وقف الآن بجوار العربة ، بالطريقة التي يقف بها لمس جيني ، وهي تختلف عن وقفته أمام المصرف . فيها الآن شهامة ورعاية وإكرام . ونظرت مس جيني إلى الصفاء الهادى . المرتسم في وجه المرأة الأخرى . وقالت :

« لم لا تزوجين ، وتدعين هذا الطافل يعنى بنفسه فترة من الزمن ؟
اذكري كلاتي . لن تمضى ستة أشهر حتى تفعل امرأة أخرى كل ما في
وسمها لكي تفوز بامتياز تجفيف قدميه وحينئذ لن يشعر حتى بغيابك ،

قالت الأخرى بهدوء دون أن تغضب ، لقد وعدت أمي . لا أدري
لم لم يستطع أن يبعث إلي رسالة يمكن أن تفهم ؟ » .

قالت مس جيني وهي تستدير إلى عربتها ، حسنا . ربما يكون يتم
حرب فقط ، ، ولم يكن في كلاتها المطمئنة ثمة عزاء .

قالت الأخرى ، « على أي حال ، سأعرف قريباً ، وعبرت إلى سيارة
صغيرة بجوار الطوار وفتحت الباب .

ركبت مس جيني عربتها وصعد سيمون وجمع الأعة في يده ، ثم
هتف بها والعربة تتحرك ، « دعيني أعرف عندما يبلغك شيء ، تعالي
إلينا وخذي زهورا عندما تريدن » .

« شكراً لك . وداعاً ،

« سيمون هيا ، وتحركت العربة مرة أخرى ، ومرة أخرى حبس
سيمون أخباره حتى أصبح خارج البلدة .

قال بأسلوبه السابق في الحديث ، « مستر بايارد عاد إلى البلدة ،

فسألته مس جيني على الفور « أين هو ؟ » ،

وأجابها سيمون : « لم يأت بعد إلى البيت . أظنه ذهب إلى المقابر ،

فصاحت مس جيني . « هراء . ما من سارنورس يذهب إلى المقابر

لأمره واحدة .. هل يعلم السكولونيل أنه عاد إلى البلدة ؟ » ،

« نعم ياسيدتي . أنا أخبرته . ولكنه يتصرف وكأنه لا يصدق أنني

قلت له الحقيقة ،

- أنت تعنى أنه مامن شخص رآه إلا أنت ؟

فأنكر سيمون في الحال قائلاً ، « ولا أنا أيضاً رأيتك . سكسيون رآه
يقفز من القطار وأخبرني ، .. »

فانفجرت مس جيني صائحة ، « أنت أيها الأسود الغبي الملعون ! أنت
ذهبت وقلت شيئاً غيبياً كهذا لبايارد ؟ إلا تستطيع أن تتصرف بحكمة
أكثر بما تفعل ؟ » .

قال سيمون مكرراً بعناد ، « سكسيون رآه . أظنه يستطيع أن يتعرف
على مستر بايارد عندما يراه ، .. »

- حسناً ، أين هو إذن ؟

قال مرجحاً ، « ربما يكون قد ذهب إلى المقابر ،

- و امض ، .. »

وجدت مس جيني ابن أخيها مع كلبى الصيد في مكتبه . كانت الغرفة
محاطة بخزان من الكتب التي تحتوى صفوفاً من كتب القانون الثقيلة المغلفة
بجلد العجول السنجابي اللون وكانت تبعث من حولها جواً من القدم والتأمل
الهادى المتصل ، وأخلاقاً من الروايات من المدرسة التاريخية الرومانسية
(كل مؤلفات دوماس كانت هناك ، والمجلدات التي ترد منها بانتظام تكون
كل ما يقرأه بايارد ، ويوجد مجلد منها دائماً على المائدة الصغيرة بجوار
فراشه) وبمجموعة من الأشياء بلا تمييز - لفافات صغيرة تحوى بذوراً ومهاميز
عتيقة صدئة ، وشكائهم ، وعقد معدنية لسروج الخيل ، وكتيبات عن أمراض
الحيوان والحضر ، وأوان مزخرفة لحفظ الطباقي أهداها إليه الناس في مناسبات
مختلفة وفي أعياده السنوية ولم يستعملها قط ، وقطع غامضة من الصخور ،
وجذور مجففة ، وسنايل قح جمعت كل في وقتها ولأسباب غابت كلها منذ زمن
طويل من ذاكرته ومع ذلك فقد احتفظ بها ، واحتوت أيضاً الغرفة صواناً

هائلا . بياب أغلق بقفل ومنضدة كبيرة تنثر عليها مزيد من الأشياء العرضية ، ومكتب بحصيرة مغلقة أيضاً بقفل (المفاتيح والأقفال كانت بالنسبة إليه فكرة ثابتة مسيطرة) وأريكة ، وثلاثة مقاعد كبيرة مكسوة بالجلد . كان يطلق دائماً على هذه الحجرة كلمة المكتب .

أما بايارد ، فقد كان جالساً وقبعته على رأسه ، وفدماه في حذائي الركوب . كان ينقل ويسكى البوربون من برميل مستدير صغير إلى دورق ذي غطاء فضي ، والسكبان يرقبانه بوقار مهيب .

كان أحد السكبين عجوزا جدا ، ويكاد أن يكون أعمى . كان يقضى معظم اليوم مستلقيا في نور الشمس في الفناء الخلفي ، أو في العتمة الرطبة المتربة وراء المطهى في أيام الصيف القانظة ، فإذا تقدم النهار وأوشك العصر أن ينتصف ، دار حول البيت وذهب إلى الفناء الأمامي حيث ينتظر بهدوء ووقار ، حتى تأتي العربية من المر ، وعندما ينزل بايارد ويدخل البيت ويعود إلى الفناء الداخلي حيث ينتظر مرة أخرى ، حتى يحضر ليزوم الفرس ، ويخرج بايارد ويركب ، ثم يقضيان معاً الأصيل ، وهما يتجولان بهدوء ودون عجلة بين المروج والحقول والغابات في تحولاتها الموسمية ، الرجل على حصانه ، وكلب الصيد المرقط الجاد بجواره ، ومساء حياتهما الزاحف ، يقرب من ختامه الهادىء على الأرض الخنون التي أرضعتهما لبانها معاً .

لم يكن السكب الصغير قد بلغ العامين بعد ، كان دمه أسرع من أن يحتمل رصانة مجتمعهما طويلا ورغم أنه كان يخرج معهما بين الحين والحين ، أو يأتي جاريا من مكان ما ، وقد تنثر الماء عليه وأخذته الشوق ليلحق بهم وهم في منتصف الطريق ، فإنه لم يكن ينتظر معهما طويلا ، فما أسرع ما يندفع مبتعدا ، ولسانه مدلى من فمه ، وريش ذيله الدقيق متوتر ، باحثا عن الروائح المغرية المثيرة للجنون التي أحاطته بها الدنيا وأخذت توسوس بها له من كل من دغل وغابة وفج عميق .

كان حذاءا بايارد مبللين حتى القمة والتصقت طبقة من الوحل بنعليهما وقد انحنى باهتمام واستفراق تام على برميله ودورقه ، والكلبان يرقبانه بشغف وقور . كان البرميل مرفوعا على مقعد ثان ، وكان يسحب الخنز البنية اللون الفاخرة بحذر إلى الدورق عن طريق أنبوبة من المطاط ثم دخلت مس جيني ، وقبعتهما السوداء مازالت مستقرة فوق قمة رأسها البيضاء الأنيقة بالضبط ، ونظر الكلبان إليها ، الأكبر بكرامة وقورة ، والأصغر بسرعة أكبر وهو يضرب ذيله بالأرض بجياح وتملق . ولكن بايارد لم يرفع رأسه . وأغلقت مس جيني الباب ، ونظرت ببرود إلى حذاءيه .

قالت ، « قدماك مبتلتان » ، ومع ذلك لم ينظر إليها ، ولكنه ثبت الأنبوبة بعناية في عنق الدورق ، بينما أخذ السائل يرتفع فيه ، لقد كان صممه متكأ راحة له أحيانا ، وربما كان يدعى الصمم بنية الراحة . ولكن من الذي يستطيع أن يعرف بالضبط ؟ قالت مس جيني آمرة ، وبصوت مرتفع : « اصعد إلى الطابق العلوي واخلع هذا الحذاء . سأملا الدورق ، . . »

ولكنه ظل هادئا رابط الجأش وهو قابع في برج صممه المسور الهادئ حتى امتلأ الدورق ، ثم ضغط على الأنبوب بإصبعه ورفع ، وصفاه في البرميل . ولم يتحرك الكلب الأكبر أثناء ذلك ، ولكن الأصغر تقهقر وراء بايارد ، حيث استلقى دون حراك وينقطة تامة ، ورأسه على قدميه الأماميتين المعقودتين ، ومضى يرقب مس جيني بعين ناعمة لانطرف . سحب بايارد الأنبوب من البرميل ، ونظر إليها للمرة الأولى وقال : « ماذا قلت ؟ » .

ولكن مس جيني عادت إلى الباب وقتحته وصاحت في الهو ، فأثارت استجابة مزعجة من المطبخ ، لحق بها في الحال سيمون شخصيا . فقالت له وهي تشير بيدها « اصعد إلى الطابق العلوي وأحضر خفي الكولونيل » . وعادت إلى الغرفة ولكن لا بايارد ولا البرميل كانا ظاهرين للميان ،

ولكن من باب المقصورة المفتوح برزت مؤخرة الكلب الصغير ، وقد أثير اهتمامها فتحرك ذيلها البارومتري حركة شديدة ، ثم دفع بايارد بجذائه الكلب خارج المقصورة ، وخرج هو نفسه ، وأغلق الباب من ورائه .
سأل ، « ألم يعد سيمون بعد ؟ »

أجابته قائلة ، « سيأتي الآن . لقد ناديتك اللحظة . اجلس واخلع هذا الخذاء المبلل ، وفي هذه اللحظة دخل سيمون بالخفين ، وأطاع بايارد وجلس وركع سيمون وخلع الخذاءين تحت عيني مس جيني المدققتين ، ثم سألت ، « هل جواربه جافة ؟ »

أجاب سيمون ، « نعم سيدتي . ليست مبللة ؟ » ، ولكنها انجنت وتحسستها بنفسها . قال بايارد بفضب « كفي » ولكن مس جيني أجرت يدها برباطة جأش عنيفة فوق ساقيه معا .

قالت عبر جدار صممه الصاعد إلى أعلى بلا نهاية ، « إنها ليست غاطته إذا كانت غير جافة ، ثم يتحتم عليك أنت ، أن تأتي إليه بقصتك الغبية » .

قال سيمون بعناد مرة أخرى « سكتيون رآه ، ثم دفع الخفين في قدمي بايارد ، « أنا لم أقل أبدا إنني رأيت ، ثم وقف ومشى وكفاه على نؤذيه .

وقف بايارد ووضع قدميه في الخفين وقال « سيمون ، احضر معدات الشراب ، ثم قال لعمته بلهجة حارل أن يجعلها عرضية ، سيمون يقول إن بايارد نزل من القطار أصيل اليوم ، ولكن مس جيني كانت تصيح مرة أخرى في سيمون كالعاصفة .

« عد إلى هنا وخذ هذا الخذاء ، وضعه وراء الموقد ، وعاد سيمون ، ومال بسرعة إلى الخذاء وأخذه . واستطردت تقول « وخذ هذين الكلبين من هنا ، أيضا ، شكراً لله إنه لم يدر بخلده أن يحضر معه حصانه ، وعلى الفور هم الكلب العجوز واقفا ، ولحقت به رشاقة الأصغر الحبية ،

وخرج بنفس التروى الظاهري ، الذي يستجيب به بايارد وسيمون لصرامة مس جيني العنيفة .

قال بايارد مرة أخرى ، « سيمون يقول ... »
صاحت مس جيني ، « هراء ما يقوله سيمون . هل عشت مع سيمون ستين عاما دون أن تتعلم أنه لا يعرف الحقيقة عندما يراها ؟ »
ومضت مس جيني وراء سيمون من الغرفة ، وتبعته إلى المطبخ ، حيث كدانت ابنة سيمون الطويلة الصفراء منحنية على منضدة عجن ، وملا سيمون إناء زجاجياً بالماء وشطائر الليمون ، ووضع مع إناء به سكر وكوبين زجاجيين طويلين على صينية ، وقفت مس جيني بالبواب ، وجعدت ما تبقى من شعر سيمون المفضل ، في عقد أشد ضيقاً مما هي عليه .
كانت تتميز دائماً بسيطرة رائعة على اللغة ، ولكن إذا ما أثيرت أعصابها ، فإنها تخلق دون مجهود إلى ارتفاعات سامقة . كان أسلوبها وضوحاً قوياً ، وبساطة ملونة ، وجرأة على استخدام الاستعارة والجاز يحسدها عليها ديموستين لو استطاع ، وتفهمها حتى البغال ، وعن مرامها لا يبقى أشد الناس غيباء في الشك طويلاً ، ومن تحته سقط رأس سيمون وتبدد تظاهره الدقيق بالانشغال النام وتساقط من عليه وكأنه ريش ، حتى أمسك الصينية ، وغطس من الغرفة وصوت مس جيني يتعقبه لينقض عليه بسهولة بإدراك كلسح تضمن تحذيراً ، وتوجهها لسلوك سيمون والنورا في المستقبل وسلوك سلا الواقعية والفرضية لعدة أعوام قادمة .

قالت مختتمة : « وفي المرة القادمة ، أنت أو أي سكيون يعمل في المزرعة ، أو سانس خيل أو خادم في البيت يرى أو يسمع أي شيء يعتقد أنه سيكون محل اهتمام الكولونيل ، عليكم أن تقولوه لي أولاً . وساقوم أنا بروايته عليه بعد ذلك ، ثم ألقط على النورا نظرة أخرى وحشية وذلك تطفيفاً للكيل ، وعادت إلى المكتب ، حيث كان ابن أخيها يقلب الماء والسكر بعناية في الكوبين .

كان سيمون يقوم بواجبه الرسمي كساق ، وهو مرتد سترة بيضاء ، وقد تقول في وصفها إنها كانت بصفين من الأزرار النحاسية . إلا أنها لم تكن من النحاس ، ولكن من الفضة . الفضة التي بلغت حداً من الرقة والطرارة أن البعض من الملاعق قد تأكلت حيث أمسكت بها أصابع الأجيال المتعاقبة حتى أصبحت في مثل رقة الورق ، وهي الفضة التي دفعها جوني ، جد سيمون ، مرة ، تحت أرضية الجرن النوشادرية ، بينما كان سيمون - وكانت سنه حينئذ ثلاث سنوات وفي ثوب مفرد قدر ، ينظر باهتمام الطفل العميق إلى اللعبة الغريبة . وقد تعلقت به - رغم كل شيء - رائحة حرقته الأولى الكريهة ، حتى عندما كان ينظف ويزين للكنيسة ، ويرتدي سترة فضفاضة من طراز الملك ألبرت نبذها بايارد . وفي كل مرة كان يدخل فيها غرفة المائدة بالأطباق كان يحضرها معه ، وفي الأوضاع المسترخية التي كان يتخذها بجوار الصوان الجانبي وهو يجيب أسئلة مس جيني المباحثة أو عندما يتابع بقايا حديث دار بينه وبين بايارد في أثناء اليوم ، كان يبتها ، وبعد خروجه كان يترك دائماً من ورائه رائحة الاسطبلات الخافتة . أما الليلة فقد أحضر الأطباق ووضعها ثم انحدر على الفور عائداً إلى المطبخ . لقد أدرك سيمون أنه قد تسكّم مرة أخرى أكثر مما ينبغي .

وضعت مس جيني شالا من الصوف الأبيض حول كتفها لتحتفي من برودة المساء ، وكانت تقوم بالحديث ، مغرقة نفسها وابن أخيها في فيض من التفاهات . كلمات تافهة وأعمال تافهة ، وما يدور على الألسن - وهو سلوك غير معهود في مس جيني . كانت لها أراؤها ، وطريقة لاذعة مرحة بشكل شرس في إعلانها ، إلا أنه كان من النادر جداً أن تنزل إلى مستوى الغيبة ، وفي أثناء ذلك كان بايارد قد أغلق على نفسه برج صممه المنور ، ورفع المعبر ، وأنزل البوابة الحديدية ، ومن ثم لم يكن في استطاعتك أبداً أن تعرف إن كان قد سمعك أم لا ، بينما مضت ذاته البشرية تأكل طعام العشاء بانتظام ، ثم انتهت من الطعام ، ودقت مس جيني الجرس الفضي القريب من يدها ، وفتح سيمون الباب الجانبي واستقبل مرة أخرى برود استيائها الشامل ،

فأغلق الباب ، وجلس وراءه حتى غادرا الغرفة

أشعل بايارد سيجاره في مكتبه ، وتبعته مس جيني إلى هناك ، وجرت مقعدها إلى المائدة تحت المصباح ، وفتحت جريدة بمفيس اليومية . كانت تستمتع بالإنسانية في صورها الأكثر تلوناً ، مفضلة القصص المفرقة في الخيال والحيوية على أشد الحقائق المعتمدة دقة ، ولذا اشتركت في جريدة المساء الأكثر إثارة رغم أنها تصبح جريدة الأمن عند وصولها إليها ، وكانت تقرأ بشراهة غير مكترثة وعلى مهل . تفاصيل جرائم إشعال النار والقتل والفسق والعنف والزنا . وقد زودتها الحياة الأمريكية بعد ذلك بشكل جديد من التسلية في صورة حروب مهربي الخور ، إلا أن هذا لم يكن موعده قد حان بعد وقد جلس ابن أخيها وراء دائرة ضوء المصباح الناعمة . وقد استندت قدماه إلى ركن المدفأة ، حيث أبلى الطلاب من عليه منذ زمن بعيد ، أبلاه نعلا حذائه ، ونعلا حذاء جون سارتوروس من قبله . ومضى ينفخ أنفاس سيجاره ، ولم يكن يقرأ ، وكانت مس جيني تلتقي عليه نظرة من الحين والحين ، من فوق نظارتها وعبر جريدتها . ثم تستأنف القراءة من جديد ولم يكن ثمة صوت في الغرفة عدا طقطقة الجريدة بين الحين والحين .

وبعد وقت قصير هم وافقاً بحركة مفاجئة مندفعة تميز بها ، وراقبته وهو يعبر الغرفة ، ويخرج من الباب ويصفقه من خلفه ، ثم مضت تقرأ لحظات أخرى ، ولكن اهتمامها كان قد مضى يتابع وقع أقدامه الثقيلة في الردهة ، وعندما غاض الصوت ، نهضت ، ووضعت جريدتها جانباً ، ومضت وراءه إلى الباب الأمامي .

كان القمر قد صعد من وراء جدار التلال الشرقية الأسود ، واستلقى هادئاً فوق الوادي ومضى يصعد - وكأنه بالون أطفال - من وراء أشجار البلوط والخروب الممتدة على طول المر الخاص . وقد جلس بايارد في الشرفة في ضوء القمر وقدماه مسندتان إلى حاجزها . وكان سيجاره يتوهج

في فترات منتظمة ، وتصاعد صرير منتظم رفيع من الجداجد السكمنة في الحشائش القرية ، ومن بعد أكبر ، ومن خلال الأشجار ، جاء أيضا صوت الضفادع الصغيرة ، كأنه صغير جان ، كأنه فقاعات فضية صغيرة تصعد أبدا . . . وطفف رائحة خروب رقيقة ، لا منبع لها . وغير محسوسة ولا مدركة ، كأياف دخان الطبايق الفائضة ، ومن مؤخرة البيت ، عبر البهو المظلم طفا صوت النورا متقطعا مترددا هزيبا بلا معنى .

تحسست مس جيني طريقها في الظلام بالقرب من الباب ، ومن جوار المرأة حيث العتمة المتشائمة أقل حدة ، أخذت قبعة بايارد من على المشجب ، وحماتها إليه ، ووضعها في يده ، وهي تقول : لا تجلس هنا طويلا . لم يأت الصيف بعد .

وزام بالفاظ لا يمكن تمييزها ، ولكنه ارتدى القبعة ، واستدارت مس جيني وعادت مرة أخرى إلى المكتب ، وانتهت من الجريدة ، وطبقتها ، ووضعتها على المنضدة . ثم أطفأت النور وصعدت الدرج المظلم إلى غرفتها ، وكان القمر يلعب من فوق الأشجار المرتفعة ، وينفذ من النوافذ الشرقية في حزم فضية عريضة ، وقبل أن تضيء النور مضت إلى الجدار الغربي وفتحت نافذة على الجداجد والضفادع وبيضاء في مكان ما ، كانت شجرة مانوليا خارج النافذة إلا أنها لم تكن قد أزهرت بعد ، ولا أيضا الياسمين البري ، المتكاثف على جدار الحديقة إلا أن هذا كله كان وشيك الحدوث . ومن مكانها كان في استطاعتها أن تشمل الحديقة بنظرتها ، وترى حشد الياسمين والبرتقال الكاذب والسوسن ناصع البياض حيث يضطجع القمر على نعاسها البرنزي الذي لم يزهر بعد ، وعلى بعض البراعم والأغصان المطعمة والمستحضرة من حدائق كارولينا البعيدة جدا التي عرفتها جيدا وهي فتاة .

ومن وراء الركن بالضبط ، ومن المطبخ الختفي ، تصاعد صوت النورا ناعما ، صاعدا وهابطا - كانت ترتل ، كل الذين يتحدثون عن الجنة لن يذهبوا إليها ، ثم طلعت هي وسيمون إلى ضوء القمر وأخذوا الطريق إلى عشة سيمون وراء الجرن . لقد أشعل سيمون سيجاره أخيرا ، وتعقبته -

وهي تفيض - راحته الفظيعة ولكن عندما ذهب . بدا وكأن الراححة
البشعة قد تلكأت داخل أصوات الجدادج والضفادع المعلقة في الهواء
الفضى ، واختلطت ، واندجت بلا أمل في استخلاصها مع صوت النورا
وهو يفيض . كل الناس الذين يتكلمون عن الجنة لن يذهبوا إليها .

كان سيجاره خامدا . وتحرك ، وأخرج ثقابا من صدازه ، وأشعله
من جديد . وأسند قدميه مرة أخرى إلى السور ، ومرة أخرى استلقت
رايحة الطباق الحادة المتراكمة على امتداد تيارات الهواء الفضى ، التي انعدمت
منها الرياح . وهي تتبدد وتفيض ببطء مع أنفاس الخروب ، وترديد
الجداجد والضفادع المسحور الذي لا ينقطع . كان ثمة ببناء في مكان ما من
الوادى ، وبعد قليل شدت أخرى من شجرة المانوليا عند ركن سور
الحديقة . ومرت سيارة في طريق الوادى المستوى ، وأبطأت عند تقاطع
السكة الحديد ، ثم أسرع مرة أخرى . وقبل أن يفيض صوتها سبحت
صفارة قطار التاسعة والنصف هابطة من فوق التلال .

صفيران طويلان ثم أصداء غامضة ، ثم تبعها صفيران قصيران ولكن
قبل أن يظهر القطار كان سيجاره باردا مرة أخرى ، وقد جلس وهو بين
أصابعه ، يرقب القاطرة وهي تجرصف نوافذها الصفراء عبر الوادى إلى
التلال مرة أخرى ، حيث صفرت بعد قليل أيضا ، متغطرة مجلجلة حزينة .
لقد جلس جون سارتورس ، كذلك ، على هذه الشرفة يرقب قطاربه اليوميين
وهما يبرغان من التلال ويعبران الوادى ثم يصعدان إلى التلال مرة أخرى
بأضواء ودخان وضجيج يدعى السرعة ، أما الآن فقد أصبح خط السكة
الحديد ملكا لاتحاد روس أموال ، ويجرى عليه أكثر من قطارين
يسيران من بحيرة متشجان إلى خليج المكسيك ، فتتحقق بذلك حلم جون
سارتورس الذى كان الآن مضطجعا بين ملائكة الزواج المنجحة وفى المجد
الكاذب لئله الذى لم يتنازل بالاعتراف به .

ثم أصبح سيجار بايارد العجوز خامدا مرة أخرى . جلس ، وسيجاره

ميت بين أصابعه ، يرقب شبحاً طويلاً وهو ينفذ من بين شجيرات الليلق المتكاثفة بجوار سور الحديقة ويعبر ضوء القمر المبرقش متجها نحو الشرفة ، لم يكن حفيده يرتدى قبعته ، وقد أقبل وارتقى الدرجات ، ووقف ، وقد جسم ضوء القمر ملامح وجهه شبيه الصقر تجسماً شديداً ، بينما ظل جده جالساً ينظر إليه ، وسيجاره الميت في يده .

قال بايارد العجوز ، « بايارد ، ولدى ؟ » . وظل بايارد الصغير واقفاً في ضوء القمر ، وكانت عيناه كهنين مظلمين .

قال أخيراً ، بوحشية مستفرقة عميقة ، « حاولت أن أمنعه من الصعود في بندقية الهواء الصغيرة الملعونة تلك » . ثم تحرك مرة أخرى ، وأنزل بايارد العجوز قدميه ، ولكن حفيده جر بعضف مقعداً إلى جواره ثم ألقى نفسه عليه .

سأله بايارد العجوز ، « بحق جهنم ، لم لم تخبرني أنك قادم ؟ ماذا تعنى بمجيئك هكذا متخفياً ؟ »

قال بايارد الصغير ، « أنا لم أخبر أحداً ، ثم أخرج سيجارة من جيبه وأشعل ثقاباً من حدائه .
« ماذا ؟ »

قال وقد أحاط الثقاب المشتعل بكفه ورفع صوته ، « لم أخبر أى شخص بحضورى » .

« سيمون كان يعرف . هل تخبر الخدم السود عن تحركاتك بدلا من جدك أنت نفسك ؟ »

صرخ بايارد الصغير ، « اللعنة على سيمون ياسيدي من الذى كلفه بمراقبتى ؟ » .

وصرخ بايارد العجوز بدوره « لا تصح في وجى يا ولد » .

وروى حفيده الثقاب بعيداً ، وسحب أنفاساً مضطربة عميقة من
السيجارة . ثم قال بايارد العجوز برقة أكثر وهو يشمل ثقاباً لسيجاره
« لا توقظ جيني . أنت بخير أليس كذلك ؟ » .

قال بايار الصغير وهو يمد يده « هاته » . دعني أمسك لك . ستشعل
النار في شاربك ، ولكن بايارد العجوز صده بعنف ، وسحب بعناد
ودون جدوى من سيجاره ، والثقاب بين أصابعه المضطربة .

قال مرة أخرى ، « قلت ، هل أنت بخير ؟ » .

أجاب بايارد الصغير على الفور ، « لم لا ؟ يحتاج الأمر كبير ملعون
لكي يصاب في الحرب ، كما هو الحال في وقت السلم . نعم . أحق ملعون .
هذا هو الأمر . » ثم سحب أنفاساً من السيجارة ، مرة أخرى ، وقذفها
بعيداً ، ولم يكن قد استهلك نصفها بعد إشعالها . « كان هناك أحدهم ، كان
على أن أتربص به أربعة أيام لأصيده . كان على أن أغريه على الخروج
إلى حيث كنت أتربص به ، بطائرة قديمة كالصندوق وضعت فيها زميل سلمي . لم
أكن أرى أمامي إلا اللحم البارد ، وهو ، وجمجمته ، وعظامه . حسناً ، لقد
نالها . لبثت فوقه بستة آلاف قدم ، وأفرغت حزاماً كاملاً من الطلقات
في كابينته . كان في استطاعتك أن تفتيهم جميعاً بقبعتك . ولكن ابن
الزنا رفض أن يحترق » وعلا صوته مرة أخرى وهو يتحدث وسبح عطر
أشجار الخروب في موجات عذبة ، وكان صوت الجداجد والضفادع صافياً
رتيباً مثل زمير ينفخها صبي أبله ناعس ، وأطل القمر من شرفته الفضية
على الوادي الذي تهادى في سلام ساحر الألوان إلى آفاق التلال الهادئة
اللامتناهية المشحونة بالأسرار ، ومضى صوت بايارد الصغير ، يروي عن
العنف والسرعة والموت .

قال بايارد العجوز مرة أخرى ، « ههش ، ستوقظ جيني » . وانخفض
صوت حفيده مطيعاً ، ولكن سرعان ما ارتفع مرة أخرى ، وبعد وقت

قصير برزت لإيهما مس جيني بالشال الصوفى فوق ثوب نومها وجاءت
وقبلته .

قالت ، « أظنك بخير ، وإلا فلن تتكون في مثل هذا المزاج العكر .
أخبرنا عن جوني . »

رد بإيارد الصغير بشدة « كان مخموراً ، أو أحمق . حاولت أن أمنعه
من التحليق هناك على تلك « الكامل ، الملعونة . لم يكن باستطاعتك أن
ترى يدبك في هذا الصباح - والهواء كله ملوئ بكبتل من السحاب ،
وكان في استطاعة أى أحمق أن يعرف أنه على الجانب الآخر ، سيكون
الجو ملوئاً بطائرات العوكر التي تستطيع التحليق على ارتفاع خمسة وعشرين
ألفاً ، وهو في طائرة « كامل ، ملعونه إلا أنه كان مصراً كالشيطان
على التحليق هناك بالقرب من ليل الملعونة . لم أستطع أن أمنعه . أطلق
على الرصاص . » وقال بإيارد الصغير « حاولت أن أرده ولكنه أطلق
النار ، كان فعلاً على الارتفاع الذي يستطيع أن يبلغه ، ولكنهم كانوا -
ولا بد - فوقنا بخمسة آلاف قدم طاروا كلهم فوقه . وطارده من كل
جانب وكأنه عجل ملعون محبوس في حظيرة . وبينما استقر أحدهم على
ذيله ، وظل كذلك حتى أمسكت به النار وقفز . ثم مضوا واندأ لآثر
الآخر إلى مطاراتهم . ، ومضى عطر الخروب يسبح على متن الهواء
الساكن وخيرير الضفادع الفضى . وعلى المانوليا في ركن البيت غنت بيغاة
ورددت غناها أخرى في الوادى .

قال بإيارد الصغير ، « انحدر عائداً إلى مطاره مع بقية عصابته . هو
وججمته وعظامه . كان بلونخيز . كان من أحسن من لديهم تليذ . رشتوفن ،
وفي هذه اللحظة كان صوته هادئاً ، لا يضطرب بالكبرياء الجريجة .

قالت مس جيني وهي تمضى بكفها على شعره ، « حسناً . هذا شيء . »
ومضى بإيارد الصغير في تأملاته لحظة ، ثم انفجر مرة أخرى قائلاً ، حاولت

أن أمنعه من التحليق في بندقية الهواء الملعونة تلك .

قالت مس جيني ، وماذا كنت تتوقع منه بالطريقة التي أنشأتها عليها
أنت الأكبر . . . أنت كنت في المقابر ، أليس كذلك ؟ ؟ .

قال بهدوء ، نعم ياسيديتي .

سأل بايارد العجوز ، ما هذا ؟ .

قالت بحدة وحزم ، ذلك العجوز الأحمق سيمون قال إنك كنت هناك . .
هيا تعال وتناول عشاءك ودخلت حياته من جديد دون أن تستأذن منه ،
والتقطت خيوطها المقطوعة بطريقتها العنيفة القادرة ، فأطاعها ووقف .

قال بايارد العجوز مرة أخرى ، ما هذا ؟ .

، وأنت أيضاً ، قم وادخل ، واكتسحته هو الآخر إلى مدار إرادتها ،
بالطريقة التي تلتقط بها قطعة من ثياب من على المقعد وأنت مار به . وقالت
، وكان عليك أن تكون في الفراش في هذا الوقت المتأخر ، وتبعها
إلى المطبخ وظلا واقفين ، بينما ذهبت هي إلى المبرد ووضعت الطعام على
المائدة ، ودورق لبن وجرت مقعداً .

قال بايارد العجوز مقترحاً ، ، جيني أعدى له شراباً ، وعلى الفور
رفضت مس جيني الاقتراح .

، اللبن هو ما يحتاج إليه . أحسبه قد تحتم عليه أن يشرب من الويسكي خلال
تلك الحرب ما يكفيه إلى حين ، اعتاد بايارد ألا يعود إلى البيت قط ،
دون أن يتمكن أن يصعد درجات البيت الأمامية على حصانه ويدخله راكباً ،
وساقت بايارد العجوز بحزم خارج المطبخ وإلى الدرج ورأت بابها يفتح ،
ثم دخلت غرفة بايارد الصغير وأعدت فراشه وبعد هنية سمعته من
غرفتها وهو يصعد الدرج .

كان القمر قد أضاء بمسكر غرفته ، ودون أن يشعل النور ، ذهب

وجلس على الفراش . أما خارج النوافذ فقد كانت الجداجد والضفادع لا أول لها ولا آخر ، وكأن أشعة القمر كانت زجاجاً رقيقاً يتصادم بين الأشجار والشجيرات ويتحطم متساقطاً على الأرض في مطر موسيقى خاد النغم ، ومن فوق هذا وفي صوت عميق ، كأنه دق الدفوف ، تصاعدت أنفاس المضخة منتظمة ، بطيئة ، من المحطة الكهربية وراء الجرن . وقد أخرج سيجارة أخرى من جيبه وأشعلها . ولكنه لم يأخذ منها إلا نفسين ثم قذفها بعيداً ، ثم جلس في سكون الغرفة التي تقاسمها مع جون ، في عنف صباهما الذكرى وعلى الفراش حيث اضطجع هو وزوجته ليلة رحيله ، الليلة التي سبقت عودته إلى إنجلترا ، ومنها إلى الجهة مرة أخرى ، حيث كان جون بالفعل . وبجواره على الوسادة كتم الظلام دوامات شعرها البرنزية الوحشية واستلقت بجواره وهي تقبض على ذراعه بيديها معاً ، وتضمها إلى صدرها ، بينما أخذنا - آخر الأمر - في حديث هادئ .
رصين .

ولكنه لم يكن يفكر فيها حينئذ . عندما تذكرها ، من اضطجعت بجواره في الظلام دون حراك ، وقد قبضت على ذراعه بشدة وضمتها إلى صدرها ، فلم يكن ذلك إلا ليفيض به شعور وحشى بالخجل من الشيء الذي ارتكبه في حقها ، كان يفكر في أخيه الذي لم يره عاماً بأأكله وقد كان يتصور أنهما سيلتقيان خلال شهر .

ولم يكن يفكر فيها أيضاً الآن ، رغم أن الجدران قد أمسكت - كما يمسك الإناء بزهور ذابلة - بأثر من الفوضى السحرية التي عاشا فيها شهرين ، كانت عميقة ووقنية كتفتح زهرة ياسمين ، وحادة كرائحة النعناع ، كان يفكر في أخيه الميت ، وروح أيامهما الأخيرة العنيفة تستقر كالتراب في كل مكان من الغرفة ، طامسة ذلك الوجود الآخر ، قابضة على أنفاسه .

وذهب إلى النافذة ، وقذف حصيرتها إلى أعلى ، فاصطدمت بالعارضة بصوت عنيف ، واتسكا عليها ، وهو يأخذ الهواء إلى رثتيه في دفعات هائلة سريعة ، وكأنه رجل أغرقته المياه ، ولم يستطع بعد أن يصدق أنه قد عاد إلى السطح مرة أخرى .

وبعد ذلك ، وقد نام عاريا بين الأغذية أيقظه أذنه العميق . حينئذ كانت الغرفة ممتلئة بضوء رمادي ، فارس بلا منبع ، وأدار رأسه ورأى مس جيني ، والشال الصوفي حول كتفها ، كانت جالسة على المقعد بجوار الفراش . قال « ما الأمر ؟ »

فأجابته مس جيني ، « هذا ما أريد أن أعرفه . أنت تحدث من الضجيج أكثر مما تفعل مضخة الماء تلك ، .
« أريد شرابا ، .

انحنيت مس جيني والتقطت كوباً من الأرض بجوارها ونهضت بإيارد واستندت إلى منكبها وأخذت الكوب وتوقفت يده قبل أن يصل الكوب إلى شفثيه ، قال ، وهو محدودب فوق منكبها والكوب تحت فمه .
« بحق جهنم . أنا قلت شرابا ، .

قالت مس جيني « اشرب يا ولدهذا اللبن . أنظني أفضى الليل ساهرة فقط لأسقيك ويسكي... اشربه. »

أطاعها وأفرغ الكوب في جوفه وانستلقى على ظهره . ووضعت مس جيني الكوب على الأرض .

« ما الساعة الآن ؟ »

قالت وقد وضعت يدها على جبينه ، « نم الآن ،

أدار رأسه على الوسادة ، ولكنه لم يستطع أن يتعاشى يدها .

قال « اذهبي . . دعيني وحدي ،

وقالت مس جيني « صه . . . نم الآن ، .

ابجد الثاني

قال سيمون : أنت لم تزرعى أبداً أى نبات حيث ينبغي أن يزرع .
وجلس على الدرجة السفلى يشحذ نصل فأس ببرود ، وقد وقفت مس
جيني مع ضيفتها على حافة الشرفة ، وكانت ترتدى قبعة وجل لبادية
وقفازات ثقيلة ، وكان يتدلى تحت خصرها مقص يومض في أشعة الشمس
الباكرة

سألته . . . شأن من هذا ؟ شأنك أنت أم الكولونيل ؟ أياً يستطيع
أن يتسكع في هذا الغناء ، ويرشدني إلى المكان الذي ينمو فيه النبات
أحسن نماء ، ويبدو في أجمل صورة . ولكن إذا كان أى منك قد
استثبت من الأرض بنفسه حتى الآن ولو عشبة واحدة ، فأنا لم أرها ،
أنا لا أضع قدمي في المكان السيء ، الذي يعتقد أياً أنت أو الكولونيل أنه
ينبغي أن تزرع فيه زهرة . أنا أزرع زهورى بالضبط تماماً ، حيث أريد
لها أن تثبت . . .

قال سيمون : « وبعد ذلك تتحدثينها أن تجرؤ على عدم الخروج من
باطن الأرض . هذه هي الطريقة التي تفلحين بها الحديقة ، أنت وإيزوم .
شكراً لله أن ليس عليه أن يكسب عيشه بهذا النوع من فلاحه البساتين
الذي يتعله في هذا المكان . . .

ومضى يبرد نصل الفأس ثم مد رأسه فجأة نحو ركن البيت .
كان يرتدى قبعة مشينة من نسيج ما زال مجهول النوع منذ سنوات
عدة . قبعة حدقت فيها مس جيني بازدياء وبرود ، قالت له : « إيزوم
كسب عيشه بكونه ولد أسود . لم لاتكف عن برد نصل هذا الفأس
وتجرب إن كان في استطاعتك أن تتحدى بعض هذه الحشائش في حوض
السيلفيا أن تخرج من باطن الأرض؟ . . .

قال سيمون : « على أن أصنع سناً لمشط الخيل هذا . اذهبي أنت إلى

حديثك هناك . وسأقوم بتنظيف هذا الحوض ، ومضى يشهد بانتظام
نصل الفأس ، .

قالت مس جيني ، لقد أنفقت في هذا وقتا يكفي لتدرك أنه ليس
ممكننا أن تبلى هذا النصل بمجرد فقط حتى مقبضه . إنك لا تزال منكباً عليه
منذ ساعة الإفطار . أنا سمعتك . اخرج إلى هناك حيث الناس يمرون
فيحسبوا على أي حال أنك تعمل ، تأوه سيمون باكتئاب ، وقضى نصف
دقيقة وهو يضع المبرد جانبا . وضعه على درجة ثم التقطه ونقله إلى درجة
أخرى ثم وضعه على الدرجة التي وراه ، ثم أجرى لإبهامه على امتداد
النصل مختبراً لمياه بأمل مبهتس .

قال ، يجب أن يصلح الآن ، ولكن الأمر سيكون بالضبط كقطع
الحشائش بمشط ، .

قالت مس جيني ، جربه على أي حال . ربما تظنه الحشائش فأسا
أذهب وامنحها فرصة لأن تفعل ، على أي حال ، .

فأجابها سيمون مشاكسا وهو يقف ويحجل مبتعداً ، أنا ذاهب ، أنا
ذاهب . اذهبي أنت واهتمي بحديثك هناك . سأعني أنا بهذه ، .

وهبطت مس جيني وضيقتها الدرج ، ومضت معاً نحو ركن البيت .

وقالت مس جيني ، لا أستطيع أن أتصور لماذا يفضل أن يجلس
هنا ، ويعمل بمبرده في هذه الفأس الجديدة بدلا من أن يقتلع قبضة من
أنصال الحشائش في حوض السيليفيا هناك ، .

ومضت تقول ، ولكن هذا هو ما يريد أن يفعله ، أن يجلس هناك
ويبرد هذه الفأس حتى تصبح وكأنها نصل منشار إذا سمحت له . منذ
ثلاث سنوات أو أربع اشترى بإبارد آلة لتقليم الحشائش والله يعلم لماذا ،
ثم سلها إلى سيمون ، والذين صنعوها ضمنوها لمدة عام ، ولكنهم لم يكونوا

يعرفون سيمون . كثيرا ما تصورت وأنا أقرأ في الصحيفة في العام الماضي عن التدمير وغيره أى وقت تمتع كان سيمون سيقضيه في الحرب . كان في استطاعته أن يريهم صوراً من التخريب لم تدر قط بخاطرهم ، ثم صاحت منادية « إيزوم ! » .

دخلنا الحديقة ، وتوقفت مس جيني عند البوابة وصاحت « أنت ، إيزوم ! » ، وفي هذه المرة كان ثمة رد ، ومضت مس جيني مع ضيفتها ، بينما قدم إيزوم من مكان ما متلكتنا ، وشد البوابة من ورائه فانغلقت بالمزلاج .

نظرت مس جيني من فوق كتفها إلى الخلف ، وقالت « لم لم . . » ثم توقفت ونظرت إلى هيئة إيزوم العسكرية المفاجئة نظرة مدهوشة سريعة باردة . كان يرتدى حينئذ رداء عسكريا وشعارا لفرقة فوق كتفه ، وشريط خدمة حائل اللون فوق كفه ، وقد برز عنقه الرفيع ذو الستة عشر عاما من الياقة المتهدلة الأوسع من مقاسه كثيرا وبان من تحت الكم جزء كبير يدعو للدهشة من رسغه وانحسر السروال مستينسا داخل لفافات « القلشين » غير المتقنة ، التي - وقد يكون هذا بحاسة رفيعة للفريد والفذ أو بتجاهل لطيف للتقليد العسكرى - كان قد قام بطيها قبل ارتداء حذائه . وهبطت قبعة ماورا ، البهار الملوثة بأسف فوق رأسه المستديرة .

« من أين حصلت على هذه الملابس ؟ ، ولمعت أشعة الشمس على مقص مس جيني . أما مس بينبو ، في ثوبها الأبيض وقبعتها الخوصية الرقيقة ، فقد استدارت أيضا ونظرت إليه نظرة غريبة .

أجاب إيزوم « إنها ملابس كازبي . استعرتها منه فقط » .

قالت جيني « كازبي ؟ هل عاد ؟ » .

قال « نعم ، سيدتى ، عاد ليلة أمس في قطار التاسعة والنصف » .

- ليلة الأمس ؟ حقا ؟ أين هو الآن ؟ نائم على ما أظن ، .

- نعم ، سيدتى ، هذا ما كان عليه عندما غادرت البيت ، .

قالت مس جيني بطريقة لاذعة ، وهذا يبين ، على ما أظن ، كيف استعرت ملابسه الرسمية ، حسنا ، فليمن هذا الصباح ، أعطه يوما ليفيق من آثار الحرب ، ولكن إذا كانت الحرب قد صنعت منه أحق ، كما فعلت مع بايارد ، فالأفضل له أن يرتدى هذا الشيء مرة أخرى ، ويعود إليها . وأنا أعلن ، أن الرجال لا يستطيعون ، على ما يبدو أن يصمدوا لأى شيء ، ومضت والضيقة في ثوبها الأبيض البسيط تتبعها . قالت مس جيني ، أنت بالغة القسوة على الرجال وليس لك ثمة زوج تشغلين به فضلا عن أنك تقدرين كل الرجال بمقياس رجالك من آل سارتورس ، .

وتبرأت مس جيني منهم على الفور وقالت ، ليسوا برجالى ، أنا ورتهم فقط وأنت ما عليك إلا أن تنتظري ، سيكون لك قريبا رجل من أهلك تشغلين به ، عليك أن تنتظري فقط حتى يعود هوراس إلى البيت وسترين كم سيطول به الوقت حتى يفيق منها ، ثم قالت مرة أخرى ، الرجال لا يستطيعون الصمود لأى شيء ، لا يستطيعون حتى احتمال التسكع كشياعين جهنم ، بلا هم ولا مسئولية ، وبلا حد للدناءات التي يستطيعون أن يفكروا فيها ويرغبون في ارتكابها . هل تظنين أن فى استطاعة رجل أن يقعد يوما بعد يوم ، وشهرا إثر شهر فى بيت على بعد أميال من العمار ، قاضيا وقته بين قوائم الخسائر وهو يمزق أغطية الفراش وستائر النوافذ ومفارش الموائد ليصنع منها ضمادات وهو يرى السكر والدقيق واللحم تنافس ويستخدم براعم الصنوبر للإضاءة ، لأنه لا يوجد شمع ولا شمعدانات لوضع الشمع فيها إن كان منه شيء ، ويحتجىء فى أكواخ الزنوج بينما يشعل جنرالات اليانكى السكرارى النار فى البيت الذى بناه جد جد جدك ، وأنت وكل أهلك ولدتم فيه ؟ لا تتحدثى إلى عن رجال يتعذبون فى الحرب ، .

وقطفت مس جيني لسان العصفور بوحشية ومضت تقول ، انتظري
أنت فقط حتى يعود هوراس ، جينثد سترين ، مجرد عن طيب لهم ،
ليجعلوا من أنفسهم أشياء مزعجة وليعطلوا كل شيء . بينما تحاول النساء
أن ينظمن الفوضى التي تركوها وراءهم بحربهم . جون على الأقل ، توافر
له الكرم والطيبة فبعد أن ذهب وزج بنفسه فيما ليس له به شأن لم يعد
ليزعج كل شخص إلى حد الذهول . ولكن - الآن وقد عاد بايارد في
وسطها وترك لكل شخص أن يتصور أنه قد استقر أخيرا ، ذهب ليقوم
بالتعليم في مدرسة ، نيس للطيران تلك ، ثم تزوج تلك الفتاة الحقا . .

- مس جيني ا

- حسنا أنا لا أعني هذا ، إلا أنه كان ينبغي أن تضرب بشدة . أنا
أعرف هذا . ألم أفعل أنا نفس الشيء لقد كان السبب هو ذلك الدرع الذي
ارتداه بايارد . تكلمى عن رجال يغيرهم رداء عسكري ثم يترت لسان
العصفور جرونى إلى هناك ، إلى حفل الزفاف ، واتجهى ، في كنيسة
مملوءة بالسيوف . المستأجرة والبعض من تلاميذ بايارد الذين حاولوا
أن يلقوا عليهما وورودا وهما خارجان . وأنا أعتقد أن البعض منهم
لم يكن من تلاميذه ، لأن واحدا منهم ، فعلا ألقى ، في النهاية ملء يده
منها ، فأخطأت كل شيء وسقطت في الشارع ، وقطفت لسان العصفور بوحشية ،
تناولت معهم طعام العشاء ذات ليلة . جلست في الفندق ساعة حتى تذكر أن يأتيا
إلى . ثم توقفا عند متجر لبيع الحلوى وخرج بايارد وكارولين ودخلا وعادا بما
يقرب من القطار من اللقافات . ألقيا بها في السيارة ، حيث سال منها
الدهن على جواربي الجديدة . كان ذلك هو العشاء الذي دعيت إليه ،
واعلى ، لم يكن في البيت كله أثر لآى شيء يبدو عليه أو يشتم منه رائحة
موقد . لم أعرض عليهما أن أساعدهما قلت لكارولين إننى لا أعرف

شيئاً عن هذا النوع من التدبير المنزلى . لأن أهل كانوا من طراز قديم إلى درجة أنهم كانوا يطهون الطعام ، .

و ثم جاء الآخرون - بعض من أصدقاء بايارد العسكريين - وقطيع من زوجات الآخرين على حد ما فهمت . نسوة صغيرات كان ينبغي أن يكن في البيوت يعنين بطعام العشاء . كن يثرثن ويصرخن بهذه الطريقة الحقاء التي تصطنعها النسوة الصغيرات المتزوجات عندما يفعلن شيئاً ، يأملن ألا يرضى عنه أزواجهن . كانوا جميعاً يخرجون الزجاجات من لفائفها - حوالى دسيتين على ما أظن . ثم جاء بايارد وكارولين بأدوات المائدة الفضية التي أعطيتها لهما ، والفوط المطرز عليها أسماءهما وعلف هذا الحلواني الذي يشبه مذاقه عشب المستنقعات في أطباق من الورق . أكلناه هناك ونحن جلوس على الأرض ، أو واقفون ، أو حينما كنت في تلك اللحظة ، .

كانت هذه هي فكرة كارولين عن التدبير المنزلى ، قالت إنهما سيستقران عندما تتقدم بهما السن ، إذا انتهت الحرب عندئذ . في حوالى الخامسة والثلاثين . أظنها عنت هذا . رفيعة كقضيبي . لم يكن يوجد فيها الكثير لتضرب عليه . إلا أنه كان ينبغي مع ذلك أن تضرب . وبمجرد أن عرفت عن الطفل أسمته قبل أن يولد بتسعة أشهر . وأخبرت كل شخص عنه . . اعتادت أن تتكلم عنه وكأنه جدها أو شيء من هذا القبيل . ودائماً تقول بايارد لن يسمح لي أن أعمل هذا أو ذاك أو غيره ، .

ومضت مس جيني تقطف لسان العصفور والضييفة بجوارها تبدو طويلة في نوبها الأبيض وبرزت بساطة البيت الجميلة الهائلة من بين الأشجار المتكاثفة واستلقت الحديقة في ضوء الشمس مزهوة بأزهارها المتفتحة ، فواحة بالمطر ، زاخرة بطنين النحل الوسنان - صوت ذهبي رتيب ،

كأنه ضوء الشمس وقد أصبح مسموعاً -- كل الحجاب غير المحسوس للمباشر والمعتاد -- ومن ورائه بالضبط فتاة بدوامة برنزية من الشعر ، وجسم صغير لئن ، في حركة لا أنثوية غير متوقفة ، كأنها تجسم دينامي لأحد الأشكال عديدة الجنس المنحوتة ، وقد التقطت في لحظات العمل وهي تناضل كأنها تنظيم ميكانيكي كل عضو من أعضائه يجب أن يتحرك في أداء أقل الحركات شأناً ويدها المتوحشتان من وراء الحجاب غير المحسوس وإن كان كافياً ، لا توجهان اتهاماً بل تتدفقان بالعاطفة .

انحنت مس جيني على حوض الزهور ، وظهرها الضيق رغم انحنائها مستقيم مع ذلك لا يقهر ومرق طائر سمان برقة عبر الهواء اللامع إلى شجرة المانوليا متجها إليها في قوس منحني مبتور ، « وبعد ذلك عندما اضطر إلى العودة إلى الحرب ، أحضرها طبعاً هنا . وتركها بين يدي . ووقفت الضيفة دون حركة في ثوبها الأبيض وقالت مس جيني ، أنا لم أعن هذا ، وقطعت لسان العصفور .

قالت « يا للنساء المساكين ؟ . أحسب أن علينا فعلاً أن نتقاضى انتقامنا ، أينما وحينما نستطيع أن نتقاضاه . كان عليها أن تتقاضاه من بايارد فقط . »

قالت نارسيسا « عندما ماتت ، لم يكن باستطاعته أن يعرف ، لم يكن باستطاعته أن يأتي لو عرف ؟ وأنت تستطيعين أن تقول هذا ؟ » .

« بايارد ، أتظنين أن بمقدوره أن يحب أي شخص ، هذا الشيطان البارد ؟ » وقطعت مس جيني لسان العصفور « طوال حياته كلها لم يعنه أن يحرك إصبعها من أجل أي شخص سوى جون ، وقطعت لسان العصفور بوحشية . » « يتبجحون هنا . وكأنها كانت غلطتنا . كأننا دفعناهم إلى الذهاب لتلك الحرب . والآن ، يتحتم عليه أن يملك سيارة ، يتحتم عليه أن يقطع كل

الطريق إلى ممفيس ليشتري واحدة . تصورى سيارة فى قناء بايارد
سارتورس وهو الذى لا يقرض أموال المصرف إلى رجل يملك واحدة . .
هل تريدن بعض البسلة ؟

أجابته نارسيسا ، نعم ، أرجوك ، وانتصبت مس جيني ثم توقفت فى
جمود تام ، وقالت ، انظرى فقط إلى هناك ، أرجوك ، وأشارت بمقصها ،
هذه هى الطريقة التى يتعذبون بها من الحرب ، هؤلاء المساكين ، ومن
وراء تسكيبية بسلة ، كان إيزوم فى رداثة العسكرى يسير بوقار فى خطوات
واسعة جيئة وذهابا ، وفوق كتفه البنى فأس وعلى وجهه رسم الاستفراق
الذاهل . وعندما استدار فى نهاية مساره غمغم فى نغمات رتيبة .

صاحت مس جيني ، « إيزوم ، أنت يا إيزوم ! . . »

فتوقف فى الحال وسلاحه ما زال على كتفه ، وقال برقه ، « سيدتى ؟ »
ومضت مس جيني تحملق فيه . ففاضت هيبتة العسكرية وخفض فأسه ،
وأدى حركة ما من حركات التخاذل وهو فى رداثة العسكرى .

ضع هذه الفأس ، وأحضر هذه السلة هنا ، هذه هى المرة الأولى فى
حياتك التى تمسك فيها إحدى أدوات الحديدية بمحض اختيارك . ليقنى
أستطيع أن أكتشف نوع الرداء الرسمى الذى يدفعك لحفر الأرض وأنت
ترتيبه ، فأشترى لك واحداً بالتأكيد .

- « نعم ، سيدتى ، . »

- « إذا أردت أن تلعب لعبة الجند ، فاذهب مع بايارد إلى مكان ما
رافعلها . » وأضافت ، « أنا أستطيع أن أزرع الزهور دون أية معونة
من الجيش . » ثم تحولت إلى ضيفتها وفى يدها قبضة من لسان العصفور .
وسألتهما « وما الذى تضحكين عليه ؟ » . .

قالت المرأة الصغرى : كلا كما يبدو مضحكا جداً . أنك تشبهين جندياً
أكثر بكثير من إيزوم المسكين ، رغم كل ردائه العسكرى ، ولمست
عينها بأطراف أناملها وقالت : أنا آسفة . أرجوك ، اغفري لى
ضحكى .

ودفعت مس جيني زفيرها بعنف : أوف ! .

ووضعت لسان العصفور فى السلة . رمضت إلى البسلة ، وقطفت منها
بوحشية . وتبعتها الضيفة كما فعل إيزوم حاملاً السلة وسرعان ما انتهت
من البسلة ومضت مرة أخرى مع تابعيها وهي تتوقف من حين لآخر
لتقطف وردة ، ثم توقفت أمام حوض زهور ، رفعت فيه الزنايق
أجراسها اللامعة المقلوبة . لقد توقعت هي وإيزوم هذه اللحظة فى سعادة
ذلك أن الألوان المختلفة قد كونت زخرفاً متناسقاً .

قالت لضيفتها : عندما جمعناها فى الموسم الماضى ، كنت أضع واحدة
حمراء فى يد إيزوم اليمنى ، وواحدة صفراء فى يسراه -- ثم كنت أقول
له : حسناً . إيزوم ، أعطنى الحمراء ، فلم يكن يخطئ قط فى مد يده
اليسرى . وإذا نظرت إليه طويلاً ، مد يديه معاً . ألم أقل لك أن
تمسك هذه الزهرة الحمراء فى يدك اليمنى ؟ ، هكذا كنت أقول له . فيقول
: نعم سيدتى . هذه هي . وفى الحال تمتد يده اليسرى مرة أخرى .
ياغبى ليست هذه يدك اليمنى ؟ ، هكذا كنت أقول له . فيقول : هذه
هي اليد التى قلت منذ لحظة إنها يدي اليمنى . أليس كذلك أيها
الأسود ؟ ، وحملت مس جيني فى إيزوم الذى أدى مرة أخرى حركاته
المسترحمة المتدلة من وراء ابتسامته الرصينة المتباطئة .

نعم . سيدتى . أعتقد أنه كذلك .

ردت عليه مس جيني محذرة : وهذا أفضل لك . والآن كيف يستطيع

أى شخص أن يكون لديه حديقة محترمة بمعاونة غبي كهذا ؟ أنا أتوقع كل ربيع أن أجد القمح أو حشائش الليزبوديزيا ، وقد نمت في حوض السوسن الأرجواني أو غيره ، ثم لحصت الزنابق مرة أخرى ، وهي تختبر في خيالها الألوان المتوازنة واحداً مع الآخر . ثم قالت وهي تحسم الأمر : لا . أنت لا تريدن أية زنابق ، ومضت .

« لا يا مس جيني ، رافقتها الضيفة بوقار ، ومضوا إلى البوابة وتوقفت مس جيني وأخذت السلة من إيزوم .

« وأنت اذهب إلى البيت واخلع هذا الشيء ، أسمعني ؟ »

« نعم ، سيدتي ، .

وأنا أريد أن أطل من هذه النافذة بعد بضع دقائق ، وأراك في الحديقة مرة أخرى بهذه الفأس ، ثم أضافت . « وأريد أن أرى كلتا يديك فوق هذه المرة ، وأريد أيضاً أن أراه يتحرك . أسمعني ؟ »

« نعم ، سيدتي ، .

« وقل لكازبي أن يستعد لاستئناف العمل في الصباح ، حتى السود الذين يأكلون هنا ، عليهم أن يعملوا قليلاً ، . ولكن إيزوم كان قد ذهب ومضتاً معاً وسعدتا إلى الشرفة . وأسرت مس جيني إلى ضيفتها وهما تدخلان البهو ، « ألا يبدو عليه وكأن هذا هو ما سيفعله بالضبط ؟ إنه يعرف كما أعرف أنا ، لأنني لم أجرؤ على التطلع من هذه النافذة ، بعد أن قلت ما قلته . ادخلي ، وفتحت أبواب الردهة .

لم تكن الحجرة تستخدم إلا نادراً الآن ، رغم أنها كانت في عهد جون سارتورس تستخدم بصفة مستمرة . كان يدعو دائماً لحفلات العشاء ، وحفلات الرقص في المناسبات . حينئذ تفتح الأبواب المغلقة بينها وبين غرفة الطعام ، وثلاثة زنوج بآلات وترية على الدرج ، وكل الشموع

موقدة . وقد أحاط نفسه بأبهة من اللون والعطر والموسيقى وهو يجتال فيها بمظمتة وعجرفته المرحة . وفي هذه الغرفة ، أيضاً اضطلع ليلة في رده العسكرى الرمادى حيث اختتم مهرجان ماضيه الخاص اللون ، وإن لم يكن غير الملتخ دائماً ، وتأمل للمرة الأخيرة ألوهيته الخاصة من نعومة بيته الكريمة المرحة .

ولكن ، في أيام ابنه ، قل استعمالها ، رويداً رويداً ، ويبطء وبطريقة غير محسوسة فقدت ذكورتها المرحة والمجيدة في نفس الوقت ، وأصبحت بالاتفاق التبادل مكاناً لزوجته ولزوجة ابنه جون ومن جينى لينظفنه تماماً مرتين كل عام ، وليناد من فيه أيضاً ضيوفهن الأكثر رسمية ، بعد القيام بطقوس فك لفائف زجاجات خمر الهولند . كانت هذه هى حالها عند مولد أحفاده ، وظلت هكذا حتى وفاة أبويهم ثم وفاة زوجته . وبعد ذلك لم تشغل مس جينى بالضيوف الرسميين إلا قليلاً ، ولم تشغل بالردهة قط . قالت إنها تبعث فيها قشعريرة .

وهكذا ظلت مغلقة باستمرار تقريباً ، ويبطء اكتسبت جواً من الوخامة الضريحية المهيبة وأحياناً قد يفتح بايارد الصغير أو جون الباب ويحماق في الغموض الحزين ، حيث يتشامخ الأثاث المغطى ، ويلوح بشكل ما من الرقة الشبهية وكأنه حيوانات المستادون المنقرضة ناصعة البياض ، إلا أنهما لم يكونا يدخلان ، ذلك أن الحجر قد ارتبطت في عقولها من قبل بالموت ، وهى فكرة لم تستطع حتى شجرة أيام عيد الميلاد ولا زيناته اللامعة أن تحجبها تماماً . كانوا بعيدين عن البيت فى المدرسة عندما بلغا سن الحفلات . ولكن حتى خلال العطلات ، ورغم أنهما كانا يملآن البيت بمجون معاصريهم المهنذب ، فإن الغرفة لم تكن تفتح إلا ليلة عيد الميلاد ، حينئذ كانت الشجرة تقام ونار تشعل ، وإناء به مشروب البيض والجمعة الساخنة على المائدة وسط الغرفة . وبعد أن ذهبوا إلى انجلترا فى سنة ١٦

كانت تفتح مرتين في العام ، لتنظف حسب الطقوس القديمة ، التي ورثها حتى سيمون عن أبائه الأولين ، وليشد البيانو . أو عندما تقضى مس جيني ونارسيسا هناك ضحى أو أصيلا ، ولكنها لم تكن تفتح رسميا على الإطلاق .

تشاخ الأثاث بلا شكل محدد في أعظيته الفبراء . كان البيانو وحده مكشوقا ، وجرت نارسيسا المقعد خارجا وخلعت قبعتها وألقها بجوارها . ووضعت مس جيني السلة . ومن الظلام وراء البيانو جرت مقعداً خشبي القاعدة مستقيماً ، وكان مكشوقاً أيضاً ، وجلست وخلعت قبعتها اللبادية من على رأسها الأنيقة البيضاء . جاء الضوء عبر الباب المفتوح ولكن النوافذ كانت مغلقة وراء ستائر ثقيلة قرمزية ، قامت فقط بتعميق الدكنة ويجعل الأثاث المغطى غير الواضح السمات يبدو أكثر غموضاً .

ولكن خلف هذه الكتلة المظلمة ، وفي جميع أركان الغرفة ، كانت شخوص تنتظر هناك - كممثلين يقفون في الأجنحة بجوار المسرح - مرتدية نقبا مبطنه بالسلك والموسلين والحريير المنفوخ بالأطواق ، وربطات عنق جامدة وسترات مناسبة ورمادية أيضاً وأوشحة قرمزية وسيوفاً مغمدة في اضطجاعة جريئة . جيب ستيوارت نفسه . ربما على حصانه البراق المتوج بالزهور . أو بشعره اللامع المنسال فوق ثوبه الصوفي السميك الثمين ، تحب أشجار الدابوق ، وأغصان شجرة عيد الميلاد بالتيمور سنة ٥٨ . جلست مس جيني ، وظهرها كظهر جندي عملاق لا ينحني ، واحتفظت بقبعتها فوق ركبتيها ، وأعدت نفسها للإنصات ، عندما مست ضيفتها أوتارا من المفاتيح ثم دجتها في موجة واحدة ، ثم شدت الستار مرة أخرى على المشهد .

وفي المطبخ كان كازي يتناول إفطاره بينما كان سيمون والده ، والنورا شقيقته . وإيزوم ابن أخيه (في ثوب عسكري) يرقبونه . لقد كان تلميذاً

لسيمون في الإسطبلات ، وخادما يؤدي كل شيء في البيت ، فكان يقوم بكل العمل الذي يشرف عليه سيمون ، الذي كان يلتقى على كتفيه كل أعبائه ، متعللا بمرر الشيخوخة الفسيح ، وإقرارا بفضل الآباء ، كما كان يقوم أيضا بكل ما كانت مس جيني تستطيع أن يتكبره له ، ولا يستطيع هو أن يتفاداه وكان بايارد العجوز يستخدمه أحيانا في الحقول . ثم جاء التجنيد وحمله إلى فرنسا ، إلى أرصفة ميناء سانت سوليبيس ، كمنفر في فصائل العمل حيث قام بما استطاع الأومباشية والشاويشية أن يضعوه على كتفيه غير العسكريتين من عمل ، وما استطاع أن يتكبره له الضباط البيض ولم يستطع هو أن يتفاداه .

وهكذا آل العمل كله في المكان إلى سيمون وإيزوم ، ولكن مس جيني احتفظت بإيزوم ليقوم بالتوافه في البيت جزءا طويلا من الوقت ، إلى الدرجة التي سرعان ما جعلت سيمون شديد المرارة ضد أمراء الحرب ، كأى ديمقراطى محترف حينئذ ، كان كازبي يعمل قليلا ، ويتسلى بالتأفف من حياة القارة في صورها الحربية . الأمر الذي ألحق بمستقبله الضرر إلى حدما ، لأن العجيج في النهاية مات . ورحل الضباط ، وتركوا فراغا مملوا بالمنازعات المرة المعتادة بين ورثة أرماجدون الشرعيين . ورجع كازبي إلى موطنه الأصلي وهو خسارة كاملة ، من وجهة النظر الاجتماعية ، ذلك أنه عاد بنفور قاطع من العمل شريفا كان أو تقيض ذلك ، وبمجرحين مشرفين اكتسبا في إحدى مباريات المبارزة بالموسى ولكنه عاد فعلا ، إلى رضى أبيه المشاكس ، وإعجاب النورا وإيزوم ، وقد جلس الآن في المقايخ يتحدث إليهم عن الحرب .

كان يقول ، أنا لأقبل مزيداً من أى إهانة من أى شخص أبيض . غيرت الحرب كل هذا . إذا كنا نحن ، الناس الملونين صالحين بما فيه الكفاية ، لإنتقاذ فرنسا من الألمان . إذن فنحن صالحون بما فيه

الكفاية لتلك نفس الحقوق التي يصلح لها الألمان . على أي حال هكذا يفكر الفرنسيون وإذا كانت أمريكا لا تفعل ، فثمة طرق لتعليمها . . . « نعم ياسيدي ، كان الجندي الملون هو الذي أنقذ فرنسا ، وأمريكا قبلها ، الكتائب السوداء قتلت من الألمان أكثر مما قتلت الجيوش البيضاء كلها معا ودع جانبا تفريخ السفن التجارية خلال اليوم بطوله . مقابل دولار واحد .

قال سيمون ، « الحرب لم تؤذ فك الكبير هذا ، على أي حال . »

وصحح كازبي ، « الحرب أطلقت فم الرجل الأسود . أعطته الحق في أن يتكلم . اقتلوا الألمان ثم ألقوا خطبكم . هذا هو ما قالوه لنا . حسنا ، وقد فعلنا هذا . »

سأل إيزوم كازبي باحترام ، « عم كازبي ، كم عدد الألمان الذين قتلتمهم ؟ »

« لم أزعج نفسي قط بإحصائهم . مرات قتلت في صباح واحد ، أكثر من كل الخلق في هذا المكان كله . مرة كنا في قاع إحدى السفن التجارية المقيدة إلى الشاطئ . وواحدة من هذه الغواصات جاءت وتوقفت ، وكل الضباط البيض جروا على الشاطئ . واختفوا . نحن الأولاد في القاع ، لم نعرف قط أن شيئا ما قد وقع ، حتى بدأ رجال يهبطون الدرج إلى أسفل . لم يكن معنا في ذلك الوقت بندق . ولذلك فعندما رأيناها - السيقان الخضراء - وهي تهبط الدرج زحفنا وراءها . وبمجرد أن يصل الواحد منهم إلى القاع ، كان أحد الأولاد يضربه على رأسه بقطعة خشب ويجره آخر بعيدا ليخلى المكان ، ويقطع زوره بفأس لحم . وكان منهم حوالي الثلاثين . . النورا هل بق مزيد من القهوة ؟ »

غمغم سيمون « بالتأكيد ، وجججت عينا إيزوم بهدوء . ورفعت النورا إناء القهوة من فوق الموقد ، ومالت فنجان كازبي مرة أخرى .

ومضى كازبي يشرب القهوة برهة .

• ومرة أخرى كنت أنا وولد آخر نسير في الطريق ، ألم بنا التعب من تفرغ هذه السفن التجارية طول اليوم ، ومرة اكتشف خادم الضابط اللص أين يحتفظ ببطاقات جوازات المرور ، فأخذ ملء قبضة منها . كنا في الطريق إلى البلدة أنا وهو عندما مرت بنا سيارة نقل ، وسألنا الولد إن كنا نريد توصيله . كان تلميذ مدارس وكان يكتب أسماءنا على ثلاثة جوازات منها كلها وصلنا إلى مكان قد يكون موبوءاً بالشرطة العسكرية وهكذا مضينا في حالة طيبة . متجولين في الريف في سيارة النقل الخاصة هذه ، حتى كان صباح تطلعنا فيه إلى حيث كانت سيارة النقل ، كان شرطي عسكري يجلس فوقها بينما كان الولد سائق السيارة يحاول أن يشرح له . ولذا رجعنا إلى الطريق الآخر ومشينا وبعد هذا كان علينا أن نروغ من مدن الشرطة العسكرية ، لأنني والولد الآخر لم نكن نستطيع أن نكتب أسماءنا على هذه الجوازات .

• وكنا يوما نمضي في طريق - كان طريقاً مخرباً ، ولم يبد لنا وكأنه منطقة شرطة عسكرية ، ولكن كان عدد منهم في آخر بلدة رغنا منها ، ولذا ، لم نعرف أننا كنا قريبين إلى هذا الحد من حيث يدور القتال . حتى مشينا إلى كوبري ، ووقفنا فجأة على فصيلة كاملة من الألمان يستحمون في النهر . رأونا تقريباً في نفس اللحظة التي رأيناهم فيها ، وغطسوا تحت سطح الماء ، أمسكنا أنا والولد الآخر رشاشين كانا موضوعين هناك ، وجلسنا على سور الكوبري وكلما أبرز ألماني رأسه يلتقط نفساً أطلقنا عليه الرصاص كان بالضبط كصيد السلاحف في بركة . أعتقد أن عدد من قتلناهم ، يقارب المائة إلا أن الرشاشين نضبا وهذا ما منحوني من أجله هذه . وأخرج من جيبه ميدالية مطلية زاهية من أصل بورتوريكي وجاء إيزوم يهدوء ليراها .
وغنم سيمون وقد جلس ويدها على ركبتيه ، يرقب ولده بعجب ذاهل . وجاءت النورا أيضا وقد تغطى ذراعاها بالدقيق .

سألت النورا ، ، وماذا يشبهون ؟ هل هم كالناس ؟ ،

وأجاب كازبي ، ، إنهم ضخام الأجسام وحر البشرة بصورة ما . حوالى ثمانى أقدام فى الطول . جماعات الملونين فى الجيش الأمريكى كله هم وخدمهم الذين استطاعوا أن يخضروهم .
وعاد إيزوم إلى ركنه بجوار الصندوق الخشبى .

وسأله سيمون ، أليس عندك يا ولد - عمل تؤديه فى الحديقة ؟ ،

أجاب إيزوم ، لا سيدى ، ونظرتة المفتوحة ما زالت مركزة على عمه ،
، مس جينى ، قالت إننا لانعمل هذا الصباح .
فأجابه سيمون عذرا ، حسنا ، لاتأت إلى معولا عندما تقفز عليك ،
ثم سأل ابنه ، أين قتلت الجماعة التالية؟ .

أجاب كازبي ، لم نقتل مزيداً بعد ذلك . رأينا أن نكتفى بهذا القدر . وأن الأفضل أن ندع الباقين للأولاد الذين يأخذون أجراً على قتلهم . مضينا حتى انتهى الطريق إلى حقل . كانت هناك بعض القنوات وحواجز قديمة من الأسلاك ، وحفر فى الحقل وبعض الناس مقيمين فيها . الناس كانوا جنودا أمريكيين ونصحونا أن نبعد عن حفرة ، ونقيم هناك مدة إذا كنا نريد سلام الحرب وراحتها . ولذا اخترنا حفرة جافة وانتقلنا إليها . لم يكن ثمة شىء نعمله طول اليوم - إلا أن نستلقى فى الظل ونرقب البالونات الهوائية ونستمع إلى القصف على بعد أربعة أميال على الطريق تقريبا . ادعى الولد الذى كان معى أنهم كانوا بعض صيادى الأرانب . ولكننى كنت أكثر منه معرفة . الأولاد البيض كانوا يستطيعون الكتابة ولذا أعدوا لنا الجوازات ، وقضينا بعض الوقت فى الذهاب إلى حيث كان الجيش للحصول على الطعام وعندما نفذت الجوازات عرفنا أين يقيم جيش فرنسى معه مدافع فى بعض الغابات البعيدة . وهكذا كنا نذهب حيث كانوا ونأكل .

داستمر هذا مدة طويلة ، حتى كان يوم ، إذ ذهبت البالونات . وقال الأولاد البيض إن الوقت قد حان للتحرك مرة أخرى . ولكننى والولد

الآخر لم نجد ثمة فائدة في الذهاب إلى أى مكان آخر . ولذا بقينا مكائنا
وفي هذا المساء ذهبنا إلى حيث الجيش الفرنسى ، للحصول على بعض الطعام
ولكنهم كانوا قد ذهبوا أيضا ، والولد الذى كان معى قال إن الألمان أمسكوا
بهم ، إلا أننا لم نكن نعرف . لم نسمع قصفا كبيرا منذ اليوم السابق
لذا عدنا مرة أخرى إلى الحفرة ولم يكن ثمة طعام ، ولذا زحفنا إليها وعدنا
إلى الفراش ، ونمنا ليلتنا . وفي صباح اليوم التالى جاء شخص إلى الحفرة
وداس علينا وأيقظنا . كانت واحدة من مرفقات الجنود تبهك عن
البنادق الألمانية وعقد الأحزمة المعدنية . وصاحت : من هنا ؟ فقال لها
الولد الآخر : نحن . جنود الصدام ، وهكذا خرجنا ولكن لم يمض
إلا القليل حتى جاءت سيارة مملوءة بالشرطة العسكرية وكانت الجوازات
قد نفذت .

سأل سيمون : وماذا فعلتم بعد ذلك ؟ ، وجمحت عينا ليزوم بهدوء
في العتمة وراء الصندوق الخشبى .

« أخذونا ، وحبسونا في سجن لمدة من الزمن ، ولكن الحرب كانت قد
أوشكت على الانتهاء فاحتاجوا إلى الأيدي لتعيد شحن السفن التجارية ، ولذا
أرسلونا إلى بلدة اسمها بريس - وقال مرة أخرى : أنا لا أقبل أى إهانة من
أى رجل أبيض ، سواء كان شرطيا عسكرياً أو لم يكن ، . ونحن الأولاد
كنا في غرفة ذات ليلة نلعب الزهر ، وعزف البوق فعلا أمر إطفاء الأنوار
إلا أننا كنا في الجيش ، حيث يستطيع الرجل أن يفعل ما يريد ، ماداموا يسمحون
له أن يفعله ، ولذا فعندما جاء الشرطى العسكرى وقال أطفئوا هذه الضوء
قال له أحد الأولاد : ادخل أنت وسنطفئك . كان ثمة شرطيان عسكريان
فاقتحما المسكان وبدأ في إطلاق النار ، وقلب أحدهم المصباح ومربنا .
وفي صباح اليوم التالى ، وجدوا أحد الشرطيين العسكريين بلا شيء يمسك
ياقته وكان اثنان من الأولاد ميتين أيضا ولكنهم لم يستطيعوا أن يكتشفوا
من كانوا معنا وبعد ذلك عدنا إلى الوطن .

وأفرغ كازبي قنجانته وقال . أنا لا أقبل إهانة من أى رجل أبيض بعد الآن ، تقريبا كان أو رئيسا أو شرطيا عسكريا . الحرب أثبتت للبيض أنهم لا يستطيعون أن يفلحوا دون الرجل الأسود . يستحقونه في التراب . ولكن عندما تنفجر المتاعب وتنطلق لإنهاء من فضلك ، سيدى . أيها السيد الرجل الملون . من هذا الطريق حيث يعزف النغير . أيها السيد الرجل الملون أنت منقذ الوطن ، والآن فإن الجنس الأسود سوف يجنى فوائد الحرب ، وهذا وشيكاً .

وغنم سيمون ، بالتأكيد .

- نعم . سيدى والنساء أيضاً . حصلت على امرأتى البيضاء فى فرنسا . وسوف أحصل عليها هنا أيضاً .

قال سيمون : د دعنى أقل لك شيئاً أيها الأسود ، لقد رعاك الله الطيب مدة طويلة حتى الآن ، إلا أنه لن يشغل بك دائماً .

أجاب كازبي فى الحال ، إذن أظنى سأمضى دونه ، ووقف وتمطى . أحسبني سأذهب إلى الطريق الكبير وأخطف توصيلة إلى المدينة . ليزوم أعطنى هذه الملابس .

كانت مس جينى وضيقتها واقفتين فى الشرفة عندما مر بجوار المنزل ثم انحرف عنه متجهاً إلى الممر .

قالت نارسيسا ، هذا بستانيك يمضى . وتطلعت مس جينى ثم قالت مصححة ، هذا كازبي ، وأضافت ، والآن ، أين تظنينه يمضى ؟ إلى المدينة وأراهن بدولار ، ومضت ترقب ظهره الخاكي المسترخى ، الذى تمكن بوساطته من أن يعبر بشكل ما ، عن شيء ما من الوقاحة المتبلدة . ونادت ، أنت يا كازبي !

تباطأ عند مروره بسيارة نارسيسا الصغيرة ، ودقق فيها النظر باستخفاف تكاسل حتى عن السخرية ، ثم مضى فى استرخاء ونادت مس

جيني مرة أخرى ، وهي ترفع صوتها « أنت يا كازبي ، ولكنه مضى في العمر الخاص بانتظام وقجا مسترخيا ، وفي غير عجلة . قالت منذرة بالسوء ، سمعني ، سننظر في هذا عندما يعود . من كان ذلك النبي على أي حال ، الذي فكر في وضع السود في نفس الملابس العسكرية مع البيض ؟ مستر فاردامان كان أبعد نظراً . قال حينئذ لهؤلاء الأغبياء في واشنطن ، إنه ليس من الحكمة في شيء . ولكن رجال السياسة ! ، وصمت النكلمة البريئة بتشويه شامل مدمر ، ومضت تقول « إذا سئمت يوماً صحبة السادة المهذبين ، فإنني أعرف ما سأفعله ، سأرشح نفسي للكونجرس . . . استمعوا إلي وأنا أمضي في تقدي مرة أخرى . وأنا أعلن أنني أعتقد أحياناً أن كل أفراد عائلة سارتورس وكل ممتلكاتهم قد عقدوا النية فقط على تعذيب وإزعاجي . وشكراً لله إذ لن يتحتم علي أن أرتبط بهم بعد موتي . لا أدري أين سيكونون . ولكن ما من سارتورس سيقيم في الجنة وقتاً أطول مما سيضطر إليه » .

وضحكت الأخرى وقالت « مس جيني ، يبدو أنك متأكدة تماماً من مصيرك الشخصي » .

« ولم لا أكون ؟ أما زلت أكثر الإحسانات والتراتيل مدة طويلة ؟ ثم ظلت عينيها بيدها ونظرت إلى آخر العمر . كان كازبي قد وصل إلى البوابة ، ووقف بجوار الطريق في انتظار عربة تمر ، وهنا قالت فجأة « إياك أن تتوقني له ، أسمعيني ؟ ثم « لم لا تبقي للعشاء ؟ » .

أجابت الأخرى « لا ، يجب أن أعود إلى البيت ، العمه سالي ليست في حالة طيبة اليوم ، ثم وقفت لحظة في ضوء الشمس وقبعتها وسلة زهورها على ذراعها ، واستغرقت في التأمل ، ثم أخرجت بعزم مفاجئ من صدر ثوبها ورقة مطوية .

سألها مس جيني وهي ترقبها « وصلتك آخر ، أليس كذلك ؟

دعيني أراه . . .

أخذت الورقة وقتحتها ، وخطت إلى الخلف بعيداً عن الشمس كانت نظارتها معلقة في « قيطان ، حريري ينتهي إلى زنبرك في غلاف ذهبي صغير معلق إلى صدرها بدبوس . شدت « القيطان ، خارجاً . وثبتت النظارة على عظمة أنفها العالية ومن ورائها ، كانت عيناها باردتين نفاذتين كميني جراح .

كانت الورقة قطعة واحدة من حجم الفولسكاب ، وقد حملت كتابة في حروف واضحة متباعدة . لا تعبر عند النظرة الأولى عن أى شخصية من أى نوع ، يد شابة إلا أنها مع ذلك وفي نفس الوقت ، لطيفة وصریحة وأنيقة إلى الدرجة التي تبعث في الحال على القليل من الدهشة . (١)

« أنت لم تردى على الخطاب الخامس والعشرين . أنا لم أتوقع أن تردى عليه بعد . ستردين في القريب وأنا أستطيع أن أنتظر . أنا لن أؤذيك . أنا صريح وأمين وستعرفين عندما يلتقي طريقانا معا . أنا لا أتوقع بعد أن تردى . ولكن أنت تعرفين أين تعملين إشارة ، .

أعادت مس جيني تطبيق الورقة بإيمامة اشتمزاز رقيقة رقيقة وقالت « كنت سأحرق هذا الشيء ، لولا أنه الوحيد الذي لدينا لنمسكه به . سأعطيه لبايارد الليلة ، احتجت الأخرى بسرعة وهي تمد يدها « لا لا . أرجوك . لا تفعلى .. دعيني أخذه وأمزقه ،

- « طففتى ، إنه الدليل الوحيد . هذا والآخر . سنستدعى مخبراً ، .

- « لا . لا . أرجوك . لا أريد لأى شخص آخر أن يعرف عنه

مس جيني ، أرجوك ، . ومدت يدها مرة أخرى .

قالت لها مس جيني مهمة . أنت تريدان أن تحتفظى به ، تماماً كما تفعل امرأة صغيرة حمقاء يطريها مثل هذا الشيء . .

قالت الأخرى مرة ثانية ، سأمزقه . كنت سأفعل هذا قبل الآن ، إلا أنني أردت أن أخبر شخصاً ما . إنه - إنه . . . تصورت أنني

(١) الخطاب في الأصل مملوء بالأخطاء اللغوية . (الترجم)

لن أشعر بالدنس كثيراً بعد أن أريه لشخص آخر . دعيني أخذه أرجوك .
« هراء . لا ينبغي عليك أن تشعرى بالدنس . أنت لم تشجيه ،
أم فعلت ؟ » .

- « مس جيني أرجوك » .

إلا أن مس جيني ظلت قابضة عليه وقالت بسرعة « لا تكونى
حمقاء . كيف يستطيع هذا الشيء أن يجعلك تشعرين بالدنس ؟ أى امرأة
شابة معرضة لأن يصلها خطاب خلو من التوقيع . وحشد منهن يستحسن
هذا . نحن جيداً مقتنعات أن الرجال يفكرون فينا بهذه الطريقة . ونحن
لا نستطيع إلا أن نعجب بمن أوتى الشجاعة فيصارعنا ، دون اعتبار
لمن يكون » .

- « فقط لو وقع الخطاب . لن يهمنى من يكون . ولكن هذه
الطريقة . . . مس جيني ، أرجوك » .

قالت مس جيني مرة أخرى « لا تكونى حمقاء . كيف نستطيع أن
نعرف من هو إذا دمرت الدليل ؟ »

- « لا أريد أن أعرف » وتخلت مس جيني عن الورقة ، وقطعتها
ناريسيا مزقا صغيرة رمتها من فوق الحاجز ، ومسحت يديها في ثوبها
« لا أريد أن أعرف . أريد أن أنسى كل شيء عن هذا الموضوع » .

- هراء . أنت - اللحظة - تموتين شوقاً لتعرفى . أراهن أنك
تنظرين إلى كل رجل تمرين به ، وتساءلين إن كان هو وسيستمر هذا طالما
أنتك لا تفعلين ثمة شيئاً ، والمرجح كذلك أن يسوء . الأفضل لك أن
تدعيني أخبر بايارد » .

- « لا . لا . أنا أكره له أن يعرف . أن يفكر اننى قد . . . ربما . . . حسناً جداً
بعد هذا ، سأحرقها في الحال دون أن أقتحمها . . . يجب أن أذهب فعلاً » .

وقالت مس جيني ساخرة ببرود طبعاً ، ستلقين بها مباشرة في الموقد .

ونزلت نارسيسا الدرجات ، وعادت مس جيني إلى ضوء الشمس مرة أخرى ،
وهي تدع نظارتها تندفع إلى غلافها « هذا شأنك طبعاً . إلا أنني ما كنت أحتمله
لو كنت مكانك ولكن ليست سني ستة وعشرين . . . حسناً تعال لي زيارتي ثانياً
إذا وسلك آخر ، أو إذا أردت مزيداً من الزهور .

- نعم سأفعل . وشكراً لهذه .

- ودعيني أعرف ما يبلغك من هوراس . شكراً لله . إنها مجرد آلة لنفخ الزجاج
وليست أرملة حرب . .

- نعم . سأفعل . وداعاً .

ومضت عبر الظل المبرقش ، في ثوبها الأبيض البسيط ، وسلة زهورها مرسومة
فوقه . ودخلت سيارتها . كان سقفها مرفوعاً ، وارتدت قبعتها ، وقومت المحرك
ونظرت إلى الخلف مرة أخرى ولوحت بيدها . وداعاً .

وقد سار الأسود في الطريق ببطء ، ثم توقف مرة أخرى وكان يرقبها خفية
وهي تقترب ، وإذا مرت به نظر إليها بملء عينيه ، وعرفت أنه يوشك أن يناديها
ففتحت صمام الوقود ومرت به بسرعة متزايدة . قادت سيارتها بسرعة إلى المدينة
حيث كانت تقيم في بيت من الآجر وسط أشجار الشربين ، فوق ربوة .

كانت تنسق لسان العصفور في وعاء ليموني معتم فوق البيانو ، وكانت العمه
سالي ويات تتأرجح بانتظام في مقعدها بجوار النافذة ، وهي تصفق ملء قدميها
بالأرض عند كل اهتزازة . وقد استقرت سلة شغلها على حاجر النافذة ، بين
تموجات الستائر الرقيقة ، واستندت بجوارها عكازتها الأبنوسية .

سألها ، « وأنت ظلت هناك ساعتين ولم تريه قط ؟ »
أجابت نارسيسا ، « لم يكن هناك . ذهب إلى ممفيس . .

وتأرجحت العمه سالي بانتظام « لو كنت مكانهم - لأرغمته على البقاء هناك .
لن أقبل أن يبقى هذا الولد قريباً مني . سواء كان من دمي أو لم يكن . . . من

- أجل أى شى ذهب إلى ممفيس ؟ ظننت هذه الطائرة أو - ماذا تسميها قد تحطمت .
- ، أظنه ذهب لعمل ما . .
- ، وأى عمل لديه فى ممفيس ؟ بايارد سارتورس أعقل من أن يحول أى عمل إلى عقل الأرنب الأحمق هذا . .
- قالت نارسيسا وهى تنسق لسان العصفور ، لا أدرى . أظنه سيعود قريباً .
تستطيعين أن تسأليه حينئذ . .
- ، وأنا أسأله ؟ ، أنا لم أقل له كلمتين فى حياته . وأنا لا أنوى أن أفعل لقد اعتدت أن أعاشر السادة المهذبين . . وكسرت نارسيسا بعضاً من الأعناق ونسقت الزهور فى باقة جميلة . ، وما الذى فعله ، ولا يفعله سيد مهذب أيتها العمة سالى ؟ .
- ، القفز من فوق خزانات المياه والصعود فى الجو فى بالونات . مجرد تخويف الناس . أنت تظنينى أسمح لهذا الولد أن يظل فى جوارى ؟ كنت أحتجزه فى مستشفى المجانين ، لو أننى كنت بايارد أو جينى . .
- ، لم يقفز من فوق الخزان . انزلق فقط فوق حبل مربوط بالخزان ثم قفز وغطس فى حمام السباحة . ، والذى صعد فى البالون كان جون . .
- ، وليس هذا ما سمعته . سمعت أنه قفز من فوق هذا الخزان ، عبر صفراً كاملاً من عربات البضائع وأكوام الخشب . ولم يخطئ . حافة الحمام . . ببوصة واحدة .
- ، لا . لم يفعل . انزلق على حبل من قبة بيت ثم غطس فى الحمام .
كان الحبل مربوطاً بالخزان . .
- ، حسناً . ألم يكن عليه أن يقفز فوق الكثير من الخشب وعربات البضائع . ألم يكن فى استطاعته بهذه الطريقة أن يكسر عنقه . وبنفس السهولة ، كما يكسره بالقفز من فوق الخزان ؟ ،
- أجابت نارسيسا ، ، نعم . .

- كفى . ماذا ينبغي على أن أقوله لك ؟ وماجدوى هذا ؟

- لا أعرف .

- طبعاً لا تعرفين وذلك كان السبب في أن يفعل ما فعله . وتأرجحت العمة سالى برهة وهى مزهومة بانتصارها ووضعت نارسيسا اللسان الأخرى لباقة لسان العصفور الزرقاء . ولجأة وبسكون قفزت قطعة رقطاء إلى النافذة بجوار سلة الشغل ، وكأنها تريد أن تعرض حيلة سحرية ، وبينما ظلت جاثمة ، نظرت داخل الغرفة لحظة ثم هبطت على بطنها . وبسوق مقوس أقبلت على تنظيف كتفها بلسان أحمر رفيع .

وانتهت نارسيسا إلى النافذة ووضعت يدها على ظهر الحيوان الأملس .

- وبعد ذلك ، الصعود في ذلك البالون . عندما .

قالت نارسيسا مرة أخرى : هذا لم يكن بايارد . هذا كان جون .

- وهذا ليس ما سمعته . أنا سمعت أنه كان الآخر . وأن بايارد

وجيني كانا الاثنان يرجوانه والدموع في أعينهما ألا يفعلها . أنا سمعت . . .

- ولم يكن أحدهما هناك . حتى بايارد لم يكن هناك . جون هو الذى

فعلها ، وقد فعلها لأن الرجل الذى جاء مع البالون مرض . جون سعد

فيه حتى لا يخيب أمل الريفيين . أنا كنت هناك .

وقفت هناك . وتركته يفعلها ، عندما كان في استطاعتك أن تتصلي

تليفونيا بجيني أو تعبرى الميدان إلى البنك حيث تجدين بايارد ، وقفت

هناك ولم تفتحي فك قط ، هل فعلت هذا ؟

أجابت نارسيسا : نعم . وقفت هناك بجوار هوراس في حلقة

الريفيين المتباطئة المنتبهة ترقب الكرة وهى تلتفخ وتشد حبالها ، راقبت

جون سارتورس في قيص صوفى حائل اللون وسراويل من المخمل بينما

مضى رجل الكارنفال يشرح له استعمال حبل فتح صمام الغاز والمظلة .
وقفت هناك وهي تحس أنفاسها تخرج بأسرع مما تستطيع أن تستردها مرة
أخرى وراقبت الشيء وهو يترنح إلى أعلى وجون جالس على قضيب
هش يتأرجح به تحته ، وبينين لم تستطع أن تغمضهما رأيت البالون
والناس وكل شيء يدور ببطء إلى أعلى وبعد ذلك وجدت نفسها ملتصقة
بهوراس وراء ستر العربة وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها .

هبط على بعد ثلاثة أميال في دغل من الورد الوحشي ، وتخلص من
المظلة ، وعاد إلى الطريق ونادى زنجياً عابراً في عربة . وعلى بعد ميل
من المدينة التقيا ، بإبارد العجوز مندفعاً بضراوة في العربة . وتوقفت
العربتان بجوار بعضهما البعض في الطريق ، بينما أفرغ بإبارد العجوز في
إحداهما ثورة غضبه الجنوني المتراكمة . وفي الأخرى جلس حفيده في
ملابسه الممزقة وعلى وجهه المخدوش نظرة ذلك الذي حقق في لحظة خاطفة
رغبة رائعة إلى الدرجة التي تجعل الوقوع في لأمها تطهراً لاخسارة .

وفي اليوم التالي ، وبينما كانت تمر أمام متجر اندفع منه فجأة ، بذلك
العنف المباغت الذي تميز به هو وشقيقه ، متوقفاً في اللحظة الأخيرة
ليتحاشى الاصطدام بها .

قال : أوه معذ . . . هالو ، ومن تحت الأربطة المتقاطعة كان وجهه مرحاً ،
جريئاً ، ووحشياً . ولم يكن يرتدي قبعة . وللحظة قصيرة حلقت في
وجهه بعينين واسعتين بأستين ثم صفقت يدها على فمها ومضت مسرعة ،
تكاد أن تجرى .

ثم رحل مع شقيقه وقيدتهما الحرب ، ككلبين مزعجين حبساً بعيداً
جداً في قفص . وكانت من جيني تحكى لها أخبارها عنهما ، عن الخطابات
المعملة الممثلة التي كانا يرسلانها إلى الوطن في فترات متباعدة ، ثم مات
ولكن بعيداً وراء البحار . لم يكن ثمة جسد ليعاد بغلظة إلى الأرض .

ولذا فقد بدا بالنسبة لها ، وكأنه لا يزال يضحك على هذه الكلمة - كما ضحك على كل الأصوات التي تخرج من الفم وتعنى الراحة ، ذلك الذى لم ينتظر الزمن ومقوماته أن يعلمه أن نهاية الحكمة هى أن تحلق عالياً بالحلم إلى الدرجة التي لا تفقد معها الحلم في البحث عنه .

واهتزت العمة سالى بانتظام في مقعدها .

« حسنا ليس يهم من كان منهما . أحدهما سيء كالأخر الأبقى لأحسبها غلطتهما بالطريقة التي أنشأ بها . مدللين حتى العفن ، كليهما . لم تكن لوسى سارتورس طوال حياتها تسمح لأى شخص أن يسوسهما ، لو كانا ولدى . . . ومضت في اهتزازها . لكننت أخرجتهما بما هما فيه بالضرب . كنت سأفعل ذلك لكي أربى هنديين متوحشين مثلهما . ولكن هؤلاء الناس وهم يتصورون أنه لم يوجد قط بين الناس من يصل إلى منزلة آل سارتورس ، حتى لوسى كرانستون ، وقد جاءت من عائلة فضلى ، كأفضل ، لتكون العائلات في الولاية . كانت تسلك وكان العناية الإلهية هى التي سمحت لها أن تزوج واحداً من آل سارتورس . وأن تكون أما لاثنتين أخريين . كبرياء . كبرياء . . . كاذبة . »

واهتزت بانتظام في مقعدها . ومن تحت يد نارسيسا هربت القطة بعجرفة متكاملة .

- وكان حكما قدريا عليهما ، أن يؤخذ جون بدلا من هذا الآخر ، جون على الأقل كان يلمس فبعتة تحية لسيدة في الطريق ، ولكن ذلك الولد الآخر « وتأرجحت - بملل وهى تصفق ملء قدميها بالأرض ، خير لك أن تبعدى عن هذا الولد ، سيكون قاتلك كما قتل زرجته الصغيرة المسكينة . »

قالت نارسا « أيتها العمة سالى ، لأننى لم أتزوج منه بعد ، ومن تحت يدها ومن تحت جلد القطة الناعم انسابت العضلات فجأة كالأسلاك إلى

عقد متينة وبدا جسم الحيوان وكأنه يستطيل كالمطاط في نفس اللحظة التي مرق فيها من تحت يدها ، واختفى عن الأنظار عبر الشرفة .
صاحت نارسيسا ، « أوه ! » ثم استدارت بسرعة ، وأمسكت عصا العمة سالى وجرت من الغرفة .

قالت العمة سالى « ماذا ! ... أنت هاتى عصاتى هنا ، وجلست تنظر إلى الباب ، وهى تسمع وقع كعبي الأخرى السريع فى البهو ثم فى الشرفة . ثم وقفت ومالت على النافذة وتطلعت ثم صاحت « أنت ، هاتى عصاتى هنا .
أسرعت نارسيسا عبر الفناء إلى الحديقة . وفى حوض زهور الكانا ، كانت القطة قابضة وهى تتلفت من حولها وتدور برأسها وعيناها الصفراوان لا تطفان . اندفعت نارسيسا نحوها وقد رفعت يدها العصا .

صاحت ، « اتركه ! ارميه ، ولثانية أخرى نظرت إليها العينان الصفراوان بوحشية ثم خفض الحيوان رأسه ووثب مبتعدا فى قفزة انسيابية طويلة ، والطائر بين فكليه .

صاحت « أوه ... ، عليك اللعنة عليك اللعنة ، أنت .. أنت أيتها السارتورس ! » وقذفت العصا وراء الومضة المبرقشة الأخيرة عندما انسابت القطة وراء ركن البيت .

وصاحت العمة سالى من النافذة « أنت أحضرى عصاتى ، وهاتىها هنا حالا . »

كأنت هى ومس جينى جالستين فى الغرفة المعتمة . كانت الأبواب مفتوحة كالعادة وفجأة ظهر بايارد الصغير بينهما ووقف ينظر إليهما .

قالت مس جينى « هذا بايارد . تعال هنا ، وتكلم مع نارسيسا يا ولدى ، قال بغموض « هالو ، » واستدارت فى مقعد البيانو ، وانكشفت قليلا بجوار الآلة .

قال . د من ؟ ، ودخل ، وأحضر معه ذلك العنف البارد المغل الذي تذكره .

قالت مس جيني بمكر د إنها نارسيسا . هيا تكلم معها وكف عن التظاهر بأنك لاتعرفها .

وأعطته نارسيسا يدها ، ووقف ممسكا بها بارتخاء ولكن له لم يكن ينظر إليها ، وسحبت يدها . نظر إليها مرة أخرى ثم نظر بعيدا وقد تشاخ فوقهما ومضى يمر بأصابعه خلال شعره .

قال . أريد شراباً . لآستطيع أن أجد مفتاح المكتب .

- د انتظر وتكلم معنا بضع دقائق وتستطيع بعد ذلك أن تأخذ كأساً .
وقف شاخا فوقهما برهة ثم تحرك فجأة ، وقبل أن تستطيع مس جيني أن تتكلم كان قد جر الغطاء من فوق مقعد آخر .

صاحت مس جيني د دع هذا وشأنه أيها الهندي د ووقفت ، هيا خذ مقعدي ، إذا كنت ضعيفا إلى الدرجة التي لاتستطيع معها الوقوف . سأعود في دقيقة ، ثم قالت لنارسيسا د على أن أحضر مفاتيحي .

جلس متراخيا في مقعده وهو يدلك رأسه بيده ونظرته تسبح في مكان ما حول قدميه وحذائه . وجلست نارسيسا ساكنة تماما ، وهي منكشة بجوار البيانو وأخيرا تسكمت .

- أنا آسفة جدا على ما حدث لزوجتك ... يا جون ، طلبت من مس جيني أن تخبرك عندما ... ، .

جلس يدلك رأسه يبطه في سكون مؤقت يغلب عليه العنف .

سألها د أنت ، شخصيا ، لست متزوجة ، أليس كذلك ؟ ، جلست ساكنة تماما . د ينبغي عليك أن تجربى الزواج ، وأضاف د ينبغي على كل شخص أن يتزوج مرة ، كما ينبغي على كل شخص أن يذهب إلى حرب واحدة . ،

عادت مس جيني بالمفاتيح ونصب قامته المديدة فجأة وتركها .
قالت مس جيني ، تستطيعين أن تعودي إلى العرف الآن لن بضايقتنا
مرة أخرى .

قالت نارسيسا ، لا . يجب أن أذهب ، ثم وقفت بسرعة وأخذت
قيعتها من فوق غطاء البيانو .

- لماذا ، أنت لم تحضري إلا منذ لحظات ،

قالت نارسيسا مرة أخرى ، يجب أن أذهب . . ووقفت مس جيني .
- حسنا إذا كان الأمر كذلك . سأقطف لك بعض الزهور . لن
يستغرق ذلك دقيقة . .

- لا . مرة أخرى . أنا . . أنا عندي . سأعود لزيارتكم وشيكا
وأخذ بعضها منها ، وداعا ، وعند الباب ألقت نظرة سريعة عبر الباب
ثم مضت وتبعتها مس جيني إلى الشرفة ، كانت قد نزلت الدرجات ،
ومضت مسرعة إلى سيارتها .

هتفت بها مس جيني ، عودي لزيارتنا سريعا ،

وأجابتها نارسيسا ، نعم سريعا ، وداعا ،

- ٢ -

عاد بايارد الصغير من مفيش في سيارته ، وكانت مفيش على بعد خمسة
وسبعين ميلا ، وقد استغرقت الرحلة ساعة وأربعين دقيقة ، لأن بعض
الطريق كان زراعيا طفليا ، وكانت السيارة طويلة ومنخفضة ورمادية ،
ولآلتها ، ذات الأسطوانات الأربع ستة عشر صماما ، وثمانى شمعات إشعال ، وقد
ضمن بائعها قدرتها على السير ثمانين ميلا في الساعة ، رغم أنه كانت توجد
ورقة ملصقة بجهاز الهواء الأمامى ، تطلب منه ألا يفعل هذا في الأميال
الخمسة الأولى .

جاء من الممر الخاص . وتوقف أمام البيت ، حيث كان جده يجلس

ماداً ساقيه على حاجز الشرفة ، وكانت مس جيني تقف بجوار أحد الأعمدة في ثوب أسود أثيق . هبطت درجات السلم وراحت تتفحصها ، وقتحت الباب ودخلت لتجرب المقعد ، وأقبل سيمون نحو الباب وألقى عليها نظرة سريعة مزدرية وعاد ، وظهر إيزوم من وراء ركن البيت ، ودار بهدوء حول السيارة بإعجاب شامل متطلع ، ولكن بايارد المعجوز ظل ينظر بازدراء إلى ذلك الشيء المستطيل المغير - وسيجاره بيده وهو يزوم .

قالت مس جيني « إنها مريحة كمقعد هزاز ، ونادته « تعال وجربها ، ولكنه زام مرة أخرى وظل جالسا وساقاه على الحاجز ، وراقب بايارد الصغير وهو ينزلق وراء عجلة القيادة . جرب الآلة فأسرعت ثم توقفت . ووقف إيزوم بجوارها وكأنه كلب قيد بحبل ، وألقى بايارد الصغير عليه نظرة وقال له « تستطيع أن تركب المرة القادمة » .

قالت مس جيني « ولم لا يستطيع أن يركب الآن . إيزوم ، اقفز إليها ، وقفز إيزوم . وراقبهم بايارد المعجوز وهم يتحركون بسكون عبر الممر . راقب السيارة وهي تختفي عن الأنظار منحدره إلى الوادي وعلى التو تصاعدت سحابة من الأتربة فوق الأشجار ، إلى الأصيل اللازوردى وتعلقت وردية اللون في الشمس . ثم غاضت ، وصوت ، وكأنه رعد بعيد ، مات ، وهو يغمغم من ورائها .

ونفت بايارد المعجوز سيجاره مرة أخرى . وظهر سيمون في الباب ووقف مكانه .

قال سيمون « والآن ، أين تظنهم يذهبون ساعة العشاء بالضبط ؟ » وزام بايارد المعجوز ووقف سيمون بالباب يغمغم محدثا نفسه .

بعد عشرين دقيقة ، انزلت السيارة إلى الممر لتقف في مكانها السابق تقريبا . وفي المقعد الخلفي كان وجه إيزوم كيانو مفتوح . ولم تكن مس جيني ترتدى فبعة . كانت تمسك شعرها بكلتا يديها . وبعد أن توقفت

السيارة ظلت جالسة هكذا لحظة ، ثم أخذت شهيقاً عميقاً .
قال . تمنيت أن أدخن ، ثم . أهذه أقصى سرعة لها ؟ ،
نزل إيزوم وفتح لها الباب ، ونزك بصعوبة إلى حد ما ، ولكن
عينها كانت لامعتين وكانت وجنتاهما الجافتان العجوزتان متضرجتين .
سأل سيمون من مكانه بالباب . إلى أى مدى ذهبتم ؟ ،
قالت بكبرياء . ذهبنا إلى المدينة ، وكان صوتها صافياً كصوت قنّاة ،
كانت المدينة على بعد أربعة أميال .

وذاذ يوم من الأسبوع التالي جاء العجوز فولز إلى المدينة ووجد
بايارد العجوز في مكتبه . كان المكتب هو حجرة المديرين أيضاً ، حجرة
كبيرة تحتوى على مائدة طويلة محاطة بالمقاعد ودولاب مرتفع يحتفظ فيه
بمطبوعات المصرف ، ومكتب بايارد العجوز ذو الحصيرة التي تغلق سطحه
ومقعده الدوار ، وأريكة كان يخفو عليها ساعة ظهر كل يوم .

كانت على المكتب ، كمكتبه في البيت ، صنوف من الأشياء التي
لا علاقة لها على الإطلاق بأعمال المصارف . وعلى الرف فوق المدفأة كان
مزيج من الأشياء ذات الطابع الزراعى ، وبمجموعة مغبرة من الغلايين
وثلاثة أو أربعة قوارير من الطبايق . كانت تزود بالرضا هيئة المصرف كلها
من المدير إلى البواب ، وعدداً محترماً من العملاء . وإذا سمح الجو ، كان
بايارد العجوز يدفع مقعده إلى الخلف بجوار الباب الخارجى ، ويجلس
عليه أكثر اليوم ، وعندما يجده العملاء هناك يعودون مرة أخرى إلى
المكتب ، ويمثلون غلايينهم من القوارير . وكان عرفاً متبهماً من نوع ما ،
لم يقل به أحد ، ألا يأخذ أحد في كل مرة إلا ملاء غليونه . هنا اعتزل
العجوز فولز وبايارد العجوز ، في زيارته الشهرية وتصايحا معا واحداً بعد
الآخر . فقد كان كلاهما أصم ، حوالى نصف ساعة أو ما يقربها ، وكنت
تستطيع أن تسمعها بوضوح من الشارع ، وفي المتجر الملاصق من أى
من الجانبين .

كانت عينا المعجوز فولز زرقاوين وبريئين كميني صبي . وكان أول ما عمله هو أن يفتح الحزمة التي أعدها له بايارد المعجوز ويخرج منها قطعة من طباق المضغ ، ويقطع منها مضغة يضمها في فمه ، ويمسك القطعة إلى مكانها ، ويربط الحزمة بدقة مرة أخرى . ومرتين كل عام ، كانت الحزمة تحوى طاقا كاملا من الملابس ، وفي المناسبات الأخرى طباقا وكيسا صغيرا من حلوى النضاع ، ولم يكن يقطع الخيط قط . بل كان دائما يفكه بأصابعه المتغلظة الجافة . ويمسك رباطه من جديد ، ولم يكن يقبل مالا .

وقد جلس الآن في « معطفه ، النظيف حائل اللون ، والحزمة على ركبتيه ، يقص على بايارد عن السيارة التي مرت به وهو في الطريق صباح اليوم . وقد جلس بايارد ساكنا تماما يرقبه بعينه الوحشيتين المعجوزتين حتى انتهى .

سأله هل أنت واثق بمن كان فيها ؟ .

- « مرت بي بسرعة كبيرة جدا . ولم أستطع معها أن أعرف إن كان فيها أى شخص على الإطلاق ، سألت عند وصولي إلى المدينة ويبدو أن كل شخص يعرف إلى أى مدى يسرع بها ، إلا أنت . »

جلس بايارد المعجوز هادئا برهة ثم رفع صوته مناديا :

« بيرون ،

انفتح الباب ودخل الكاتب .

قال بصوت رنيب « نعم ، سيدى الكولونيل ، » .

- « اتصل ببنتى تليفونيا وقل لحفيدي ألا يمسه تلك السيارة حتى أعود ،

- « نعم سيدى الكولونيل ، . وذهب بسكون كما ظهر .

واستدار بايارد المعجوز بمقعده بعنف مرة أخرى ومال المعجوز فولز إلى الأمام وهو يحملق في وجهه وسأله :

« بايارد ، ما هذا الذي في وجهك ، متى ظهر عليه ؟ »

وسأله بايارد « ماذا ؟ » ثم رفع يده إلى بقعة صغيرة أبرزها احتقان وجهه « هنا ؟ لا أدري ماذا تكون ؟ إنها هنا منذ أسبوع . لماذا ؟ »

فسال الآخر « وهل تكبر ؟ » ووقف ، ووضع حزمته جانبا ومد يده نحوه ، وتراجع بايارد المعجوز برأسه إلى الخلف وقال بغضب « لاشيء . دعها . » ولكن المعجوز فولز أبعده يد الآخر ، ولمس البقعة بأصابعه وقال « هم . صلبة كحجر . وهي تكبر أيضا . سألاحظها . وفي الوقت المناسب أستاصلها ، لم تتضج بعد . » ورجأة ظهر الكاتب بجوارهما بسكون وقال « طاهيك يقول إنه ومس جيني قد خرجا في السيارة إلى مكان ما . أبلغت رسالتك . »

سأله بايارد المعجوز « جيني معه . أقلت هذا ؟ »

قال الكاتب بصوته الرتيب « هذا ما يقوله طاهيك . »

« حسنا ، وهو كذلك . »

وانسحب الكاتب ، والتقط المعجوز فولز حزمته وقال « وسأمضي أنا أيضا ، سأعود في الأسبوع القادم ، وألقى نظرة عليها ، خير لك أن تتركها حتى أعود . »

ومضى أثر الكاتب من الفرقة ، وعلى التو نهض بايارد المعجوز ، ومشى عبر البهو ، ودفعت مقعده إلى الخلف عند الباب وجلس .

عندما عاد ذلك المساء إلى البيت ، لم تكن السيارة بادية للعيان ، ولا أجابته عمته على نداءه ، ثم صعد إلى حجرتة وارتدى حذاء الركوب وأشعل سيجاراً ، ولكن إذ نظر من نافذته إلى الفضاء الخلفي ، لم يجد إيزوم أو الفرس المسرجة . . وكان الكلب المعجوز قابعا ينظر إلى أعلى ، إلى نافذته فلما ظهرت رأس بايارد المعجوز هم وذهب إلى باب المطبخ ووقف هناك (٢ - ٨)

ثم نظر مرة أخرى إلى نافذته ، نزل بايارد المعجوز الدرج ومضى عبر البيت ودخل المطبخ حيث كان كازبي جالسا إلى المائدة يأكل ويتحدث إلى إيزوم والنورا .

كان كازبي يروي ، ومرة أخرى أنا وولد آخر ، ثم رأى إيزوم بايارد فهب من مكانه في ركن الصندوق الخشبي ، ودارت عيناه البيضاء في رأسه المستدير وتوقفت النورا أيضا بمكنستها ولكن كازبي أدار رأسه دون أن يقف ، ومضى يمضغ بانتظام وطرف بعينه على بايارد المعجوز الواقف بالباب .

قال بايارد ، أرسلت لك كلبة في الأسبوع الماضي أن تعود إلى هنا فوراً ، أولاً تعد على الإطلاق ، هل وصلتك ؟ .

وغنم كازبي شيئاً . ومضى يمضغ ، ثم دخل بايارد المعجوز الغرفة وأمره ، قم من عندك وأسرج فرسي ،

أدار كازبي ظهره متمعداً ورفع كوب اللبن الحامض إلى فمه ، وهمست النورا ، كازبي ، قم ، وأجابها ، أنا لا أعمل هنا ، ولكن بصوت لا يستطيع أن يسمعه بايارد ثم استدار إلى إيزوم وقال ، لم لا تذهب وتحضر له حصانه ؟ ألا تعمل هنا ؟ ،

وتضرعت النورا ، كازبي ، حياً في الله ، ثم قالت بصوت مرتفع ، نعم ، سيدي الكولونيل سيذهب حالا ، .

قال كازبي ، من أنا ؟ هل يبدو على هذا ؟ ، ورفع كوبه بتؤدة إلى فمه ، ثم تحرك بايارد مرة أخرى ففقد كازبي أعصابه ، ثم قام بسرعة قبل أن يبلغه بايارد ، وعبر المطبخ متجهاً نحو الباب ، ولكن بوقاحة مشاكسة بدت حتى في شكل ظهره . وبينما كان يعالج فتح الباب لحق به بايارد .

سأله ، هل ستذهب لتسرج فرسي ،

أجاب كازبي بصوت تحت صمم بايارد بالضبط ، لن أفعلها ، أيها
الولد العجوز ، .

- ماذا ؟ .

قالت النورا وكأنها تتوح : ، أوه يا إلهي ، كازبي ، ولجأ
ليزوم إلى ركنه . رفع كازبي عينيه بسرعة إلى وجه بايارد وفتح الباب
الساخر .

قال مرة أخرى وهو يرفع صوته ، أنا أقول لك لن أفعلها ، وكان
سيمون واقفا عند أول الدرج بجوار الكلب وقد فرفراه فاقد الأسنان
نحوهما ، والتقط بايارد العجوز قطعة من خشب الوقود من الصندوق القريب
وأسقط بها كازبي عبر الباب المفتوح إلى أسفل الدرج عند قدمي أبيه
حيث كان واقفا .

قال ، والآن ، اذهب واسرج هذه الفرس ، .

عاون سيمون ابنه حتى وقف على قدميه . وأخذه بعيدا نحو الجرن
بينما أخذ الكلب ينظر إليهما باهتمام عميق وقال غاضبا ، ما زلت أقول
لك ، أفكار الحرب الخادعة هذه لن تتفق مع هذا المكان والأفضل لك
أن تشكر الله الخير لأنه صنع لك رأسا صلبة كهذه . هيا اذهب وأحضر
هذه الفرس ، واحتفظ بهذا الكلام عن حرية السود لأهل المدن . وعلى
أى حال ، من أجل ماذا نريد نحن السود أن نتحرر ، أليس لدينا من
البيض قدر بما نستطيع أن نعول ؟ ، .

وقد نظر بايارد العجوز ، ذلك المساء ساعة العشاء ، إلى حفيده
عبر الضأن المشوى وقال ، ويل فولز قال لي إنك مررت به فوق تل
ملجأ الفقراء وأنت تجرى بسرعة أربعين ميلا في الساعة ؟ ، .

أجابت مس جيبي على الفور ، أربعين .. هراء ، كانت أربعة وخمسين ،

كنت أرقب . . بايارد ماذا تسميه ؟ عداد السرعة ؟ ،

وقد جلس بايارد العجوز حانى الرأس قليلا يرقب يديه وهما ترتعشان على
سكين القطع والشوكة وأخذ يستمع من تحت الفوطة المثبتة في صدره ، إلى قلبه ،
وقد اصبح إلى حد ما أخف وأسرع قليلا . وهو يحس بعيني من جيني على وجهه .

قالت بجدة « بايارد ، ما هذا الذى على وجنتيك ا ، . فهم على الفور واقفا
لجأة بالطريقة التى أفقدت مقعده توازنه فهوى إلى الخلف بضجة ، ومضى من الفرقة
كالكفيف لا يرى شيئا .

- ٣ -

قالت مس جيني لبايارد العجوز وهى تقرأ صحيفتها ، « أنا أعرف
ما الذى تريد منى أن أفعله ، أنت تريد منى أن أهمل رعاية البيت ، وأن
أقضى كل وقتى فى هذه السيارة . هذا ما تريد منى أن أفعله . حسنا . وأنا لن
أفعل هذا . لإمانع لدى من أن أركب معه من حين لآخر . ولكن لدى
الكثير جدا الذى يشغل وقتى ، ويعنى من أن أضيعه فى رده عن قيادة
هذه السيارة بسرعة كبيرة جدا ، .

وأضافت تقول « وعنى أيضا ، وطلقات جريدها بصوت حاد .

ثم قالت « وبالإضافة ، ، لست غيبيا إلى الحد الذى تعتقد معه أنه سيقود
ببطء ، لمجرد وجود شخص آخر معه . أليس كذلك ؟ إذا كنت تعتقد
هذا فعلا ، فالأفضل لك أن ترسل سيمون معه . الله يعلم أن سيمون
يستطيع أن يستغنى عن وقته . أنا لا أعلم أنه يفعل شيئا منذ أن كفت
عن استخدام العربية ، ومضت تقرأ صحيفتها .

وتساعد الدخان من سيجار بايارد العجوز فى يده الساكنة .

قال « قد أرسل ليزوم ؟ ،

وطقطقت الجريدة في يدها بصوت حاد ، وحملت في ابن أخيها لمدة طويلة ثم قالت ، الله في سمائه يا رجل ، لم لا تضع عليه الأصفاد والأثقال وتنتهي من الأمر كله ؟ .

« حسنا ، ، ألم تقترحي أنت أن أرسل سيمون معه ؟ سيمون لديه عمله الذي يقوم به ولكن كل ما عمله إيزوم إذا عمل شيئاً ، هو أن يسرج حصاني مرة كل يوم ، وأنا أستطيع أن أقوم بهذا بنفسى .

قالت مس جيني . « كنت أحاول أن أمزح . علم الله ، كان على أن أزداد معرفة مع الأيام ولكن إذا كان عليك أن تبتكر شيئاً جديداً ليقوم به السود ، فليكن هذا لسيمون . أنا أحتاج لإيزوم لأحتفظ بسقف هذا البيت فوق رأسك ولتجد شيئاً على المائدة لتأكله . . وطقطقت جريدتها وسألته ، لم لا تتحدث إليه بصراحة وتطلب منه ألا يقود السيارة بسرعة ؟ الرجل الذي يحمي لزاماً عليه أن يقضى ثماني ساعات جالساً على مقعد على باب هذا المصرف ، لا ينبغي أن يضطر إلى قضاء بقية الأمسية هائماً كالشيطان حول المدينة في سيارة ، إذا كان لا يريد أن يفعل . .

سألها ، وهل تجدين ثمة فائدة في أن أطلب منه ؟ الملاعين ، لم يعر أحدهم قط أذناً صاغية لرغباتي . .

قالت مس جيني ، « تطلب ، يا للشيطان . من الذي قال شيئاً عن تطلب . أوامره ألا يفعل . قل له إذا سمعت مرة أخرى عن قيادته هذه السيارة بسرعة فإنك ستنتزع حياته منه . على أى حال ، أنا أعتقد أنك نفسك ترغب في ركوب هذه السيارة ولكنك لا تعترف بهذا . كل ما في الأمر ، أنك لا تريد أن يركبها عندما لا تستطيع أن تصحبه فيها ، ولكن ببارد العجوز كان قد صفق قدميه بالأرض ووقف ، ومضى من الغرفة في خطوات ثقيلة .

وبدلاً من أن يرقى النرج ، سمعت مس جيني خطواته وهي تتلاشى في

نهاية اليوم . وعلى التو ، وقفت وتبعته إلى الغناء الخلقى ، حيث كان واقفا
في الظلام . كان الليل مظلماً فواحاً بروائح الربيع المتداخلة ، وبالحشرات .
وكان الجرن متشاعنا إلى السماء ، كتلة ظلما . ومن ورائها ظلام أرق .

قالت بسرعة وهي تلس ذراعه . لم يعد بعد . كنت سأخبرك . هيا
اصعد الآن ، وعد إلى فراشك . أنت تعرف أنه سيشرق بعودته
عندما يعود . وأنت ، بتصوراتك الخقاء هذه ستلقى به في خيالك ، في مستنقع
بمكان ما ، ثم قالت له برقة أكثر . أنت تفكر في هذه السيارة بطريقة صبيانية
جدا . ليست أكثر خطرا في الليل منها في النهار .

ونثر يدها بعيدا عنه ، ولكنه استدار بخضوع ، ودخل البيت . وصعد
الدرج ، وسمعت وقع قدميه في غرفة نومه . وبعد هنيهة توقف عن صفق
الأبواب والأدراج ، واستلقى تحت مصباح القراءة مع كتاب لدوماس .
وبعد وقت انفتح الباب .

دخل بايارد الصغير ، وجاء إلى دائرة النور وعيناه كشيبتان .

لم يعر جده حضوره اهتماما ، فليس ذراعه . وهنا رفع بايارد العجوز
عينيه ، وعنديها فعل هذا استدار بايارد الصغير وغادر الغرفة .

اعتكف بايارد العجوز في مكتبه ، بعد أن أسدلت الستائر على نوافذ
المصرف في الساعة الثالثة وكان في استطاعة الصراف وكاتب الحسابات وهما
في مكانهما في صالة المعاملات بالبنك ، أن يسمعا من وراء الباب المغلق
وهو يصدم الأشياء من حوله ويصفقها ، ثم توقف الصراف عن العمل ،
وبين أصابعه عدد من النقود الفضية المرتبة بأناقة .

قال « أتسمعه ؟ » ، ثم شيء يشغله هذه الأيام ، اعتاد أن ينتظرهم
في غرفته ، وهو هادئ . كالفأر حتى يحضروا إليه ، ولكنه في الأيام
القليلة الأخيرة ، يدور في الحجرة ، ويصفح الأشياء ، وكأنه يقاتل

حشدا من الزناير ، لم يقل الكاتب شيئا ثم وضع الصراف صف النقود
الفضية جانبا وأخذ في بناء صف آخر ، وقال .

« ثمة شيء في صدره هذه الأيام ، هذا الطبيب ، لا بد أنه قد أسر
بشيء في أذنه على ما أظن . »

لم يقل الكاتب شيئا ولكنه سحب آلة الجمع إلى مكتبه وأعد ذراعها
للعمل ، أما في الغرفة الخلفية فقد مضى بإيارد العجوز يتحرك فيها بضوت
مسموع ، ورتب الصراف ما تبقى من النقود الفضية بدقة ، ثم لف سيجارة .
أما الكاتب فقد انحنى فوق آلة الجمع وهي تطلق بانتظام ولصق الصراف
سيجارته وأشعلها ومضى متباطأ إلى النافذة ، رازح الستار ثم قال « سيمون
أحضر العربية اليوم ، هذا الولد لا بد وقد حطم السيارة أخيراً على ما أظن ،
الأفضل ان تخبز الكولونيل ، »

انزلق الكاتب من فوق مقعده المرتفع وعاد إلى الباب وفتحه ، ورفع إيارد
العجوز عينيه ، وكان جالسا إلى مكتبه وقبعته فوق رأسه .

قال « حسنا يا بيرون ، وعاد الكاتب إلى مكتبه . »

ومضى إيارد العجوز عبر البنك وفتح الباب الخارجي ثم توقف تماما
ومقبض الباب في يده .

سأل سيمون « أين إيارد ؟ »

قال « لن يحضر ، وتقدم إيارد العجوز إلى العربية . »

- ماذا ؟ أين هو ؟

قال سيمون « هو ولإيزوم ذهبا إلى مكان ما في السيارة ، الله وحده
يعرف أين هما الآن . ان يأخذ هذا الولد من عمله في وسط النهار ،
ليركب السيارة ؟ ، ووضع إيارد العجوز يده على مقبض العربية ، وقد برزت

البقعة البيضاء في وجهه مرة اخرى ، ومضى سيمون يقول (بعد كل هذا الوقت الذي بددته وأنا احاول أن أضع شيئاً من التعقل في رأس إيزوم) ، وأمسك رأسي الحصانين مرفوعين إلى أعلى ، منتظراً مخدومه حتى يركب ، وهو يردد ركوب السيارة . . . ركوب السيارة . . .

قال بايارد العجوز . « فلتحل على اللعنة ، إن لم اكن اكد في سبيل انفه جماعة من الخلق صنعها الله . ثمة شيء واحد في هذا الموضوع ، عندما يتحتم على في النهاية ان اذهب إلى ملجأ الفقراء ، فإن كل واحد منكم ايها الملاعين سيكون في انتظارى هناك . »

قال سيمون ، والآن ، هأتت هذا تشاجر أيضا ، مس جيني ظلت تصرخ في حتى من البوابة ، وأنت الآن قد بدأت الشجار فعلا . ولكن إذا لم يدع مستر بايارد هذا الولد وشأنه ، فلن يكون أفضل من أي صبي اسود من اهل المدن ، رغم كل ما أستطيع أن أفعله . .

قال بايارد العجوز ، جيني قد أتلفته بالفعل . حتى بايارد لا يستطيع أن يؤذيه كثيراً . .

قال سيمون موافقا ، قلت الحقيقة بالتأكيد ، وهز الأعنة . هيا ،

قال بايارد العجوز ، سيمون ، اسمع . انتظر دقيقة . .

وشد سيمون أعنة الخيل ، وماذا تريد الآن ؟

واستعادت البقعة التي على وجه بايارد مظهرها المعتاد .

قال له ، عد إلى مكنتي واحضري سيجارا من القارورة التي على الرف . .

بعد يومين ، وإذ هو وسيمون يمضيان يبطء إلى البيت ساعة الأصيل ، وفي نفس اللحظة تقريبا مع رعدما النذر ، انقضت عليه السيارة عند انحناء في الطريق ، ثم انزلت إلى المستنقع وعادت إلى الطريق مرة اخرى واندفعت

مدبرة . وفي اللحظة المبرقة رأى هو وسيمون بياض عيني إيزوم وصف
أسنانه من وراء عجلة القيادة . وعندما عادت السيارة إلى البيت ذلك الأصيل ،
أخذ سيمون إيزوم إلى الجرن وساطه بحزام سرج جلدي .

ذلك المساء ، جلسا في المكتب بعد تناول العشاء . وقد وضع بايارد
العجوز سيجاره غير المشعل بين أصابعه ومضت مس جيني تقرأ صحيفتها ،
وهبت نسائم رقيقة محملة بالربيع .

قال بايارد العجوز فجأة « ربما يسأما بعد قليل ،

رفوت مس جيني رأسها وقالت « وعندما يفعل ، ألا تعلم ما الذي
سيحصل عليه حينئذ ... عندما يجد أن هذه السيارة لا تمضي بسرعة كافية ؟ »
وحلقت فيه عبر جريدتهما ، وقد جلس بسيجاره غير المشعل وقد انحنت
رأسه قليلا ولم يكن ينظر إليها « سيشتري طائرة » .

وطقطقت جريدتها وقلبت الصفحة « ينبغي أن يكون له زوجة » ثم
مضت تقول وهي تقرأ جريدتها « دعه ينجب ولدا ، حينئذ يستطيع أن
يكسر عنقه حالما ، وكلما أراد ذلك . يبدو أن العناية الإلهية لا تعرف العدالة
على الإطلاق ، ثم قالت وهي تفكر فيهما معا ، في شقيقه الميت ، « لكن
الله يشهد ، أنني أكره أن أرى فتاة أحبا ، وهي زوجة له ، وطقطقت
الصحيفة ، وهي تقلب صفحة أخرى « لا أدري ما الذي تتوقعه منه غير
هذا . من أي سارتورس . وأنت لا تضح أمسياتك راكبا معه لمجرد أنك
تعتقد أن هذا سيمنه من قلبها . أنت تذهب معه ، لأنك تريد . عندما تقع
الواقعة ، أن تكون فيها أيضا . ولذا فهل تظن نفسك تحسب للناس حسابا
أكثر منه ؟ »

وكان ممسكا سيجاره ووجهه مازال منكسا . وكانت مس جيني ترقبه من
وراء صحيفتها .

« سأنزل المدينة غدا ، وسنذهب إلى الطبيب ليلق نظرة على هذا الورم
الذي في وجهك ، أسمعني ؟ »

في غرفته ، خلع ياقته ورباط عنقه أمام دولاب ملابسه ذي الأدراج ، وسقطت يده على الغليون الذي وضعه هناك منذ أربعة أسابيع ، ووضع الياقة ورباط العنق جانبا والتقط الغليون وأمسك به ، وأخذ في عرك اتفاحه المتفحم بإيهاه .

ثم غادر الغرفة بهزم مفاجيء وخطا متثاقلا عبر البهو ، حتى نهايته ، حيث يتصاعد درج إلى الظلام . وتحسس بأصابعه مفتاح النور ، وأضاء المصباح ورقى ، وهو يتبع بحذر في الظلام استدارات الدرج الضيقة حتى وصل إلى باب ثبت بزاوية حادة ، وفتحته إلى غرفة عريضة منخفضة السقف تمبقت برائحته الغبار والصمت والأشياء العتيقة غير المستعملة .

انتشرت في الغرفة قطع من الأثاث بلا تمييز - مقاعد وأرائك وكأنها أشباح صابرة تمسك في احتضانه جافة متصلبة أشباحا أخرى ، إنها مكان مناسب للوتى من آل سارتورس ، ليجتمعوا فيه ويتحدثوا فيما بينهم ، عن الأيام السحيقة المجيدة والمفجعة معا ، وقد تراقص الضوء العارى على حبل مفرد هابط من وسط السقف وفك عقده وجره عبر الحجرة إلى مسبار بالمخاطف فوق صندوق خشب وربطه هناك ، وجر مقعبدا إلى الصندوق وجلس .

لم يكن الصندوق قد قتح منذ عام ١٩٠١ ، عندما سقط ابنه جون تحت تأثير الحمى الصفراء وجرح قديم من رصاصة اسبانية . ومنذ هذا التاريخ جاءت مناسبتان ، في يوليو وأكتوبر من العام الماضى ولكن الحفيد الآخر كان ولا يزال يملك الثور وكل تراث الأسرة المشثوم الذى لا يتصور ولذا فقد ترك المناسبتين تمضيان مؤقتا ، متوقعا أن يصيد عصفورين بحجر واحد كما يقولون .

وكان القفل متصلبا ، وحاول بصبر لمدة طويلة أن يفتحه . وانقشر الصدا عنه والتصق بيديه ثم توقف ، وهم وبحث من حوله ، وعاد إلى الصندوق بشمعدان ثقيل من الحديد الزهر ، ضرب به القفل حتى فتحه

واخرجه ، ورفع الغطاء . من الصندوق تصاعدت غلالة رقيقة من عطر
خشب الشربين المنعش ، وشيء آخر ، شذا ، وكأنه رائحة رماد قديم
كرائحة المسك المحملة بركة بالحنين إلى الماضي . وكان أول الأشياء ثوب .
كان النسيج المطرز مطموسا تماما وحرير ميشلان الذي صنع منه أصفر
مغبرا وحائلا وقد فقد معالم نسيجه تماما وكأنه ضوء الشمس في فبراير .
ورفع الثوب بعناية من الصندوق ، فقساقت الدنتلا ناعمة وحائلة وكأنها
نبيذ انسكب على يديه ، ووضعه جانبا ، ثم التقط بعد ذلك سيف طعان
كان من صنع توليدو ، سلاحاً رقيقاً وجميلاً وكأنه نغم ممتد من قوس
كان ، وكان في غمد من المحمل . والغمد أنيق زاخر الألوان ملطخ ، وقد
تشققت حوافه وجفت .

وضع بايارد العجوز السيف بين كفيه هنيئة ، وهو يستشعر ثقله بين
يديه ، كان الأداة التي يعتبرها واحد من آل سارتورس سلاحا مناسباً
لزرع الطباقي في بركة بكر ، هو والكعوب القرمزية وأساور الرسغ المخملية ،
كانت الأدوات التي يشق بها الأرض ويحارب بها جيرانه البسطاء المتسللين .

ووضعه جانبا . ثم جاء بعد ذلك سيف فارس ثقيل ، وصندوق من
خشب الورد يحتوي على غدارتي مبارزة برسوم بارزة من الفضة ، كانت
لها رقة خيل السباق الخداعة وآخر وصفه العجوز فولز بقوله : هذا المدمدم
الأمريكي القصير ، كان شيئاً غليظاً ، شريراً بقصباته الثلاث كل غايته كانت
النفع بشكل فاجر وبيروود ، وكان بين السلاحين كأنه حشرة باردة قاتله ترقد
بين زهرتين .

أخرج بعد ذلك ، قبعة مشاة الجيش في الأربعينات وإناء فخارياً
صغيراً وسكيناً مكسيكية ثقيلة ، وعلبة زيت ذات عنق طويل مما يستعمله
سائقو القطارات . كانت من الفضة وقد حفرت عليها صورة قاطرة بمدخنة
هائلة جرسية الشكل وقد أحيطت بصفائر أنيقة من الورد ومن تحتها الاسم
فرجينيا والتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٨٧٢ .

بمعزم مفاجئ . وضع هذه الأشياء جانباً ثم أخرج الأشياء الأخرى ، ستره الحلف الاتحادي الجنوبي الرمادية الموشاة والزينة بالجدائل . عباءة من المسلمين المشجر يفوح منها بضعف عطر اللاقندر مستثيراً إلى الذكرى ، حفلات رقص أنيقة رسمية دارسة وعطر ياسمين برى يتدافق في لهب الشموع الرصين - ثم جاء إلى حشد من الأوراق المصفرة المربوطة بأناقة في حزم وأخيراً إلى توراة هائلة مغلقة بالبرنز . رفته إلى حافة الصندوق وفتحته كان الورق بنياً ناعماً من فعل السنين ، وكان له مثل ملمس رماد الخشب المندي قليلاً ، وكان كل ورقة منه قد أمسكت إلى بعضها البعض بما عليها من طباعة قديمة حائلة . قلب الصفحات بعناية إلى الحلف حتى الصفحات البيضاء ، وابتدأنا من قرب نهاية الصفحة البيضاء الأخيرة تصاعد عمود من الأسماء والتواريخ ، في بساطة مفاجئة وحائلة ، وهي تفيض رويداً رويداً حيث وضع الزمان عليها آثاره وعند القمة كان وما زال من الميسور تمييزها ، كما كان الأمر في نهاية الصفحة السابقة ولكن في منتصف هذه الصفحة توقفت ومنها حتى نهاية الصفحة كانت بيضاء إلا من آثار الزمن الرفيعة الضعيفة ، وجرة قلم بنية اللون ، هنا وهناك ، جلس بايارد العجوز وقتاً طويلاً يتأمل ألوهية اسم أسرته المتداعية المذهلة ، لقد سخر آل سارتورس من الزمن ولكن الزمن لم يسع للانتقام لأن الزمن أكثر امتداداً من آل سارتورس . والمرجح أيضاً أنه كان غافلاً عنهم . ولكنها كانت على أي حال مجاملة طيبة منه .

قال جون سارتورس ، في القرن التاسع عشر يعتبر علم الأنساب هراء ، وخاصة في أمريكا حيث لا أهمية إلا لما يأخذه الرجل ويحتفظ به ، وحيث لنا جميعاً نسب واحد مشترك ، والبيت الوحيد الذي نستطيع أن نزعّم انتسابنا إليه بأى قدر من الثقة هو سجن أولد بيل . ورغم ذلك فإن الرجل الذي يعلن أنه لا يهتم على الإطلاق بنفسه ليس إلا أقل غروراً بقدر قليل من ذلك الذي يستند في كل أعماله إلى تقاليد الدم . وأنا

أعتقد أن أي سارتورس يستطيع أن يمتلك قدراً محدوداً من الغرور ومن هراء الأنساب هذا إذا أراد .

نعم كانت مجاملة طيبة ، وجلس بإيارد المعجوز يتأمل بهدوء الماضي الذي نطق به تلقائياً كان . . . القدر ، العرافة التي تنبأ بمصير حياته تسترق إليه النظر من وراء حاجز الشجيرات على جانب الطريق ، ماذا لو استطاع التعرف عليها ، ومرة أخرى ، جرى لاهت الأنفاس خلال دغل الشجيرات بينما مضى هزيم فرسه الدخاني اللون مسرعاً في الظلام وانقضت عليه من خلفه مقفلة دورية الياضكي ثم مضت مبتعدة عنه رويداً رويداً وقبع برئتيه المجهدين الكادتين في دغل الورد الوحشي ، يستمع إلى صوت الطراد وهو يندفع مبتعداً - ثم زحف وذهب إلى ينبوع كان يعرفه يتدفق من جذور شجرة زان وعندما انحني عليه ، انمكست على وجهه أضواء النهار الأخيرة مبرزة بشكل حاد الجهة والأنف فوق تجويف العينين العميقين كالكهف ، وأنيابه المكشرة اللاهثة ، ومن الماء الساكن حملت فيه وللحظة مفاجئة ، جججة .

الأخطار التي تهدد مصير الإنسان ولا يمكن النجاة منها . حسناً ، الجنة ، ذلك المكان المزدحم ، يرقد بالضبط وراء أحدها ، هكذا يزعمون . الجنة مملوءة بوم كل إنسان عن نفسه والأوهام المتضاربة عنه والتي تتردد في عقول الأوهام الأخرى . . . وتحرك قليلاً وتهدد بهدوء وأخرج قلبه الحبر ، وفي نهاية العمود كتب .

(جون سارتورس ٥ يوليو سنة ١٩١٨)

وتحتها ، كارولين هوايت سارتورس وولدها ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٨ ، وعندما جف الحبر ، أغلق الكتاب وأطاعه إلى مكانه وأخرج الغليون من جيبيه ووضع في صندوق خشب الورد مع غدارتي المبارزة والغدارة

الأمريكية القصيرة ، وأعاد الأشياء الأخرى إلى أماكنها وأغلق الصندوق وثبته بالقفل .

وجدت مس جيني بايارد العجوز في مقعده المضطجع إلى الخلف بجوار باب البنك . رفع عينيه إليها وهو يتظاهر بحرق بالدخلة ، وبدا صممه أكثر وضوحاً من المعتاد ولكنها أنهضته من مكانه بصراصة باردة ، وتقدمته ، وهو مازال يغمغم ، في الشارع ، حيث تحدث إليها التجار والآخرون وكأنها إحدى ملكات القبائل المقاتلة ، بينما مشى بايارد العجوز بجوارها غاضباً صامتاً وعلى مضض .

ثم استدارا وصعدا درجا ضيقاً محصوراً بين متجرين ، تحت صف من لافتات مغبرة تعلن عن مهن مختلفة . وفي نهاية الدرج كان ممر ضيق وأبواب عدة ، أقربها من خشب الصنوبر ، وقد زال لونه الرمادي من الجزء الأسفل فيه ، وكأنه ركل موارا وفي نفس الارتفاع وبنفس القوة وكان في الباب نفسه ثقبان يبعدان عن بعضهما البعض بوصة واحدة ، ويحملان دليلاً أخرس على السقطة المفقودة ، التي تعلق في قفص القفل المثبت في عضد الباب ، وقد ثبتت في مكانها بقفل جسم صديء من طراز عتيق . وأراد بايارد العجوز أن يتوقف هنا ، ولكن مس جيني قادته بحزم إلى باب آخر عبر البهو .

هذا الباب ، كان حديث الطلاء وكان معرقاً ليبدو كخشب الجوز ، وقد ثبت في نصفه العلوي لوح زجاجي سميك معتم يحمل اسماً في حروف ذهبية بارزة ، وموعدين لساعات العمل . فتحت مس جيني هذا الباب ، وتبعها بايارد العجوز إلى حجرة صغيرة تكاد أن تكون جحراً ولكنها تتميز بعقم سبرطى نظيف . كانت الجدران رمادية حديثة الطلاء لا يشوبها شيء ، وعليها صورة مطبوعة لإحدى لوحات كورو ، ولوحتان عنسكوتيتان من الرسم الدقيق المحفور على النحاس وفي إطارات طويلة ،

وحوت أيضاً بساطاً جديداً في لون برتقالي دافئ ، ومنضدة عارية ،
وأربعة مقاعد من خشب البلوط الغامق - وكلها بلا طابع ونظيفة وغير
مكلفة ، ولكنها تكشف عند النظرة الأولى عن نفسية مالِكها -
- نفسية مقيدة اليوم بالضيق المادي ، ولكنها مصممة - وسيكون ذلك
من نصيبها أن تعمل يوماً بين البسط الفارسية والأثاث الثمين ، ولوحة
واحدة لاتعاب على الجدران الصافية . وقفت امرأة شابة في ثوب أبيض
منشئ من خلف منضدة أصفر حيث استقر عليها تليفون ، وربتت على
شعرها .

قالت مس جيني « ميرتل ، صباح الخير . أخبرني دكتور الفورد أننا
نرغب في رؤيته الآن ، أرجوك » .

قالت الفتاة بصوت آلي تماماً . « أنت لديك موعد سابق ؟ » .

أجابت مس جيني ، « سنأخذ واحداً الآن ، أنت لا تقصدين أن
تقولي إن دكتور الفورد لا يأتي للعمل قبل الساعة العاشرة ؟ »

قالت الفتاة كالبيغاء ، وهي تحملق في نقطة فوق رأس مس جيني ،
« دكتور الفورد... لا... لا يقابل أحداً دون موعد سابق . إذا لم
يكن لديك موعد ، فإن عليك أن تحتجز... » قالت مس جيني
مقاطعة بسرعة ، كفي . أجرى ، وأخبرني دكتور الفورد أن
كولونيل سارتورس يريد أن يراه - هيا ، أنت بنت طيبة ، .

قالت الفتاة مطيعة ، « نعم سيدتي ، مس جيني ، وعبرت الفرقة ،
ولكنها توقفت عند الباب مرة أخرى ومرة أخرى أصبح
صوتها كصوت البيغاء . « ألا تتفضلين بالجلوس ؟ سأرى إن كان الطبيب
مشغولاً . »

قالت مس جيني مكررة بلطف ، « اذهبي أنت وأخبرني دكتور

الفورد أننا هنا . قول له أن على إن أشتري صباح اليوم بعض الأشياء ، وليس لدى ثمة وقت للانتظار .

قالت الفتاة مؤيدة : نعم ياسيدتى ، مس جينى ، واخفت ، وبعد برهة وقورة عادت ، وقد تكلفت أساليب حرقها بإتقان وقالت ، « سيراجما الطبيب الآن . تفضلا أرجوكا ، وفتحت لهما الباب ووقفت جانبا .

أجابتها مس جينى ، « أشكرك ، يا حلوة . أما زالت والدتك فى الفراش ؟

« لا ياسيدتى . إنها تستطيع أن تجلس الآن . شكراً لك ، .
قالت مس جينى « هذا طيب . بايارد . هيا . »

كانت غرفة الطبيب أصغر من الأخرى ، وكانت معقمة بشكل عنيف ، وكان بها صوان ذو طلاء معدنى أبيض ، مملوء بأدوات ثقيله يلمع منها وهج وحشى ومنضدة معدنية للعمليات وصف من الأفران السكرية والمعقات ، وقد انحنى الطبيب على منضدة صغيرة أمامه ، وكان يرتدى سترة بيضاء من التيل ، وللحظة قصيرة لم يدر لايها رأسه المشاغلة بمكر ، ثم رفع عينيه ووقف

كان فى العقد الرابع من عمره . فى سننى الشباب التى لا يمكن تحديدها بالضبط وكان أحد الوافدين الجدد إلى المدينة وابن أخ أحد سكانها القدامى ، وقد حقق تفوقا كبيرا فى مدرسة الطب ، وكان له مظهر حسن ، ولكن كان فيه ثمة نوع من الشعور بالكرامة ، ونوع من الأحكام اليقينة القاسية بالنسبة للإنسان ، الأمر الذى وقف عائقا بينه وبين المودة السهلة التى يتميز بها أهل المدن الصغيرة ، ودفع حتى هؤلاء الذين يذكرونه كصبي زائر ، ان يخاطبوه بدكتور أو سيد . كان له شارب صغير ، ووجه كالقناع - وجه مطمئن ، ولكنه خال من الود . وبينما جلس بايارد المعجوز بسكون مضى الطبيب يتفحص يده بأصابعه الجافة النظيفة البروز الصغير فى وجهه ، وسأله مس جينى سؤالا ، ولكنه تابع باستغراق

استكشافه وكأنه لم يسمع ، وكأنها لم تتكلم ، وقد دفع مصباحا كهربيا صغيراً بعد أن عقمه داخل فم بايارد ، ومضى يضيء وجهه الياقوتى من وراء وجنته ويطفئه ، ثم أخرجه وعقمه مرة أخرى وأعادته إلى الصوان .

قالت مس جيني وقد عيل صبرها ، « حسنا ، ؟ وأغلق الطبيب الصوان بدقة ، وغسل يديه وجففهما وجاء ، ووقف فوقهما ثم علق لهما من جيبي سترته وكأنهما شخصين وبدأ يتكلم برزانة ولنوجة بألفاظ مهنته ، ومضت الكلمات الشديدة تنزل من فوق لسانه باستمتاع ابيقورى بطى .

قال مختبئاً حديثه « ينبغي أن يزال فى الحال . يجب أن يزال وهو بعد فى مرحلة مبكرة . ولهذا فأنا أنصح بإجراء جراحة فورية . »

سألته مس جيني ، أنت تعنى أنه قد يتطور إلى سرطان ؟

« مدام لا يمكن أن يحدث هذا مطلقاً . إنها مسألة وقت . أهمليه ولن أستطيع أن أعدك بشئ . اقطعيه الآن . ولن يعنظر لأن يشغل به مرة أخرى ، ثم عاد ينظر إلى بايارد المعجوز مرة أخرى وهو يتأمله متباطئاً ببرود خفيف ، واستطرد يقول ، « ستكون بسيطة جداً ، سأزيله بمثل هذه السهولة . وأحدث إشارة سريعة بيده .

سأل بايارد « ما هذا ؟ »

« كولونيل سارتورس ، أنا أقول إنى أستطيع أن أقطع هذا الورم بسهولة فلا تحس بما أفعل . »

نهض بايارد بطريقة الخاصة المفاجئة ، وهو يقول ، « فلتحل فى العنة إذا فعلت . »

قالت مس جيني امرأة ، « بايارد ، اجلس . لن يجرى أحد مبعثه عليك دون أن تعرف . هل ينبغي أن تجرى فى الحال ؟ »

« نعم يا سيدتى . لو كنت مكانه لما تركت ذلك الشيء على وجهى ليلة واحدة . وإلا - إذ أنه ليس من العدل ألا أحذرك - فما من طيب يستطيع أن يتحمل مسئولية ما قد يحدث . »

ثم قال وهو ينظر ببرود وتأمل مرة أخرى إلى وجهه بإيارد ، « فى استطاعتى أن أزيله فى دقيقتين ، ثم أدار رأسه جانبا ووقف ينصت ، ومن وراء الحائط الرقيق ، تدفقت إلى الغرفة موجات صوت عريض .

قال الصوت ، « خير يا أختى ، أليس هذا صوت بإيارد سارتورس الذى يسب ويلعن فى الداخل ، ثم أمسك كل من الطيب ومس جينى عن الحديث ، وانفتح الباب ليملؤه أكثر رجال البسطة بدانة . كان يرتدى سترة من النسيج الخفيف فوق صدر وسروال كالغرارة من الصوف الأسود الناعم ومن فوق ثنيات قميصه تدلت طيات لغده فكادت أن تغطى ياقته المنخفضة ، ورباط عنقه الخيطى ، وقد تكلمت رأسه التى تشبه رأس سيناتور رومانى ، بمخصل شعره الأشقر الصاخبة ، وقال وهو يهدر « بحق الشيطان ، ماذا بك ؟ » ثم دخل إلى الحجرة ، فلأها تماما ، وجعل بمن فيها ومن أثارها أقراما .

ذلك كان الدكتور لوشياس كوينتس يبيودى ، البالغ من العمر سبعة وثمانين عاما ، ويزن ثلاثمائة وعشرة أرطال ، ويملك قناة هضمية كقناة حصان . اشتغل بالطب فى الريف عندما كانت عدة الطيب منشارا وجالون ويسكى وقاروة من دهان السكالوميل وكان الطيب الخاص للواء جون سارتورس ، وحتى بعد انتشار السيارة ، كان يخرج فى أية ساعة من ساعات اليوم الأربع والعشرين ، وفى أى جو ، ليقطع أية مسافة ، فوق طرق تكاد أن تكون مسدودة فى عربة متوازنة ولا تتكون إلا من مقعد أو مقعدين فوق عدة ألواح من الخشب مثبتة على عجلتين ، ليعود أى شخص أرسل فى طلبه ، سواء كان أبيض أم أسود ، ويقبل - عادة - كأجر ، وجبة طعام من القمح المسلوق والقهوة ، أو ربما كية صغيرة من

القمح أو الفاكهة ، أو بضع بصيلات زهور ، أو شتلات فاكهة .

حينما كان شابا طائشا احتفظ بكراسة يسجل فيها دخله وما يصرفه يوما بيوم ، واحتفظ بها بدقة شديدة . حتى بلغت أرصده الوهمية عشرة آلاف دولار ، ولكن ذلك كله كان منذ أربعين عاما ، ومنذ ذلك الحين لم يشغل بسجله على الإطلاق ، أما الآن ، فمن حين إلى حين ، يدخل ريفي مكتبه الرث ليوفي نذرا ، لعله احتفال بيوم دخول صاحب النذر الدنيا ، وعد به أبوه أو جده ، الأمر الذي نسي عنه دكتور بيبودى كل شيء منذ زمن بعيد . وما من أحد في المنطقة لم يكن يعرفه ويرسل إليه في عيد الميلاد ، فخذ خنزير ملح ، أو صيدا بريا ، وكان يقال إن في استطاعته أن يقضى بقية أيامه متجولا في الريف ، في عربته ذات المقعد والألواح الخشبية التي كان يستعملها وما زال دون أن يشغل مطلقا بالطعام والسكن ودون أن يصرف بنسا أيضا . ملا الحجرة بإنسانيته الدافئة الصاخبة الساذجة وعبر الحجرة فاهتز البناء كله بوقع أقدامه ، وتقدم من مس جيني وربت ظهرها بيد كالمطرقة الخشبية .

قال : خير يا جيني ، هل توقعين كشفا طبييا على بايارد للتأمين عليه ؟ ، قال بايارد العجوز مشاكسا ، « هذا الجزار اللعين يريد أن يقطع في ، لوش ، تعال واجعلهم يدعونني وشأني » .

قال دكتور بيبودى بصوته الجللج : الساعة العاشرة صباحا ، وقت مبكر جداً للبدء في تقطيع البعض . السود مختلفون . قطع أي أسود في أي لحظة بعد منتصف الليل . ماذا به يا ولدي ؟ ،

قالت مسس جيني « لا أعتقد أنها أكثر من ثؤلول ، ولكنني سئمت النظر إليها » .

قال دكتور الفورد بحفاف « إنما ليست ثؤلولا ، وسرد مرة أخرى تشخيصه بتعبيرات فنية بينما احتوهم جميعا وجود دكتور بيبودى الخبر الطيب .

قال مؤيداً ، ، يبدو الأمر سيئاً جداً ، أليس كذلك ؟ ، ثم هز الأرض مرة أخرى تحت وقع أقدامه ، ودفع بايارد بحزم بيده الهائلة إلى مقعده ، وبالأخرى جر وجهه إلى النور . ثم استخرج من جيب سترته نظارة ذات إطار حديدي ولخص وجه بايارد ، وقال ، ، تعتقد أنه من الواجب اقتطاعه ، أليس كذلك ؟ ،

أجاب دكتور الفورد ببرود ، أنا أعتقد هذا . أنا أعتقد أنه لا مناص من اقتطاعه . لا ضرورة له هناك . سرطان . ،

قال دكتور بيبودى بحفاف ، ، عاش الناس زمناً طويلاً مع السرطان قبل أن يخترعوا السكاكين . بايارد ، لا تتحرك . ،

والناس من أمثالك هم أحد الأسباب . كانت العبارة على طرف لسان الرجل الأصغر ولكنه أمسك ، وقال بدلاً من ذلك ، كولونيل سارتورس ، أنا أستطيع أن أستأصله في دقيقتين . ،

انفعل بايارد بعنف وقال ، وهويهم واقفاً ، ، أكون ملعوناً إذا تركتك تفعل ، لوش ، قف جانبا ،

قال دكتور بيبودى بهدوء ، وقد أمسك به في مقعده ، لا تتحرك - ومضى يتفحص الورم - هل يسبب لك أى ألم ؟ ،

، لا . أنا لم أقل قط إنه يسبب لي أى ألم . فلتحل على اللعنة . . . ،

قال دكتور بيبودى ، المرجح أن تحمل بك اللعنة على أى حال . ستكون في مثل حالك الآن إذا مت . لا أعرف شخصاً يأخذ من حياته من المتعة والتسلية أقل مما تفعل . ،

قالت مس جيني وهي تؤيده ، دقلت الحقيقة لأول مرة . إنه أكبر سناً من عرفت في حياتي على الإطلاق . ،

ومضى دكتور بيبودى يقول ببساطة ، وعلى ذلك فلا تشغل به . دعه
يبقى مكانه . ما من أحد يعنيه شكل وجهك . لو كنت شابا فتيا ، تخرج
لتكهرب الفتيات كل ليلة .

قال دكتور ألفورد مقاطعا ، إذا كان قد سمح لدكتور بيبودى أن يتدخل
دون أن يتحمل أى نتائج . . .

قال بايارد ، ويل فولز يقول إنه يستطيع أن يعالجها ،

قال دكتور بيبودى بسرعة ، بدهانه الخاص هذا ؟ ،

قال دكتور ألفورد ، دهان ؟ ، كولونيل سارتورس إذا سمحت لآى
دجال يمر بك ، أن يعالج هذا الورم بأدوية مصنوعة فى الريف ،
أو خاصة به ، ستكون ميتا خلال ستة شهور ، ثم استطرد يقول بسخرية
، حتى دكتور بيبودى سيؤيدنى فى هذا . .

قال دكتور بيبودى ببطء ، لا أدرى ، لقد فعل ويل أشياء عجيبة
بدهانه هذا . .

قال دكتور ألفورد ، سيتختم على أن أحتج على هذا . مسز دوبرى ،
أنا أحتج ضد رجل من مهنتى . يجيز ، ولو بطريقة سلبية ، مثل هذه
الطريقة ، قال دكتور بيبودى ، مهلا يا ولدى . ان نسمح لويل أن يضع
عقاقيره على تؤولول بايارد ، إنها تصلح للسود والماشية ولكن بايارد ليس
فى حاجة إليها سندع هذا الشيء وشأنه ، طالما أنه لا يؤله . .

قال دكتور ألفورد ، إذا لم يستأصل هذا الورم فوراً ، فأنا انفض
يدى من كل مسئولية . إهماله أمر مبيت تماما كدهان مستر فولز . مسز دوبرى
أنا أطلب منك أن تشهدى أن هذه الاستشارة قد انخرقت إلى هذا الاتجاه
الخطأ . ، بلا خطأ منى ، ورغم احتجاجى . .

قال دكتور بيودي « اهدأ يا ولدي ، هذا لا يستحق الجهد الذي يبذل في استئصاله . سننقذ لك ذراعا أو ساقا بمجرد أن يقلب به ذلك الحفيد الأحمق سيارته .. بايارد ، هيا معي ،

وبدأ دكتور ألفورد يقول ، « مسر دوبرى ،

وربت دكتور بيودي كتف الرجل الأصغر بيده الثقيلة وهو يقول « يستطيع بايارد أن يعود إذا شاء ، سأخذه إلى مكنتي وأتحدث معه قليلا . تستطيع جيني أن تعود به إلى هنا ، إذا أرادت . بايارد ، هيا ، وقاد بايارد المعجوز من الغرفة . ووقفت مس جيني أيضا .

قالت « هذا الرجل لوش ، لا يقل غباء وتخلنا عن المعجوز ويل فولز يرهقنى العجائز إلى درجة المسوت . انتظر أنت ، سأحضره إلى هنا ، وسنتهى من هذا الأمر ، .

فتح دكتور ألفورد الباب لها ، ومضت من الغرفة فى غضب مكبوت مغلف بالحرير ، ولحقت بابن أخيها عبر المر ومن خلال الباب المشوه وقلبه الصدى . إلى غرفة تشبه نموذجاً مصغراً لدمار أحداثه عاصفة جبارة ، خففت من شدته أتربة عتيقة لم يزجج من أمرها أحد .

سأحت مس جيني ، « أنت . لوش بيودي .»

قال دكتور بيودي « جيني ، اجلسي ، لا تتكلمى - بايارد ، فك أضرار قبصك ، .

سأل بايارد المعجوز بشراسة « ماذا ؟ ، ودفعه الآخر على مقعد .

قال موضحاً . أريد أن أرى صدرك ، وعبر الغرفة إلى مكتب قديم ذى حصيرة على وجهه ، ونبتش بين المهملات المغبرة المنتشرة عليه . كانت هناك مهملات وأزبة فى كل مكان من الغرفة الهائلة . وكانت نوافذها الأربع تفتح على الميدان ، ولكن أشجار الدردار والجيز التى اصطفت

على جوانبه ظلت مكاتب الطابق الأول ، ولذا ، فقد كان يدخلها الضوء ، ولكن مخففاً ، كضوء تحت ماء . وفي أركان السقف كانت شبك العنكبوت سميكة وثقيلة كطحلب أسباني ، قنطرة كالدنقلا القديمة . أما الجدران التي كانت يوماً بيضاء . فقد أصبحت سنجابية قنطرة إلا من مربع هنا وهناك أخف لونا ، حيث ثبت فوقه ذات يوم تقويم عتيق ثم أزيل . وبالإضافة إلى المكتب ، فقد احتوت الغرفة أيضاً ثلاثة أو أربعة مقاعد غير متشابهة وفي مراحل مختلفة من الانحلال ، وموقد صديء في صندوق مملوء بنشارة الخشب ، وأريكة جلدية ، تجدد في صمت بين زبركاتها المحطمة شكل جسم دكتور بيودي عندما يستلقي عليها ، وبجوارها عدد من الروايات الرخيصة ذات الأغلفة الورقية الكالحة ، وقد أخذت طبقات متوالية من الأتربة تراكم على سطحها ببطء . كان هذا هو مكتب دكتور بيودي ، وكان يقضى ساعات عمله على هذه الأريكة ، وهو يستعيد قراءتها مراراً وتكراراً . أما غيرها من الكتب فلم يكن يوجد على الإطلاق .

أما سلة المهملات بجوار المكتب ، والمكتب نفسه ، والرف فوق المدفأة المملوءة بالقمامة والنوافذ أيضاً ، فقد انتثر عليها جميعا مطبوعات دورية ومصورات إعلانية ونشرات حكومية من كل نوع . وفي أحد أركان الغرفة كان مبرد ماء قنطرة من الزجاج المؤكسد فوق صندوق مقلوب وفي ركن آخر كانت حزمة من قصبات الصيد ، وقد مالت تحت تأثير ثقلها ، وفوق كل سطح أفقي استلقت مجموعة من الأشياء التي لا توجد إلا في متجر سلع قديمة - ملابس قديمة ، زجاجات ، مصباح كيروسين ، صندوق خشبي معبأ بصفائح دهن الشحم وينقصه صفيحة ، ساعة في إطار من الصيني على شكل نبات شب النهار ، وقد استندت إلى أربع صبايا كملت هاماتهن بالزهور ، وأصين بكوارث عضوية متعددة ومثيرة للدهشة هنا وهناك ، وبين أشياء متربة اختلطت بلا تمييز ، أدوات مختلفة تتصل بمهنة المقيم في الغرفة . كان دكتور بيودي يبحث عن

إحدى هذه الأدوات فوق مكتبه التي تناثرت عليه الأشياء ، والذي استقرت عليه صورة شمسية واحدة في إطار خشبي ، ورغم أن مس جيني قالت له مرة أخرى ، أنت . لوش بيبودى أنصت إلى ، فقد مضى يبحث عنها بهدوء مهذب وبغير عجلة .

قالت مس جيني لابن أخيها أمرة ، أنت ، سو ملابسك ، وسنعود إلى ذلك الطيب . لا أنت ولا أنا نستطيع أن نضيع مزيداً من الوقت مع أحق عجوز مخرف ، .

قال دكتور بيبودى مكرراً ، « جيني ، اجلسي ، وسحب درجا وأخرج منه صندوق سيجار ، وملا يده من الشصوص المصنوعة على هيئة الأسماك الصغيرة ، وقد حال لونها وبنيقه قدره ، وأخيراً سماعة ، ثم التي الأشياء في الدرج ، وأغلقه بركبته .

جلست مس جيني في ثوبها الأنيق ، وهي تتفجر غيظاً بينما كان دكتور بيبودى ينصت إلى قلب بايارد العجوز .

قالت ، « حسنا ، هل تخبرك عن طريقة إزالة هذا الثؤلول من فوق وجهه ؟ لم يحتج ويل فولز لأي تليفون ليعرف هذا ، .

قال دكتور بيبودى ، « إنها تخبرني عما هو أكثر من هذا . إنها تخبرني عن الطريقة التي ستخلص بايارد العجوز من متاعبه كلها ، إذا أصر على المضي في ركوب سيارة ذلك الطائش ، .

قالت مس جيني « هراء ... بايارد سائق جيد . لم أركب أبداً مع خير منه ، .

قال ، يحتاج الأمر لأكثر من سائق جيد ، ليحافظ على هذا ، ودق على صدر بايارد بأصبعه الغليظ ، وقال « سيتوقف ، إذا دار هذا الولد بذلك الشيء في انحناء أو انحناءين كما رأيتَه يفعل ، .

سألته مس جيني ، هل سمعت عن أي سارتورس مات بعلة طبيعية كأي شخص آخر ؟ ألا تعلم أن هذا القلب ان يختطف بايارد قبل أن تحين ساعته ؟ ، ثم قالت لابن أخيها ، أنت انقض من مكانك وتعال معي ، وثبت بايارد أزرار قيضه . وجلس دكتور بيبودي على الأريكة يرقبه بهدوء .

قال فجأة ، ، بايارد ، لم لاتبق بعيداً عن هذا الشيء اللعين ، ؟ ،

قال بايارد ، ، ماذا ؟ . .

« إذا لم تبق بعيداً عن هذه السيارة فلن تحتاج إلى أو إلى ويل فولز ولا إلى ذلك الولد وكل مباحه المغلية . .

وسأله بايارد العجوز ، ، وما شأنك أنت ؟ ، بحق الله ، ألا أستطيع أن أكسر عنقي بسلام إذا شئت ؟ ، ووقف وكان يرتعد وقد ثار غيظه وتعثرت أصابعه بين أزرار صدره ووقفت مس جيني واتجهت إليه لتساعده ولكنه أزاحها بعنف ، وجلس دكتور بيبودي بهدوء ، وهو يدق بإصبعه الغليظ ركبته السمينة . قال بايارد العجوز ، عشت فعلا أكثر مما ينبغي . أنا أول من أعرفهم بمن يحملون اسم أسرتي ويرون الستين . أحسب الله يحتفظ بي لأرى بعيني كشاهد يعتمد عليه فناءهم جميعا . .

قالت مس جيني ببرود تلجي ، ، والآن لقد أقيت خطبتك ، وضيع لوش بيبودي الصباح عليك ، وعلى ذلك ، أظننا نستطيع أن نخرج ، ونضع لوش يخرج أيضا ، ليعالج البغال مدة من الزمن ، وأنت تستطيع أن تتسكع هنا بقية اليوم ، وتجتر شعورك بالأسف على نفسك ، فذلك ما يفعله أحد أفراد أسرة سارتورس . . لوش ، سعدت صباحاً ،

قال دكتور بيبودي ، ، جيني ، دعيه يدع هذا الشيء وشأنه . .

« ألا تنوي أنت وويل فولز علاجه له ؟ ،

قال دكتور بيبودي مكرراً بهدوء ، ، لا تدعيه يسمح لويل فولز أن

يضع أى شىء عليه . إنه على ما يرام . كل ما عليك هو أن تدعيه
وشأنه . .

قالت مس جيني . سذهب إلى طبيب . هذا ما سنفعله . هيا . .

عندما أغلق الباب ، جلس الطبيب دون حراك وسمعها من ورائه وهما
يتشاجران ثم تحركت أصواتهما عبر المرر متجهة نحو الدرج ، وقد ارتفع
صوت الشجار ، وكان صوت بايارد حادا مملوءا بالسباب ، ثم غاضت
الأصوات واستلقى دكتور بيبودى على الأريكة ، التي تشكلت بالفعل على
جسمه ، ومد يده بطريقة عشوائية متباطئة ، والتقط إحدى الروايات
المثيرة الرخيصة من كومة الكتب بجوار مقدمة فراشه .

-- ٤ --

إذ كانا يقتربان من البنك ، جاءت ناريسيا بنبو من الاتجاه المضاد ،
والتقوا عند الباب حيث أثنى على مظهرها ثناء عريضا ، وهي واقفة في
نورها شاحب اللون ، وهتف صوتها العميق بشىء في صميمه ، ثم جلس على
مقعد المائل وتبعتهما مس جيني إلى داخل البنك حتى الصراف . لم يكن في
تلك اللحظة ، ثمة أحد وراء الحاجز عدا الكاتب الذى ألقى عليهما من
فوق كتفه نظرة سريعة متلصصة ، ثم نزل من فوق مقعده العالى وتقدم
من النافذة ، ولكن دون أن يرفع عينيه إليهما مرة أخرى .

أخذ إذن الصراف من ناريسيا ، وبينما مضت تنصت إلى رواية مس
جيني عن غياب الرجال وعنادهم كما يظهر عند بايارد وبيبودى ، لاحظت
الشعر المائل للاحمرار الذى يغطى ذراعيه حتى الفقرة الثانية من أصابعه ،
ولاحظت أيضا باشمزاز خفيف وإن يكن ملحوظا ، ودهشة محدودة ،
ذلك أن الجو لم يكن دافئا بشكل خاص ، إن يديه وذراعيه كانتا مكسوتان
بقطرات من العرق .

ثم أصبحت نظرتها جوفاء ، وأخذت أوراق النقد التي دفعها إليها

الصراف من تحت الحاجز وفتحت خفيتها ومن داخلها المظلف بالحريز
اللامع أطل لجأة غلاف وبعض ما عليه من كتابة ، ولكنها دفعت
بسرعة بعيدا عن الأنظار ، ووضعت النقود في الخفية وأغلقتها وعادنا
وما زالت مس جيني تتكلم وتوقفت مرة أخرى عند الباب وهي مازالت
مغلقة في هدوءها بينما مضى بإيارد العجوز بضايقتها بشدة حصول بعض
المشكلات العاطفية الوهمية التي كانت تدمها بالموضوع الوحيد للحدث بينهما ،
وهي تهتف بوقار في دورها في أذنه ثم مضت تحيطها الطمانينة وكأنها
روح مرئية أو عطر ، أو صوت .

ظل السكائب في مكانه من النافذة ، وهي على مرأى منه .

كانت رأسه مخنية ، ورسمت يده على الورقة سلسلة من الأشكال الأنيقة
التي لا معنى لها ثم مضت واختفت عن الأنظار . وتحرك ، وإذا فعل ،
لاحظ أن الورقة قد التصقت برسغه الرطب ، ولذا تحركت ، عندما تحرك
ذراعه ثم تحررت بفعل كتلتها وسقطت على الأرض .

بعد أن أغلق سنوبس المصرف أصيل ذلك اليوم عبر الميدان ودخل
شارعا واقرب من بيت مربع البناء . ذى شرفة مزدوجة . انطلقت منها في
الأصيل أصوات ناشرة نائمة من آلة صوتية رخيصة ودخل .

كانت الموسيقى تفيض من الحجرة التي على اليمن وإذا عبر بابها رأى رجلا
بقميص بلا بنية جالسا على مقعد واحد قديمه في جوربها على مقعد
آخر . كان يدخن غليوننا انتشرت رائحته السيئة إلى آخر البهو ، كانت
رائحة الصابون الرطبة الشديدة تفوح أيضا من البهو ولمع بساط الشمع
وكان بعد مبللا . ومضى واقرب من صوت نشاط غليظ منتظم وأقبل على
امرأة في ثوب رمادي لاشكل له . توقفت عن المسح ونظرت إليه عبر
كثفها الرماديتين وهي تدفع شعرها المسترسل من فوق حاجبيها
بذراع محقنة .

قال سنوبس : مس بيرد ، مساء الخير ، ألم يعد فيرجيل إلى البيت بعد ؟

قالت ، : لمحتبه مارا هنا منذ دقيقة . إذا لم يكن في الخارج أمام البيت . ربما أرسله أبوه في مهمة . مستر بيرد مريض بفخذه مرة أخرى . لعله أرسل فيرجيل في مهمة . ، وتسافط شعرها المسترسل أمام وجهها مرة أخرى ، فأزاحت بعيدا بحركة عنيفة ، وسألته ألدريك مزيد من العمل له ؟ ، نعم سيدتي . ألا تعرفين في أى اتجاه ذهب ؟ .

و إذا لم يكن مستر بيرد قد أرسله إلى أى مكان ، فربما يكون خلف البيت . إنه لا يبتعد كثيرا عن البيت ، عادة ، ومرة أخرى أزاحت شعرها جانبا ، كانت عضلاتها التي تشكلت منذ زمن طويل لتلائم العمل ، مسترخية في حالة راحة . ثم قبضت على المسحاة مرة أخرى .

ومضى سنوبس وتوقف عند باب المطبخ فوق مساحة صغيرة مسورة ، وعارية من الحشائش وتحوى بيتا للدجاج ، كان عاريا أيضا من الحشائش وفيه عدة دجاجات ، تكأ كأت على بعضها البعض أو عشت في الأتربة في استغراق يائس ، وعلى أحد الجانبين ، كانت حديقة مطبخ صغيرة تتكون من صفوف منظمة معنى بها من النباتات . وفي ركن الساحة كان ثمة كوخ من الألواح التي عراها الجو .

صاح : فيرجيل ، . كانت الساحة خواء وبها أشباح ، أشباح الحشائش التي لم يشجع على نموها ، وأشباح الطعام في شكل علب فارغة من الصفيح ، وصناديق وبراميل محطمة ، وكومة من خشب المواقد ، ولوحة تهريم ، استقرت على عرضها فأس أصلحت ذراعها بطريقة لا خبرة فيها ، بأسلاك صدئة طويت عليها . ثم نزل الدرجات ، وصاحت الدجاجات بأصوات غير متوافقة ، وهي تتوقع طعاما .

« فيرجيل » .

وجدت العصافير ثمة طاماماً من نوع ما في الأتربة بين الدجاجات ، ولكن الدجاجات نفسها ربما بمعرفة سابقة بخيبة الأمل ، والهلاك القريب ، تجمعت حول السلك وهي تقترب وتتعد ، متنافرة شاردة الفكر ، ومضت ترقبه بعينين طامعتين لحوحتين . وفي اللحظة التي استدار فيها ليدخل المطبخ ظهر الصبي بسكون وبراعة من الكوخ ، كان شعره في مثل لون التبن وعيناه رقيقتين وكان فيه شاحباً يكاد أن يكون حلواً ، ولكن تحوط ركنيه الأسرار . وكانت ذقنه غير واضحة .

« مستر سنوبس ، أنت تناديني ؟ »

أجاب سنوبس : « نعم إن لم تكن تؤدي عملاً معيناً »

قال الصبي . لا . أنا لا أفعل شيئاً ، دخلا البيت وعبرا الغرفة حيث كانت المرأة تعمل بغضب جنوني مكظوم ، ورائحة الغليون وترديد الحاكي الكتيب يملآن البهو ، وصعدا الدرج المغطى كذلك بالمشمع المثبت إلى كل درجة ، بشريط من الحديد المطلي حتى يشبه البرونز ، وقد تشوه وتخدش بالأقدام الثقيلة . كان يحد البهو العلوي صفان متماثلان من الأبواب فتحا أحدهما ودخلا .

كانت الغرفة تحوى فراشاً ، ومقعداً ، ومنضدة ارتداء الملابس ، وحوضاً للاغتسال ودنا لجمع الماء المنسكب بجواره . وكانت الأرض مغطاة بحصيرة من القش تهرات في أماكن عدة وقد تعلق المصباح الوحيد دون غطاء من سلك أخضر بني ، وعلى الجدار فوق المدفأة المملوءة بالورق المهمل صورة مطبوعة بالألوان داخل إطار ، لعذراء هندية في فراء ناصع لظي وحشي تتحنى وتديها عاريان على مشهد إيطالي تقليدي لبحيرة صغيرة رخامية يسطع عليها ضوء القمر ، وكانت تقبض على قيثارة ووردة ، واستقرت العصافير على حاجز النافذة ومضت ترقبهما بانتباه من خلال الستائر المغبرة .

دخل الصبي الغرفة مستحيماً . واحتوت عيناه الشاحبتان الغرفة ومحتوياتها
بنظرة واحدة مدركة . قال « بندقية الهواء تلك ، لم تصل بعد يا مستر
سنوبس ، أليس كذلك ؟ »

أجاب سنوبس « لا ، لم تصل ، ومع ذلك ستكون هنا قريباً . »
« مضى وقت طويل منذ أن طلبتها ،

« هذا صحيح ، ولكنها ستكون هنا قريباً . ربما لا يجدون واحدة
منها الآن في المخزن ، ومضى إلى الصوان وأخذ من درج فيه بضع أوراق
في حجم الفولسكاب ، وضعها على الصوان وجر مقعداً إليه ، وسحب
حقيبة ملابسه ومن تحت الفراش ووضعها على المقعد ثم أخرج قلبه الجبر
من جيبه راعده للكتابة ووضعها بجوار الورق ، وقال « لا بد أن تصل
في أية لحظة . »

جلس الصبي على الحقيبة وأمسك بالقلم ، وقال مقترحاً ، « لديهم
بنادق هواء في مخزن واتس لأدوات العمارة . »

قال سنوبس ، « إذا لم تصل البندقية التي طلبناها سريعاً ، فنشتري
واحدة من هناك على أي حال ، متى طلبناها ؟ » .

قال الصبي بسرعة « أسبوع سابق قبل يوم الثلاثاء الماضي . أنا
سجلت التاريخ عندي .. حسناً .. ستكون هنا قريباً . أنت مستعد ؟

نشق الصبي جلسته أمام الورق وقال « نعم ياسيدى ، وأخرج سنوبس
ورقة مطبقة من جيب سرواله العلوي ، ونشرها .

قرأ هذه الكلمات ورقم الرسالة ثمانية وأربعون . مستر جوبتير ، سانت
لويس ، ميسوري ، ثم انحنى على كتف الصبي ليرقب القلم « هذا حسن .
قريباً جد من قمة الورقة ، والآن ، وترك الصبي ما يقرب من بوصتين ،
ومضى يكتب ، وسنوبس يقرأ بخطه المدرسي المنظم ، متوقفاً من لحظة
إلى أخرى ، ليسأل عن هجاء كلمة .

« فكرت مرة أن أحاول أن أنساك . ولكنني لا أستطيع أن أنساك لأنك لا تستطيعي أن تنسيني . رأيت خطابي اليوم في حقيبة يدك . كل يوم أستطيع أن أمد يدي وأمسك وأنت لاتعرفين . فقط أراك وأنت تمشين في الشارع لأعرف ما أعرفه وما تعرفينه . يوما ما سنعرف معا عندما نعتادين عليها . أنت احتفظت بخطابي ولكنك لاتجيبين عليه . هذه علامة طيبة ، أنت لا ... ، وقد وصل الصبي إلى نهاية الصفحة ، فسحبها سنوبس ، تاركا الأخرى معدة . ومضى يقرأ في صوته الرتيب ذي الطنين « تنسيني وإلا فلن تحتفظي بها . أنا أفكر فيك في الليل ، الطريقة التي تمشين بها في الشارع وكأنني « حل . أنا أستطيع أن أقول لك شيء ، يشير دهشتك أنا أعرف أكثر من أن ألحظك وأنت تمشين في الشارع بملابسك . سأفعل يوما ولن تدهشي حينئذ أنت تبرى بي ، وأنت لاتعرفين وأنا أعرف . ستعرفينها يوما ما ، لأنني سأخبرك ، والآن « ونزل الصبي إلى نهاية الصفحة ، الملخص لك هال واجزر . رقم الرسالة أربعة وعشرون ونظر من فوق كتف الصبي ، وقال هذا حسن . وجفف الصفحة الأخيرة وأخذها هي الأخرى ، وأغلق الصبي القلم ودفع مقعده إلى الخلف ، وأخرج سنوبس كيسا ورقيا صغيرا من سترته أخذ الصبي برزاقه وهو يقول « أنا مدين لك يا مستر سنوبس ، وقتح الكيس ونظر داخله ، وقال « من الغريب ألا تصل بندقية الهواء . »

قال سنوبس ، « بالتأكيد أنا لا أدرى لم لاتصل ،

قال الصبي مقترحا « ربما تكون قد فقدت في البريد . »

قال سنوبس ، « ربما أظن هذا هو ما حدث لها سأذهب إليهم غدا مرة أخرى . »

وقف الصبي ، ولكنه ظل مكانه بشعره الشاحب البني اللون ووجهه الرقيق البريء . وأخذ من الكيس قطعة من الحلوى وأكلها ببرود . وقال

و أحسب من الأفضل أن أخبر بابا ليذهب إلى مكتب البريد ويسأل
إن كانت قد فقدت .

قال سنوبس بسرعة « لا . أنا أنصحك ألا تفعل . عليك أن
تنتظر . سأولى أنا هذه المسألة بالتأكيد . »

و بابا لن يرفض ، سيذهب إليهم بمجرد عودته إلى البيت ويتولاها .
أراهن أنه في استطاعتي أن أجده الآن وأطلب منه أن يفعل
هذا .

قال سنوبس ، « لن يستطيع أن يفيدك بشيء . أترك المسألة لي .
سأحصل لك على هذه البندقية بالتأكيد . »

قال الصبي مصرا « في استطاعتي أن أقول له إنني كنت أعمل لك .
أنا أذكرها تلك الخطابات . »

و لا . لا . انتظر ودعني اهتم بها . سأهتم بها أول ما سأفعله صباح
الغد ، قال ، الصبي « وهو كذلك يا ماستر سنوبس ، وأكل قطعة أخرى من
الحلوى دون حماسة وتحرك متبجها نحو الباب وقال ، « وأنا أذكر كل
واحد من هذه الخطابات . أراهن أنني أستطيع أن أجلس وأكتبها كلها
من جديد . أراهن أنني أستطيع . ماستر سنوبس ، بالمناسبة ، من هو هال
وأجر ؟ هل يقيم في جيفرسون ؟ »

« لا . لا أنت لم تره فقط . إنه لا يأتي إلى البلدة إلا نادرا .
وهذا هو سبب قيامي بأعماله هنا . سأهتم ببندقية الهواء هذه . »

فتح الصبي الباب ، وتوقف مرة أخرى « عندهم بندق هوا في مخزن
واتس . بندق جيدة وأنا أرغب بالتأكيد في الحصول على واحدة منها .
نعم ياسيدي بالتأكيد أرغب . »

قال سنوبس مكرراً « بالتأكيد ، بالتأكيد . بندقيتنا ستكون هنا

غداً . عليك فقط أن تنتظر . ساهتم بالأمر حتى تحصل على تلك
البندقية .

رمضى الصبي . وأغلق سنوبس الباب ، ولبهمة قصيرة ظل واقفاً
بجواره ورأسه محية ، ويداه متشابكتان وتتصارعان ببطء معا . ثم أخذ
الورقة المطبقة وأحرقها على الأرض وسحق الرماد المتفحم بجذاه به حتى أصبح
هباء ، ثم قطع بالسكين العنوان من قمة الورقة الأولى والتوقيع من نهاية
الورقة الثانية ، وطبقهما ووضعهما داخل غلاف رخيص وأغلقه ووضع
عليه طابع بريد ، وأخرج قلبه ، ويده اليسرى كتب عليه العنوان
بحروف مستقيمة كحروف الطباعة . وفي ذلك المساء أخذه إلى المحطة
ووضعه في بريد القطار .

وفي أصيل اليوم التالي قتل فيرجيل بيرد ببغاء كان يغني على شجرة
المشمس القائمة في الركن بجوار مبيت الدجاج .

- ٥ -

كان في استطاعة سيمون وهو يتجول أثناء النهار حول البيت ، أن
يتطلع من حين إلى حين عبر الساحة الخالية إلى المرعى ليرى خيل العربية
وهي تصبح ، يوماً بعد يوم ، أكثر رثانة ، وأقل زهواً بفعل التعطل
وانعدام العناية اليومية بها ، وقد يمر بالعربية الساكنة بلا حراك تحت
مظلتها ولسانها تمتد بزاوية تدينه بالانهم ، وفي غرفة السرج كان المعطف
والقبعة البالية وقد تراكم الغبار فوقها وهي على مسأرها في الخائط ، كانت
تمسك في انتظارها الصامت بسؤال صابر متمثل ، وأحياناً أخرى ، كان
يقف رث الثياب ، محني الظهر قليلاً ، بفعل الحيرة العنود والشيخوخة ،
على الشرفة بورودها العتيقة وزهور الويسترنا ، ووقارها العريض الراسخ ،
ليرقب آل سارتورس وهم يجيشون ويذهبون في آلة أي سيد من جيله كان
يزدرها ، وفي استطاعة أي معوز أن يمتلكها ، وأي أحق أن يركبها
(١٠ - ٢)

بدلامنه وكان جون سارتورس يقف بجواره بوجهه الملتحي الصقري ورسم
الازدراء النبيل المتكبر على وجهه .

وإذ كان يقف هكذا والأصيل ينحدر بعرض الطرف الجنوبي للفناء ،
وعطور الربيع المتقدم بحشودها الطائشة ، وطنين الحشرات الوسنان ،
وغناء الطيور الشادي بانظام ، كان يغمغم بكلام رتيب كأنه غناء فيه
الغموض والاستجداء والعمداء وكان في استطاعة إيزوم الواقف في الظل
الرطب داخل الباب أو عند ركن البيت أن يسمعه . كان ينسحب حينئذ
إلى المطبخ حيث تكبد أمه بوجهها الهادي الأصفر وغنائها الحزين الذي
لا يتهى .

قال لها إيزوم ، بابا في الخارج يتكلم هناك مع السيد العجوز مرة
أخرى . أعطني ثمار البطاطس الباردة هذه .

وسألته النورا وهي تعطيه البطاطس ، ألم تكلفك مس جيني بأن
تعمل شيئاً ؟

لا . خرجت في السيارة مرة أخرى .

من نائم الله أنك لم تذهب معها كما تفعل كلما سمح لك مستر بايارد
والآن اخرج من مطبخي أريد أن أسمح الأرض ولا أريد أن تترك عليها
آثار قدميك .

كثيراً ما كان إيزوم يسمع جده في تلك الأيام وهو يتحدث إلى جون
سارتورس ، وهو ماض في عمله في الإسطبل أو في أحواض الزهور
أو في المرج ، يغمغم بكلمات إلى ذلك الظل المتعجرف الذي تسلط على
البيت والحياة التي كانت تسعى فيه وعلى المشهد العريض ذاته الذي يخترقه
خط السكة الحديدية وهو يتضائل في الأفق البعيد إلا أنه كان جلياً في
تمثيله الدقيق للحقيقة الكبرى . كأنه كان مسرحاً نصب لتسلية ذلك الذي
امتدكه الحلم العنود ، وسخر منه بطرق ماكرة ملتوية حينما كان الحلم نفسه

دنسا . لقد تجسم الحلم بعد ذلك وأصبح صافيا وجميلا ، حينما ظهر الحالم نفسه من غلظة الكبرياء وفظاظة الجسد .

غمغم سيمون قائلا ، ركائب السادة ، ، كان مشغولا مرة أخرى بفأسه في حوض السلفيا عند نهاية المر ، يركبون ذلك الشيء ، وركوبة السادة الأصيلة ، يأكلها العطب والدمار في الجرن ، ، لم يكن يفكر حينئذ في مس جيني . ولم تكن ثمة أهمية لما تركبه النساء ، طالما كان رجالهن يسمحون بذلك . هذا وإن كن يسهمن في استعراض عربات السيد . كن مقياسا حساسا للبيت كله ، المرأة التي تعكس السادة ، والخيل نفسها كانت تعرف هذا ، ابنك نفسه ، وحفيدك التوأم نفسه ، يركبون وأمامك أنت نفسك مثل هذه الآلة العجيبة ومدى يقول ، وأنت تسمح لهم أن يفعلوها ، أنت سيء مثلهم . فما عليك إلا أن تأمرهم ، أيها السيد جون إن كل هذه الحروب الأجنبية قد جعلت الفتيان يجيدون عن السلوك الحسن . إنهم لا يعرفون كيف يسلكون كسادة . ماذا تظن ما يدور في رؤوس الناس ياسيد جون عندما يرون أهلك أنفسهم يركبون نفس النوع من العربات التي - تركيبها قامة الناس ؟ ليس عليك إلا أن تستعيد سلطتك . ألم يكن آل سارتورس هم الذين يضعون للناس قواعد السلوك في هذه البلاد من قبل الحرب ؟ والآن ، انظر فقط إليهم ، .

استند إلى فأسه وراقب السيارة وهي تنحدر من المر وتقف أمام البيت ، نزلت مس جيني وبايارد الصغير إلى الشرفة . كانت الآلة ماضية في عملها وسحابة خفيفة من الغاز المحترق تهوم في الأصيل اللامع ، وجاء سيمون بفأسه وحملق في صف المؤشرات والمفاتيح في لوحة القيادة ، واستدار بايارد وناداه :

قال آمراً ، ، سيمون ، اقلل المحرك ، .

سأل سيمون ، ، أفعل ماذا ؟ ،

« هذه الذراع الصغيرة اللامعة بجوار عجلة القيادة هناك . أدركها إلى أسفل ، قال سيمون وهو يتراجع .

« لا ياسيدي . لن ألمسها . لن أسمح لها أن تنفجر في وجهي ،

قال بايارد وقد عيل صبره ، لن تؤذيك . ضع يدك فقط عليها وشدها إلى أسفل . هذه الذراع اللامعة الصغيرة هناك ،

حملق سيمون في العدد والأشياء متشككا ، ولكن دون أن يقترب منها مطلقا ، ثم مد عنقه ونظر داخل السيارة وقال ، أنا لأرى هنا أى شيء ، إلا هذه الرافعة الكبيرة التي تنفذ من أرضية السيارة . ليست هذه هي الواحدة التي أشرت إليها ، أليس كذلك ؟

قال بايارد « الجحيم » ونزل الدرج في خطوتين ومال من فوق الباب وقطع المحرك تحت عينيه المندهشتين الطارقتين وتوقف طنين الآلة .

قال سيمون ، « هل هذه هي الواحدة التي كنت تتكلم عنها إذن ؟ ، وحملق في الذراع الصغيرة برهة ، ثم اعتدل ونظر إلى غطاء المحرك ، إنها تغلق تماما تحت هذا الغطاء ، أليس كذلك ؟ هل هذه هي طريقة وقفها ؟ ، ولكن بايارد كان قد سجد الدرج ودخل البيت .

تلكمأ سيمون بعد ذلك قليلا ، ومضى يفحص الشيء اللامع المستطيل ، وهو يتلمسه بخفة بيده . ثم يسمح بيده على فخذه . ومشى حوله ببطء ولمس الإطارات ، وهو يفهم ويميز رأسه ، ثم عاد إلى حوض السلفيا ، حيث وجدته بايارد عندما خرج بعد برهة قصيرة .

قال ، « سيمون ، هل تريد أن تتركب ؟ »

توقف فأس سيمون ، واعتدل ، « من ، أنا ؟ »

« بالتأكيد . هيا سنمضى فى الطريق مسافة وجيزة » .

وقف سيمون بفأسه الساكن ، وهو يمشى بكفه على رأسه ببطء .

قال بايارد « هيا . سنمضى فى هذا الطريق فترة وجيزة . ان تؤذيك »

ووافق سيمون ، « نعم سيدى . لا أظنها ستؤذينى » .

وسمح لنفسه أن ينجذب ببطء إلى السيارة ، وهو يحملق فى أجزائها المختلفة ، يتأمل ببطء متشككا ، بعد أن أصبحت كمية فعلية فى حياته . وعند بابها ، وإحدى قدميه على حاجز الركوب ، بذل سيمون محاولة أخيرة للوقوف ضد قوى القدر الشرير الماكرة ، « أنت ان تجرى بها خلال الأحراش كما فعلت أنت وإيزوم ذلك اليوم ؟ »

وطمأنه بايارد ، ودخل ببطء ، وهو يغمغم بما قد يقع ، وجلس على مقدمة مقعده وساقاه مطويتان تحته وقد قبض على الباب بيد ، وجمع قبضه باليد الأخرى ومضت السيارة فى المعر . وعبرا من البوابة إلى الطريق ، وما زال يجلس محدودب الظهر مائلا إلى الأمام . واكتسبت السيارة مزيدا من السرعة ، وبجركة تشنجية مفاجئة أمسك قبضته فى اللحظة التى طارت فيها من فوق رأسه .

قال وهو يرفع صوته ، « أظننا بعدنا بما فيه الكفاية . » وضغط بقبضته على رأسه ولكنه إذ تركها ، كان عليه أن ينقض عليها مرة أخرى بوحشية فخلعها وأمسك بها تحت ذراعه ، وهرة أخرى تخبطت يده فوق صدره ، وأمسكت بشيء تحت قبضه . قال بصوت أعلى ، « على أن أقتلع الحشائش اليوم من حوض الزهور » واستطرد يقول « سيدى . مستر بايارد أرجوك ، وازداد انحناء جسمه العجوز الجاف إلى الأمام على المقعد ، وألقى نظرات سريعة متلصصة على الشجيرات التى تنمو على جانبي الطريق وهى تولى بسرعة متزايدة .

ثم انحنى بايارد الى الامام وراقب سيمون الوشم المرسوم على ذراعه ،
ثم اندفعا في الطريق على زئير من الصوت كأنه الرعد المكتوم . الأرض ،
وشريط الطريق الذي لا يكاد أن يصدق ، يجلجل من تحتها ويول خلفهما
في عاصفة من الأتربة الجنونة وخضرة جانبي الطريق ، أصبحت نفقا صلبا
منسالا لا ينقطع ولكنه لم ينطق ببنت شفة ، ولم يحدث أى صوت آخر
وعندما حول بايارد سخرية أسنانه القاسية إليه ، كان راکما على الأرض
وقبعته الرديئة العتيقة تحت إبطه ، ويده تقبض بقوة على طيات من قيصه
فوق صدره . وبعد ذلك ، ألقى بايارد عليه نظرة أخرى ، وكان سيمون
يرقبه وحدقتا عينيه الفاتمتين لم تتكونا في لونهما البنى اللين ، كانتا حراوين
ولم تطرفا رغم دفعات الهواء . كان فيهما ذلك اللعنان الجنون الذي يميز
عيني الحيوان . دفع بايارد حاكم الوقود حتى اصطدم بأرضية السيارة .

كانت العربة تمضي في الطريق وسنانة في سلام . وكان يجرها بفلان
وقد امتلأت بنسوة زنجيات أخذهن النعاس وهن على مقاعدهن . وقد
ارتدت بعضهن السراويل . أما البغلان فلم يتيقظا قط ، ولكنهما مضيا ببطء بالعربة
الخالية والمقاعد المقلوبة حتى بعد أن اندفعت السيارة إلى المستنقع الضحل
ومرقت مرة أخرى إلى الطريق واندفعت كالرعد دون أن تبطئ .

توقف الرعد . ولكن السيارة مضت مندفعة تحت تأثير اندفاعها ،
وبدأت تتمايل في الطريق من جانب إلى جانب وبايارد يحاول أن يجر
يدى سيمون بعيدا عن الرافعة الصغيرة . ولكن سيمون ركم على الأرض
وقد أغمض عينيه بشدة والهواء المندفع يتلاعب ببقايا شعره الأشيب
وقد أمسك الرافعة بيديه معا .

صرخ بايارد ، د دعها من يدك ، .

وردد سيمون كمن يتلو تعويذة ، د يا إلهي ، هذه هي الطريقة التي توقفها
بها . يا إلهي ، هذه هي الطريقة التي توقفها بها ، بينما ظل يغطي الرافعة

بيديه معا ، وبإيارد يضربهما بقضته . وقد تعلق بها حتى أبطأت السيارة
ثم توقفت . ثم تحسس الباب وفتحته ومضى خارج السيارة . وناداه بإيارد
ولكنه مضى في الطريق متعجرا متعجلا يهرج .

نادى بإيارد مرة أخرى « سيمون ، ولكن سيمون مضى إلى الأمام
متصليا وكأنه رجل حرم من استعمال قدميه مدة طويلة . « سيمون »
ولكنه لم يبطئ . ولم ينظر إلى الخلف ، وأدار بإيارد السيارة مرة أخرى
وقادها حتى استطاع أن يستدير بها . كان سيمون واقفا في المستنقع بجوار
الطريق ورأسه منحنية فوق يديه ، عندما لحق به بإيارد وتوقف .

قال آمرا . « هيا . تعال واركب » .

« لا سيدى . سامشى »

قال بإيارد آمرا بجدة « اقفز ، هيا ، وفتح الباب ولكن سيمون وقف
في المستنقع وقد دفع يده داخل قيصه ، وكان في استطاعة بإيارد أن يراه وهو
يرتعد وكأنه محموم ، « هيا ، أيها الأحمق العجوز . ان أوذيك »

قال سيمون مكررا بعناد ، « سأعود إلى البيت ماشيا ، وقال دون حماسه
« أنت عليك أن تمضى بهذا الشيء » .

« آه ، سيمون ، هيا اركب . لم أكن أعرف أنني سأفزعك إلى
هذا الحد . سأقود ببطء هيا » .

قال سيمون مرة أخرى « اذهب أنت إلى البيت ، سيستبد بهم القلق
عليك . تستطيع أن تجربهم أين أنا » .

ظل بإيارد يرقبه برهة ، ولكن سيمون لم يكن ينظر إليه ، ثم صفع
الباب ومضى بسيارته . ولم يرفع سيمون عينيه حتى بعد ذلك ، وبعد أن
انفجرت كالعاصفة الرعدية ، وعاصفة أخرى من الأتربة المغممة التي غاضت
بعد ذلك . وبعد قليل برزت العربة من الغبار ، وكان البغلان مسرعين

وأذانها مرتخية ، ودقت أجراسها وهي تمضي بجواره ، تاركة وراءها في الهواء المنفبر المملوء بأصوات الحشرات الحادة صوت أمراء هستيرى مرتعد بلا أفاظ .

وغاض هذا ببطء على مشارف الوادى ذى الهواء المتلألئ ، وأخرج سيمون من صدر قيصره شيئاً معلقاً فى خيط غطاءه الدهن معلق حول رقبتة . كان شيئاً صغيراً وبلا شكل معين ، وكان مغطى بفراء ملطخ . كانت العقلة الأولى من قدم أرنب خلفية التقطت بقصد من مقبرة عندما كان القمر محاقاً ، وقد دلصها سيمون فى العرق الذى يغطى جبهته وعلى مؤخرة عنقه ، ثم أعادها بعد ذلك إلى صدره . وكانت يداه لا تزالان ترتعدان ، وارتدى قبعة وعاد إلى الطريق ، واستدار متجهاً إلى البيت فى ساعة الظهيرة المنفبرة .

مضى بايارد فى السيارة هابطاً الوادى ومتجهاً إلى البلدة ، عابراً فى ذلك البوابات الحديدية والبيت الأبيض الوقور القابع بين أشجاره ومضى مسرعاً . اندفع صوت الآلة غير المكتملة إلى الأتربة ودفعتها فى دوامات إلى أشكال متكاسلة متفجرة ، غاضت عبر الأرض المزروعة وخارج البلدة بالضبط أقبل على عربة أخرى ، ومضى بالسيارة متجهاً إليها وجهاً لوجه حتى شبت البغال وأمالت العربة ، ثم انحرف عنها ، واندفع بجوارها وليس بينه وبينها بوصة واحدة ، اقترب منها إلى الدرجة التى مكنت الأسود المستغيث فى العربة من رؤية السخرية الموحشة التى بدت فى أسنانه العارية من الشفاء .

ومضى ، وانقض بسرعة متزايدة وكأنه صيحة متصاعدة ، ومرقت أمامه المقابر وجده الأكبر فى أبته المنحوتة وكأنها جميعاً وميض برق . وتذكر سيمون ، وهو يمضى على قدميه فى الطريق المترب نحو البيت ، وهو قابض على ساق الأرنب ، وهنا شعراً مهمجته وأفاض به الإحساس بالعار .

المدينة بين أشجارها ، وأشجارها المظلة كأنفاق خضراء ، وعلى امتدادها تمثل حيوات محكمة ، مأسيا الهادئة . أغلق المحرك ودخل الميدان بسرعة هادئة وكشفت الساعة المثبتة فوق بيت الفضاء من بين الأشجار عن أوجهها الأربعة ، في لمحات من بين غصون الأشجار المتكاثفة . عشر دقائق قبل الثانية عشرة . وفي الساعة الثانية عشرة تماما يعتكف جسده في مكتبه في مؤخرة المصرف ويشرب نصف لتر من اللبن الحمض الذي يحضره معه كل صباح في زجاجة عازلة للحرارة ، ثم ينام بعد ذلك ساعة على الأريكة في مكتبه . وعندما استدار بإيارد إلى الميدان كان المقعد المائل على باب البنك شاغرا بالفعل . أبطأ السيارة وأخذها برفق إلى جوار الطوار أمام لوحة مرفوعة لبيع السندوتش .

كان مكتوباً على اللوحة بطباشير طرى « سمك نهري طازج اليوم ، وفاحت رائحة طعام مثلج من وراء الأبواب الساترة - جبن ومخللات وأمثالها - ومعها روائح أخرى يغلب عليها قليلا رائحة دهن القلي .

وقف برهة على الطوار ، وحشود الظهيرة تتفرق وتمضي أمامه - سود في بطنه ودون قصد كأشباح حلم مظلم هادىء برائحة كرائحة الحيوان ، وهم يغمغمون ويتضحكون فيما بينهم ، وكان في مهماتهم غير الواضحة شيء مبعأ بالهجة ، وفي ضحكاتهم شيء جاد حزين - ناس من الريف ، رجال في ملابس العمل أو يرتدون القطيفة أو الكاكي دون ربطات عنق ، نساء في ملابس فضفاضة من الدمور ، وقبعات شمس ، جماعات من الفتيات الشابات في أثواب جاهزة ، غليظة الأناقة ، وقد تعتم تراثهم الفنى من رشاقة الأجسام ، بإحساسهن الفائنض بذواتهن ، وبالعمل ، وبكعوب الأحذية العالية غير المألوفة ، وسيختفي بعد ذلك وإلى الأبد بحمل الأطفال ، شباب ورجال في مقتبل العمر ، في سترات رخيصة ينقصها الذوق ، وأقمصة وقبعات ، وقد لوختهم الشمس بسيقان طويلة نجيلية تكيول السباق ، وأصوات مرتفعة ، وإلى حد ما شكسة وبجوار الحائط جلس زنجي أعمى يستجدى ، بقيشارة وحالة من السلك تمسك نايا مرفوعا إلى فمه ، وقد لون صورة الروائح

والاصوات ، بألحان شاكية رتيبة ، منسقة كعادلة موسيقية ولكنها خلو من الموسيقى . كانت سنة على الأقل أربعين ، وحياته كانت الاستسلام الضجور لعدة سنوات من العى ، ومع ذلك ، فقد كان هو أيضا يرتدى كاكيا قدرا ، بأشرطة أنباشى على أحد الكفين ، وشارة الكشافة خيطة بطريقة سيئة على الكم الآخر وعلى صدره شارة الذكرى الرابعة لفرض الحرية ، ودبوس معدنى صغير يحمل نجمتين ذهبيتين من الواضح أنها كانت لزينة السيدات ، وكانت قبعته التى لوحتها الشمس محاطة بشریط قيمة ضابط ، وعلى الطوار بين ساقيه استقر كوب معدنى يحوى قطعة نقد من فئة عشر الدولار ، وثلاثة بنسات .

بحث بايارد عن قطعة نقود فى جيبه ، وأحس المتسول باقترابه ، وأصبح لحنه وترا واحدا متكررا ، ولكن دون أن يكسر الإيقاع ، حتى رنت قطعة النقود فى الكوب ومضى ، دون أن يكسر الإيقاع أيضا ، ولا أنغام الباي التى لا معنى لها ، هبطت يده اليسرى وتحسست طريقها قليلا إلى الكوب وقرأت قطعة النقد بحركة واحدة ومرة أخرى استأنفت القيثارة والناي أنغامهما الرتيبة ، واستدار بايارد بعيدا ، وفى نفس اللحظة تكلم شخص بجانبه ، رجل عربض ممتلىء بوجهه حاد لوحته الشمس وفودين أشيبين . كان يرتدى ثوبا من القטיפه وحذاءى ركوب ، وكان جسمه لدنا كجسم الفرسان ، ويداه الهادئتان البنيتان كاتتا يدي رجل تحبه الخيل . كان اسمه ماك كالم وهو أحد أفراد أسرة تتكون من ستة أشقاء ، وتعيش على بعد ثمانية عشر ميلا فى التلال . . . كان بايارد وجون بصيدان معه الثعالب وحيوان الراكون فى عطلاتهما .

قال ماك كالم ، ما زلت أسمع عن سيارتك ، هذه هى ... أليس كذلك ؟ ،

وترك الطوار وتحرك بيسر حول السيارة وهو يتفحصها ويداه فوق عجزه .

بطنها كبيرة جدا . وتبدو ثقيلة فى مؤخرتها أيضا . قبيحة . عليك

أن تمنع عليها لجاما إضافيا على ما أظن ؟ ، .

أجاب بإيارد ، أنا لا أفعل . افقر داخلها وسأريك ما تستطيع
أن تفعله .

أجاب الآخر ، لا . أشكرك كثيرا ، ثم عاد إلى الطوار ، بين السود
الذين تجمعوا ليمنوا النظر في السيارة . ودقت الساعة فوق بيت القضاء
الثانية عشرة ، وعلى امتداد الشارع جاء الأطفال في جماعات صغيرة
في طريقهم إلى البيت في فسحة الظهيرة - فتيات صغيرات يحملن عناديق
ملونة وحبالا للقفز ، وهن يتحدثن إلى بعضهن البعض بأصوات رفيعة ،
في شئون النساء الهامة ، وأولاد تخففوا من ملابسهم بدرجات مختلفة
يتصايحون ويتعاركون ويتدافعون الفتيات الصغيرات بالمنالك ،
فيتحاشدن على بعضهن البعض وينظرن إلى الأولاد الصغار نظرات باردة
معادية .

قال ماك كولم ، سأخذ تصبيرة ، وعبر الطوار وفتح الباب الساتر وقال
وهو ينظر إلى الخلف ، هل أكلت ؟ تعال على أي حال واجلس معي دقيقة ،
وربت على عجزه بطريقة معبرة .

كان نصف المتجر للبقالة والحلوى ، والنصف الآخر مطعما . وقد وقف
عدد من العملاء في ساحة المتجر التي تناثرت فيها الأشياء وإن لم ينتقص
ذلك من نظافتها وبأيديهم سندوتشات وزجاجات ماء الصودا ، وقد تحول
إليهما رأس صاحب المتجر ، وهو وراء الحاجز ، وفي نظرتة رقة وحيرة ،
وشرود قليل . كان النصف الخلفي مملوا بالناضد التي جلس حولها رجال
ونساء ، غالبيتهم من أهل الريف ، يأكلون بوقار رزين تنقصه اللباقة .
وبجوار هذا المطهي ، الذي امتلأ بروائح القلي ، وأصواته الحادة ، حيث
يمضي زنجيان في عملهما ، وهما كأطياف تتحرك ببطء في غيبوبة من الدخان
الأزرق . عبرا هذه الفرقة ، وفتح ماك كولم بابا ثبت بزاوية حادة
في الحائط ، ودخلا حجرة أصغر ، أقرب إلى أن تكون مقصورة كبيرة . كان
ثمة نافذة على ارتفاع من الحائط ، ومائدة عارية وثلاثة أو أربعة مقاعد ،
وفي الحال تبعهم إلى هناك أصغر الزنجيين .

وضع على المائدة كوبين حديثي الغسل مازال الماء عالقا بهما في شكل قطرات تنسال على الجدران . قال : نعم سيدي . مستر ماك كالم ومستر سارتورس ، ووقف يحفف يديه في مئزره . كان وجهه عريضا صافيا ، وجها يوثق به .

قال ماك كولم : ليمون وسكر وتلج ، أنت لاتريد شيئا من هذه المياه الغازية أليس كذلك ؟ ، ووقف الزنجي ينتظر ويده على الباب .

أجاب بايارد : لا . أنا أفضل شرابا روحيا .

قال الزنجي مؤيدا : نعم سيدي ، تريد شرابا روحيا ، وعبر عن تأييده بانحناءة عميقة واستدار مرة أخرى وخطا جانبا إذ دخل صاحب المتجر في مئزر جديد في خطواته المعتادة الشاردة ، ووقف وهو يدلك يديه على عجزه .

قال : صباح الخير ، صباح الخير ، زيف ، كيف حالك ؟ بايارد ، رأيت مس جيني والكولونيل العجوز وهما في طريقهما إلى مكتب دكتور بيدودي ! مس . أمل أن يكون كل شيء على مايرام ، كانت رأسه كالبيضة المقلوبة ، وقد صفف شعره بدقة مبتعدا به عن الجزء الأوسط من رأسه ، ليجمعه في جناحين دقيقين حراوين بنين ، كأنهما جديلتان صناعيتان . وكانت عيناه بنيتين ناعمتين عاطفتين .

قال ماك كالم : ادخل هنا واقفل هذا الباب ، وجر الرجل الآخر إلى الداخل ، وأخرج من تحت سترته زجاجة ذات أبعاد مذهلة ووضعها على المائدة . كانت تحوى سائلا ذا لون قهرماني رقيق ، وذلك صاحب المتجر يديه على عجزه ، بينما مضى يلثم الزجاجة بنظراته الساخنة الرقيقة .

قال : أيها المخلص العظيم ، أين كنت تخفي هذه الزجاجة الهائلة ؟ في ساق سروالك ؟ وفتح ماك كالم الزجاجة ومد يده بها وانحنى صاحب المتجر إلى الأمام وتشممها ، وعيناه مغمضتان ثم تأوه .

قال ماك كولم ، صنع هنري . أحسن تقطيرة صنعها منذ ستة شهور
أظنك تقبل كأسا إذا أمسك بك بايارد وأنا لتشرها ؟ ، وقفه الآخر
بصوت عال لذج .

قال ، أليس فتي ماجنا ، كثير الدعابة . أليس كذلك ؟ ، وألقى نظرة
على المائدة ، ليس لديكما إلا كوبان . . . ، ودق أحدهم على الباب ، وأمال
صاحب المتجر رأسه المخروطية إليه ، وأشار بيده إليهما إشارة حادة :
فأخني ماك كولم الزجاجة دون عجلة عندما فتح الآخر الباب . كان الزنجي
بكوب أخرى وليمون وسكر وتلج في إناء مشدوخ . وسمح له صاحب
المتجر بالدخول .

، هوستون ، إذا كانوا في حاجة إلى هناك في النصف الآخر من المتجر ،
قل لهم إنني خرجت وسأعود في دقيقة . .

أجاب الزنجي ، نعم سيدي ، ووضع حمله على المائدة . وأبرز
ماك كالم الزجاجة مرة أخرى .

سأل ، لماذا تصر على ترديد هذه الكذبة القديمة على عملائك ؟ كل
شخص يعرف ما فعله الآن ،

ضحك صاحب المتجر مرة أخرى ، وهو يملأ عينيه من الزجاجة وقال
مكرراً ، نعم ياسيدي . هو بالتأكيد فتي ماجن ، حسنا ، أنتم يا أولاد
لديكم الكثير من الوقت ولكن يتحتم على أن أعود إلى هناك ليضئ
العمل بانتظام .

قال ماك كالم ، امض ، وأعد صاحب المتجر لنفسه شرابا ورفع
الكوب وهو يقلبه ويتشممه مرارا ، بينما تبعه الآخرون ، ثم أخرج الملعقة
من كوبه ووضعها على المائدة .

قال ، أكره تماما أن أتعبل شيئا متعا ، ولكن الشغل لا ينتظر حيننا
تشاء ، كما تعلمون ، .

قال ماك كولم مؤيدا ، العمل يعطل الرجل عن الشراب ، .

قال الآخر مؤيدا ، نعم ياسيدي ، بالتأكيد يفعل ، ورفع كأسه وقال وهو يشرب ، في صحبة والدك . لا أرى السيد العجوز كثيرا في البلدة هذه الأيام ، .

قال ماك كولم ، لا . لم يستطع أبدا أن ينسى انضمام بادي إلى جيش اليابانكي ، قال إنه لن يعود للبلدة حتى يسحب الحزب الديمقراطي تأييده لودروولسن ، .

قال صاحب المتجر وكأنه شيخ حكيم ، ، نعم ، سيكون هذا أفضل ما فعلوه على الإطلاق ، أن يسحبوا ترشيحه . وينتخبوا رجلا مثل ديز أوسناتور فاردامان رئيساً للجمهورية ، . ثم استطرد يقول ، حسنا ، كان هذا طيباً تماماً . هنري أعجوبة عصره بالتأكيد . أليس كذلك ؟ ، ووضع كوبه واستدار إلى الباب ، حسنا ، وأنتم يا أولاد ، كأنكم في بيوتكم . إذا أردتم شيئاً ، نادوا - هوستون ، وأسرع خارجا في خطواته الذمالة .

قال ماك كالم ، اجلس ، وجر مقعدا ، وجر بايارد مقعداً آخر ووضعته قبالة أمام المسائدة . واستطرد يقول ، ، سيكون ينبغي عايه بالتأكيد أن يعرف الويسكي الجيد . شرب منه ما يكفي لتعويم نضده الكبير وإخراجه طانيا من الباب ، وملا كوبه ودفع الزجاجة نحو بايارد ، وشربا صامتين مرة أخرى .

قال ماك كالم فجأة ، تبدو في حالة سيئة يا بني ، ورفع بايارد رأسه ، ووجد الآخر يتفحصه بعينيه الحادتين الهادتين ، وقال ، لقد أفرطوا في تدريبك . أنكر بايارد الأمر بإشارة عنيفة ، ورفع كوبه ، ولكنه ظل يشعر برقابة الآخر الهادئة ، ، حسنا ، أنت لم تنس - على كل حال - كيف تشرب

الويسكى الجيد . . . لم لا تخرج وتأتى معنا للصيد؟ ثمة أحمر عجوز مازلنا نحتفظ به لك . مازلنا نلتقى به ونفترق عنه لمدة عامين لم أسلط عليه جنرال العجوز بعد ، لأن العجوز سيلحق به ، وقد أردنا أن نحتفظ به لسكم يا أولاد . جون ، كان سيستمع بهذا الثعلب . أتذكر تلك الليلة حينما انطلق جوني مباشرة إلى جسر سامسون سابقا الكلاب ، وعندما وصلنا هناك ، كان هو والثعالب طايفين في النهر على قطعة الخشب السابجة فيه ، الثعلب على طرف ، وجوني على الطرف الآخر ، وهو يردد أغنيته الوقحة بأعلى ما يستطيع؟ جون كان سيستمع بهذا الثعلب . إنه يتفوق بذكائه كل مرة على الكلاب الصغيرة . ولكن جنرال العجوز سيمسك به .

وجلس بايارد وهو يدير الكوب في يده ، وأخرج علبة سجائر من جيبه ، وهزها وأسقط منها بضع سجائر على المائدة بالقرب من يده ، ودفع العلبة برقة عبر المائدة إلى الآخر . أشعل بايارد سيجارة وأفرغ كوبه ومد يده إلى الزجاجاة .

قال ماك كالم مرة أخرى : تبدو وكأنك قطعة من جهنم يا ولد ،

أجاب بايارد في صوت هادى . كصوت الآخر ، وأظنى عطشان ، وأعد لنفسه كأساً أخرى ، بينما مضت سيجارته تدخن عند طرف المائدة ، ورفع الكأس ، ولكن بدلا من أن يشرب ، أمسك بها لحظة تحت أنفه ، بينما توترت عضلاته أسفل فتحتى الأنف حتى أصبحت بيضاء ثم أدار الكأس بسرعة بعيداً عنه ، وأفرغها في الأرض بيد متزنة . وراقبه الآخر بهدوء ، بينما ملاً كوبه حتى المنتصف بالخمير وأضاف إليه قليلا من الماء وأفرغها في جوفه . قال بصوت عال : ظلت فاضلا مدة أطول مما ينبغي ، واندفع يتحدث عن الحرب . ليس عن القتال ولكن عن حياة مأهولة بشبان مثل الملائكة الساقطين وعن عنف نيزكى كعنف الملائكة الساقطين ، فيما وراء الجنة أو الجحيم في مكان فيهم ، أخلاط منهما : خلود محكوم عليه بالفناء ، وفناء محكوم عليه بالخلود .

جلس ماك كالم يستمع بهدوء ، وهو يشرب الويسكى ببطء وانتظام ودون
أثر محسوس ، وكأنه يشرب لبنا ، ومضى بايارد يتكلم ورجاء وجد نفسه -
دون عجب - يأكل طعاما . كانت الزجاجة تمتلئة إلى أقل من النصف . وقد
أحضر الزنجي هوستون الطعام وشرب كأسه ، شربه دون ماء ودون
أن تطرف له عين ، وقال ، « إذا كانت عندي بقرة تحلب هذا فلن يحصل
العجل على قطرة واحدة من اللبن على الإطلاق ولن أترك شيئا منه للخضيض .
شكراً ، مستر ماك كولم ، سيدى ، .

ثم أصبح خارج الغرفة ، ومضى صوت بايارد مالئا الغرفة الصغيرة شديدة
المقصورة مكنتسحا رائحة طعام رخيص طهى بسرعة كبيرة جدا ، ورائحة الويسكى
الحاد المسكوب على الأرض وناشراً أشباح شيء حاد رفيع كالمستيريا ، كوهج
نيازك ساقطة على حدقة العالم المظلمة ومرة أخرى تسمع طرقة خفيفة بالبواب ،
وتظهر رأس صاحب المتجر البيضاوية وعيناه الحيتان الداقتان .

قال وهو يدلك عجزه بكفيه ، « أنتم أيها السادة هل لديكم كل
ما تريدونه ؟ »

قال ماك كولم ، وهو يشير برأسه إلى الزجاجة ، « تعال وخذه ، وأعد
الآخر لنفسه شرابا فى كوبه الرخيص وأخذ فى شربه ، بينما اختتم بايارد قصة
عن نفسه وضابط أسترالى وسيدتين فى صالة ليستر ذات مساء كانت صالة
ليستر فى المنطقة المحرمة على المسكرين ، وفقد الأسترالى اثنين من أسنانه وقتاته
ونالت عين بايارد لكمة فاسودت .

بينما مضى صاحب المتجر يرقب الراوى بعجب هادى معذب .

قال « أيها المخلص العظيم ، هؤلاء الطيارون كانوا بالتأكيد من أولاد جهنم ،
أليس كذلك ؟ أظنهم يطلبونى مرة أخرى هناك فى مقدمة المتجر . هذه
الأيام عليك دائما أن تظل على استعداد للقفز حتى تستطيع أن تأكل خبزك ،
وخرج مسرعا مرة أخرى .

قال بايارد مرة أخرى بعنف وهو يرقب ماك كالم وهو يملأ الكوبين ،

« ظلت فاضلا مدة أطول مما ينبغي ، ، هذه هي الخدمة الوحيدة التي كان جوني يؤديها لي إذ كان دائما يحول بيني وبين هذه الحياة البليدة اللئيمة ، مع زوج من عجائز النساء لا هم لهم إلا مضايقتي ، ولا شيء . أعمله غير أفزاع الزنوج . ، وشرب كأسه ووضع الكوب على المائدة وظل قابضا عليها وقال : « الألماني اللعين ذو اليد الطرية . على كل حال ، لم يتعلم أبدا كيف يطير . ظلت أحاول أن أمنعه من التحليق هناك في بندقية الهواء الملعونة تلك ، وسب أخاه الميت بوحشية . ثم رفع كأسه مرة أخرى ، ولكنه أوقفها وهي في منتصف الطريق إلى فمه وقال « بحق جهنم أين ذهب شرابي ؟ ، .

أفرغ ماك كالم الزجاج في كوب بايارد ، وشرب مرة أخرى وصنع بالكوب السميك المنضدة ووقف وانهار إلى الخلف على الحائط ، وانقلب مقعده محدثا ضجة ، ثم تمالك نفسه ، وهو يحمل في الآخر « ظلت أحاول أن أمنعه من التحليق هناك في هذه ، الكامل ، ولكنه أطلق على النار ، أمام أنفي مباشرة ، .

ونفض ماك كالم أيضا ، وقال بهدوء ، « تعال من هنا ، وتقدم ليأخذ ذراع بايارد ولكن بايارد تماشاها ومرا خلال المطبخ وقطعا نفق المتجر الطويل . ومشى بايارد متزنا بشكل مرضي ، ومد صاحب المتجر رأسه إليهما من وراء النضد وقال :

« تعالوا لزيارتني مرة أخرى أيها السادة ، تعالوا مرة أخرى ، .

قال ماك كالم ، « وهو كذلك ، ياديكون ، ومضى بايارد . وإذا كانا يمران بنفافة الصودا خاطبه محام شاب يقف بجواره غريب .

« كابتن سارتورس ، صافح مستر جراتون . جراتون كان في الجهة البريطانية في الربيع الماضي ، واستدار الغريب ومد يده ، ولكن بايارد حملق فيه ببرود ومضى في خطواته المنتظمة ، إلى الدرجة التي دفعت الغريب للثورة حتى لا يلحق به الشعور بالإهانة

قال وظهر بايارد إليه ، د لعنة الله على روحه ، وقبض المحامى على ذراعه قال هامسا بسرعة ، د إنه مخمور . إنه مخمور ، .

قال الآخر بصوت عال . د لا يساوى عندى قلامة ظفر . لأنه كان طياراً ملعون يظن

همس المحامى ، ش ش . . . ش ، وجاء صاحب المتجر إلى قسم الحلوى وتطلع بقلق حقيقى شديد . قال ، د أيها السادة ، أيها السادة ، وافتعل الغريب حركة عنيفة وتوقف بايارد .

قال ماك كالم وهو يستدير ، د انتظر دقيقة حتى أحطم له وجهه ، ودفع الغريب المحامى جانبا ، وخطا إلى الأمام .

بدأ يقول د أنت لم تر اليوم ، وأخذ ماك كالم ذراع بايارد بقوة وسهولة .

د ولد ، هيا بنا ، .

قال بايارد ، د وهو ينظر ببرود إلى الغريب الغاضب سأحطم وجهه القدر ، ، وقبض المحامى مرة أخرى على ذراع رفيقه .

صاح الغريب ، وهو يدفعه بعيداً ، د ابتعد . فقط دعه يحاول هيا ، أنت ، أمها القدر ، .

وصاح صاحب المتجر ، د أيها السادة . أيها السادة ، .

قال ماك كالم ، د ولد ، هيا بنا . على أن أنفرج على حصان ، .

قال بايارد مردداً د حصان ، ، واستدار مطيعاً ثم توقف ونظر إلى الخلف ، وقال للغريب ؛ د لا أستطيع الآن أن أحطم وجهك . آسف . على أن أذهب لأرى حصانا - سأحضر لزيارتك فى الفندق فيما بعد ، ولكن ظهر الغريب كان قد استدار إليه ، ومن ورائه كان المحامى يشير بوجهه ويديه إلى ماك كالم .

قال د ماك كالم ، ابتعد به ، حيا فى الله ،

وقال بايار مرة أخرى « سأحطم وجهه فيما بعد . أوستيس ، لا أستطيع مع ذلك أن أحطم وجهك . علمونا في المدرسة الابتدائية ألا نمدح حقاً . أو نضرب كسيحاً ، .

وقال ماك كالم مرة أخرى « هيا ، ومضى به ، ومرة أخرى يجب أن يتوقف بايارد عند الباب ليثعلل سيجارة ، ثم مضيا معا ، كانت الساعة حينئذ الثالثة ، ومرة أخرى سارا بين أطفال المدارس المنطلقين في حشود . وقد مشى بايارد متزناً بما فيه الكفاية ، وبطريقة عدوانية إلى حد قليل ، ثم استدار ماك كالم إلى شارع جانبي ، ومضيا معا ، مارين في ذلك بمتاجر زفوج ، وفيما بين مطحن دقيق يعمل ؛ وحلاجة فطن ساكنة ، استدارا إلى أرض منبسطة مبنوة بالخيل والبغال المقيدة ومن نهاية المكان جاء صوت صدام مطرقة بسندان ؛ ومرا بوجهها الأحمر وحصان صابر يقف على ثلاثة أرجل على باب حداد - ورجال في ثياب عمال قاعدين بجوار الجدار الظليل ؛ ثم وصلا إلى بوابة عالية في نهاية نفق من الآجر معتم اللون وبفوح منه رائحة النوشادر . وقد جلس عدة رجال فوق قمة البوابة واستند آخرون بأذرعهم المقودة عليها . وجاءت من الحظيرة نفسها أصوات ، ومن خلال البوابة المشقة لمع شكل مترفع ساكن من اللهب اللامع .

وقف الحصان بجوار باب مخزن عدة الخيل والخدم ، كان الباب مفتوحاً وكانه فم كهف يتشاب . وكان الحصان كلهم برنزي ساكن ، وعلى امتداد سترته اللامعة ، امتدت على مسافات ، رعشات صغيرة من لهب أشد شجوباً ؛ السنة صغيرة من العصية والكبرياء ولكن عينه كانت هادئة ومتعجرفة ومن لحظة إلى أخرى وبأسلوب الملوك ، كانت نظرتة تكتمسح المجموعة الجالسة عند البوابة بازدرام رفيع ، دون أن تراهم على الإطلاق كأفراد . ومرة أخرى السنة صغيرة من لهب أشجب تتقاطر مرتعدة على امتداد سترته . وحول رأسه كان حبل من الكتان - وكان مقيداً إلى عضد باب

وخلفه كان رجل أبيض يتجول باحترام في المكان على بعد منه وبه شعور
المالك ، وبجواره سائس أسود ، ربطت بخيط إلى خصره جرارة من
الكتان . توقف ماك كالم وبايارد عند البوابة ودار الرجل الأبيض
حول الحصان في سكونه الجليل وجاء لإليهما . وجاء السائس الأسود
أيضا بقطعة نسيج ناعمة قنطرة وهو يرتل بصوت ناعم منغم . وسمح
له الحصان بأن يقترب منه واحتمله وهو يزيل بقطعة النسيج اللهب
الصغيرة العصية اللاعقة ، التي انتدت من جديد في تموجات متتالية
تحت الجلد .

سأل الرجل الأبيض ماك كالم ، « أليس صورة رائعة ؟ » وقد استند برفقة
إلى البوابة . كانت ثمة ساعة رخيصة من النيكل مربوطة إلى عروة سمائه بقطبان
رفيع من الجلد الخام الذي تآكل بالاستعمال الطويل وأصبح أسود وناعما بفعل
القدم ، وكانت لحيته الخليقة أنقل ما تكون عند زكني فمه حتى طرف ذقنه . وكان
يبدو وكأنه يمضغ طباقا باستمرار دون أن يفلق فمه . كانت تجارة الخيول حرفته
وكان في مقاضاة مستمرة مع شركة السكة الحديدية حول الأسلوب العنيف الذي
صفت به قطيعه ، وقال ، « انظر إلى هذا الزنجي . سيدع توب يدله كطفل .
أنا نفسي لن أستطيع أن اقترب منه أكثر من عشرة أقدام . على اللعنة إذا كنت
أعرف كيف يفعلها توب . لا بد أن تكون ثمة قرابة بين الزنوج والحيوانات .
هذا ما أعتقد ، » .

قال ماك كالم بجفاف ، « أظنه يخشى أن تعبر به يوما قضبان السكة الحديدية في
الوقت الذي يصل فيه قطار التاسعة والنصف ، » .

قال الآخر مؤيدا ، « نعم . أظنني سيأحب أتعس حظ في كل المنطقة ، ولكن
يتحتم عليهم أن يسووا الأمر هذه المرة . جررتهم كالجثث للاعتراف بحقوقي .

قال ماك كالم ، « نعم . ينبغي على شركة السكة الحديدية أن تزود قطيعك بدليل
قطاراتها ، وقمقة الآخرون بصوت عال .

قال التاجر ، « آه . لدى الشركة ، الكثير من المال . أنت تتكلم وكأننى دفعت تلك البغال أمام القطار . دعنى أخبرك كيف حدثت . . . »

قال ماك كالم وهو يشير برأسه إلى الحصان ، « أظنك لن تدفعه أمام أى قطار . ومضى الزنجى فى صقل سترته المرتعشة وهو يعنى له بصوت حزين رتيب . وضحك التاجر .

قال مسلما ، « أظننى لن أفعل . حتى لا يهلك توب أيضا . فقط انظر إليه . الأقرب إلى أن أطير من أن اقترب من هذا الحيوان . »

قال بايارد فجأة « سأركب هذا الحصان . »

وسأل التاجر ، « أى حصان ؟ » وراقب الآخرون بايارد وهو يتسلق البوابة ويقفز إلى الداخل .

قال التاجر ، « أنت أيها الشاب ، دع هذا الحصان وشأنه . »

ولكن بايارد لم يهتم به ، وتقدم ، واكتسحه الحصان بنظرته الملكية وولى بعينيه . صاح التاجر ، « أنت دع هذا الحصان وشأنه ، وإلا فسأقاضيك . قال ماك كالم « دع » .

قال التاجر « وأدعه يتلف حصانا ثمنه ألف وخمسمائة دولار ؟ هذا الحصان سيقتله . أنت ! سارتورس ! »

أخرج ماك كالم من جيب سرواله الخلقى حزمة من الأوراق المالية مشدودة بشريط من المطاط وقال مرة أخرى ، « دع » ، هذا ما يريد . »

وألقي التاجر نظرة سريعة على حزمة الأوراق المالية وأجرى حسبه بسرعة ، وبدأ يقول بصوت مرتفع ، « أنا أطلب منكم أيها السادة أن تشهدوا . . ثم توقف ، ومضوا يرقبون بايارد بقلق وهو يقترب من الحصان واكتسحه الحيوان مرة أخرى بعينيه المرتفعتين المتوهجتين ورفع رأسه

دون قلق ، وزفر . ونظر الزنجي من فوق كتفيه ، وجثم بجوار الحصان ،
وقد زادت سرعة ترتيبه الحزين ، وقال ، ارجعوا إلى الخلف أيها البيض ،

زفر الحصان مرة أخرى ؛ ورفع رأسه بحركة سريعة وقطع المقود فكأنه
خيط عنكبوت وأسرع الزنجي محاولاً أن يمسك نهاية الحبل الطائر ، وصاح
، ابتعدوا أيها البيض . ابتعدوا أسرعوا .

راغ الحصان من يده ، وكشف عن أسنانه التي ظهرت في شكل قوس
رهيب ، وقفز الزنجي وانبطح على الأرض في اللحظة التي حلق فيها الحيوان
كأنفجار برنزي وراغ بايارد من تحت الحوافر المنقضة كالسيوف ، وعندما
دار الحيوان كدوامة من نار لها آلاف الألسنة ، رأى المتفرجون الرجل
وقد تمكن من لف نهاية الحبل حول فكيد ، ثم رأوا الحيوان يكبح ويقف
على قائمته الخلفيتين رافعا الرجل من الأرض وقد حمل جسمه وكأنه خرقة
بالية على قوس حركته المبرق . ثم توقف وهو يرتعد ، عندما أغلق بايارد
منخاريه بالحبل المطوي ، وبجأة كان على ظهره والحصان واقف برأس منكسة
وعينين تدوران في محجريهما ، وهو يهز سترته في السنة مرتعدة قبل أن
تنفجر مرة أخرى .

اندفع الحيوان كأجنحة برنزية منطلقة ، وتدافع المتفرجون بعيدا عن
البوابة ورموا بأنفسهم على الأرض في اللحظة التي تناثرت فيها البوابة وكأنها
عيدان ثقاب تحت رعد البركاني المندفع . وأقمى بايارد فوق كتفيه وحول
رأسه المنجوتة جانبا ، واكتسحا السهل معا ، ناشرين الفوضى والعجيب بين
الحيل والبغال المقيدة والمنتظرة حول محل الحداد ، وبين العربات هناك
أيضا . وعند إلتقاء السهل بالشارع تناثر جماعة من الزنوج بسرعة من أمامهما
ودون أن يغير الحصان من سرعته قفز مخلقا فوق طفل أسود صغير في يده
قطعة من الحلوى كان يعترض طريقه ، في هذه اللحظة استدارت بغال بعربة
لتدخل السهل ، فثبتت على سيقانها الخلفية أمام وجه الرجل الأبيض المروع

الذي فتر فاه فزعا ، وهو جالس في العربة ، ومرة أخرى أدار بايارد صاعقه الرعدية واتجه بها بعيدا عن الميدان . وفي السهل من ورائه جرى المتفرجون في الغبار الثائر وهم يتصايحون ، وكان التاجر بينهم أماريف ماك كالم فكان ولا يزال في مكانه قابضا على حزمة الأوراق المالية .

تحرك الحصان من تحته وكأنه موسيقى مجنونة جبارة ، غير محكومة ، ورائعة وغير قابلة للسيطرة ، وقد أفاد الحبل في توجيهه فقط ، لا في الحد من سرعته ، ومن بين الصرخات المتصاعدة من جانبي الشارع ، حاد بالحيوان إلى شارع آخر ، كان شارعا أكثر هدوءا ، بعده يصبحان في الخلاء ، حيث يستطيع الحيوان أن ينفث عن غضبه الجنوني دون مفاجآت من السيارات والمارة . وغاضت الأصوات من ورائه في هزيمة الخاص .

« هارب ا هارب ا » ولكن الشارع كان مهجورا إلا من سيارة صغيرة كانت ماضية في نفس اتجاهه ، وأمامهم وعلى بعد منهم تحت النفق الأخضر ، تناثرت مبتعدة عن الطريق نقط ملونة لامعة . « أطفال » قال محدثا نفسه « أرجو أن يظلوا بعيدا » كانت عيناه تدمعان قليلا ، ومن تحته الرفع والخفض المتدافقان ، وفي أنفه رائحة الغضب والقوة والكبرياء الجريحة ، كالذغان الذي يتصاعد من جسم الحيوان ، ومر مسرعا بالسيارة ، وقد لاحظ في لحظة كأنها البرق وجه امرأة وفا منفرجا قليلا ، وعينين متسعيتين بالعجب الهادئ . ولكن الوجه مرق مبتعدا دون أن يرتم في عقله ، ورأى الأطفال وقد تجمعوا إلى بعضهم البعض على جانب الطريق ، وعلى الجانب المقابل زنجي يرش الماء على الطوار وبجواره زنجي آخر بمذراة .

صاح شخص ما مستغيثا من الشرفة ، وتفرق الأطفال المتجمعون وهم يصرخون واندفع شخص صغير الجسم في قيص أبيض وسراويل صغيرة

شاحبة الزرقه إلى قلب الشارع ، وانحنى بايارد إلى أسفل وطوى الجبل حول يده وحرف الحيوان ناحية الطوار الآخر حيث كان الزنجيان واقفين وقد ففرا فيهما واندفع الشخص الصغير ومرق وراه سالما ، ثم حزمة صغيرة من الخضرة المندفمة وساق شجرة ، كسلك عجلة مقلوب . وقدح الحصان شرر نار من الأسفلت المبلل . وانزلق ، واصطدم ، وعارك في سبيل استعادة اتزانه ، واندفع ثم هوى ساقطا ، وبالنسبة لبايارد صدمة حراء ثم ظلام .

نهض الحصان متعثراً على ساقيه ودار حول نفسه كالدوامة وتوقف ، ثم ضرب بعنف بحوافره الرجل المسجى ، ولكن الزنجى ذا المذراة دفعه بعيداً ، ثم أسرع بمحذة وبرأس تعلو وتهبط في الطريق ، وعبر السيارة المنتظرة . وعند نهاية الشارع وقف يرتعد ويزفر وسمح للسائس الأسود أن يلمسه ، أما ريف ماك كالم فسكان ولا يزال قابضاً في يده على أوراق نقده .

حملوه وأحضره إلى البلدة في سيارة استولوا عليها لهذا الغرض ، وأيقظوا دكتور بيدودى من النوم ، وضمّد دكتور بيدودى باستهتار رأس بايارد وأعطاه شراباً من الزجاجة المستقرة في سلة المهملات المزججة ، وهدد بالاتصال بمس جيني تليفونيا إن لم يذهب إلى البيت مباشرة ، ووعد ريف ماك كالم أن يأخذه بنفسه إلى البيت ، وعرض صاحب السيارة المصادرة أن يحمله إلى هناك . كانت فورد ، أزيل الجزء الخلفي من جسمها وحلت محلّه حجرة صغيرة من الصفيح ، لا تزيد في الحجم على بيت الكلاب وفي كل من نوافذها المرسومة جلست سيده باسمية مصورة أمام آلة حياكة مصورة أيضاً ، وكان في الغرفة فعلا ، آلة حياكة ، وقد ثبتت بعناية وحملت هكذا متجولة في الريف بوساطة الوكيل .

وكان اسم الوكيل ف . ك . سورات ، وقد جلس بوجهه الماكر المقبول ، وراء عجلة القيادة ، وجلس بايارد ورأسه تطن بجواره ، وتعلق بطوار السيارة شاب ذو ذراعين بنيتين ، وعلى رأسه بزاوية حادة قبعة من القش جديدة لأقصى حد ، وقد ترك لجسمه استقبال لكزات الطريق بسهولة ودون اهتمام ، إذ كانا ماضيين من البلدة إلى طريق الوادي .

أما الشراب الذي قدمه إليه دكتور بيبودي ، فبدلاً من أن يهدى أعصابه الصاخبة تلك ساخناً ومثلكتها في معدته ، وأثار فيه قليلاً من الشعور بالغثيان ، وأمام عينيه المغمضتين تراقصت أشكال غريبة في حدقات خفاقة ملة . وقد راقبها بغباء ودون دهشة ، وهي تنطلق من الظلام ، وتدور حول نفسها متكاسلة ، وتلتهم نفسها ، ثم تظهر من جديد وفي كل مرة بوضوح أقل ، ذلك لأن عقله قد بدأ يفتق . ومع ذلك ، ففي مكان ما ، كان ثمة وجه ، قد اندمج معها وإن ظل في نفس الوقت منفصلاً عنها وعلى بعد ساحق منها بترفع مطمئن . كان هادئاً في خضم تشنجاتها الغبية . وبدأ وكأن له علاقة ما بال لحظة نفسها عندما بلغت أوجها في ظلام الصدمة ، وفي نفس الوقت بدا له رغم كل ترفعه وكأنه جزء من الفوضى الدوامية الناتجة ؛ جزء منها ، ومع ذلك استحضر إلى مركز الدوامية الحمراء نعومة دائمة ، كنعومة نسيم رقيق تحت ظلال . وهكذا بقي مترقماً ، وبغير وضوح تام ، بينما غاضت الأشكال المتلوية وأصبحت ضيقة ثقيلًا بالألم البدني الذي تحدته هزات السيارة . لقد ترك من حوله كصدي صفاء ناعماً وشيئاً آخر - شعوراً بالاشمئزاز المتقبض الذي لا يخلو من الاقتان . . . به أو بشيء ما فعله .

كان الأصيل في طريقه ، وعلى الجانبين رفع القطن والقمح رماحاً خضراء فوق الأرض الفتية السوداء . وفي الغابات الصغيرة حيث نفذت أشعة الشمس المنحدرة بين ظلال بتفسجية ، تنادت الحائم بحزن ، وبعد قليل استدار سورات من الطريق العام إلى طريق عربات ضيق مملوء بالحفر بين

حقل وغابة صغيرة ، ثم أصبحت الشمس قبالتها مباشرة وخلع بايارد قبعتها وحال بها بين الشمس ووجهه .

قال سورات : الشمس تؤلم رأسك ؟ لم يبق إلا القليل ، ، ثم استدار الطريق إلى الغابات حيث كانت الشمس متقطعة ، وتصاعد تدريجاً إلى قمة رملية ، ومن ورائها امتدت الأرض في حقول شعناء مهملة ، ثم من ورائها مجموعة من أشجار الفاكهة في حالة سيئة ، ودغل صغير من شجيرات الجوز القزماء الفضية الشاحبة بلون الابسانت ، وهي ترتعد باستمرار بلا رياح ، ويبت صغير لوحته الرياح . ومن ورائه وأكبر منه ، لاح جرن رمادى ، مغضن بفعل السمين . وانشق الطريق هنا ، اتجه أحد الذراعين الهزيلين إلى البيت ، وكان مغطى بالرمال ، ومضى الآخر بين الاعتباب إلى الجرن ، وأمال الشاب المتعلق بالسيارة رأسه داخلها وقال موجهاً : اتجه بالسيارة إلى الجرن .

أطاع سورات . ومن وراء الأعشاب تجول في الأرض كالتائه ، سياج متعثر في حالة سيئة من الانحلال ، ومن الأعشاب المجاورة له انتصبت نارضا محراث في زاوية تعسه بينما مضت أسلحته تصدأ بسلام بين العشب ، وكذلك أدوات أخرى ، مضت تصدأ وقد احتجبت أجزاء منها هناك - أجدات العمل ، وقد ضمدت الأرض جراحها . الأرض التي أراد أن ينتمك حرمتها - كانت أكثر حناناً منهم . واستدار السياج بزواية وأوقف سورات السيارة . ونزل الشاب وفتح البوابة الخشبية المعوجة ، ومضى سورات بالسيارة إلى فناء الجرن حيث كانت عربة بمجلات سكرى وفراش مصنوع في البيت ، وهيكل سيارة فورد صدى . وعلى مبردها المقرب العارى ، وقرب نهايته كان مصباحان ، أعطيا السيارة رسم الدهشة الصابرة الدائمة ، وبقرة هزيلة مضت ترقبهم بعينين كئيبتين وهي تجتر .

تعلمت أبواب الجرن كالسكارى من مفصلاتها ، وقد ثبتت إلى عضدها بلفائف من السلك الصدى . ومن ورائها تتأب ظلام الردهة الكهفي

في وحشية متعطنة - إحدى مهازل الأرض تحشد فيها ثراؤها ومحصلاته
العريضة . جلس بايارد على حاجز ركوب السيارة وأسند رأسه المضمدة
على جانبها ، وراقب سورات والشاب وهما يدخلان الجرن ويصعدان ببطء
درجات سلم غير مرئية ، ومضت البقرة تمضغ باكتئاب بطيء وكقطع
صغيرة من السحاب الموحل ، انسال الأوز على سطح البركة الأصفر المحاطة
بضفاف دكتها الأقدام وشققت طينها الشمس . سقطت أشعة الشمس مائلة
على أدبارها وعلى أعناقها الرشيقة ، وعلى جانب البقرة الهزيلة المختلج بروى
منتظم ولونت ضلوعها الواضحة بلون ذهبي موحل . وبعد برهة ظهرت
قدما سورات وهما تتحسان طريقهما على الدرج ، ثم جسمه اليقظ ومن
ورائه الشاب الذي انزلق نازلا في خطوات واسعة سريعة .

برز من الظلام وكان يحمل دنا فخاريا استند إلى جانب سناقه . وجاء
وراءه سورات في قيصة الأنيق الأزرق دون ربطة عنق ، وأشار برأسه
إلى بايارد ، واستدارا عند ركن الجرن بين أعشاب تبلغ في الارتفاع
الخاصرة ، ولحق بهما بايارد في اللحظة التي انزلق فيها ، هو والدين ، بحركة
واحدة بين صفين من الأسلاك الشائكة المفتولة المرتجئة ، وانحنى سورات
ومر بينها بروية أكثر ، ثم رفع السلك الأعلى وداس على الأسفل بقدمه
حتى مر بايارد . ومن وراء الجرن ، انحدرت الأرض في الظل ، نحو
تكاثف يكاد أن يكون دغلا من أشجار الصفصاف والبيلسان ، وإزاؤها
انتصبت شجرة زان هائلة وحزمة من الشجيرات الصغيرة وكأنها جميعا أشباح
منمنمة ، ومنها تصاعدت نسائم رطبة وكأنها أنفاس هبت للقيام . كان
النبع يفيض من جذور شجرة الزان ، إلى إطار خشبي غرس حول فته
في الرمل الأبيض ، الذي أخذته رعدة لطيفة لانتقطع تحت الماء الشفاف
المضطرب ، ثم مضى الماء بعد ذلك إلى أشجار الصفصاف والبيلسان .

دكت الأرض حول النبع حتى أصبحت ناعمة متماسكة وكأنها فناء بيت .
وبجوار النبع استقر إناء حديدي مسود على أربع قطع من الآجر ، وكانت
تحت كومة من رماد الخشب الشاحب وبقايا شظايا مشتعلة ، وأعقاب أحطاب

متفحمة . وبجوار الإناء استندت لوحة غسل ذات سطح معدني مرجح ، وتعلق كوب صديء من الصفيح من مسبار مثبت في الشجرة التي تقتصب فوق النبع . ووضع الشاب الدن وجلس هو وسوارت من حوله .

قال سورات هب ، إذا كنا لن تقمع في متاعب إن أعطينا ويسكي لمستر بايارد . ومع ذلك ، دكتور بيبودي نفسه أعطاه كأسا ، ولذا أظننا نستطيع أن نعطيه واحدا أيضا . أليس كذلك يامستر بايارد ؟ ، واستدار وهو جالس بوجهه الماكر الناعم إلى بايارد ، وأدار هب سداة الدن ، المأخوذة من ساق ثمرة الذرة ، وخلعها ، وقدم الدن لسورات ، الذي قدمه لبايارد ، وأسر إلى سورات ، أنا أعرف بايارد منذ أن كان صبيا في سراويل قصيرة ، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أتناول فيها أنا وهو شرابا . أليس كذلك يامستر بايارد ؟ أظنك ستحتاج إلى كوب تشرب منه ، أليس كذلك ؟ ، ولكن بايارد كان يشرب بالفعل ، فقد رفع الدن ، وأسندته إلى ذراعه الأفقية . وثبت فتحة الدن إلى شفتيه بنفس اليد ، كما ينبغي أن يكون ، قال سورات إنه يعرف كيف يشرب من دن ، أليس كذلك ؟ ثم أسر في نعمة من بير ما فعله ، كنت أعرف أنه على ما يرام ، . أنزل بايارد الدن ، وأعادته إلى سورات ، الذي قدمه بجاملا إلى هب .

قال هب هيا ، اضربها ، وفعل سورات كذلك وأخذت تفاحة آدم عنده تتحرك حركة مكبسية منتظمة ، وهومت الحشرات الصغيرة فوق الجرى ودارت في أشعة الشمس الأفقية ، وكأنها عصافات ذهبية هائمة . وخفض سورات الدن وقدمه إلى هب الذي مسح فمه على ظهر يده .

سأل هب مستر بايارد ، كيف حالك الآن ؟ ، ثم قال ه عليك أن تغفر لي هذا كان ينبغي أن أقول كابتن سارتورس ، أليس كذلك ؟ .

سأل بايارد لماذا ؟ ، جلس هو الآخر ووضع قدميه تحته واستند إلى جذع شجرة الزان . كانت الأرض المرتفعة من ورائهم تخفي الجرن والبيت عن الأنظار ، وقد جلس ثلاثهم في كأس صغيرة من السلام بعيدة جداً

عن العالم والزمن ، وممتلئة بأنفاس النبع الرطبة الناعمة ، وأشعة الشمس التي نفذت خلال أشجار البيلسان والصفصاف وانتشرت قليلا كالخمر . استلقت السماء منعكسة على سطح النبع وقد تحملت بأوراق الزان الساكنة بلا رياح ، وألقى هب أيضا ، وقد انعقد ذراعه حول ركبتيه ومضى بدخن سيجارة وهو يرتدى قبعته المائلة . وقد جلس سوارت أمامه في قميص ذي لون أزرق شاحب ، أبرز لون وجهه وذراعيه البني العميق نخشب المجنة . واستقر الدن المستدير بيدهم طيبا شفيقا .

قال سورات مرة أخرى ، نعم ياسيدي . أنا أجد دائما أحسن العلاج لأي جرح في المزيد من الويسكي . الأطباء ، هؤلاء الأطباء هنا من آخر طراز يقولون لأي شخص شيئا غير هذا . ولكن دكتور بيودي العجوز نفسه قطع ساق جدي بينما كان جدي مستلقيا على مائدة مطبخ بزجاجة خمر في يده ، وحشية ومقعد بين ساقيه ، وأربعة رجال أمسكوا به ، وهو يسب ويعني بالفاظ فاضحة إلى الدرجة التي اضطرت النسوة والأطفال إلى الذهاب إلى المرعى وراء الجرن حيث انتظروا هناك ، خذ مزيدا ، ومرر الدن فوق النبع وشرب بايارد مرة أخرى ، أظنك بدأت تشعر بشيء من الراحة ، أليس كذلك ؟ .

قال بايارد ، على اللعنة إذا كنت أعرف . ديناميت يا أولاد .

أمسك سورات بالدن وقهقه ، ثم رفعها إلى شفثيه . ومضت تفاحة آدم تعمل مرة أخرى كالمضخة ، وقد وضعت حركتها أمام جدار البيلسان والصفصاف ، وقريبا سيزهر البيلسان بكتل شاحبة من البراعم الصغيرة . كانت مس جيبي تصطنع منها القليل من النيذ كل عام . وكان نديذا جيدا ، إذا كان من يصنعه يعرف كيف يصنع وتوفر له الصبر . نديذ زهور البيلسان . كأنه طقوس لعبة أطفال ، لعبة تلعبها بنات صغيرات في أبواب صغيرة شاحبة ، بين ساعة العشاء والغسق ، ومن فوق النبع حيث كانت أشعة الشمس وما زالت تأتي منحدره هومت الحشرات ودارت كالذوامات كأنها

دقائق غبار في غرفة ساكنة مهجورة . ومضى صوت سوريات ناعماً وهو يردد دون توقف ، الإعجاب المهذب بصلاية رأس بايارد وأنه يجلس للشراب معه لأول مرة .

وشربوا أيضاً ، وبدأ هب يقترض السجائر من بايارد ، وأصبح ، أيضاً أكثر استباحة للفظ . راوياً بجرأة المنح والنوادر بلهجة أهل بلده ، عن الويسكي والبنات والحظ . ثم كان هو وسوريات يتجادلان بود حول العمل . وبدأ وكأنهما على استعداد للجلوس دون تعب وبراحة تامة . وأقدامهما تحتها ، ولكن ساقى بايارد فقدتا الإحساس تماماً ، فدهما ليدغدغهما الدم المنساب وقد جلس الآن وأسند ظهره إلى الشجرة ومد ساقيه الطويلتين أمامه ، وكان يسمع صوت سوريات دون أن ينصت إليه .

أصبحت رأسه شكلاً ما من العناء المشدود ، وحيناً بدت له وكأنها تسبح مبتعدة من فوق كتفيه وتحلق بعيداً بجوار الحائط الأخضر . وكأنها بالون شفاف ، بداخله ، أو من ورائه ، ظل ذلك الوجه ، الذي لا يتضح تماماً ، ولا يغيض أبداً بشكل يكاد يبعث على الضيق - عيناه استدارتا بالدهشة العميقة المروعة ، يدان مرفوعتان تمرقان وراء قبص أبيض صغير وسروال أزرق ، في اندفاع رافعة غاصت في ضجيج الصدام والظلام .

ومضى صوت سوريات البطيء الناعم بانتظام ، ولكن دون أية مضايقة ، بدأ وكأنه ينسجم بسهولة مع المشهد الساكن ، كان يتكلم عن أشياء دنيوية وكان يقول : سأحدثكم عن الطريقة التي تعلمت بها تقطيع القطن . أخذني أخي الأكبر ووضعني في الصف الذي أمامه وبدأت وبمجرد أن قطعت قطعة أو قطعتين وجدته ورائي . وكلما قطع فأسي مرة ، كان فأسه يقطع مرتين ، ولم يكن عندي قط حذاء في تلك الأيام ، ثم استطرد يقول بجفاف : وهكذا كان علي أن أتعلم كيف أقطع القطن بسرعة ، وفأسه ماضية ورائي تنقض على عقبى العاريتين ، ولكنني ، أقسمت حينئذ ، وليحدث ما يحدث ، ألا أزرع شيئاً قط في الأرض في اللحظة التي أستطيع فيها

أن أقوم بأودي . الزراعة خير بالنسبة للذين يملكون الأرض ، ولكن الناس من أمثال أهلي لن يمتلكوا أرضاً على الإطلاق . وفي كل مرة حضرنا الأرض فيها كنا نزيل بأظافرنا الوحل لشخص آخر ، ورقصت الحشرات ودارت في دوامات أشد جنوناً في ضوء الشمس ، فوق أماكن مجرى الماء المختفية ، وقد أخذ ضوء الشمس لونا نحاسياً غنياً ، ووقف سورات وقال : حسناً يا أولاد . على أن أعود إلى البلدة ، ثم نظر إلى بايارد مرة أخرى بوجهه الذكي العطوف وقال : أحسب مستر بايارد قد نسي تماماً الصدمة التي أصابته ، أليس كذلك ؟ ،

قال بايارد : اللعنة ، كف عن مناداتي بمستر بايارد .

التقط سورات الدين ، كنت أعرف أنه على ما يرام ، إذا تيسرت لك معرفته وقال لهب : ما زلت أعرفه منذ أن كانت قامته لا تصل إلى الركبة ، ولكن أنا وهو لم تلق الأيام بنا معا قبل الآن .

أنا يا أولاد ولدت صبياً فقيراً بينما عاش أهل مستر بايارد في ذلك المكان الكبير ولديهم كثير من المال في البنوك وزنوج يقومون على خدمتهم ولكنه طيب . ثم قال مرة أخرى : ان يقول شيئاً عن إعطائه هذا الويسكي .

أجاب لهب : فليقل إذا شاء - لا يساوي الأمر عندي قلامة ظفر .

وشربوا مرة أخرى وقد غابت الشمس أوكدت ، ومن أماكن المجرى الموحلة السرية جاء تقيق ضفادع صغيرة ، وكأنه صوت أشباح ، وخارت البقرة النحيلة عبر المرئية من حول الجرن ، وأعاد لهب السدادة إلى الدين ، ودفعها إلى مكانها بضربة من كفه وصعدوا التل ، وزحفوا خلال السياج ، كانت البقرة واقفة أمام باب الجرن وتطلعت إليهم وهم يقتربون ، وخارت مرة أخرى ، مبتسمة نائمة ، وقد غادر الأوز البركة ومضى في استعراض وقور عبر فناء الجرن متجهاً نحو البيت ، حيث كانت تقف على بابها الذي حددته من الجانبين عليقة من الريحان الأسود الشامي ، امرأة .

قالت في صوت رنين مستو ، ذهب ، .

قال هب بسرعة ، ذاهب إلى البلدة -- بالتأكيد عليك أن تحلبي ، .

وقفت المرأة في الباب بهدوء ، وحمل هب الدن إلى الجرن ، وتبعته البقرة ، وسمعا ، واستدار ، وأعطاهما صفة عالية على ضلوعها الهزيمة ؛ وسبها دون حاسة . ثم ظهر مرة أخرى واتجه إلى البوابة وقتحها ، ومضى سورات بالسيارة خلالها . ثم أغلقها مرة أخرى وربطها بالسلك وقفز إلى حاجز السيارة ، وتقدم بإيارد وأقنع هب بالجلوس داخلها . وظلت المرأة واقفة بالباب ، وهي ترقبهم بهدوء . وبالقرب من الباب اندفع الأوز هائماً وهو يطلق صيحات متنافرة ، وقد تلوت أعناقها الأنيقة وكأنها إشارة تحية رسمية سامنة .

امتدت ظلال أشجار الفاكهة مستطيلة عبر الحقول المهملة ، ودفعت السيارة ظلها المستطيل أمامها وكأنها ظل طائر هائل محدودب السكتفين . وصعدوا التل الرملي في آخر لحظات الغروب ونزلوا بعيداً عن ضوء الشمس إلى لحظة الغروب البنفسجية . كان الطريق برماله صامتا ، وتهادت السيارة وصعدت من الحفر المتآكلة المتحركة ثم إلى الطريق العام .

كان القمر المتنامي في السماء فوق رؤوسهم ، إلا أنه حينئذ لم يكن يعطى بوراً ، ومضوا بالسيارة متجهين إلى البلدة ، مارين من حين إلى حين ، بعربة ريفية عائدة إلى البيت ، وهذه ، حياها سورات بإشارة رصينة من يده ، ذلك أنه كان يعرف تقريبا كل نفس في الإقليم ، وإذا مر الطريق بجسر خشبي بين مزيد من أشجار الصفصاف والبيلسان وحيث كانت العتمة أشد كثافة وأشد وضوحاً ، أوقف سورات السيارة ونزل منها متسلقا من فوق الباب .

قال : أنتم يا أولاد اجلسوا بهدوء . لن أغيب إلا دقيقة . على أن أملاً المبرد . . وسمعا عند مؤخرة السيارة ، ثم ظهر مرة أخرى ومعه دلو من

صفيح ونزل بخفة ورشاقة إلى جانب الطريق بجوار الجسر . كان الماء يضحك ويفغم تحت الجسر غير مرئي في ساعة الفسق ، وقد تحمل همسه بصوت الضفادع والمجذاجد . وما زالت الحشرات الضئيلة تهوم وتدور كالذوامات فوق الصنصاف الذي كان يحد مجرى الماء ، لأن الخفافيش ظهرت من غير مكان ، في انقضاضات طويلة ، لتختفي وسط انقضاضاتها لجأة ، لتظهر مرة أخرى وهي تهوى ومن ورائها صفحة السماء المأدبة ، خرساء كقطرات ماء على نافذة من زجاج ، سريعة ، صامتة ، وصارمة وكان أجنحتها قد قدت من الفسق واتخذت من الصمت ريشا .

تسلق سورات الشاطيء متعثرا ومعه الدلو ، ورفع الغطاء وميل الدلو فوق المورد . وتعلق القمر فوقهم دون أن يبرز ، إلا أن ظلا خفيفا لرأس سورات وكتفيه سقط فوق غطاء المحرك وفوق أرض الجسر الخشبية الشاحبة . كانت أوراق الصنصاف العريضة مرسومة في ظلها بدقة وشحوب بقلم رفيع . ومضى آخر الماء بفرغرات وضجيج خفيف إلى داخل الآلة ، وأعاد سورات الدلو إلى مكانه وتلاق السيارة من فوق الباب المغلق . وكانت المصابيح تضاء بوساطة مولد ، فأضاءها . وبينما كانت السيارة ماضية بسرعة منخفضة توجهت المصابيح إلى أقصاها ، ولكنه إذ زاد سرعتها هبطت إلى ضوء خفاق لا يزيد على ظل مضى .

كان الليل قد خيم على المدينة عند ما وصلوا إليها ، وبدأت المصابيح المضاءة على ساحة بيت القضاء كجبات صفراء فوق الأشجار ، ومن فوق اللون الأخضر الشاحب الذي حلق في أطراف الأشجار تعلق منتصباً عمود أسود من الدخان وكأنه ريشة طائر متزنة ، وأنزلهم سورات عند المطعم ومضى ، ودخلا ورفع صاحب المطعم رأسه البيضاء وعينيه المستديرتين الناعمتين من وراء نضد الصودا الفوارة .

قال وقد أخذته الدهشة ، أيها الخالص العظيم ، ألم تعد بعد إلى البيات يا ولدي؟ ما زال دكتور بيبودي يبحث عنك منذ الساعة الرابعة ، وذهبت مس جيني إلى البلدة في عربتها ، لتبحث عنك . إنك ستقتل نفسك .

قال بايارد : فلتأخذك جهنم ياديكون ، تعال إلى الجزء الخلفي ، واحضر لي ولطب لحم خنزير وبيضاً بما يساوي دولارين .

وبعد ذلك عادوا إلى الدن في سيارة بايارد وهب وشاب ثلاث كان وكيل شحن البضائع في السكة الحديدية ، مع ثلاثة زنوج وكان في المقعد الخلفي ، ولكنهم لم يمضوا بالسيارة إلى أبعد من المحل القريب من البيت ، وتوقفوا هناك ، بينما مضى هب على قدميه في الطريق الرمل إلى الجرن . وتخلق القمر فوق رؤوسهم شاحبا باردا وفي كل الأنحاء تعالت أصوات الحشرات الحادة وهي محتفية في الحشائش المغبرة . وفي المقعد الخلفي تهامس الزنوج فيما بينهم .

قال ميتش وكيل الشحن : ليلة رائعة ، ولم يقل بايارد شيئا . كان يدخن مكثبا وقد أحاطت الضمادات البيضاء برأسه كالحوذة . كان القمر والحشرات وحدة ، مسموعة ومرئية ، بلا أبعاد ولا مصدر .

وبعد برهة ظهر هب وقد تتوج بهالة فضية مائلة هي قبعته ، ومن رائه غموض الطريق المتلاشي ، وجاء إليهم ، وطوح الدن بيده ووضعته على الباب ، ورفع غطاءه . وقدم ميتش الزجاجاة إلى بايارد .

قال بايارد : اشرب ، وشرب ميتش ، وشرب الآخرون .

قال هب : ليس لدينا ثمة شيء يشرب منه الزنوج .

قال ميتش : نعم ، واستدار في مقعده ، وقال : أليس لدى واحد منكم يا أولاد كوب أو شيء ما ؟ ، وتهامس السود ثانية ، وفي مهماتهم شيء من الدهشة .

قال بايارد : انتظروا ، وقام من مكانه وخرج ورفع غطاء المحرك وأخذ غطاء البرد وقال : سيكون له إلى حد ما مذاق الزيت كأسا أو كأسين ، ولكنكم يا أولاد لن تحسوا به بعد ذلك .

قال الثلاثة في صوت واحد : لاسيدي ، وأخذ أحدهم الكوب ومسحه

بطرف سترته ، وشربوا هم كذلك في دورهم ، وتلظوا وهم يزفرون الهواء
بعمق وأعاد بايارد الغطاء إلى مكانه وعاد إلى السيارة .

سأل هب ، والذين ساكن في يده ، من منكم يريد شرابا آخر الآن ؟ .

قال بايارد موجها « اعط ميتش واحدا . عليه أن يلحق بنا . »

وشرب ميتش مرة أخرى ، ثم أخذ بايارد الدين ، ورفعته إلى فمه ،
وراقبه الآخرون باحترام .

غمغم ميتش قائلا « فلتحل على اللعنة إذا لم يشربه كله ، لو كنت مكانك
لخشيت أن أفعالها مرارا ، . »

أنزل بايارد الدين وقدمه إلى هب وقال « إنها رأسى الملعونة ، في كل مرة
أتوقع أن تخفف آلامها كأس أخرى ، . »

قال هب « الطيب حزم هذه الضمادة أكثر ، يجب ، أتريد أن ترخيها
قليلا ؟ ، « لا أدري ، . وأشعل بايارد سيجارة أخرى ورى الثقاب بعيدا
« أظنني سأخلعها ، بقيت مكانها مدة كافية ، ورفع يديه وتحسسها . »

قال ميتش محذرا « خير لك أن تدعها مكانها ، ولكنك مضي يبحث
متحسسا بيديه مكان العقدة ، ثم دفع أصابعه تحت إحدى لفافات القماش
وشده بشراسة وانحنى أحد الزوج إلى الأمام بسكينة جيب ، وقطع النسيج ،
وراقبوه وهو يفرطها ويرى بها بعيدا . »

قال ميتش « ما كان ينبغي عليك أن تفعل هذا ، . »

قال هب « دعه ينزعها إذا كان يريد ذلك . إنه على مايرام ، . »

وصعدوا إلى السيارة ، ووضع الدين بين ركبتيه ، وقاد بايارد السيارة ،
وكان صوت الطريق الرمل حادا تحت إطار السيارة العريضة ، وصعد مرة
أخرى وقد أصبح منطى بالحصى إلى الغابات ، حيث كان ضوء القمر المبرقش

متقطعا وخداعا في المشاهد المترامية المتلاشية . كانت أصوات الحشرات كأنها أنغام ناي مناسبة ، غير مرئية وغير معروفة المصدر بين أشكال الضوء والظل المائجة ، وخرج إلى الطريق من الغابة وهبط ، والرمال في آ كأم متحركة صامتة ، ثم استداروا إلى طريق الوادي ومضوا مولين عن المدينة .

ومضت السيارة ، مضت على العجيج الحاد الصادر من كاتم الصوت المفلق ، وتهامس السود فيما بينهم ، بضحكات مخطوفة رقيقة كأنها قطع من ورق يمزق يصنعها الهواء بعيدا وراءهم ، ومروا بالبوابات الحديدية وبيت بايارد الهاجع في وقار بين الأشجار في ضوء القمر ، وكشكك الإشارات الصغير الصامت ، وحلاجة القطن ذات السقف المعدني على جانب السكة الحديدية .

وأخيرا صعد الطريق إلى التلال . كان معبدا وكثير الانحناءات وغاليا من المرور ، وصمت الزنوج عندما رفع بايارد السرعة ، إلا أنها لم تكن شيئا يذكر بجانب ما كانوا يتوقعونه منه ، وتوقفوا مرتين بعد ذلك وشربوا ، ثم نظروا من قمة التل الآخر ، إلى عنقود آخر من الأضواء . كأنها حبات تجلطت فوق الزيف الشاحب حيث كان طريق السكة الحديدية يمضي ، وأخرج هب غطاء المبرد وشربوا مرة أخرى .

مضوا ببطء خلال شوارع مماثلة لشوارع بلدتهم ، متجهين إلى ميدان مماثل أيضا . واستدار الناس في الميدان ونظروا إليهم متطلعين ، وعبروا الميدان ومضوا في طريق آخر ، ثم بين مروج عريضة ونوافذ مظلمة ، ثم عبروا سياجا حديديا وعادوا مرة أخرى بين أشجار سوداء وفضية ، وحدقت النوافذ المضائة في صفوف منتظمة ، كفوانيس مربعة علققت بين الأغصان .

توقفوا هنا ، بين الظلال . ونزل الزنوج وأخذوا السكان ذا الصوت العميق والفيثارة ثم أمسك الثالث بأنبوبة رفيعة تناثرت عليها مفاتيح ، لمح عليها القمر المتقطع في نقط شاحبة ووقفوا ورددوهم إلى بعضهم البعض

يتهايمون معا ، ويلتقطون من الأوتار أنغاماً ناعمة حبيسة ثم رفع صاحب المزمار مزماره إلى فمه .

كانت الأنغام أنغاماً قديمة . بعضها كان معة . الشكل دقيق التركيب ولكن هذا كله ضاع عند التنفيذ ، وطبعت كلها بدلا من ذلك بالشجن والنواح ، وببساطة واختزال في الإيقاع ، وسبغت الأنغام على أوتار شجية ناعمة فوق الهواء الفضى ، لتفيض وتموت في أصداء أضعف ممتدة عبر المشاهد العريضة الخداعة في ضوء القمر . وعزفوا مرة أخرى لخنا من الحان الفالس القديمة . وجاء حارس الكلية عبر المرح المبرقش إلى السياج وأسند ذراعيه إليه فكان كتلة من الظل المنصت بين الظلال الأخرى وعبر الشارع ، في الظلال هناك ، وقف مستمعون آخرون واقتربت سيارة ثم أبطأت بجوار الطوار وأطفأت محركها وأنوارها ، وفي صفوف النوافذ مالت رؤوس وحوطها هالات من ضوء الغرف من خلفها ، بلا فردية ، أنثوية ، بعيدة ، رقيقة وسماوية الشباب .

وعزفوا ، د بيتي ، يا بيتي الحلو ، وعندما ماتت الأنغام العميقة سبج إليهم عبر الفراغ تصفيق رقيق من أكف صغيرة ، ثم غنى ميتش في صوته الصافي الأجنس فائق العذوبة د سيداتي ، سعدتن مساء . وكانت الأيدي الشابة أكثر تقديراً وإذ مضوا بسياراتهم مبتعدين سبجت وراءهم الرؤوس الدقيقة المكحلة بهالات من الشعر اللامع في النوافذ المضيئة كما سبج وراءهم التصفيق الناعم طويلاً ، وهو يفيض ويغيض في الصمت الفضى ولا نهاية القمر .

وتوقفوا عند قمة التل الأول خارج المدينة ، ونزع هب غطاء المبرد ، ومن وراءهم أضواء أنوار متناثرة بين الأشجار ، وبدا ، وكأنه مازال يصل إليهم عبر العالم الساكن ، صوت تلك الأكف الشابة كزهور رقيقة منظرحة أمام ذكورتهم وشبابهم ، وشربوا دون أن يتكلموا وما زالوا مغلفين بالسحر الغائض لتلك اللحظة المفقودة . وغنى ميتش لنفسه بصوت

عافت وانطلقت السيارة تهر مرة أخرى ، وانحدر الطريق بانحناء سهل ،
خالياً وناصعاً . وتكلم بايارد وكان صوته قاسياً مفاجئاً .

قال : كفى يا هب ، انحنى هب إلى الأمام ومد يده وراء لوحة القيادة ،
وانطلقت السيارة بهممة منتظمة مقيدة ، كانطلاق رعد بجنج ، ثم استوى
الطريق وامتد طويلاً إلى مرتفع آخر ، وارتفعت المهمة وتحولت إلى صياح
واندفعت السيارة إلى الأمام بمنف قاصف للرقاب . وقد توقف الزنوج عن
الكلام وأطلق أحدهم صيحة نادبة .

قال هب وهو ينظر إلى الخلف . د رينو فقد قبعته ،

أجاب بايارد : إنه لا يحتاج إليها ، وزارت السيارة وهي تصعد التل
واندفعت عبر القمة ومرقت من قوس حاد .

صاح الأسود نادباً ، د أوه ، بالإلهي ، مستر بايارد ، وبتر تيار الهواء
كلماته ، وكأنها أوراق شجر ، د مستر بايارد ، دعني أخرج .

أجاب بايارد ، د افقر أمنها ، إذن ، وتساقط الطريق من تحتهم وكأنه
أرض مائلة ومضى عبر واد ، مستقيم كخييط مشدود . وقبض السود على آلاتهم
الموسيقية وأمسك كل منهم بالآخر . وقرأ عداد السرعة خمسة وخمسين ،
ستين ومضى يتقدم بانتظام . ومرقت بهم بيوت متناثرة تغط في النوم
وحقول ، وقطع من غابات كأنها أنفاق .

ومضى الطريق عبر أرض سوداء وفضية . وتنادت الحشرات من
الجانبين ، وهي تردد تساؤلها الناعم ، ومن حين إلى حين ، وإذا كان
الضوء الأمامي يكتسح الطريق في انحناءاته المفاجئة كانت تلعب أمامهم
في التراب نقطتان من النار الشاحبة في اللحظة التي يضطرب فيها الطائر
متخبطاً في مكان ما تحت المبرد .

وتصاعدت القمة بانتظام والغابات تنحدر على جانبيها . وتناثرت
أكواخ زنوج على المنحدرات أو بجانب الطريق .

ثم غطس الطريق ثم صعد مرة أخرى في فتحة ضيقة قطعها هو
أخرى ، ثم وقف مباشرة أمامهم كالحائط ، وانقذت السيارة إلى أعلى
فوق الهوة وتركت الطريق تماما ، ومضت بشكل مروع ، وطارت استغاثة
السود جميعهم بعيداً . ووصل المرتفع إلى قته وتوقف رعد السيارة وانزلت
بهده حتى وقفت . كان الزوج جالس في قاع السيارة .

قال أحدهم متعجباً بعد وقت ، « أهذه هي السماء ؟ » .

قال الآخر ، « لن يدعوك ، يا أخ ، تدخل السماء ورائحة الخمر
في أنفاسك وبلا قبعة » . ثم قال الأول « إذا كان الرب لا يعنى بي أكثر
ما فعل بتلك القبعة فأنا لن أريد على أى حال أن أذهب إلى هناك » .

قال الثاني ، « دم ... » عندما نزلنا هذا التل الأخير ، كاد هذا المزمار
أن يطير من يدي ، ناهيك عن قبعتي ، وأضاف الثالث ، « وعندما قفزنا
فوق تلك الهوة أو أيا كانت تصورت للحظة أن كل هذه السيارة
قد طارت من يدي » .

وشربوا أيضاً . كان مكانا مرتفعاً وكان الهواء بارداً يتحرك بوقار ،
وعلى كل من الجانبين كان ثمة واد ملؤه بالضباب الفضي وبالطيور ، ومن
وراء هذه التلال ، مضت الأرض الفضية في طريقها إلى السماء ، وعبر
الوادي ، نبح كلب من بعيد وبأسى ، وكان رأس بايارد هادئاً وصافياً
كناقوس أجوف ، وداخله ظهر الوجه أخيراً بوضوح ، تلك العينان المستديرتان
بالدهشة العميقة ، وعلى جانبيهما وبوقار جناحان معتمان من الشعر ، قال
لنفسه ، إنها الفتاة بيذبو ، وجلس برهة وهو يحلق في السماء . وكانت
الأضواء على ساعة البلدة ثابتة وصفراء في المسافة الذائبة ، ولكن في كل
اتجاه آخر ، مضى العالم في طريقه قم ناعسة ونصف شفاقة في لون اللبن .

عندما جلست العمة سالي ويات للعشاء كانت ناريسا قد فقدت شهيتها
للطعام ، ومضت العمة تزدد طعامها المظهور الطرى وهي تمنغم مشاكسه لأنها
ترفض أن تأكل .

قالت العمه سالى وكانت اى دائما تجعلنى اشرب قداما من الشاى عندما كنت احضر الى المائدة فى مزاج سيىء . ولا اريد ان آكل ، ولكن الناس ، هذه الايام ، يتصورون ان الله الطيب سيحفظهم فى حالة جيدة ، دون ان يحركوا اصبعها . قالت نارسيسا مصره ، لاني على ما يرام فقط لا اريد ان اتناول اى عشاء .

هذا ما تقولينه . تدعين حالتك تتدهور ، والله يعلم اننى لست من القوة بما فيه الكفاية لأقوم على خدمتك . فى ايامى كان الشباب يراعون شعور من يكبرونهم سنا أكثر مما يفعلون اليوم . ودفعت طعامها الى فمها بطريقة فجأة وشكسة ورتيبة ومتكررة بينما كانت نارسيسا تعبت بقلق بالطعام الذى لم تستطع ان تأكله . وبعد ذلك مضت العمه سالى فى نفس حديثها وهى تتأرجح وشغلها الغريب الذى لا ينتهى أبداً فى حجرها ، لم تشأ أبداً ان تقول ماذا سيكون هذا الشغل عندما تنتهى منه ، ولا لمن ، ومازالت تعمل فيه منذ خمس عشرة سنة ، وهى تحمل معها دائماً ، حقيبة قدرة بالية لاشكل لها من الحرير المشجر تحتوى على غرائب وأطراف من الأنسجة الملونة فى جميع الأشكال الممكنة . لم تستطع أبداً ان تخطيها حسب اى شكل معين ، ولذا فقد كانت تغير ، وتثبت وتتأمل وتميد الثنيات والتغيير ، وكأنها قطع فى لعبة الصور المقطعة التى يستلزم تركيبها صبراً شديداً ، وهى تحاول دائماً ان تنسجها فى شكل مادون ان تستخدم فى ذلك مقصها وهى تسوى مزق أنسجتها الملونة بأصابع رخوة رمادية ، وهى تغير أوضاعها بلا انقطاع ، ومن صدر ثوبها تدلى خيط عنكبوتى متسلو من الأبرة التى نظمته فيها نارسيسا .

جئت نارسيسا الى كتاب فى الطرف الآخر من الغرفة ، ومضى صوت العمه سالى فى طنين مشاكس لا ينقطع بينما أخذت نارسيسا فى القراءة ولجأة نهضت ووضعت الكتاب جانبا ، وعبرت الغرفة ودخلت المقصورة حيث كان البيانو ، ولكنها لم تعزف أكثر من أربعة أوتار ، قبل ان تتهاوى بداها فى نشاز ، وأغلقت البيانو وذهبت الى التليفون .

شكرتها من جيني بحدة لاهتمامها وجرؤت على أن تقول لها إن بايارد كان في خير حال وإنه مازال عضواً نشطاً فيما يسمى بالجنس البشري ، ذلك لأنهم لم يتلقوا بعد تليفاً رسمياً بموته من النائب العام . لا ، لم تسمع عنه ثمة شيئاً منذ أن انفصل بها دكتور ييبودي تليفونياً في الساعة الرابعة ، وأبلغها أن بايارد في طريقة إلى البيت برأس مصابة ، لقد صدقت بسهولة ما قيل عن الرأس المصابة ، أما الجزء الآخر من القصة فلم تضع فيه أي قدر من الثقة ، ذلك أنها قد عاشت ثمانين عاماً مع هؤلاء المليونين من آل سارتورس وتعرف أن البيت هو آخر مكان في العالم يفكر في الذهاب إليه على الإطلاق أي سارتورس برأس مصابة . لا ، إنها ليست حتى مهتمة بمعرفة مكانه الحالي وكل ما ترجوه هو ألا يكون قد أصاب الحصان . فالخييل حيوانات ثمينة . عادت نارسيسا إلى غرفة الجلوس وقالت للعمه سالي : مع من كابت تتكلم ولماذا ، وسحبت مقعداً منخفضاً إلى جوار الصباح وعادت إلى كتابها .

قالت العمه سالي بعد برهة ، وهي تجمع مزق أنسجتها وترجها في الحقيبة ، حسناً ، إذا كنت لا ترغبين في الحديث .. أنا أشكر الله . أحياناً . لأنك أنت وهوراس لستما من دمي بالطريقة التي تمضون بها جميعاً في حياتكم . ولكن إذا رضيت أن تشربي هذا المنبه القوي فأنا لا أدري من الذي سيحصل لك على جذور الساسا فراس اللازمة لإعداده . أنا لم أعد أستطيع أن أفعل هذا ، وأنت لن تستطيعي أن تميزي بينه وبين شعر الكلاب أو أذن البب .

قالت نارسيسا محتجة ، أنا بخير ،

وقالت العمه سالي مكررة ، و امضى فيما أنت فيه ، واستلق عاجزة على ظهرك ، وليس حولك إلا أنا والزنجية التافهة لتعني بك . في ستة أشهر ، لم تزل التراب حتى عن إطار صورة ، وهذا ما أعرفه بالتأكيد وأنا فعلت كل شيء إلا أن استجدي واسترحم ، ووقفت وألقت تحية المساء وحجبت من الفرقة . وظلت نارسيسا جالسة وهي تقلب صحائف

الكتاب ، وسمعت الأخرى وهي تصعد الدرج ، ودقات عصاها المنتظمة
المجسدة تراقبها ، وظلت نارسيسا جالسة قليلا بعد ذلك تقلب صحائف
كتابها .

ثم رمت الكتاب بعيداً وذهبت إلى البيانو مرة أخرى ، ولكن العمة
سالى نقرت على السقف بعصاها من فوقها ، فتوقفت وعادت إلى كتابها ،
ولذا ، فإنها حيث بسرور حقيقى دكتور ألفورد عند ما جاء بعد برهة .

قال مفسراً : كنت مارا وسمعتك تغزفين . أنت لم تتوقنى عن العزف ؟

وقالت مفسرة : إن العمة سالى قد ذهبت إلى فراشها ، وجلس متحفظا
وتحدث إليها بطريقته الجامدة المتفقهة عن موضوعات علمية جاقة لمدة
ساعتين . ثم مضى ، ووقفت بالباب ترقبه وهو يسير في الممر الخاص . وقد
تعلق القمر فوق الرؤوس ، وعلى امتداد الممر انتصبت أشجار الأرز
في قوس منحني جاف وكأنها رماح مسددة إلى السماء الشاحبة الموشاة برقة .

ثم عادت إلى غرفة الجلوس وأخذت كتابها وأطفأت الأضواء ،
وصعدت الدرج ، وسعلت العمة سالى بهدوء مهذب . ووقفت نارسيسا
في مكانها عبر البهو تستمع لحظة إلى الأصوات التي ألفتها وفكرت وهي
تمضى ، « سأكون مسرورة عند ما يعود هورى إلى البيت . »

أضأت نور غرفتها وخلعت ملابسها وأخذت كتابها إلى فراشها حيث
منعت بإصرار مرة أخرى وعيها من أن يطفئ ، كما تمسك بحجر صغير
تحت الماء حتى يتوقف نضاله . وبعد وقت قصير استسلم عقلها للكتاب
ومضت تقرأ ، وهي تتوقف من لحظة إلى أخرى لتفكر بحرارة في النوم
ثم تستأنف القراءة . ولذا فعندما دج السود آلائهم الموسيقية تحت
نافذتها لأول مرة لم تنكث بهم إلا قليلا جداً وتساءلت وهي تشعر
بسرور خفيف ، لآى سبب في العالم يمزفون لي ؟ ، وتصورت في الحال
العمة سالى في قبعة نومها وهي تنحنى من نافذة وتصرخ فيهم وتطردهم .

واستلقت وكتابها مفتوح ، وهي ترى على وجه الصفحة المنشورة الصور التي تخيلتها ، بينما سبحت أنغام الأوتار والمزمار الناعمة إلى نالذتها المفتوحة .

وجأة همت جالسة ، ييقين قاطع مطلق ، ووصفت الكتاب وانزلت من الفراش . وأطلت من الغرفة الأخرى .

كان السود مجتمعين على المرح ، المزمار الموشى بالفضة ، والقيثارة ، وكتلة السكان الأجنس الوقورة الهزلية . وفي الشارع عند مدخل الممر وقفت سيارة في الظلال . وعزف الموسيقيون مرة ، ثم نادى صوت من السيارة ، فراجعوا عبر المرح ، ومضت السيارة دون أن تضيء أنوارها كإت واثقة ، إذن . مامن شخص غيره يعزف لحنا واحدا تحت نافذة سيده بما يكفى فقط لإيقاظها من نومها ثم يمضى .

عادت إلى غرفة نومها ، كان الكتاب على الفراش منكفئا على وجهه ، ولكنها ذهبت إلى النافذة ووقفت بين الستائر المفارقة ، تتطلع إلى العالم الأسود والفضى والليل الهادى . وخطر النسيم على وجهها وبين أجنحة شعرها السوداء المناسبة وكان رطبا وثيدا . وهمست ، الوحش ، وتخلت عن الستائر فانغلقت ونزات الدرج على قدميها الصامتين مرة أخرى ، ووجدت التليفون فى الظلام ، وأدارت القرص وهو يردد جرسا مكتوما .

انطلق صوت مس جينى فى الظلام كمادته سريها وحادا وباردا ، وبلا دهشة ولا شغف . لا ، لم يعد إلى البيت بعد . لأنه - على ما تعتقد - محبوس فى أمان فى السجن . إلا إذا كان الانحلال قد بلغ بضباط المدينة الحد الذى لا يستجيبون معه لطلب سيده . يعزفون ؟ هراء . ماذا يريد بتجوله بفرقة عازفين ؟ ان يستطيع أن يجرح نفسه وهو يمضى مع فرقة عازقة إلا إذا قتله شخص ما بمكواه حديدية أو منبه . ولم هى قلقة عليه ؟

وأنت نارسيسا الحديث واقفة مكانها في الظلام ، وهي تضرب بقضتها صندوق التليفون الحامد . الوحش ، الوحش .

تلقت في تلك الليلة ثلاث زيارات ، كانت إحداها رسمية ، والثانية غير رسمية ، أما الثالثة فن مجهول .

كان الجاراج الذي يلجى سيارتها مبنى صغيراً من الآجر محاطاً بنباتات دائمة الخضرة وكان أحد جوانبه استمراراً لجدار الحديقة ، ومن وراء الجدار كان مرج أخضر يدخل من الخلف إلى شارع آخر . وكان الجاراج على بعد خمس عشرة ياردة من البيت ، وكان سقفه يرتفع حتى نوافذ الطابق الأول ، وكانت نوافذ غرفة نوم نارسيسا تطل على سقفه المغطى بالأواح الأردواز .

جاء الضيف الثالث عبر المرج وتسلق الجدار ومنه إلى سقف الجاراج ، حيث استلقى في ظل الأرز ، فاحتسى بذلك من ضوء القمر . وقد ظل ممدداً هناك مدة طويلة ، وكانت الفرقة المقابلة له مظلمة عند وصوله ، ولكنه استلقى في مخبأه ، كحيوان وبصير حيوان ، وبلا حركة عدا رفع رأسه بين الحين والحين لاستكشاف المشهد المباشر وبسهم سريعة خفية منقذة من عينيه .

ولكن الفرقة المواجهة له ظلت ظلماء ومرت ساعة . وبعد هذا دخلت سيارة المر (عرفها ، كان يعرف كل سيارة في البلدة) ودخل رجل البيت ، ومرت الساعة الثانية ، وما زالت الفرقة مظلمة ، وما زالت السيارة في مكانها . ثم خرج الرجل ومضى بسيارته ، وبعد برهة انطلقاً نور الطابق الأول ، ثم أضاءت النافذة المواجهة له ، ومن خلال الستائر الشفافة رآها تتجول في غرفتها ، وراقب حركاتها المظلمة وهي تخلع ملابسها ، ثم مضت واختفت من مجال رؤيته . ولكن المصباح ظل مضيئاً وظل هو مستلقياً في سكون بصير لا ينفذ استلقى هناك بينما مرت ساعة أخرى وتوقفت سيارة أخرى أمام البيت ، وجاء ثلاثة من الرجال يحملون أشياء .

غريبة الشكل عبر المر ، ووقفوا تحت النافذة في ضوء القمر ، واستلقى
أيضاً حتى عزفوا مرة ومضوا . وعندما مضوا جاءت إلى النافذة وأزاحت
الستار ووقفت برهة في عتمة أجنحة شعرها المنسالة ، وكانت تنظر مباشرة
إلى عينيه المختلفتين .

ثم هبطت الستار مرة أخرى ، ومرة أخرى أصبحت ظلاً متحركاً
من ورائها ، تم انطقاً النور واستلقى هو منكفئاً على وجهه فوق السقف
ذو الانحدار الشديد ، في سكون مطلق لمدة طويلة وهو يقذف من تحت
وجهه الخبأ ومن عينيه نظرات خفية سريعة شاملة لا تتوقف ، وكأنها
نظرات حيوان .

جاءوا - آخر الأمر - إلى بيت نارسيسا . لقد زاروا كل
الفتيات غير المتزوجات في بيوتهن الممتمة ، واحدة بعد الأخرى ، وفي
كل مرة كانوا يظلمون جالسين في السيارة بينما يقف الزوج في المرحج بالآتهم
الموسيقية المنسقة . وظهرت رهوس في نوافذ مظلمة ، وأحياناً كان يضاء
نور ، ومرة وجهت إليهم الدعوة للدخول ، ولكن هب وميتش رفضاً
باستحياء ، ومرة أرسلت إليهم المرطبات ، ومرة وجه إليهم السباب
بحمية ، من شاب كان جالساً مع سيده الشابة في شرفة ممتمة وفي أثناء هذا
فقد غطاء المبرد ، وبينما كانوا يمضون من بيت إلى بيت ، شرب ستهم
دورة بعد أخرى من اللبن بروح الأخوة وأخيراً وصلوا إلى بيت يينبو
وعزفوا مرة تحت أشجار الأرز . كان ثمة ضوء في نافذة واحدة ، ولكن
لم يخرج إليهم أحد .

نزل القمر إلى الأفق . وكان نوره على الأشياء فضة باردة ، مبددة
وشاحبة قليلاً . وكان العالم فراغاً وهم يمضون بسيارتهم المظلمة في شارع
خلا من الحياة وتجمد في السواد والفضة كأي شارع في القمر ذاته . ثم
مضوا تحت ظلال منمنمة متقطعة وعبروا تقاطعات ساكنة ثم غاضت
من ورائهم ، ومروا بين الحين والحين بسيارة واقفة بجوار طوار أمام

بيت ، وعبر كلب الشارع جارياً أمامهم ومضى عبر مرج ثم اختفى عن الأنظار وعدا هذا ، فلم يكن ثمة حركة في أى مكان .

انفتح الميدان عريضاً على كتلة أشجار الدردار المغلفة بالأبسنت التي تحيط ببيت القضاء . ومن بينها ، كانت المصاييح الكروية على أبعادها المتساوية أشبه ما تكون الآن بعناقيد من العنب هائلة شاحبة . وفوق القبة المكشوفة لكل مصرف أضاء مصباح وحيد ، وآخر داخل بهو الفندق الذى اصطف أمامه عدد من السيارات ، وفيما عدا هذه فلم يكن ثمة أنوار .

وداروا حول بيت القضاء ، وتحرك ظل بالقرب من باب الفندق ، وفصل نفسه عن ظله وجاء إلى الطوار ، فقص أبيض بلع داخل ستره مفتوحة ، وعندما تحركت السيارة ببطء نحو شارع آخر رفع الرجل يده بالتحية . وتوقف بايارد وجاء الرجل عبر الغبار الشاحب ووضع يده على الباب .

قال ميتش ، ماذا بك ، تأخر بك الوقت كثيراً أليس كذلك ؟ ،
كان للرجل وجه رزين دمك كوجه حصان . وكان يضع نجمة معدنية على صدره المفتوح وقد ارتفعت سترته قليلا فوق عجزه ، سأل ، ماذا تفعلون يا أولاد ؟ كنتم في حفل رقص ؟ ،

قال بايارد ، كنا نعزف للعداري ، هل تريد شراباً يا بك ؟ ،

لا . عاجز عن شكرك ، . وقف ويده على الباب ، وكان جادا بشكل رزين ودمك ، قال ، ألم يتأخر بكم الوقت إلى حد ما يا أولاد ؟ ،

قال ميتش ، حقا إن الوقت متأخر ، ورفع المأمور قدمه إلى السيارة ، وكانت عيناه في الظلال تحت قبعته وقال ميتش ، سنعود إلى بيوتنا الآن ، وتلكم الآخر قليلا وأضف بايارد .

« بالتأكيد ، اتنا في طريقنا إلى بيوتنا الآن ،

وأدار الأمور رأسه قليلا وخاطب الزوج ، أظنكم يا أولاد على استعداد للنوم الآن ؟ »

أجاب الزوج ، نعم يا سيدي ، وخرجوا من السيارة وأخذوا الكمان وأعطى بايارد رينو ورقة مالية ، وشكروه وحيوه تحية المساء ، وأخذوا الكمان ومضوا بهدوء في شارع جانبي . ثم أدار الأمور رأسه مرة أخرى ، وسأل ميتش . « أليست سيارتك هذه التي تنتظر أمام مقهى روجرز ؟ »

« أظنها كذلك . ذلك هو المكان الذي تركتها فيه ،

« حسناً ، أقترح عليك أن تأخذ هب إلى بيته ، إلا إذا كان ينوي البقاء الليلة في البلدة . بايارد الأفضل أن تأتي معي ،

صاح ميتش محتجاً ، آه . يا لجهنم ، بك ؟ »

وسأله بايارد ، لماذا ؟ »

أجاب الآخر . « أهله قلقون عليه . لم يروا جلداً منه أو شعرا منذ أن رماه ذلك الحصان أرضاً . أين ضمادتك يا بايارد ؟ »

قال باقتضاب ، نزعتهما . اسمع يا بك ، سنوصل ميتش ثم أذهب بعد ذلك أنا وهب إلى البيت ،

قال الأمور بهدوء ، « إنك في طريقك إلى البيت منذ الساعة الرابعة ويبدو أنك لا تقترب منه أبداً . أحسب من الأفضل أن تأتي معي ، كما قالت عمك . »

« هل طلبت منك العمة جيني أن تقبض على ؟ »

« كانوا قلقين عليك يا ولدي اتصلت بي مس جيني ، وطلبت مني بشكل ما أن

أعنى بك حتى الصباح . ومن الخير لنا أن نفعل . كل ينبغي عليك أن
تمود إلى البيت الليلة .

قال ميتش محتجاً : لطفاً بنا يا بك ،

أجاب الآخر بصبر ، الأفضل لي أن أنير جنون بايارد عن أن أنير
جنون مس جيني ، أتم يا أولاد أمضوا والأفضل لبايارد أن يأتي معي ،
خرج ميتش وهب من السيارة وأخذ هب الدن وألقى تحية المساء وذهب
إلى حيث كانت سيارة ميتش تنتظر أمام المطعم . وجلس المأمور بجوار
بايارد . لم يكن السجن بعيداً ، وسرعان ما تجاسمت ظلالة فوق ساحته
المسورة . مبنى مربع لا تتطرق إليه الرحمة بنوافذه المرتفعة ذات القضبان
قاسية ووحشية كطامنات السيوف ، واستدارا إلى ممر ضيق ونزل المأمور
وقتح بوابة ومضى بايارد بسيارته إلى ساحة قنطرة عارية من الحشائش
وتوقف بينما تقدمه الآخر ومضى إلى جاراج صغير كانت تنتظر فيه سيارة
من طراز فورد ، وأخرجها بمؤخرتها وأشار إلى بايارد بالدخول . كان
بناء الجاراج قد أعد بأبعاد تتفق مع الفورد ، ولذا فإن مؤخرة سيارة
بايارد بقي ناتئا من الباب .

قال المأمور : خير من لاشيء ، مع ذلك . هيا ، دخلا خلال المطبخ
إلى مسكن السجن وانتظر بايارد في ممر مظلم حتى وجد الآخر ضوءاً له .
ثم دخل غرفة كئيبة منسقة تحتوي على عدد من قطع الأثاث البسيطة
وبضعة متناثرة مما يستخدمه الرجال من ثياب .

قال بايارد محتجاً : لن تنزلي عن فراشك ؟

أجاب الآخر : لن أحتاج إليه قبل صباح الغد وستكون قد خرجت
حينئذ . أتريد مني أن أعاونك على خلع ملابسك ؟

قال الآخر : لا شكرا لك ، ثم برقة أكثر . سعدت مساء يا بك
أشكرك كثيراً ، وأجابه الضابط : سعدت مساء .

وأغلق الباب وراءه ، وخلق بايارد سترته وحذاءه وربطة عنقه وأطفأ
النور واستلقى على الفراش . سال ضوء القمر إلى الغرفة بطريقة غير
محسوسة ، متكسراً ومجهول المنبع ، وكان الليل خلوا من كل صوت ومن
وراء النافذة تصاعد إفريز البناء في خطوات قصيرة متتالية إلى سماء
نصف شفاقة وعديمة الأبعاد . كانت رأسه صافية وهادئة فقد مات أثر
الويسكي الذي شربه ، أو الأرجح ، كان الأمر وكأن رأسه كانت بايارا
استلقى على فراش غريب ، وقد انتشرت أعصابه المخدرة بالكحول
كخيطوط من جليد خلال ذلك الجسم الذي يتحتم عليه أن يجره معه إلى
الأبد متجولاً به في عالم كئيب قاحل . صاح « يا لجهنم ؟ » ، وكان مستلقياً
على ظهره يحدق عبر النافذة حيث لم يكن ثمة شيء يرى ، كان ينتظر
النوم ، ولا يدري إن كان سيأتيه أم لا ، ولا يهمه على الإطلاق إن فعل
أم لم يفعل . فامن شيء ليرى وحياة الإنسان الطبيعية الطويلة ، الطويلة .

ثلاثة عشرينات وعشر سنوات ينبغي له أن يجر فيها حول العالم جسماً
عاصياً ويحتال فيها على مطالبة المصرة . ثلاثة عشرينات وعشرة ، كما قالت
التوراة . سبعون عاماً ، ولم يكن إلا في السادسة والعشرين ، لم يزد كثيراً
على ثلاثها ، باللججيم .

الجزء الثالث

هوراس بينبو ، في ردائه المسكرى التنظيف الذى بدا نعا عليه ،
لم يعمل إلا على تعميق جو الضياع الرفيع الناعم الذى يحيط به ،
وأحبال أمتعه في زكائب الجيش المشيرة للعجب ، وحقائب ملبسه ،
وحزمه المغلفة بالورق . نزل من قطار الثانية والنصف وعبر حشود
الركاب النازلين والصاعدين ثم وصل إليه صوت اسمه إذ نودى عليه ، فجاء
بنظرته الشاردة بين الوجوه المتسكانة . وكأنه رجل يمشى وهو نائم
ويستيقظ فجأة ليتحاشى زحمة المرور . صاح ، هالو ، هالو ، ثم دفع نفسه
من القطار ووضع حقائبه ولفافات على حافة الطوار ومشى بسرعة حامية إلى
مقدمة القطار حيث عربة الأمتعة .

« هوراس ، نادته أخته مرة أخرى ، وهى تجرى وراءه ، وخرج
وكيل المحطة من مكتبه وأوقفه وأمسك به ، وكأنه حصان رقيق التربية
وقد جمع ، وصاحه ، وحينئذ تمكنت أخته من اللحاق به . استدار إلى
صوتها وعاد في الحال تماما من شروده ، وشملها بقوة بذراعيه حتى
ارتفعت قدماها عن الأرض ، وقبلها على شفقتها .

قال وهو يقبلها مرة أخرى « عزيزتى نارسى العجوز ، ثم وضعها
على قدميها ، وتحسس يديه وجفها ، كما يفعل الطفل ، وقال مرة أخرى ،
« عزيزتى نارسى العجوز ، وهو يتلس وجفها بأصابعه الدقيقة العريضة ،
ويمسك عينيه بها وكأنه يرتوى بعينه منها ؛ من ذلك الصفاء الدائم
الذى يحيطها . ومضى بقول ، « عزيزتى نارسى العجوز ، وهو يتحسس
بيديه وجفها ، وقد نسى تماما كل ما يحيط به حتى ذكرته .

« إلى أى مكان في العالم تذهب ، وأنت تمضى في هذا الاتجاه ؟ » .

ثم تذكر ، وتركها في بين يديه ، واندفع وهى تتبعه ، وتوقف عند
باب عربة الأمتعة ، حيث كان جمال المحطة وأحد خدام القطار يتلقيان
الحقائب والصناديق إذ يدلى بها إليها كاتب الأمتعة .

سأله ، ألا تستطيع أن ترسل أحدا لاستلامها ؟ ، ولكنه ظل واقفا ،
يحملق داخل العربة وقد نسيها مرة أخرى ، وعاد الزنجيان وخطا جانبا ،
ولكنه ظل ينظر داخل العربة محملاً ، وحركة رأسه كحركة طائر يبحث
عن شيء . قالت أخته مرة أخرى ، فلنرسل من يأخذها .

قال لها وقد نسي تماماً معنى كلماتها ، ماذا ؟ أوه لقد رأيتها في كل مرة
انتقلت فيها من عربة قطار إلى أخرى . لن يكون إلا خطا بانسا أن
أدعها تضيع وهي أمام عتبة بيتي ، أليس كذلك ؟ ، وتحرك الزنجيان
مبتعدين بإحدى الحقائق وخطا إلى الأمام أيضا ، وحملق داخل العربة ،
هذا تقريبا ما حدث لها ، نسي كاتب البضائع أن يضعها في القطار في
مدينة م - ثم قطع حديثه وقال ، هذه هي ، وصاح في حمى من القلق
وهو يرى الكاتب يدفع بمنف إلى باب العربة صندوقا ذا شكل غريب ،
وقد كتب عليه عنوان عسكري ، صاح في لهجة أهل المنطقة ، ، على
مهل يا كاتبين إنها تحوى زجاجا .

قال كاتب الأمتعة ، ، وهو كذلك يا كولونيل ، أظننا لن نلحق بها
أى ضرر . وإذا فعلنا فكل ما عليك هو أن تقاضينا ، واتجه الزنجيان
إلى الباب ووضع هوارس يده على الصندوق ، والكاتب يدفعه خارج
العربة . قال بعصية ، ، على مهل يا أولاد ، ومشى بجانبهم وهم يمضون عبر
الطوار وقال ، ، والآب أرسوه على الأرض ببطء . أختي ضعى يدك
معنا أرجوك .

قال جمال المحطة ، نحن نمسك به جيدا . ان يفلت منا ، وظل
هوارس يربت عليه بيديه ، وعندما وضعوه على الأرض مال بأذنه إليه .
سأله جمال المحطة ، سليم ، أليس كذلك ؟ .

قال جمال القطار مطمئنا ، ، إنه بخير ، واستدار وقال
، فلنمض ، ، .

قال هوراس ، وأذنه تلامس الصندوق ، أظنه لم يصب بضرر ، أنا لا أسمع ثمة شيئاً . لقد أحسنت تعبئته تماماً ، وصفرت القاطرة وانتصب هوراس فجأة ، وجرى وراء العربات المتحركة وهو يدفع يده في جيبه . كان الكائب يفتق باب العربة ، ولكنه انحنى نحو يد هوراس الممدودة ، ثم اعتدل ولمس قمبته . وعاد هوراس إلى صندوقه ، وأعطى قطعة نقود أخرى للزنجي الثاني وقال ، « والآن ، انقله بعناية إلى الخزن ، سأعود إليه في بضع دقائق » .

« نعم سيدى ، مستر بينبو ساعنى به » .

أسر إلى أخته وهو يدس ذراعه حول ذراعها ، ويمضيان معا نحو سيارتها ، « ظننت مرة أنه فقد ، تخلف في بريست ولم يصل إلا على السفينة التالية . كانت معى أول مجموعة اشتريتها - مجموعة صغيرة كانت معى ، وكنت فعلا أن أفقدها هى الأخرى أيضا . وذات يوم كنت أنفخ واحدة صغيرة فى مقصورتى فى السفينة عندما أمسكت النار بكل شىء . وبالمقصورة نفسها . قرر القبطان أنه من الأفضل ألا أحاول أن أفعلها مرة أخرى حتى نصل إلى الشاطئ . ماذا يستطيع أن يفعل وكل هؤلاء الناس على ظهرها . ومع ذلك ، فقد طلعت الزهرية جميلة جداً ، ومضى يثرثر ، « شىء صغير حلوا . وأنا أتقدم . أنا أتقدم فعلا . مدينة البندقية . حلم لذيذ ، شيرير إلى حدما . يجب أن آخذك إلى هناك يوماً ما . » ثم ضغط على ذراعها ومضى يردد « عزيزتى نارسى العجوز ، وكان مذاق اسم التدليل الساذج على لسانه كان شيئاً أحبه ولم ينسه ومازال غير قليل من الناس يتلكثون حول المحطة . وقد تحدث إليه بعضهم فتوقف لهم وصالحهم ولحظ نفر من جنود البحرية وعلى ذراعه رسم رأس هندية تدل على الفرقة الثانية ، لحظ المثلث على كم هوراس ، فأطلق من بين شفثيه الزمومتين صوتاً سوقياً غير لائق .

قال هوراس ، وقد أدار إليه نظرتة الحية المروعة ؟ ، كيف
حالك يازميل ؟ ،

قال البحار ، مساء الخير يا جنرال ، وبصق ، ليس بالضبط عند
قدمى هوراس ، وليس بالضبط فى أى مكان آخر . وضعت ناريسيا ذراع
أخيها إليها بشدة .

قالت بصوت منخفض وهى تدفعه برفق إلى السيارة ، هيا ، تعال
إلى البيت ، وارتد بعض الملابس المهذبة ، .

قال ، داخل الرداء العسكري ؟ أنا معجب بنفسى وأنا فى هذا الرداء ،
ثم قال كمن مست مشاعره ، هل تعتقدن فعلا أننى مدعاة للسخرية فى
هذه الملابس ؟ ،

قالت على الفور ، وهى تضغط على ذراعيه ، بالطبع لا . بالطبع لا .
أنا آسفة لأننى قلت هذا . ارتد ثوبك العسكري إلى المدى الذى تريده .

قال بوقار ، إنه رداء جيد ، وأنا لا أعنى هذه ، وأشار إلى العلامة
التي على ذراعه ومضيا معاً وقال ، سيدرك الناس فى عشر سنوات تقريبا ، عندما
تبلى هيستريا غير المحاربين نفسها ، ويدرك أفراد الجند أن القوات العسكرية
الأمريكية لم تخترع زوال الأوهام . .

سألته وهى تحتضن ذراعه بذراعها ، وتحيطه بودادها الصافي العميق
الفياض ، وماذا اخترعت ؟ ، .

قال مرة أخرى ، والله يعلم . . يا عزيزتى نارسي العجوز ، وعبر الطوار
إلى سيارتها وقال لها ، وهكذا فقدت شهيتك للملابس العسكرية . .

قالت وهى تهز ذراعه قليلا وهى تتخلى عنه ، بالطبع لا . أنت ارتدتها
طلالما أردت هذا وفتحت باب السيارة . ثم هتف بهما شخص ونظرا إلى الخلف
ورأيا الجمال يحسرى وراءهما بحقيقية يد هوراس ، التى مضى وتركها
على الطوار .

صاح ، و أوه باللهي . أشغل بها أربعة آلاف ميل ثم أقفما على عتبة بيتي شكراً ياسول ، ووضع الجمال الأشياء في السيارة وقال هوراس لأخته ، هذه أول مجموعة حصلت عليها وآنية الزهور التي نفختها على ظهر السفينة ، سأريها لك عندما نصل إلى البيت .

جلست أخته إلى عجلة القيادة وسألته ، أين ملابسك ؟ في الصندوق ؟ ، ليس لدى أية ملابس . كان على أن أرى معظمها لأجد مكانا للأشياء الأخرى . لم يكن ثمة مكان لأي شيء آخر ، وظلت نارسيسا تنظر إليه برهة وقد فاضت بها مشاعر الغيظ والحب معاً فسألها ببراءة ، ما الأمر ؟ أنسيت شيئاً ؟ .

« لا . اركب . العمة سالي في انتظارك لترك »

ومضيا بالسيارة وصعدا التل قليل الانحدار المظلل متجهين نحو الميدان ، وتطلع هوراس ، بسعادة إلى المشاهد المألوفة . خطوط حديدية قصيرة تقف عليها عربات البضائع ، والطوار الذي سيمتلئ في الخريف ببالات القطن المتراصة في صفوف مستديرة ، محطة قوى البلدة ، بناء من الآجر بفيض منه همهمة رتيبة غير متقطعة ، ومن حوله في الربيع تتمايل أشجار الجنة الملتوية برؤوسها المتوجة بزهور بنمسيجية مغبرة ، ومن ورائها ضفة سويت من الطين الذي يشبه لونه لون صدأ الحديد ، الضارب إلى الأحمر الهندي . ثم شارع من مبان أقل ، أغلبها جديد . نفس المنازل المحكمة الصغيرة ، وحوالها أقل حين يمكن من المروج ، بيوت بناها أهل الريف ، أقرب ما تكون إلى الشارع حسب التقاليد الريفية ومن حين إلى حين ، بيت يقوم على أرض كانت فراغا عندما رحل منذ ستة عشر شهراً . ثم شوارع أخرى تفتح تحت أقواس من الخضرة ، وأكثر ظلالة ، بيوت أقل حداثة وأكثر وقاراً مرا بها وهما يتبعدان عن المحطة والمارة وكانت غالبيتهم في تلك الساعة عادة من الصبيان السود المتسكعين ، أو من الشيوخ المتجهين

إلى المدينة بعد رقادهم ساعة القيلولة لقضاء ساعة الأصيل مستغرقين
باهتمام في أمور لا قيمة لها .

واستوى التل ودخل إلى السهل الذي أقيمت عليه البلدة الأصلية منذ
مائة عام وأكثر ، وأصبح الشارع نهائياً أكثر تمدينا بما فيه من جراجات
ومتاجر صغيرة بتجار في قصان ، وعملاء ، ودار السينما وبهوها وقد
تناثرت فيه أشكال الحياة مروية في صور ملونة مطبوعة . ثم الميدان
بصفه المتصل غير المتقطع من مباني الآجر المنخفضة التي لوحتها التغيرات
الجوية وأسماء ميته باهتة ، وإن كانت صامدة بعناد تحت الطلاء المتشق ،
وسود متسكمين في ملابس قصيرة الأجل جاهزة مستهتره يرتديها الجنسان ،
واناس من الأرياف في أردية عسكرية بين الحين والحين وسكان
المدينة الأكثر حمية يترددون في بطء منتظم هادئ . كحركة الفسكين عابرين
رجالا قعوداً على مقاعد ملاقة إلى الخلف أمام المتاجر .

كان بيت القضاء من الآجر أيضا ، بعقود حجرية صاعدة بين الدردار ،
وبين الأشجار قام النصب التذكارى لجنود حلف الاتحاد ببندقيته في وضع
الاستعداد وقد ظلل عينيه المنحوتتين بيده الحجرية . وبين أروقة بيت
القضاء وعلى مقاعد متناثرة على الخضرة ، كان آباء المدينة يجلسون
ويتحدثون ويغفون ، في أردية عسكرية أيضا ، هنا وهناك . أما جاك
العجوز وبورجار وجو جولستون الذين شابت نواصيهم ، فقد جلسوا في
اطمئنان ووقار المعاشات الصغيرة التي يتقاضونها ، يدخلون وينصتون من
حول لوحة الداما . وعندما كان الجو يسوء كانوا يفتلون إلى مكتب
كاتب الدائرة القضائية .

وهنا كان يتسكع الشباب أيضاً ، يتراهنون بالدولارات ، أو يتقاذفون
كرة اليد جيئة وذهاباً ، أو يستلقون على الحشائش حتى قدوم الفتيات
في ساعة متأخرة من الأصيل في أنوابهن الملونة الصغيرة ، وعطورهن

الرخيصة المثيرة للشجون إلى الصيدليات وعندما كان يسوء الجو ، كان هؤلاء الشبان يتسكعون في الصيدليات أو في دكان الحلاق .

قال هوراس ، كثير من الملابس العسكرية . الجميع سيكونون في الوطن في شهر يونية . هل عاد أبناء آل سارتورس ؟ .

أجابت أخته ، جون مات ، ألم تعرف هذا ؟ .

قال بسرعة وقد بدا عليه الاهتمام السريع ، لا . مسكين بايارد العجوز أى حظ تعيش حظهم هذا . إنها عائلة غريبة . دائماً يذهبون إلى الحروب . ودمماً يقتلون . وماتت زوجة بايارد الصغير ، كتبت إلى عن هذا .

« نعم . ولكنه هنا وعنده سيارة سباق ، ويقضى كل وقته وهو يتجول في الريف بسرعة جنونية . نحن نتوقع كل يوم أن نسمع أنه قتل نفسه فيها . »

قال هوراس ، « الشيطان المسكين . ومرة أخرى ، مسكين الكولونيل العجوز كان يكره السيارة وكأنها ثعبان . ماذا يكون رأيه عنها ياترى ؟ ،

« إنه يصحبه ،

« ماذا ؟ بايارد العجوز في سيارة ؟ »

« نعم . تقول مس جيني إنه يفعل ذلك لينع بايارد من قلبها ، ولكنها تقول أيضاً إن كولونيل سارتورس لا يعرف ، أن بايارد سيحطم عنقهما معاً وقريباً جداً ، قبل أن ينتهي من السيارة ، عبر الميدان ، بين عربات مقيدة ، وسيارات منتظرة ومنتشرة دون نظام . قالت بعنف مفاجئ . أنا أكره بايارد سارتورس . أنا أكره كل الرجال ، ونظر إليها هوراس بسرعة .

حقيقة الأمر؟ ماذا فعل بايارد بك؟ إن هذا سؤال بال . أقصد ، ماذا فعلت بيبارد؟ ، ولكنها لم تجب . استدارت إلى شارع آخر تحسده من الجانبين متاجر زنوج من طابق واحد ومظلة بمظلات من الصفيح جلس تحتها الزنوج . وهم يقشرون الموز أو لفافات زاهية الألوان من البسكوت الحلو ، ثم طاحون حنطة تعمل بآلة تدار بالجازولين وتصدر عنها أصوات متشنجة . وكانت تفرز حثالة وغباراً دقيقاً ، بدا في ضوء الشمس كنقط صغيرة لامعة ، وفوق بابها لاقته كتبت بخط يد سيء و طاحون و . س . بيردز ، وفيما بينها وبين حلاجة مغلقة صامتة بأقواس من وبر القطن المتراكم القدر ، كان سندان يدق في نهاية فسحة قصيرة امتلات بالعربات والحيل والبغال ومظلة بأشجار التوت ، واستلقى تحتها بعض أهل الريف في مآزرهم .

قال هوراس بضيق ، وكان ينبغي عليه أن يكون أكثر مراعاة لشعور الرجل العجوز ، ومع ذلك ، فقد عبروا - ولم يكدوا - تجربة هزت الأسس والمشاعر الإنسانية من أعماقها . وسواء كانوا يعرفون هذا أم لا ، فما زال لديهم آخر يسبقهم بكثير وسيقوم بإنهاء المسألة كلها . فقط امنحيه فسحة من الوقت .. ولكن ، أنا شخصياً لا أفهم لم لا يسمح له بقتل نفسه ، إن كانت هذه هي رغبته ، على ما يعتقد ، ومع ذلك فأنا آسف من أجل مس جيني .

قالت أخته مؤيدة بهدوء ، نعم ، وهم قلقون من أجل قلب كولونيل سارتورس أيضاً أقصد كل شخص ماعداه وبايارد . هوري أنا سعيدة أن أجذك بدلا من واحد من هؤلاء السارتورس ووضعت يدها بخفة وبسرعة على ركبته النحيفة .

قال ، عزيزتي نارسي العجوز ، ثم أظلم وجهه مرة أخرى وقال ، الشقى اللعين ، حسنا ، إنها مشكلتهم ، كيف كانت حال العمة سالي .

على مايرام ، ثم هوري ، إنها سعيدة فعلا بهودتك إلى البيت .

وأصبحت المتاجر القذرة ورانها ، وقد فتح الطريق بين مروج عتيقة مظلة وواسعة وهادئة ، كانت هذه البيوت عتيقة جداً في الشكل على الأقل ، وكانت بعيدة تماماً عن الشارع وأتربته ، وقد شع منها سلام رفيع ونبيل ثابت كساعة أصيل بلا نسيم ، في عالم خلو من الحركة والصوت وتجول هوارس من حوله بعينيه وأخذ نفساً عتيقاً .

قال ، « ربما كان هذا السبب في الحروب .. معنى السلام ،

استدارا إلى شارع مقاطع ، أضيق من سابقه ، ولكن أكثر ظلا منه وهدوءا أيضا ، وكان وسنانا ذهبيا يفيض بحو إغريقي من البساطة والجمال ، ودخلا من بوابة في سياج حديدي مغلف بالياسمين ، وصعدا الممر المرصوف بقطع الحجارة البركانية الرمادية في منحني وقور من أشجار الأرز . كانت أشجار الأرز قد زرعت بواسطة مهندس إنجليزي بنى البيت في الأربعينات على الطراز التيودوري الجنائزي الذي رضيت عنه الملكة فيكتوريا الشابة (باستثناء متواضع هو الشرفة) وبين الأشجار وتحتها وحتى في أشد الأيام صحوا ، كانت ثمة كآبة عميقة وأريج لزج ثقيل وقد أحبت البيغاوات هذا ، وطيور السمان ، والشكل التي تعنى فيها ساعة الأصيل بعدوبة متحشمة . ولكن الحشائش تحت الأشجار كانت نادرة أو منعدمة تماما ولذا فلم تكن ثمة حشرات عدا الحداحد في الغسق .

تصاعد الممر إلى البيت ثم استدار أمامه ثم امتد أيضا وانحدر إلى الشارع في قوس كامل من أشجار الأرز . وداخل القوس وقفت شجرة بلوط وحيدة ، عريضة وهائلة وقليلة الارتفاع ، وقد طوق ساقها مقعد خشبي . وفي هذا المرح الذي يشبه قرا في منتصف الطريق إلى الاكتمال وداخل إطار القوس كانت أحراش من شجر زهور العرائس ، والريحان الأسود عتيقة كالزمن ، وضخمة بقدر ماتسطيع السن أن تفعل ، كانت في ضخامة الأشجار ، وفي أحد أركان السياج كانت مجموعة غريبة من

أشجار الموز التي أوقف نموها وفي الآخر كانت شجرة لاتاننا بزهورها اللامعة
وجراحها المتجلطة ، كان فرنسيس بينبو قد أحضرها من باربادوس في
صندوق من صناديق القبعات العالية سنة ٧١ .

ومن حول شجرة البلوط ، ومن قوس المر ذى الشكل المنجلي
الجنائزى ، انحدر المرج على مساحة واسعة وبانتظام إلى الشارع بتجمعات
عشوائية من النسرين والنرجس والجلاديبولا . كان المرج فيما مضى مدرجا
وكان للزهور حوض مستقل فى المدرج الأول ، ثم كسح ويل بينبو
والد نارسيسا وهوارس المدرجات . وقد تم هذا بواسطة المحارث
والقصايات ، وزرعت فيه بذور الحشائش من جديد ، وقد تصور حينئذ
أن أحواض الزهور قد أبيدت . ولكن جاء الربيع التالى ، فنبتت
البصيلات المتناثرة ، والآن ، وفى كل عام فإن المرج يصبح منمنما بإخلاق
من الزهور الصفراء والبيضاء والحمر . دون نظام وكان عدد قليل من
الفتيات يستأذن كل عام ويسمح لهن باقنظاف البعض منها كل
ربيع ، وكان أطفال الجيران يلعبون بهدوء بينها وتحت أشجار الأرز .
وعند قمة المر ، عند استدارته هابطا مرة أخرى كان بيت الدمية المبنى
بالآجر حيث كان يقيم هوارس ونارسيسا ، ويحوطهما دائما الأريج الرطب
النافذ نوعا والذي ينبعث من أشجار الأرز .

كان البيت محلى باللون الأبيض ، وكانت هياكل نوافذه مستوردة
من إنجلترا ، وقد تسلفته كرفة ويستريا ذات ساق سوداء أكثر غلظة
من رسغ رجل وامتدت على إفريز الشرفة وحول الباب وفوقه ، وكانت
النوافذ السفلى مفتوحة على ستائر تموج فى الهواء برقة وقد كنت تتوقع
أن تجد فى حافة النوافذ إناء خشبياً لامعا ، أو قطة متشاحنة نظيفة
جدا ولكن النافذة لم تكن تحمل الاسلة شغل مصنوعة من الخيزران انسالت
منها ، وكأنها أوراق نبات شبرم ذابلة أطراف من شغل ملون
بالأبيض والقرمزي ، وفى الباب ، كانت العمه سالى ، وهى امرأة

صغيرة تافهة ترتدى قبعة من الدانتيل تستند على عكازة من خشب الأبنوس ذات مقبض محلي بالذهب .

كل شيء كما ينبغي أن يكون . واستدار هوراس ونظر إلى أخته وهي تمر الممر حاملة اللقافات التي غفل عنها مرة أخرى .

صخب وضج وعبث في الماء في حمامه ، وأخذ يصيح إلى أخته حيث كانت تجلس على فراشه وقد ألقى رداءه العسكري المنبوذ على مقعد ، وكان الرداء يحتفظ ولا يزال في ثناياه الفظة الذابلة ، وبفعل الارتباط الطويل بينهما ، ببعض من جو الضياع المنهك الرقيق الذي يحيط به ، وقد استقرت على صوان ملابسه المنخفض المغطى بالرخام البوتقة وأنايب جهاز نفخ الزجاج ، أول جهاز اشتراه ، وبجوارها أول آنية للزهور نفخها فوق سطح السفينة - شكل صغير بسيط من الزجاج الشفاف ، لا يصل في الطول إلى أربع بوصات ، هس كزهرة زئبق فضية ، وغير تام .

كان يصيح عبر الباب ، لأنهم يعملون في كهوف ، تصالين إليها تحت الأرض بدرجات ، وأنت تحسین بالماء وهو يتسرب تحت قدميك وأنت تتحسين الطريق إلى الدرجة التالية ، وعندما تمدين يدك إلى الجدار لتستندى إليه فإنها تكون مبتلة عندما تستردينها كأنها كانت تلمس دما .

« هوراس ؟ »

« نعم . رائع وأمامك وعلى بعد منك ترين الوهج . فجأة يشع النفق بالأضواء من لا شيء ، ثم ترين الفرن ، بأشياء تعلو وتهبط أمامها ، فتحجب النور ، ثم تشع الجدران مرة أخرى بالأضواء ، في البدء لأنها مجرد أشياء بلا شكل محدد تقع هنا وهناك . غريبة ، بظلال على الجدران الدموية ، ظلال حمراء . ثم وهج ، وأشكال سوداء كهوائس من ورق تتمايل وتصعد وتهبط أمامها كفتحة فانوس سحري . ثم يظهر وجه وهو ينفخ ، وأوجه أخرى وكأنها تتجسد من الظلام الأحمر كبالونات حمراء .

والأشياء نفسها . جميلة بشكل رائع ومفجع . تعرفين أنها تشبه الزهور المحفوظة . بشعة ومقسمة ، مطهرة ومصفاة كالبرنز إلا أنها هشة كفقاعات من صابون . وهى عبارة عن ألحان المزامير وقد تبلورت أصوات الناي والمزمار وإن كان أغلبها يشبه ألحان المزامير . المزامير المصنوعة من قصت الشوفان . عليها اللعنة ، إنها تتفتح أمام عينيك مباشرة كالزهور . حلم ليلة من ليالى الصيف يتجول فى عقل حيوان أسطورى نارى ، وأصبح صوته غير واضح ، وهو يتصاعد ويعلو فى عبارات موزونة ، لم تستطع أن تميز منها شيئا ، ولكنها أدركت من درجة صوته الحادة أنها عبارات الشاعر ميلتون التى يصف فيها سقوط الملائكة ودمارها .

وأخيرا خرج ، فى قبص أبيض وسراويل من الصوف الخشن ، إلا أنه كان ولا يزال معلقا على أجنحة عباراته المشتعلة ، وبينما مضى صوته يرتل فى فقرات موزونة ، أحضرت له من الصوان حذاء ، ثم حملته بين يديها ووقفت أمامه فتوقف عن الترتيل ولمس وجهها مرة أخرى بيديه كما يفعل الطفل .

فى أثناء العشاء قطعت العمة سالى عليه ثرثرته وسألته ، هل أحضرت صاحبك سنوبس معك ؟ ، هذا السنوبس كان شابا ، أحد أفراد أسرة لا ينضب لها على ما يبدو . - معين ، كانت فى السنوات العشر الأخيرة تتقاطر على البلدة فى قطرات من قرية صغيرة تسمى د فرنشا نربند ، وقد ظهر فلم ، أول أفراد أسرة سنوبس فجأة ذات يوم وراء حاجز مطعم صغير فى شارع جانبي ، يتردد عليه أهل الريف . وكما فعل ابراهيم قديما ، وبعد أن ثبت أقدامه سلك كما سلك سيدنا ابراهيم من قديم الزمان إذ أحضر إلى البسطة أبناء دمه وعشيرته ، أسرة وراء أسرة ، وفردا وراء فرد ، وثبتهم حيثما كانوا يستطيعون كسب المال . ثم أصبح فلم نفسه مديرا لمحطة الإنارة والمياه فى البلدة ، وفى السنوات التالية ثبتت فائدته للحكومة المحلية ، ومنذ ثلاث سنوات ، ورغم دهشة بايارد واستنكاره وضيقة الذى لم يحاول أن يخفيه ، أصبح نائبا لمدير بنك سارتورس ، حيث يعمل أحد أقاربه بالفعل كاتب حسابات .

وقد ظل محتفظا بالمطعم والخيمة المقامة خلفه ، التي قضى فيها هو وزوجته وطفله الأشهر الأولى عقب حضورهم إلى البلدة ، وكانت بمثابة محطة وصول بالنسبة لكل آل سنوبس ، يخرجون منها إلى أماكن العمل من الدرجة الثالثة من مختلف النحل - متاجر البقالة ، دكاكين الحلاقين (وكان منهم واحد ، عاجز بشكل ما ، كان يشرف على مشواة بقول) ، وتكاثروا وازدهروا . أما السكان القدامى فقد راقبوا هنا من بيوتهم الجيفرسونية ومتاجرهم الراقية ومكانهم ووجدوا فيه مصدر تسليية في البدء . ولكن منذ وقت طويل تحول شعورهم إزاءه إلى شيء يشبه الدهشة الشديدة أو الهلع .

أما السنوبس الذي أشارت إليه العمدة سالى فقد كان اسمه موتجورى وورد ، وقبل أن يطبق قانون التجنيد سنة ١٧ تقدم إلى أحد مكاتب التجنيد متطوعا ، ولكنه رفض من الخدمة العسكرية بسبب قلبه . وبعد ذلك ، أثار دهشة الجميع ، وخاصة أصدقاء هوراس بينبو ، إذ ارتحل في صحبته إلى وظيفة في جمعية الشبان المسيحيين ، ثم روى بعد ذلك عنه ، أنه قطع الطريق كله إلى ممفيس عندما تقدم متطوعا دون أن يحمل شيئا إلا قطعة من طباق المضع وضعها تحت إبطه الأيسر . ولكنه كان قد ارتحل هو وراعيه عندما عرفت هذه القصة .

سألت العمدة سالى ، هل أحضرت رجلك سنوبس معك ؟

قال ، لا ، وأظلم وجهه المرهق وفاض به اشتمزاز رفيع بارد ، خيب أملى فيه إلى حد كبير جدا . لا أريد حتى في الكلام عنه ،

« كان في استطاعة أى شخص أن يقول لك هذا قبل أن ترحل ، ومضت العمدة سالى تمضع طعامها ببطء وانظام . وغرق هوراس في تأملاته لحظة ، وقد تقلصت يده ببطء على شوكتته . « إن أفرادا من أمثال هؤلاء ، الطفليات هم ، ولكن أخته قاطعتة قائلة ، « من الذى يهتم على أى

حال بأحد أفراد أسرة سنوبس . ثم إن الوقت من الليل قد تأخر لتتكلم عن فظائع الحرب ، وأحدثت العمه سالى صوتا ناعما من خلال الطعام فى فيها ، صوتا ينم عن الترفع الأصيل قالت : المسئول عن ذلك هو الجنرالات الذين عندهم هذه الأيام . ما كان يقبل جنرال جونستون أو جنرال فوريسست أى واحد من آل سنوبس على الإطلاق فى جيشه . لم يكن بين العمه سالى وبينهم أية صلة قربى . كانت تقيم فى البيت المجاور ، لا يفصلها عنهم إلا بيت واحد ، مع شقيقتين عانستين ، إحداهن أصغر والأخرى أكبر . كانت تتردد على البيت داخلة خارجة منذ أن كان هوراس ونارسيسا أطفالا يستطيعون التذكر . وقد ادعت لنفسها حقوقا فى حياتهما قبل أن يستطيعا المشى ، وامتيازات لم تحدد أبدا . ولم تحاول أن تنتفع بها مطلقا إلا أنها لم تسمح مطلقا أن يفهم الاعتراف المتبادل بوجود هذه الحقوق والامتيازات . كانت تدخل إلى أى حجرة فى البيت دون استئذان . وكانت تحب أن تتكلم بإسهاب ودون مجاملة عن أمراض طفولة نارسيسا وهوراس . وقد قيل إنها غازلت يوما ويل بينو ، ورغم أنها كانت حينئذ امرأة فى الرابعة أو الخامسة والثلاثين عندما تزوج ويل . وقد ظلت مع ذلك تتكلم عنه باستخفاف من يتحدث عن شخص يملكه . ولكنها كانت تتكلم دائما بالخير عن زوجة ؛ كانت تقول ، « جوليا كانت فتاة عابية حلوة الطباع ، .

ولذا ، فعندما ذهب هوراس للحرب ، انتقلت العمه سالى إلى البيت لتؤنس نارسيسا ، ولم يتصور أحد من الثلاثة أى وضع للأمور غير هذا ، فكون نارسيسا يجب أن تحتفظ بالعمه سالى فى البيت لمدة عام أو عامين أو ثلاثة بدا أمرا لا مناص منه مثله فى ذلك مثل ذهاب هوراس إلى الحرب . كانت العمه سالى امرأة عجوزا طيبة . ولكنها كانت تعيش كثيرا فى الماضى ، مغلفة عقلا بحزم نهائى واضح عن كل شىء . حدث بعد سنة ١٩٠١ ، وبالنسبة لها ، كان الزمن يمضى ببطء إذ تجره الخيل ، أما صراخ فرامل السيارات فلم يستطع أن ينفذ إلى فراغها العنود القنوع . وكان لها حشد

من غلظة المتقدمين في السن التي هي من حقهم . وكانت تحب صوت حديثها ولم تحب أبداً أن تكون وحدها في أية لحظة . وكانت تأكل طعاما غير مغرى سهل المضغ وبطريقة غير لطيفة ، ذلك أنها لم تستطع أبداً أن تألف الأسنان الصناعية التي اشترتها منذ اثنتي عشرة سنة ، ولم تكن تقربها قط إلا مرة كل أسبوع لتغير الماء الذي تستلقي فيه .

مدت نارسيسا يدها نحو المائدة ولمست ركة أخيها وقالت مرة أخرى ، « هورى ، أنا مسرورة فعلا بعودتك إلى البيت » .

نظر إليها بسرعة ، وغاض الوجوم الذي ارتسم على وجهه لحاة وبنفس الطريقة التي حل بها وانزلت روحه ، كساجح في الماء ، إلى بحر هادى . بلا مد ، إلى ودها الغزير ذى الصفاء الدائم .

كان محاميا ، لمجرد رغبته في القيام بالواجب إزاء تقاليد الأسرة ، ورغم أنه لم يكن يحس بميل خاص إلى المهنة ، خلا حب للكلمة المطبوعة ولأماكن إقامة الكتب ، فقد فكر بانفعال في العودة إلى مكتبه بجوه الثقيل ولم يكن انفعال الخاسة أو الشوق . لا : كان شعوراً عميقا بعدم الغضاضة يكاد أن يكون سرورا . معنى السلام . الأيام السالفة التي لا تتغير ، ربما لا تكون مجنحة ، إلا أنها ليست مفرجة أيضا . إنك لا ترى معنى السلام ، ولا تحس بوجوده إلا من بعيد . ولم تأت الجداجد بعد ، وقد انسابت أشجار الشربين متصلة على جانبي الشارع ، كوجه أبنوسية منحنية بقتن صارمة مشرعة في السماء ، وتساقط الضوء خارجا من النافذة ، عبر مدخل البيت على حوض من شجيرات الغاب ، صلبة كأنها من البرنز ، ليس فيها ثمة شيء من هشاشة الزهور ، ومن داخل الغرفة انطلق صوت العمه سالى الرتيب المرتعش وكانت نارسيسا هناك أيضا ، مع كتاب ، وقد ملأت الغرفة بوجودها الدائم المستقر ، كعطر الياسمين ، وكانت ترقب الباب الذى مر منه ، وقد وقف هوراس في الشرفة بغليونه الخامد ، محاطا بجو شجر الأرز البارد الضاغط وكأنه وجود آخر . « معنى السلام » قال بصوت هامس مرة أخرى ، « معنى

السلام وأخرج الكلمات العميقة من فيه واحدة إثر أخرى وبيطه ، وأفرغها في ناقوس الصمت البارد الذي عاد إليه مرة أخرى آخر الأمر ، واستمع إلى الكلمات وهي تمضي متكاسلة وتفيض لتفنى ، في صفاء كصفاء فضة خالصة وبلور إذ يصطدمان بلطف معا .

سأل عشية وصوله ، « كيف حال بيل ؟ »

وأجابته أخته « إنهم بخير . عندهم سيارة جديدة ، .

قال هوراس وعذوته يخلو من الانفعال « نعم . لاشك أن الحرب كان بمقدورها أن تؤتي هذه الثمرة على الأقل ، .

وقد تركتهما العمه سالي أخيراً ، وأخذت تنقر بعصاها الطريق ببطء إلى غرفة نومها . ومدد هوراس ساقيه المكسوتين بالصوف أمامه ، وقد فاض به شعور النعيم ، وتوقف لحظة عن إشعال عيذان الثقاب لغليونه العنود ، وجلس في سكون يرقب رأس أخته وقد انحنت على المجلة الموضوعه على ركبتيها ، وتخلت عن الأشياء الأقل أهمية وغير الدائمة . كان شعرها أشد نعومة من أية أجنحة مسرخية ، وقد انسال ملتصقا في استسلام إلى عقدة بسيطة أسفل عنقهما .

قال ذبيل مراسلة سيئة كمثل النساء ، .

وقلبت صفحة دون أن ترفع رأسها .

« هل كنت تكتب إليها كثيراً ؟ »

« إنهن يدركن أن الخطابات لا تصلح إلا لتصل ما بين فترات الاستراحة بين الأحداث كالفواصل في مسرحيات شكسبير » مضى يقول وقد نسيها ، « هل عرفت في حياتك امرأة تقرأ شكسبير دون أن تتخطى الفواصل ؟ شكسبير نفسه كان يعرف هذا ، ولذا لم يضع قط امرأة في الفواصل .

فليتصارع الرجال بالفاظ طنائنه ، بينما السيدات في مؤخرة المسرح يفسلن أطباق الطعام أو يضمن الأطفال في الفراش . .

قالت نارسيسيا مصممة ، « أنا لم أعرف قط امرأة تقرا شكسبير لأنه كثير الكلام جداً ،

وقف هوراس وربت على شعرها الأسود .

قال ، « أوه . أيتها الأعماق البعيدة . لقد اخترت كل الحكمة في جملة ، ووضعت جنسك في مستوى الأفلاك . .

قالت ، مرة أخرى وهي ترفع رأسها ، إنهن لا يفعلن . .

سألها ، « لا ؟ ولم لا يفعلن ؟ ، ثم أشعل إلى غليونه نقاباً آخر ، ومضى يرقبها عبر كفيه المحيطتين بالنقاب ، بجد وباهتمام ثابت ، وكأنه طائر منقض ، وأصحابك مثل أرلن وساباتيني يتكلمون كثيراً ، ولم يكن لدى أحد المزيد ليقوله ، ولا تكلف الجهد ليقوله أكثر من درابزر العجوز . .

قالت ، « ولكن لديهم أسرارهم . أما شكسبير فليس لديه ثمة أسرار . إنه يقول كل شيء . . .

قال ، « نعم لم يكن شكسبير حصيفاً ، ولم يكن يستطيع أن يكتب الأسرار . وبمعنى آخر ، لم يكن سيداً مهذباً . .

« نعم . . . هذا ما أعنيه ،

« وهكذا ، ولكي تكون سيداً مهذباً ينبغي أن تكون لك ثمة أسرار . .

قالت وهي تعود إلى مجلتها ، أوه ، أنت تتعبنى ، وجلس بجوارها على الأريكة وأخذ يدها في يده ، ولامس بها خده وشعره المضطرب .

قال ، إن قراءة شكسبير أشبه بالتنزه في حديقة ساعة الفسق . الزهور التي يعرفها المرء كلها هناك في مراقدها ، وقد مشطت شعرها استعداداً للنوم ، ولكن المرء يعرفها جميعها . ولذا فهو لا يضايقها إنه يمضي ثم يتوقف من الحين للحين لقلب ورقة ، لم يلحظها من قبل ، وربما يجدها تحتها زهرة من زهور البنفسج أو الجرس الأزرق أو حشرة مضيئة . ربما يجدها ورقة أخرى ، أو فصل عشبة . ولكنه سيجد عليها دائماً قطرة ندى ، ويمضي بكفها يتحسس به وجهه وقلبت المجلة بيدها الأخرى ببطء ، وقد أنصت إليه باستغراق ودود هادي . ، .

قالت مرة أخرى ، هل كنت تكتب إلى بيل كثيراً ؟ وماذا كنت تقول لها ؟ .

« كتبت ما كانت تريد أن تقرأه . ما تريده النساء جميعاً في الخطابات الناس جديرون فعلاً بنصف ما يعتقدون أنهم يجب أن يمتلكوه . »

قالت بإصرار ، وماذا كنت تقول لها ؟ ، ومضت تقلب ببطء صفحات المجلة ، ويدها الأخرى المستسلمة في يده تتبع حركتها فوق خده .

قال « قلت لها إنني لم أكن سعيداً . وربما كنت كذلك حقاً ، واستخلصت أخته يدها برقة ووضعتهما على الصفحة . قال

« أنا معجب ببيل . إنها غبية بشكل لطيف . مرة أحسست بالخوف منها . ربما ... لا ، أنا لا أخشاها . بي مناعة ضد الدمار . أنا أجمل تعويذة سحرية وهذه علامة صادقة على أن الوقت قد أزف للحلول هذا الدمار ، كما يقول الشيوخ الحكماء ، ثم قال « وإن كانت الحكمة المكتسبة شيئاً جافاً يتبدد هباء منشوراً ، في اللحظة التي يسود فيها الغباء الخارق ويمضي في طريقه الأعمى لا يحول دونه شيء ، وجلس في التو دون أن يلمسها ، في استرخاء مستغرق ، ثم قال ، وقد تيقظ « أوه أيها الصفاء الوديع ، ثم

بدأ يردد ، « عزيزتى ، نارس العجوز ، . ومرة أخرى أمسك بيدها .
فلم تنسحب لأولم تستسلم تماما .

قالت ، « هورى ، أظنك لست فى حاجة لأن تردد كثيراً أننى
غبية ، .

قال مؤيداً ، « نعم . ولكن يجب على أن أوقع بالسكال نوعاً فامن
الانتقام ، .

وبعد ذلك استلقت فى غرفتها المعتمة ، وعبر الممر كانت العمة سالى تغط
فى نومها وشخيرها هادى . منتظم وقد استلقى هوراس أيضاً فى الغرفة
المجاورة ، بينما ارتحل ضياعه الوحشى الضارب فى الخيال من حوله وذهب
يجوب أما كنه العزلاء الوحيدة ، فيما وراء القمر ، بين مراع ثبتت
بمسامير من نجوم إلى سقف كل الأشياء الأعلى ، حيث يملأ وقع أقدام
حيوانات وحيد القرن الهواء المحمل بمحجاتها أو تشغل هناك بأكل الكلاب ،
أو تستلقى على ظهورها فى استراحة ذهبية الحافر .

كان هوراس فى السابعة عندما ولدت ، وفى خلفية طفولتها الواعية
كانت أشياء ثلاثة ، صدى بوجه وحشى نحيف ، وشهوة لا تهجع للباسى ،
وشخص أسمر جرى ، يحمل دائماً رومانسية الأطعمة المهربة ، بيدين
قويتين صلبتين ، كاتنا تفوحان دائماً برائحة صابون ، كاربولى مشير - مخلوق
يشبه الله ، ولكن دون رهبة تصعبه ، وأخيراً ، مخلوق لطيف دون
ساقين أو أية إشارة إلى أية حركة من أى نوع ، كأنه محراب صغير
لإله ما ، محاط دائماً بهالة من الحزن الرقيق وشباك لا تنتهى من خيوط حريرية
ملونة . كان هذا الشيء الأخير وجوداً دائماً برقة وتواضع حزين ، وكان
الثانى يدور فى فلك كان يحمله فى مراحل منتظمة إلى الفضاء الخارجى ،
ليعيده مرة أخرى بحيويته القوية المرحة إلى عالمها المحتدم أما الأول فقد
جعلته ملكها بإصرار واع أموى ، ولذا ، فعندما بلغت الخامسة

أو السادسة فإن الناس اعتادوا أن يخوفوا هوراس بتهديده بإبلاغ نارسيسا عنه .

ماتت جوليا بينبو في سلام عندما كانت نارسيسا في السابعة . لقد استخلصت من حياتهم ، كما تستخلص قارورة صغيرة من عطر اللاوندا من صوان الملابس ، تاركه من ورائها شيئاً ما غامضاً ورقيقاً وممتلككناً . وخلال سنوات النمر المحترمة في السابعة والثامنة والتاسعة استبدت واعتادت أن تأمر الاثنين الآخرين ، ثم أصبح هوراس في المدرسة في سيوانى ، وبعد ذلك في أكسفورد ، التي عاد منها في الوقت المناسب ليرى ويل بينبو وهو يلحق بزوجه بين أشجار الأرز مديبة الروس ، والحمام المنحوتة ، وغيرها من أشكال الرخام المحفور الهادئة ، وبعد ذلك افترق هوراس عنها مرة أخرى بتوافق سيء غي لأقدار الناس .

ولكنه كان قد استلقى الآن في الغرفة المجاورة ، بحوب كالرحالة عوالم متلاثة آمنة فيما وراء القمر ، وقد استلقت هي أيضا في فراشها المعتم ، مستقرة في سلام ، سلام أقوى من أن يدعها تنام .

عاد بسرعة وسهولة إلى إطار الأيام الرتيب ما بين بيته ومكتبه ، إلى الألفة البسيطة العميقة بينه وبين كتب مغلفة بجلود العجول ، لم تنهك حرمانها قط . وربما لاتزال توجد على أغلفتها المغبرة بصمات أصابع ويل بينبو الميتة وإلى لعب التنس قرة قصيرة كل أصيل على ملعب هارى ميتشيل الأنيق ، ولعب الورق في المساء ، أيضا مع بيل وهارى عادة ، أو إلى سحر الكلمة المطبوعة الميسور دائما وغير العاجز أبداً (وهذا ما كان يؤثره) . بينما تجلس أخته عبر المنضدة أمامه ، أو تعزف برقة لنفسها في الغرفة المعتمة عبر البهو . وكان يأتي لزيارتها بين الحين والحين ، رجال ، كان يستقبلهم هوراس بأدب لا ينضب وإن كان

يشوبه شيء من الضيق ، ثم يتركهم سريعا ليتسكع في الشوارع أو ليقرأ في فراشه . كان دكتور الفورد يأتي لزيارتهم بجفاه المعتاد مرة أو مرتين كل أسبوع ، وكان هوراس ، وهو بشكل ما ، أحد هواة الجدل السفطاني ، يتسلى بأن يقذف فروة الطبيب العلية الرقيقة بأسهم من أسئلة مغلفة بالريش الدقيق عن مشكلات العقل وما وراء الطبيعة ، كان يقضى في ذلك بعض ساعة ، وهنا يلاحظ أن نارسيسا لم تنطق ببنت شفة لمدة ستين أو سبعين أو ثمانين دقيقة . وقال لها هوراس ، هذا هو سبب حضورهم لزيارتك ، من أجل علاج عواطفهم بالاسترخاء في حمام الطين .

وقد عادت العمة سالى إلى بيتها . بسلتها وأشرطتها الملونة وأسنانها المستعارة ، وتركت وراها إحساسا ثابتا بقيامها . وواجب أكيد وإن كان غامضا على حساب الذات ، ورائحة متهاكة لجسد أنثوى عجوز ، غاضت ببطء بعد رحيلها ، وإن تسكعت مع ذلك ، في أماكن غير متوقعة ، الأمر الذى جعل نارسيسا تتصور في لحظات يقظتها وهي مستاقية في فراشها في العتمة ، في فيض شعور من اللذة الحسية بعودة هوراس إلى البيت . تتصور ، أن في استطاعتها أن تسمع غطيط العمة سالى المنتظم القنوع في السكون المعتم المحشود الذى يسيطر على البيت .

وكان يبلغ أحيانا من الوضوح الأمر الذى يجعلها تتوقف فجأة وتمتف إلى الفرفة الخالية باسم العمة سالى . كانت العمة سالى تجيب أحيانا ، ذلك أنها قد قررت أن تمارس حقها في الحضور في أية ساعة ، تأخذها فيها الرغبة في الحضور ، دون استئذان أو إعلان لتطمئن عليهما ، ولتشكو بشدة من أهل بيتها . كانت عجوزا ، عجوزا جدا بحيث إنه تعذر عليها أن تنفعل بسمولة بالتغيرات ، وقد أصبح من الصعب عليها أن تتلام من جديد مع أساليب شقيقتها ، وبعد غيابها الطويلة في دار كان يسلم فيها لها الجميع بكل شيء يتصل بشئون البيت . أما في بيتها فقد صرفت شقيقتها الكبرى شئون البيت بأسلوب مقتدر مشاغب ، وهي وشقيقتها الصغرى أصرتا على المضى في معاملة العمة سالى وكأنها مازالت في طفولتها

منذ خمسة وستين سنة ، حيث يتحتم الإشراف على طعامها وملابسها
وساعات يومها وليلها بشدة مشاكلة .

قالت تشكو بغضب ، و لا أستطيع حتى أن أذهب إلى الحمام في
سلام . ولى نية قوية أن أحزم أمتعتي وأعود إلى هنا ، وأدعهما تمضيان
في حياتهما كأحسن ما تستطيعان .

ومضت تتأرجح متبرمة بحالها في المقعد الذي لم تناقش ملكيتها له ،
باتفاق لم ينطق به أحد . وهى تتجول بعينيها الغاضبتين المحمرتين قالت ،
تلك الفتاة السوداء لا تنظف الأشياء حتى نصف تنظيف ، منذ أن غادرت
البيت . هذا الأناث . والآن . . . قطعة قماش مبللة .

قالت مس صوفيا شقيقة مس سالى الكبرى ، لنارسيسا ، و أتمنى أن
تستعيد بها إليك . لقد أصبحت ، منذ أقامتها عندك ، شديدة العناد حتى
لم يعد من الممكن العيش معها . ما هذا الذى أسمه عن هواية هوراس
الجديدة . . . صنع الآوانى الزجاجية ؟ .

وقد وصلت بوائقه وأنايقه الرئيسية سالمة . وفى البدء ، أصر على
استخدام القبو ، فأخرج منه آلة تقليم المبرج وأدوات الحديقة ، وكل
العدد المترابكة ، وسد النوافذ بالبناء حتى يجعل من القبو سرداباً . ولكن
نارسيسا استطاعت أخيراً أن تستدرجه إلى الطابق العلوى من الجراج ،
حيث أقام موقده وأشعل النار فى المبنى مرة . ووقعت له أربع حوادث
مؤسفة وأنتج زهرية واحدة تكاد أن تكون كاملة بلون الكهرمان الصافى ،
وكانت أكبر من سابقتها وأكثر وقاراً وأبهة وصفاء ، وكان يضعها دائماً على
مائدة فراشه ، وأطلق عليها اسم شقيقته ، وكان يهتف بهما دون تفرقة
فى لحظات انطلاقاته حـول إدراك معنى السلام ، والفوز به صافيا .
ويناجيهما بقول الشاعر : أنت يا عروس الهدوء التى لم تغتصب بعد ،
خرج هوراس عارى الرأس فى سروال رياضى وسترة زرقاء وشيت

على جيبها شارة نادى أكسفورد ، ووضع مضربه تحت إبطه ، ومضى حول البيت ، وبدأ الملعب للعيان بلاعبيه في حركة مستمرة عنيفة . وقد جلست بيل تحت رواق من الأعمدة البيضاء البارزة جزئيا من الجدران والمغطاة عروق سقفه بأغصان العنب ، وبدأت كالفراشة تحيط بها حاشية اللحظة الهشة المتناسقة . وقد جلست معها اثنتان ، كاتيا واضحتين ومن ورائهما أوراق الريحان الأسود المعتمة ولم تكن زهوره قد تفتحت بعد . أما المرأة الأخرى ، كانت ثالثهن فتاة صغيرة في ثوب أبيض وشعر عسلي مقصوص حول جبهتها ومضرب تنس على ركبتيها ، فقد تحدثت إليه ، وحيته بيل بأسلوب يفيض بالكآبة الواهنة وبدل على أنه ملك لها . وكانت يدها في يده دافئة مستسلة وكأنها زئبق يترجرج في كفه ، الذى مضى يتحسس بركة العظام الرقيقة واللحم القلق المعطر . وكانت عيناها كعنبتين في كرمة تعيش في غرفة زجاجية معبأة بالحرارة وفها أحر زلقا يفيض بعدم الرضا .

أخبرته أنها قد فقدت ميلونى .

قال هوراس ، استطاعت ميلونى أن تراك على حقيقتك من خلال رقتك . ربما أصبحت أكثر تهاونا . أناقتك أقل كثيرا فى المستوى من أناقة ميلونى . أنت بالتأكيد لم تتوقعى أن تخدعى دائما امرأة تستطيع أن تمنح وظيفتى الطعام والشراب كل هذا العناية الشديد وكما فعلت ميلونى ، أليس كذلك ؟ أم تراها تزوجت مرة أخرى ؟ ، أجابت بيل بفيض ، لقد اشتغلت بالأعمال الحرة . صالون تجميل . ولماذا ؟ لن أستطيع وقسا بحياتى أن أعرف . مثل هذه الأشياء لا تنجح هنا . هل تستطيع أن تتصور نساء جيفرسون وهن يمنحن عملا لصالون تجميل ، باستثناء ثلاثتنا ؟ مسز ماردرز وأنا ربما ، أنا واثقة أننا فى حاجة إليه ، ولكن ما حاجة فرانكى به ؟

قالت المرأة الأخرى : ما يبدو عجيبا بالنسبة لي ، هو من أين جاء المال ؟ . .

بييل ، : يعتقد الناس أنك ، ربما أعطيتيه لها ؟ .

قالت بييل ببرود : منذ متى وأنا أتبرع بنقودي للأعمال الخيرية ؟ ،
وابتسم هوراس ابتسامة شاحبة . وقالت مسر ماندرز :

بييل نحن نعرف جميعا إلى أي حد أنت طيبة القلب . لا تكوني متواضعة . .

قالت مرة أخرى : أنا قلت أتبرع بنقودي للأعمال الخيرية ، وقال هوراس بسرعة :

إن هاري على استعداد دائما لأن يقايض . على الأقل سيوفر هذا الكثير من استهلاك النبيذ من قبوه ، إذ لن يجد نفسه مضطرا لأن يجاريك فيقدم الخمر لكل أولئك الرجال الذين تملئين بطونهم بالشاي ، أحسب أنه لن يقدم شاي هنا في الحديقة بعد الآن ؛ أليس كذلك ؟ .

قالت بييل : لا تكن أحمق .

قال هوراس : أنا أدرك الآن ، أن التنس ليس هو الشيء الذي آتى من أجله إلى هنا . أنا أحضر من أجل ما أحس به دائما من شعور جبار مرهق بالعظمة عندما تقدم ميلوني إلى الشاي . . . رأيت ابتكك وأنا قادم .

قالت بييل دون اهتمام : إنها قريبة منا ، على ما أظن . .

قالت له : أنت لم تقص شعرك بعد ، ثم لم كان الرجال حمقى فيما يختص بالخلاقين ؟ ، ومضت المرأة الأكبر سنا ترقب بييل وهوراس بذكاء وبرود ، عبر ذقنها المزدوجة المرهلة . وجلست الفتاة الصغيرة هادئة في ثوبها

البسيط ناصع البياض ، وقد وضعت مضربها في حجرها ، ويدها
السمراء عليه كأنها جرو بئى نائم . وكانت ترقب هوراس باهتمام رصين .
ولكن بأدب كما يفعل الأطفال ، قالت بيل ، أما أنهم لا يذهبون مطلقاً
إلى الحلاق ، أو أنهم بصرون على أن تلتق رؤوسهم تماماً بالدهون وغيرها .

قالت المرأة الأخرى ، هوراس شاعر ، وكان لحمها يتهدل مسترخياً
من فوق عظمتي وجنتيها وكأنه قطع من الخمل الملوث قليلاً . وعيناها
شديهتين بعيني ديك رومي عجوز ، مفترسين لا تطرفان ، وقحتين إلى حد ما .
« ينبغي أن يغفر للشعراء ما يفعلون ، عليك أن تتذكرى هذا يا بيل ،

أخى هوراس رأسه لها شاكراً وقال ، جنسك لا يفتقد اللبابة أبداً
يا بيل . مسز ماندرز واحدة من الفلائل الذين أعرفهم من يعطون حرقه
القانون قيمتها الحقيقية . »

قالت بيل ، أظنها لا تختلف عن أى عمل آخر . تأخرت اليوم .
لم لم تأت نارسيسا ؟ ، قال هوراس موضحاً ، أقصد ، وهى تصفنى بأننى
شاعر . القانون كالشعر ، هو الملجأ الأخير لكل أعرج وكسيح وغبي
وأعمى ، أجرؤ أن أقول إن فيصر اخترع القانون ليحمى نفسه
من الشعراء . . .

قالت بيل ، ما أبرعك ! ،

وتكلمت الفتاة الصغيرة فجأة ، مس بيل ، لم تهتمين بما يضمه الرجال
على شعرهم ؟ إن مستر ميتيشل أصلح ،

وضحكت المرأة الأخرى ضحكا لزجاً رتيباً ، وهى ترقبهم بعينين
لا تطرفان ولا تضحكان ومضت ترقب بيل وهوراس ، وتضحك برتابة
ومكر وبرود ، قالت ، ومن أفواه الأطفال . . . وتطاعت الفتاة الصغيرة
بينيها الصافيتين المادتين من واحد إلى الآخر ثم وقفت .

قالت ، أظنى سأذهب لأرى إن كان ممكناً أن ألب الآن . . .

وتحرك هوراس أيضا ، وقال : أنا وأنت . . . ولكن بيل لمسته
بيدها دون أن تدبر رأسها إليه .

قالت أمرة : فرانكي اجلسي لم ينتهوا من مباراتهم بعد ، ثم قالت
لمسز ماندروز : يحسن بك ألا تضحكي كثيراً ومعدتك خالية . هوراس
اجلس ، أرجوك . ،

ظلت الفتاة واقفة برشاقة نحيلة مضطربة ، والمضرب في يدها ، ثم
أدارت وجهها مرة أخرى نحو الملعب وجلس هوراس على المقعد القريب
من بيل من الناحية الأخرى ، وسقطت يدها واختفت في يده وهي تحتلج
بتلك الحركة الغامضة ، ثم جمدت ، وكأنها قد حوت تياراً في مكان ما
إلى جهة أخرى ، كأنها شخص يدخل حجرة مظلمة باحثاً عن شيء ، ثم
يجده ثم يطفىء النور مرة أخرى .

قال هوراس مخاطباً المرأة الأخرى عبر بيل الجالسة بينهما ، ألا تميلين
إلى الشعراء ؟ ، ولم تدر الفتاة الصغيرة رأسها .

قالت : إنهم لا يستطيعون الرقص . ومع ذلك أحبهم بلا عيب .
لقد ذهبوا إلى الحرب . الفضلاء منهم فعلوا . كان منهم واحد يجيد
لعب التنس ، وقد قتل . رأيت صورته إلا أنني لا أذكر اسمه ،

قالت بيل : أوه جياً في السماء . لا تمضي في الحديث عن الحرب .
وارتعشت يدها في يد هوراس ، كان على أن انصت لمدة عامين هاري ، وهو
يبرر لي عدم ذهابه للحرب كما لو كان يهمني ما إذا كان قد ذهب أم لم
يذهب ، ،

قالت مسز ماندروز بذلك ، كانت له أسرة عليه عمادها . استرخت
بيل قليلاً ، وقد أسندت رأسها إلى ظهر مقعدها ، ويدها المختفية تتحسس
بطء ، في يد هوراس ، مسكشفة ومنقبة دون انقطاع ، كأنها إرادة حرة
منفصلة مستطلعة ، وإن كانت تفقد الحرارة .

قالت الفتاة مستطردة ، البعض منهم كانوا طيارين ثم وقفت وقد أسندت أحد ردفها الصغيرين غير البارزين إلى حافة المائدة ، واحتضنت مضربها تحت ذراعها ، وأخذت في تقليب صفحات المجلة ، ثم أغلقتها ، ومضت ترقب مرة أخرى اللاعبين في حركتهما على الملعب ، كمهرجين هزيلين يثيران السخرية ، وقالت ، رقصت مرة مع أحد أولاد آل سارتوروس . أصابني من الفزع ما أعجزني عن معرفة مع من منهما رقصت . لم أكن حينئذ أكبر من طفلة .

سأل هوراس ، هل كانا شاعرين ؟ أقصد الذي عاد منهم ؟ أنا أعرف الآخر الذي مات . لقد كان شاعرا .

قالت وعيناها على اللاعبين ، إنه يستطيع بالتأكيـد أن يقود سيارته ، وكان شعرها - وهي أول من قصته في البلدة وعقصته - مسترسلا ، ليس بنيا ولا ذهبيا ، وبدت أنفها الصغيرة ، ويدها الهادئة السمراء مازالت تقبض على المضرب . ثم تحركت بيل وسحبت يدها من يده . قالت ، هيا ، اذهبوا جميعاً والعبوا ، كلاكما يثير أعصابي ، وهم هوراس واقفا بخفة وقال ، فرانكي هيا بنا فلبنارهما معا .

وأخذا مكانهما من الملعب وتباريا مع الشابين ، وكان هوراس لاعبا غير عادي ، لامعا ، وإن كان لعبه غير متجانس . وكان في استطاعة من يعرف التنس وبأعصاب هادئة أن ينتصر عليه دون جهد بأن يدعه فقط يهزم نفسه بأخطائه . أما هذان اللاعبان فلم يكن في استطاعتهم ذلك . وشريكته أضاعت الكثير من فرط نقتها بنفسها ، واستطاع هوراس أن يستعيد النقاط الضائعة بقذف الكرة . وبالتخطيط البعيد ، الذي بلغ من الجرأة حداً ستر أخطاء لعبه .

وفي اللحظة التي كسب فيها هوراس النقطة الأخيرة ظهر هاري ميتشل ، في سراويل ضيقة وقيص حريري أبيض وحذاءي رياضة أنيقين جديدين كلفا عشرين دولاراً . وكان يحمل مضرباً جديداً في كيس عليه رسم الصانع . وقف بساقيه القصيرتين ورأسه الكروية الصلحاء ، وفكه الأسفل البارز

بأسنانه التالفة وقف بجوار صورة زوجته الأنيقة وبعد قليل وبعد أن يضطر إلى شرب فنجان شاي ، سيجمع كل الرجال الموجودين حينئذ ويمضي بهم عبر البيت إلى حمامه ويسقيهم الويسكي ، ثم يملا كوباً ويأخذه إلى راشل في المطبخ وهو في طريق عودته . كان على استعداد دائم أن يمطيك القميص الذي يغطى به ظهره . كان أحد المضاربين على القطن ، وكان يمتازاً في هذا ، كان قبيحاً كالخطيئة ، وطيب القلب ، وكثير الكلام وإن تعذر إقناعه بالمنطق ، وكان ينادى بيل ، بالأم الصغيرة ، حتى رده عن هذا .

ترك هوراس وزميلته الملعب واقتربا من الجماعة الجالسة .

وقد جلست مسز ماندرز الآن وذقتها المزوجة المتهدلة محتفية وراء فنجان شاي واستدارت الفتاة إليه بأدب وقالت وكأنها تختتم اللعب ، « أشكرك لاشترائك معي في اللعب أرجو أن أكون أفضل يوماً ما . » ثم قالت « لقد قهرناهما ، » .

قالت هاري ميتشل ، وقد بانث أسنانه التالفة ، « إيه أيها الولد الكبير ، أنت والآنسة الصغيرة انتصرتما عليهما ، واستطال فكك البارز الثقيل وهو يهبط إلى أسفل ، ثم ينغلق فجأة قاضيا عن رغبة قلقة في النضال .

قالت الفتاة مصححة بصوتها الصافي ، « مستر بينبر هو الذي فعلها ، ثم جلست على المقعد المجاور لبيل وقالت ، « ظلت أدهم يفزون الجزء الخاص بي من الملعب ،

قالت بيل ا « هوراس ، شايك سيرد . .

قدم إليه الشاي ، خادم يعمل بستانياً وسائساً وسائقاً ، وقد وضع مؤقتاً في سترة بيضاء يفوح منها رائحة المطاط المسكبت والنوشادر . وأخرجت مسز ماندرز ذقتها من وراء الفنجان .

قالت . هوراس يجيد اللعب إلى أقصى حد . نعم إلى أقصى حد .
لايستطيع الرجال الآخرون أن يكونوا قرناء له . كنت محظوظة يا طفاق
إذ كان شريكك .

قالت الفتاة ، نعم ياسيدتى . أظنه لن يفامر بمشاركتي
مرة أخرى .

قالت مسن . ماندرز بسرعة ، هراء . لقد استمتع هوراس باللعب
معك . مع فتاة صغيرة نضيرة . ألم تلاحظي هذا يا بيل ؟

لم تحر بيل جواباً وصلت الشاي لهوراس . وفي هذه اللحظة جاءت
ابنتها عبر المرح في ثوبها الأصفر الفاقع . كانت عيناها كمنجمتين ، أكثر
نعومة ورقة من عيني غزال وأتقت على هوراس نظرة سريعة لمساحة .

قال ، تابتينيا ، كيف حالك ؟

وأدارت بيل رأسها قليلاً ، رافعة إزاء الشاي فوق الفنجان ، ووضع
هارى فنجانها على المائدة ، وذهب ، وركع أمامها بركبة واحدة ، وكأنه
يتودد إلى جرو . وتقدمت الطفلة وما زالت ترقب هوراس بعينين مشغولتين
وحياها رقيق ، وتركت أباها يحتضنها ويدلها بيديه القصيرتين الثقيلتين .

قال هارى ، حبيبة أبيها ، واستسلمت بسرور وهي ترى ثوبها
الأنيق الصغير وهو يتجمد وإن بذات بعض المقاومة ، ثم انطلقت نظرتها
اللامعة مرة أخرى . قالت بيل ، أختي ، لاتفسدى ثوبك ؟ ، وتحاشيت
الطفلة ذراعى أبيها بحركة رشيقة ، وسألته بيل ، وما الأمر الآن ؟
لم كفتت عن اللعب ؟

قالت الطفلة ، لاشئ ، أردت فقط أن أعود ، وجاءت ووقفت بحياء
بحوار مقعد أمها .

قالت بيل ، ، تحدثي إلى الجالسين . ألا تعلمين أنه يجب عليك أن تتكلمي إذا جئت إلى حيث يوجد من هم أكبر منك سناً ؟ ، وفعلت الطفلة ذلك ، خجلة ودون الوقوع في خطأ إذ حيتهم واحداً بعد الآخر وهي تدور عليهم ، واستدارت إليها أمها وسوت وربتت على شعر طفلتها المسترسل الناعم ، وقالت ، ، والآن ، هيا اذهبي والعبي . لم ترغبين دائماً في التحويم حينما يوجد البالفون ؟ أنت لايمك ما تفعله .

قال هارى ، آه . دعها تبقى ، إنها تريد أن تشهد أباه وهوراس وهما يلعبان التنس ،

قالت بيل مرة أخرى ، هيا ، اجرى ، وربتت عليها أخيراً ، وعليك أن تحتفظي بثوبك نظيفاً .

قالت الطفلة ، نعم يا سيدتى ، وأطاعتها واستدارت ، وألقت على هوراس نظرة أخرى لأمعة سريعة ، ومضى يرقبها وهي مبتعدة ورأى راشل تفتح باب المطبخ ثم تتحدث إليها وهي تعبره ، ورآها تستدير إليها وتصعد الدرج إلى المطبخ . قالت مسر ماندرز ، يا لها من طفلة مهذبة .

قالت بيل ، لانهم من الصلابة حتى يتعذر عمل شيء معهم ، بها بعض خصال أبيها . هارى اشرب شايك .

أخذ هارى الفنجان ممثلاً من على المائدة وامتص محتوياته الدافئة إلى داخله ، وهو يتحدث فخيحا بفمه ، وقال ، حسناً ، والآن أيها الولد الكبير ، ما رأيك في مباراة زوجية ؟ هؤلاء العاصفير يظنون أن في مقدورهم أن يهزمونا .

قالت بيل معترضة ، فرائكى تريد أن تلعب مرة أخرى ، هارى ، دع الملعب للصبية قليلاً ، ولكن هارى كان مشغولاً بإخراج مضربه ، ثم توقف ورفع وجهه ذا الفك البارز وعينيه المغممتين اللطيفتين .

استجبت الفتاة بسرعة قائلة ، لا ، لا ، أخذت كفايتي ، أفضل أن أفرج قليلاً ،

قالت بيل ، لا تكونى حقا . لأنها يستطيعان أن يلعبا في أى وقت .
هارى ، اطلب منهم أن يدعوا تلعب . .

قال هارى ، بالتأكيد ، تستطيع السيدة الصغيرة أن تلعب ، هيا ، العبي
ما تشائين ، ثم انحنى مرة أخرى وأعاد مضربه إلى غلافه المعقد ، وربط
المسامير المحواة هنا وهناك وبدأ في ظهره الضيق كما يبدو على أى صبي .

قالت الفتاة ، مستر ميتشل أرجوك . .

قال هارى مرة أخرى ، هيا ، اسمعوا أيها الفتيان ، ما رأيكم
في تنظيم مباراة مع السيدة الصغيرة ؟ . .

قالت بيل للفتاة ، لا يعنيك أمره . هو وهوراس يستطيعان اللعب
في أى وقت آخر وعلى أى حال سيتحتم عليه أن يكون اللاعب الرابع
إذا لعب .

ووقف اللاعبان ينتظران متأدبين .

قال أحدهم ، بالتأكيد . مستر هارى ، هيا ، أنا وفرايكي نلعبكما ،
أنت وجو ،

قال هارى مرة أخرى ، هيا يا أولاد اذهبوا والعبوا مباراة ، لدى
بعض عمل أتحدث فيه إلى هوراس ، اذهبوا جميعكم ، هيا ، وتغلب على
احتجاجاتهم المهذبة ، وأخذوا الملعب ، ثم أدار رأسه إلى هوراس
وفي إشارته معنى .

قالت بيل ، اذهب معه ، الطفل ا ، ، ودون أن تنظر إليه ، دون
أن تلمسه ، احتوته كله في وعد خصيب ملتعب ، وقد جلست مسر ماندرز
عبر المائدة قبالتهم ، فضولية وذكية وباردة وفنجانها في يدها ، قالت بيل
، إلا إذا كنت ترغب في اللعب مرة أخرى مع هذه الطفلة الحقا . .

قال هوراس مردداً : «حقاً ؟ إنها أصغر جداً من أن تكون حقاً دون أن تدري ، قالت له : اذهب وعد سريعاً - مسرفماندرز وأنا سئمنا بعضنا البعض .»

ومضى هوراس وراء مضيفه إلى البيت ، مضى وراء خطوه القصير المزلق ، وصلعة رأسه التي لا تختفي أبداً . وجاء صوتي بيل الصغيرة منتظماً إليهما وهما يمران بالمطبخ وهي تروى شيئاً مما أثار عجبها في أثناء النهار ، يقطعها من لحظة إلى آخر لفظ ناعم مستفهم من راشيل . وفي الحمام ، أخرج هاري زجاجة من صوان ، ودخلت راشيل ، وقد سبقها إليهما وقع قدميها الثقيلتين المجهدين على الدرج . كانت تحمل إليهما دورقا من الماء المثلج .

قالت وكأنها تستجوب هاري : «لم لا تذهبون جميعاً وتلعبون إذا كنتم تريدون ذلك ؟ لم تدعون هذه المرأة تعاملكم أتم وهذه الطفلة كما تفعل على أى حال ؟ أنت ، عليك أن تأخذها وتؤذيها بعضاً ، تدخل مطبخي في الساعة الرابعة عصراً وتعمل فيه يد الفوضى ، وأنت لا تقدم إلى شيئاً من المساعدة ، ثم قالت : أعطني قليلاً من الشراب يا مستر هاري أرجوك يا سيدي .»

ومدت يدها بكوبها ، وملاها لها هاري ، ومضت متناقلة من الحجرة وسمعاها وهي تهبط الدرج ببطء وتناقض على ردفها الهابطين . قال هاري : «ما كان في استطاعة بيل أن تمضي في حياتها دون راشيل ، ثم بيل كوين بالماء المثلج ووضعها في المغسل ، لأنها كثيرة الكلام ككل السود ، ثم صب في الكوبين ووضع الزجاج ، إذ تستمع إليها تتخيل بيل وكأنها نوع من الحيوانات المتوحشة ، تمر ملمون أو شيء مامن هذا القبيل ولكن بيل وأنا نفهم بعضنا البعض ، عليك - على أى حال - أن تتساهل مع النساء إنهن يختلفن عن الرجال ، خلقن بطريقة عكسية ، يشكون عندما لا ترضين ويشكون عندما تفعل ، وأضاف قليلاً من الماء إلى كوبه ، ثم قال فجأة دون

مبرز ، سأقتل الرجل الذي يحاول أن يحطم بيتي - كما أفعل بحية ملعونة .
حسناً ، فلنأخذ كأساً أخرى أيها الولد الكبير ، .

وسرعان ما أضاف القليل من الماء إلى كوبه الفارغة وازدردته أيضاً ،
ثم عاد إلى مرارته الأولى .

لا أستطيع أن ألعب على ملعبى الخاص الملعون . بيل تحضر كل هؤلاء
الخلق الملعين كل يوم . لست أريد إلا ملعباً أستطيع أن ألعب فيه
كل أصيل زوجاً من المباريات السريعة عند عودتى من العمل إلى البيت
كفاتحة للشهية قبل العشاء . ولكن فى كل يوم ملعون أعود إلى البيت
من العمل أجد عصابة من الفتيات الصغيرات والشبان الخنثين يستعملون
ملعبى وكأنه ملعب عام فى حديقة ملعونة ، وشرب هو كأسه ببطء أكثر
وأشعل هارى سيجارة ورى بالثقاب على الأرض ، ومدد ساقه فوق
المغسل . وقال ، أظنه يتحتم على أن أبى ملعباً آخر لاستعمالى الخاص ،
وأضع حوله سياجاً من الأسلاك الشائكة وأغلقه بقفل من طراز بيل ،
حتى لا أستطيع بيل أن تدعو أصحابها إلى الطعام فيه ، هناك مساحة واسعة
بجوار السياج . لا أشجار فيها أيضاً سائبة تحت الشمس الملعونة وأظن
بيل ستسمح لى باستخدامه من حين لى حين . حسناً ، ما رأيك فى أن
تعود إليهم ؟

ومضى أمامه عبر غرفة نومه ، وتوقف ليعرض على هوراس بندقية
كثيرة الطلقات اشتراها حديثاً ، ويهديه علبه سجائر استوردها من أمريكا
الجنوبية ، ثم نزلاً وخرجا فى الساعة المتأخرة من الأصيل ، كانت الشمس
أفقية عبر الملعب حيث كان ثلاثة من اللاعبين يجررون ويقفزون ، ووقع
أحذيتهم المطاطية الناعمة السريعة ، يتبع ضربات الكرة المتتالية . وكانت
مسز ماندروز فى مكانها بذقنها المزدوجة ، بالرغم من أنها كانت تتحدث
عن اعتزامها الذهاب وأدارت بيل رأسها إلى الخلف ولكن هارى مضى
ومن وراءه هوراس .

قال لمسز ماندرز بسخرية ثقيلة ، إننا ذاهبان لمشاهدة مكان نبقى عليه ملعب تنس وأظننى سألعب التنس أنا شخصيا . وكان الوقت قد تأخر أيضا عندما عادا . كانت مسز ماندرز قد ذهبت ، وجلست بيل وحيدة تقرا مجلة . وقد جاء إلى الفتاة فرانكى شاب بسيارة فورد مضغضة ، ولكن شابا آخر جاء أيضا ، وعندما جاء هوراس وهارى ، تزاحم الثلاثة بأدب على هارى وهم يدعونه لمشاركتهم فى اللعب .

قال هارى ، وقد بان عليه السرور الواضح ، دخذوا هوراس . سيعطيكم ما يعوض عليكم تقودكم ، ولكن هوراس رفض معتذرا ، ومضى الثلاثة يلحون على هارى .

قال حاسما الأمر ، د دعونى إذن أحضر مضربى ، ، وتتبع هوراس وقع الأقدام الكثيرة خلفه عبر الملعب . ثم ألقت بيل نظرة سريعة وقالت :
د هل وجدتم مكانا ؟ ،

قال هارى ، وهو يخرج مضربه مرة أخرى ، نعم ، حيث أستطيع أنا أن ألعب أحيانا . مكان بعيد جدا من الشارع بحيث لا يستطيع أن يراه أى مار ، ثم يتوقف ، ولكن بيل كانت قد استأنفت القراءة من جديد . فك هارى المسامير من حول المضرب وأخرجه .

قال لهوراس د سألعب مباراة واحدة ، وأنت وأنا نستطيع أن نلعب مباراة سريعة قبل الغروب ، .

قال هوراس د نعم ، وجلس يرقب هارى وهو يمضى متثاقلا إلى الملعب ويأخذ مكانه ، وراقب الرمية الأولى للكرة . ثم طقطقت مجلة بيل وانصفت بالمائدة . قالت ، وهى تقف ، تعال ، ووقف هوراس وسبقته بيل وعبرا المرج ودخلا البيت ، كانت راشل تتجول فى المطبخ ومضيا عبرا البيت ، حيث أصبحت كل الضوضاء بعيدة ، والتمت قطع الأثاث فى دعة ، وقد زالت ملاحمها فى أضواء الغروب المحتضرة . وانزلت يد بيل إلى يده .

وقبضت عليها وضغطت بها فإذها الحريري ، ومضت به عبر هو معتم إلى
غرفة موسيقاها . كان الهدوء مخيا على هذه الغرفة أيضا ، وكانت خالية
ثم توقفت قبالة في نصف استدارة ، وتبادلا القبل ولكنها ابتعدت
سريعا ، وتحركت مرة أخرى ، وسحب مقعد البيانو من تحته ، وجلسا عليه
معا متواجهين وتبادلا القبل مرة أخرى . قالت وهي تلمس وجهه وفوضى
شعره الجميل بأطراف أناملها ، أنت لم تقل لي أنا أحبك ، منذ وقت
طويل ،

قال هوراس مؤيدا ، نعم منذ أمس ، وقال لها . وهي تنحدر بصدورها
عليه وتنصت إليه ، بنوع ما من الشرود المبهور ، وكأنها قطة هائلة
ساكنة ، ولكنه إذ انتهى ومضى يتحسس وجهها وشعرها بيديه الرقيقتين
المتوحشتين ، انتزعت صدرها من عليه ، وفتحت البيانو ولمست المفاتيح
وعزفت الحانا عاطفية سرورية ، من الذاكرة ، ومن النوع الرائج حينئذ الذي
قد تسمعه في أي مسرح هزلي ، عزفتها بمهارة سطحية وبإحساس مرهف
لما تتضمنه من عدوية مبالغ فيها . وقد ظلنا هكذا جالسين برهة بيننا غاض
النور ، وييل في فراغ آخر وقى من الضجر إذ اصطنعت لنفسها عالما
تتجول فيه حاملة رائعة وبلسة خفيفة من الأسي . وهوراس جالس بجوارها
يرقبها في دور المأساة الذي فرضته على نفسها ، ويرقب نفسه وهو يلعب
دوره كالممثل العجوز الذي رق شعر رأسه ، وبان قطاع وجهه العجوز
عبر ذقنه ، ولكنه يستطيع أن يؤدي أي دور عند أية إشارة ،
بينما يجلس الرجال الأصغر سنا في الأجنحة وهم يعضون على أصابعهم
غيتلا .

ثم فاض وقع أقدام هاري الثقيلة على الدرج إذ كان يصعده ، وضجيج
صوته الغليظ الذي لا يمكن تمييز كلماته ، حيث كان يمضي بشخص آخر
من الدرج الخلفي إلى حمامه . توقفت بيل عن العزف ومالت إليه وقبلته
مرة أخرى ، وتعلقت به وهي تقول ، هذا لا يحتمل ، ثم ابتعدت عنه

وللحظة قصيرة ظلت تقاوم وهي بين ذراعيه ثم اندفعت يدها بعنف هائل على مفاتيح البيانو ، ومرقتا خلال شعر هوراس وهبطتا على وجنتيه وهي تضهما بقوة ؛ ثم ابتعدت مرة أخرى ، ، والآن اجلس هناك . .

وقد أطاع . وهي على مقعد البيانو جالسة في ضوء ظليل . لقد أصبحت في لحظة الفسق . ولم يكن يرى سوى خط رأسها المخنية وظهرها ، الساكن الحزين . فأعاد ذلك إلى نفسه إحساسه بالشباب . وجات برأس هوراس أفكار . نحن نحاول دائما أن نسايق أنفسنا ، كمجائز النسوة المتشككات ، إذ يتجسسن على الخدم . لا ، كصية يحاولون سبق استعراض . قال ، يوجد الطلاق دائما . .

، لن أتزوج مرة أخرى ؟ ، وانطلقت يداها إلى الأوتار ثم دججتها جميعا ومضت بها إلى وتزوج حيد . وفوق رءوسهم كان هاري يمشى بخطوة الثقيل المفاجيء ، فيرج البيت ، ، ستكون زوجا لا يحتمل . .

قال هوراس ، ، لن أكونه طالما ظلت غير متزوج . .

قالت . ، تعال هنا ، وذهب إليها ، وفي عتمة الغروب أصبحت مرة أخرى ، حزينة وصغيرة ومؤتلفة مع شعور الحوح بالضياح . أما هو فقد عرف مدى خصوبة العالم بالألم ، والزمن الذي يحاول ، آملا ، أن يمدح نفسه عن حقيقته . قالت ، ، هوراس ، أريد أن أحمل طفلك ، ثم جاء طفلها هي ، عبر الباب . جاءت الطفلة ووقفت في استحياء بالباب .

وللحظة قصيرة كانت يبيل حيونا اضطرب وحن خوفا . اندفعت مبتعدة عنه في حركة مجنونة دوامة ، وانقضت يداها على مفاتيح البيانو في اللحظة التي تمكنت فيها من السيطرة على محاولتها الغريزية العنيفة للهروب تلك المحاولة التي تركت في لحظة الغروب إحساسا عدوانيا مجنونا يشوبه دافع وقائي ويفيض في موجات متراكمة ، موجهة إلى هوراس أيضا .

قال هوراس ، ، تاييتنيا ، تعالى ،

وقفت الفتاة الصغيرة ، حية في الظل . قالت بيل هوراس في صوت حاد
واضح كالفحيح ، ، حسنا ماذا تريد ؟ اجلس هناك ، ثم قالت للطفلة ،
« بيل ، ماذا تريدين ؟ » وانسحب هوراس قليلا ولكنه لم يقف .

قال ، ، « عندي حكاية جديدة سأرويها لك حالا ، ولكن بيل
الصغيرة ظلت مكانها وكأنها لم تسمع ماقاله ، قالت أمها .

« بيل اذهبي والعبي . لم عدت إلى البيت ؟ لم تكن ساعة العشاء بعد ،

قالت ، ، « ذهب الجميع إلى بيوتهم . ليس ثمة من اللعب معه ،

قالت بيل ، ، « إذن اذهبي إلى المطبخ وتكلمي مع راشل ، وضربت
مفاتيح البيانو بعنف مرة أخرى ، « أنت تزعجيني إلى درجة الموت ،
وأنت تتجراين هكذا حول البيت ، وظلت الفتاة الصغيرة واقفة برهة
أيضا ، ثم أطاعتها فاستدارت وذهبت .

قالت بيل مرة أخرى ، ، « اجلس هناك ، واستعداد هوراس مكانه ،
وعزفت بيل أيضا ، بصوت مرتفع وبسرعة ، وبجاذق هستيري بارد ،
ومن فوق رءوسهم مضى خطو هاري الثقيل عبر الغرفة ثم نزلوا الدرج
وما زال هاري يتكلم ، ومضت الأصوات نحو خلفية البيت ، وتوقفت
وظلت بيل تعزف ، ومن حوله ولا تزال في الغرفة المتعامة ذلك الإحساس
العدواني الواقي الأعمى كالتقباضة عضل ظلت مكانها بعد أن زال باعث
الخوف . قالت دون أن تدير إليه رأسها ، هل ستبقى لتناول العشاء معنا؟»

قال لها وهو يتيقظ فجأة إنه ان يفعل لم تقف معه ولم تدر إليه
رأسها وخرج من الباب الأمامي إلى ساعة الغسق الربيعية المتأخرة ،
لقد ظهرت بالفعل نجمة باهتة فوق الأشجار الساكنة بلا رياح . وعلى
المز ، وبالضبط أمام الجراج . كانت سيارة هاري الجديدة . تنتظر وفي
هذه اللحظة كان يفعل شيئا بالتمها ، بينما أمسك خادم البيت والفناء

والإسطليل بمصباح طوارىء فوق رأسه التى تشبه الصخرة البارزة ، وكانت ابنته وراشل تمسكان بأدوات أو أجزاء مخلوعة من أجهزة السيارة وقد انحنيا بوجهيهما غير المتشابهين من وراء ظهره إلى ضوء المصباح الأزرق الناعم ، ومضى هوارس إلى بيته . حل الغسق ، ثم المساء بسرعة . وقبل أن يصل إلى ركن الشارع حيث يستدير ، شعشت مصابيح الشارع ثم انطفأت ، ثم توهجت فوق مقاطع الطريق تحت الأشجار المتعانقة .

- ٣ -

كانت أمسية الحفل الموسيقى التى تعزف فيه بييل الصغيرة واللحظة الفاصلة فى سنتها الدراسية الموسيقية . وطوال الأمسية كلها لم تنظر إليه بييل ، ولم تخاطبه بكلمة واحدة ، ولا فى لحظة زحام الضيوف المنصرفين عند الباب ، ولا عند ما كان هارى يحاول لإغراءه على الصعود إلى الطابق العلوى لأخذ كأس ، وقد أحس بها بجواره لحظة ، وعقب رائحة العطر الثقيل الذى تستعمله . إلا أنها لم تقل له ، حتى فى تلك اللحظة كلمة واحدة ثم تخلص أخيراً من هاوى ، وانغلق الباب على صلعة هارى اللامعة الكروية وبييل الصغيرة ، واستدار هوراس إلى الظلام ، ولم يجد نارسيسا فى انتظاره . كانت فى منتصف الطريق إلى الشارع .

قال لها منادياً إن كنت ذاهبة فى طريقى ، فسأصحبك ، ولم تحر جواباً ولم تببط خطواتها ولا أسرع أيضاً عند ما لحق بها .

قال : ولم يحتمل البالغون كل هذا الجهد ليضطروا الأطفال لعمل أشياء سخيفة ، ماذا تظنين السبب ؟ ، كان لدى بييل ملء بيتها من الناس الذين لا يهمها أمرهم فى شيء ، وأغلبهم لا يرضى عنها ، وأبقت بييل الصغيرة فى الحفل ثلاث ساعات بعد موعد نومها . والنتيجة هى ، أن توترت أعصاب هارى ، وبييل فى حال مزاحية سيئة ولا تستطيع بييل الصغيرة أن تذهب إلى فراشها من فرط الاستثارة ، وأنت وأنا نتمنى لو كنا فى بيتنا ونأسف لأننا لم نبق فيه .

سألته نارسيسا ، « إذن لماذا تذهب هناك ؟ ، ولجأة ألجم هوراس ،
ومضيا معا في عتمة الليل . متجهين نحو نور المصباح التالي ، وقد تدلت
من حوله أغصان الشجر وكأنها صخور مرجانية سوداء في بحر أصفر .
قال هوراس ، « أوه ، ثم ، رأيت تلك القطعة العجوز إذ كانت
تتحدث إليك . »

« ولم تصف مسر ماندرز بالقطعة العجوز ؟ لأنها قالت لي شيئا يعني ،
ويبدو أن كل شخص آخر يعرفه بالفعل ؟ . »
« إذن هي التي قالت لك ، أليس كذلك ؟ كنت أتساءل . . . ودس
ذراعه تحت ذراعها الخامد . « عزيزتي نارسى العجوز . . . وعبرا الظل
المبرقش تحت نور المصباح ومضيا معا إلى الظلال مرة أخرى .
سألته : هل هذا صحيح ؟

قال : « أنت تنسين أن الكذب ، ليس إلا صراعا في سبيل البقاء
إنه أسلوب الإنسان الهزيل في جرجرة الأشياء . من حوله لتتفق مع الصورة
التي رسمها لنفسه مقدما ك مخلوق في هذه الأرض . وهذا هو انتقامه من
الآلهة الشريرة . »

سألته بإصرار « هل هذا صحيح ؟ ، ومضيا معا ، ذراعا في ذراع ، هي
تنتظر بجدية وإصرار ، وهو يشكل العبارات في رأسه وينبذها ، وقد
وجد الوقت الذي يتسلى فيه بعجزه الغريب أمام إصرارها .

قال وقد بدا لهم على وجهه « الناس لا يكذبون عادة عن الأشياء
التي لا تعنيهم . إنهم جامدون تجاه العالم ، حتى إذا لم يكونوا كذلك تجاه
الحياة . ولكن ليس عندما يكون الواقع أشد إثارة بكثير من كل
ما تستطيعه أخیلتهم ، وأخذت ذراعها من ذراعه حاسمة الأمر .
« نارسى . . . »

قالت : « لا تفعل . لا تقل لي هذا ، وكان الركن الأخير من الشارع ،
الماضي . بنور المصباح ، هو ركن بيدهما ، إذ يدوران هـ . . . ومن فوق

نفق الشارع المحذب ، كانت الآلهة الشريرة تطلع بأعين باهتة لا تطرف
زوج هوراس يده في جيب سترته ، وقد أسكت لحظة بينما مضت أصابعه
تتحقق من الشيء غير العادى الذى وجدته في جيبه . ثم أخرجه ، قطعة
من ورق الكتابة الثقيل ، وقد طبقت مثنى . وشبعت بعطر ثقيل ذاو .
كان عطراً مألوفاً آثار حيرته في تلك اللحظة ، وكأنه وجه يرقبه من فوق
رسم على نسيج معلق على حائط . وكان يعرف أن الوجه سيطفو بعد
لحظة ، ومضى يستطلعه . عبر مفاوزتيه ، إلا أن أخته تكلمت فجأة
وبقسوة وهى بجواره .

رائحتها تفتيك من قبة رأسك إلى أخمص قدميك . . . أوه ، هورى ،
لإنها قدرة ، ا .

قال بتماسة : . أنا أعرف . أنا أعرف . .

كانت الأيام قد تقدمت كثيراً في يونيو ، وقد انساب عطر الياسمين
الذى نقلته مس جيني إلى حديقتهما ، بانتظام إلى البيت ، وملاؤه بأنواج
رتبية متراكمة ، كأنها أصداء وأنغام متخافتة من آلات كان كبيرة . لقد
غاضت الزهور المبكرة ، وانتهت الطيور من أكل ثمار الفراولة ، ومضت
تقطع النهار كله جالسة في شجيرات التين ، تنتظر لحظة نضجه ، وقد تفتحت
زهور الزينيا والديلفنيم دون أية مساعدة من ليزوم . ولما كان كازبي قد
عاد إلى حد ما إلى حالته الطبيعية ، ولم يكن الوقت قد أزف للراحة فقد
كان من الميسور أن يوجد ليزوم على الجانب الظليل من سياج أشجار
الحناء ، الممتد على طول الحديقة ، وهو يشذبها ويقطع الأوراق ، ورقة
ورقة من غصن ما بمقص من مقصات البغال ، ويظل في ذلك حتى
تعود مس جيني إلى البيت ، ثم يمضى هو ليستلقى على جانب الجدول ،
وقد وضع قبعته على وجهه ، وقصبه صيده بين أصابع قدميه ، حتى تنقضى
ساعات الأصيل . وقد مضى سيمون يتسكع حول البيت وفيه روح
المشاكسة . ومضت قبعته المرتفعة ومطرفة التيلبي يجمعان الأتربة وعصافه
التين ، وهما معلقان على مسبار في غرفة معدات الخيل ، وازدادت الخيل

وهي في مراعيها ، شحما وكسلا ووقاحة . كانت القبة والمعطف - نزلان من فوق المسار ، وتسرج الخيل إلى العربة ، ولكن مرة واحدة في الأسبوع . . في أيام الأحاد للذهاب إلى الكنيسة في البلدة . قالت مس جيني إن السن قد تقدمت بها إلى الدرجة التي لا تسمح لها بالمخاطرة بحقها في الغفران بالذهاب إلى الكنيسة بسرعة خمسين ميلا في الساعة ، وإن عليها من الذنوب ، بقدر ما يستطيع سلوكها العادي أن يتحمل تبعته وخاصة وإن عليها ، بطريقة ما أن تأخذ روح بايار المعجوز أيضا إلى الجنة ، وهو الذي يطوى الريف كالجمنون ، كل أصيل في السيارة مع بايارد الصغير معرضا عنقهما للخطر المحقق .

أما عن روح بايارد الصغير فلم تزعج مس جيني نفسها على الإطلاق إذ لم يكن له ثمة روح . وقد أخذ يتجول في المزرعة على حصانه ، حاضا المستأجرين الزوج بطريقته الباردة على العمل وكان ينتهي وهو في سروال من الكاكي كلف دولاران ، وحمذاء للحقل كلف أكثر من أربعة عشر جنيا ، بألات الزراعة ، وبالجرار الذي أغرى بايار المعجوز على شرائه ، لقد أصبح الآن إنسانا متحضرا مرة أخرى أو كاد ، كان الآن يتردد فقط من حين إلى حين على البلدة وغالبا ما كان ذلك على صهوة حصانه .

وكانت حصيلة الأمر ، أن أصبحت أيامه بريئة مشرة إلى الدرجة التي جعلت عمته وجده يعانيان بعصية إحساسا بالتوقع والمفاجأة .

قالت مس جيني لنارسيديا في اليوم الذي خرجت فيه من البيت مرة أخرى ، « اذكرى كلما أتى جيدا . إنه يحتزن الإثم ، الذي سينفجر كله مرة واحدة يوما ما وحينئذ سيدفع الثمن غاليا ، الله يعلم ماذا سيكون - ربما يأخذ هو وإيزوم سيارته والجرار ، ويدخلان في سباق حواجز . ما السبب في زيارتك ؟ هل وصلتك خطاب آخر ؟ »

قالت ناسيديا بمرح ، « وصلتني عدة خطابات ، إنني أحتفظ بها حتى

أجمع منها ما يكفي لكتاب . ثم أحضرها لك جميعها لتقرأها ، ، وقد جلست مس جيني قبالتها منتصبة الظهر كجندى من جنود الحرس ، بهذا الاحتدام الحاسم الذي كان يجعل التجار والغرباء يتعثرون في تحقيق أغراضهم ، وصور الفشل مرسومة في أخيلتهم قبل أن يبدؤوا . وقد جلست الضيفة ساكنة ، وقبعتها الخوصية الرقيقة على ركبتيها . قالت ، جئت لمجرد رؤيتك ، وفي لحظة خاطفة فاض بوجهها بأس جاد عميق ، الأمر الذي جعل مس جيني تشد صرامة في جلستها ، وتنفذ بعينها الخارقتين الرماديتين إلى أعماق ضيفتها

« طفلي ، ما الأمر ؟ هل اقتحم عليك الرجل بيتك ؟ »

« لا . لا ، واختفت النظرة ، ولكن مس جيني مضت ترقبها بتلكما العينين الحادتين العجوزين ، كانتا تريان - فيما يبدو - أكثر بكثير مما تتصور .. وما تمنى ، « هل أعرف قليلا ؟ مضى وقت طويل منذ أن عرفت ، أليس كذلك ؟ »

« قالت مس جيني ، « حسنا إذا كنت ترغبين ، . كان ثمة غبار على البيانو . وقد مسحته نارسيسا بحركة لطيفة . وقالت ، « إذا سمحت لي بالحصول على قطعة من قماش .. »

« قالت مس جيني ، « الآن دعيني ، والتقطت طرف ثوبها ، ومسحت لوحة المفاتيح بقوة . هيا هذا يكفي . » ثم سحبت مقعدها من وراء الآلة وجلست ، إلا أنها ظلت ترقب جانب وجه الأخرى ، مقدره ما وراءه ، ومشغوفة إلى حد ما بمعرفته . ولكن سرعان ما استشارت الأنغام القديمة ذكرياتها مرة أخرى ، وفي لحظات رقت نظراتها ونسيت الأخرى ، والمتاعب التي طفت على وجهها برهة ، افتقدت كلها مكانها في أيام مس جيني المقهورة الميتة التي تحياها ، ومضى بعض الوقت قبل أن تلاحظ أن نارسيسا كانت تبكي بهدوء وهي تعرف .

مالك مس جيني إلى الامام ولمست ذراعها ، وقالت لها أمرة ، والآن
قول لي ما الأمر ، وقالت لها نارسيسا ، وهي ماضية في البكاء بهدوء ،
في صوتها الجداد الأثوي الدافئ .

قالت مس جيني ، أوف ، هذا ما ينتظر من رجل ليس لديه ما يفعله
أكثر من هوراس . أنا لأجد سيبا بدعوك للفتى إلى هذا الحد .

قالت نارسيسا وهي تنوح فجأة كفتاة صغيرة وهي تغطي وجهها
بكفيها ، ولكن هذه المرأة . إنها قادرة جدا .

وأخرجت مس جيني مندبل رجل من جيب ثوبها وأعطته للأخرى
ماذ تعنين ؟ ألا تفتسل بما فيه الكفاية ؟ .

ليس هذا ما أعنيه . أنا أقصد .. أنها .. أنها .. ثم استدارت
نارسيسا فجأة ووضعت رأسها على البيانو .

قالت مس جيني ، ، أو . كل النساء هكذا . إذا كان هذا هو
ما تقصدينه . وظلت في جلستها الجافة التي لا تقهر ، تتأمل كتفي الأخرى
المنكشنتين ، ، أوف . قضى هوراس كثيراً جداً الوقت وهو يتعلم إلى
الدرجة التي لم يتعلم معها شيئاً . - لم لم تكشفي لي الأمر في الوقت المناسب
ألم تتوقفي حدوث هذا ؟ .

وبكت الأخرى ولكن بهدوء ، أكثر الآن . ثم اعتدلت في جلستها
وجففت عينيها في مندبل مس جيني ، ، لقد بدأ قبل أن يرحل .
ألا تذكرين ؟ .

هذا صحيح . أنا أذكر فعلاً شيئاً مامن ثوثة نسوة ، من الذي
قال لك على أي حال ؟ هوراس ؟

مسز ماندرز فعلت ثم قال لي هوراس إلا أنني لم أتصور قط أنه
قد ... ما تصورت أبداً ... ، وهبطت رأسها مرة أخرى على البيانو

واختفت بين ذراعيها وقالت وهي تنوح ، لم أكن لأعامل هوراس بهذا الأسلوب .

د سارة ماندرز هي التي قالت لك . كان في إمكانى أن أعرف ... أنا أعجب بالشخصية القوية حتى وإن كانت سيئة ، ثم وقفت فجأة وقالت ، حسنا ، لن يساعدك البكاء في شيء . فكرى فيما ينبغى أن تفعله إزاء الأمر . إلا أنني كنت أتركه يمضى فيه ، سيفيد منه إذا ما انقلبت عليه وجعلت منه موطئا لتعالها ... من السيء جداً أن يفقد هارى أخيه لكى ... إلا أنه سيرب هذا ، أنا أعلم أن هذا ما كنت سأفعله ... كفى . كفى ، ثم قالت عندما بدى على الأخرى القلق ولا أحسب هارى سيؤذيه . والآن ، جفنى وجهك . والأفضل أن تذهبى إلى الحمام . سيكون بايارد هنا حالا . وأنت لا تريد أن تدعيه يرى أنك كنت تبكين ، أليس كذلك ؟ ، وألقت نارسيميا نظرة سريعة على الباب وربتت على وجهها بمنديل مس جينى

وكان يحضر ويحدث عنها فى البيت ، ويمضى فى المر ويهبط إلى المرج فى الأصيل المشمس إلى حيث تجلس تحت شجرة البلوط فى أثوابها البيضاء التى يحبها ، إلى حيث كان يتردد كل أصيل ببغاء لينغى ، ليروى عليها آخر مغامرة له فى نفخ الزجاج . لقد أصبح لديه خمس أوان فى ألوان مختلفة ، وكلها تسكاد ألا تكون بلا عيب ، ولكل منها اسم .

وكان عندما ينتهى منها ، ويلبها هى لم تسكد تبرد ، كان يتحتم عليه أن يحملها عبر المرج ، إلى حيث كانت تجلس مع كتاب ، أو مع ضيفة تأخذها الدهشة ربما - فى ملابسها اللطخة المضطربة ، ويديه المغلفتين بالصنّاج ، حيث تستقر آنية الزهور نائمة هشة - كأنها فقاعة ، وبوجهه المسود بالدخان أيضا الذى يرتسم عليه أثر من جنون ، وعاطفة جياشة ورقة وتكشف

ومضى زمن كانت الأرض تحملها فيه فى هوة من الممكن أن تسمى

قذاعة . . كان يتيقظ مع شروق الشمس ليزرع الأشياء في الأرض ويرقها
وهي تنمو ويرعاها ، وكان يسب السود والبغال ويدفعهم للحركة ، ويحتفظ
بهم في حركة ، وأعاد إلى مطحن الفلال حياة العمل ، وعلم كازبي قيادة
الجرار ، وكان يحضر ساعة تناول الطعام ، وفي المساء تفوح منه رائحة
زيت الآلات والاسطبلات والأرض ، ثم يذهب إلى فراشه بمضلات مقطرة للجميل ،
ويأيقاعات الأرض الرزينة تتردد في جسمه ، وهكذا ينام ، إلا أنه
كان يستيقظ في سلام غرفته المظلمة ودون نذير سابق ، متواتراً يتصعب بهرق
رعب قديم وفي هذه اللحظات ، كان العالم يضطجع بعيداً عنه . بعيداً عن حيوان
وقع في مصيدة . وهو في أعالي السماء الزرقاء وقد أخذه جنون الرغبة
في الحياة . لقد وقع في نفس الشباك الماكرة التي خدعته ، ذلك ،
الذي تحدى القدر كثيراً جداً ومرة ثانية تمنى أنه لو سقط إلى أعلى
إذا وجدت الرصاصة طريقها إليه . لو انفجر في السماء ، في أي مكان ماعداً
الأرض . ليس الموت ، لا ، إنه التفجير الذي كان عليك أن تعبره مرات
كثيرة قبل أن تصطدم . هو الشيء الذي ملأ فكك بالقي .

ولكن أيامه كانت مليئة على الأقل واكتشف الكبرياء مرة أخرى .
أما الآن .. فكان يمضي بسيارته إلى البلدة ليحضر جده بحكم العادة وحدها ،
ورغم أنه كان يعتبر ، وما يزال ، سرعة خمسة وأربعين ميلاً في الساعة هي
سرعة السفر العادي بالسيارة ، إلا أنه لم يعد يستخلص شيئاً من المتعة
الشيطنانية في الدوران بالسيارة ، عند المنحدرات على عجلتين ، ولا في فصل
البغال عن العربات بصدم دعائمها بجأزر سيارته وهو مار . وقد ظل بايارد
العجوز يصر على اصطحابه في السيارة ، إذا كان عليه أن يركبها ، ولكن
باطمئنان أكثر ومرة تحدث إلى مس جيني عن اعتقاده المتزايد أن بايارد
الصغير لم يعد يرغب في تدمير نفسه بطريقة عنيفة .

أما مس جيني فقد كانت امرأة صادقة التفاؤل بطبيعتها ، أي أنها
كانت تتوقع دائماً وفي كل وقت أسوأ الأشياء ، ولذا فقد كانت تلتقي كل
يوم بالمفاجآت السريعة . وقد أخرجت بايارد العجوز من وهمه عن حفيده .

وفي أثناء ذلك أرغمت بايارد الصغير على شرب الكثير من اللبن. وأشرفت على طعامه وساعات يومه بطريقة العسكرية ، وأحيانا ، كانت تدخل غرفة نومه في الليل وتجلس لحظات بجوار فراشه وهو نائم .

ورغم كل شيء ، فقد تحسنت طرق بايارد الصغير . ودون أن يحس بتطور الأمر ، غرق في رتابة من الأيام ، وورقع في مصيدة من أنماط متكررة من النشاط ، ألفتها عضلاته إلى الدرجة التي استطاع معها جسمه أن يمضي اليوم كله دون عون منه على الإطلاق . لقد اصطادته الأرض بحيلها الدقيقة ، وهي دليلة العجوز ، فلم يدرك أن خصلات شعره قد اجتثت ، لم يدرك أن مس جيني وبايارد العجوز قد أخذتا يتساءلان منذ زمن كم سيمضي من الوقت قبل أن تستطيل مرة أخرى . . وقد فكرت مس جيني ، « أنه يحتاج إلى زوجة ، ربما لاتستطيل خصلاته حينئذ . يحتاج لامرأة صغيرة تحمل معه همه . وقالت لنفسها ، « بايارد عجوز جدا وأنا لدى الكثير جدا لأعمله ، لكي أجد وقتا أشغل فيه بالشيطان الطويل ،

ومن حين إلى حين ، كان يرى ناريسيسا في البيت ، وأحيانا على المائدة ، وكان يحس بنفورها منه ، وإحجامها عنه ، وأحيانا ، كانت مس جيني ترقبها وهي في مقعدها بنوع ما من التوقيع والفيظ ، وكل منهما يتظاهر بعدم إحساسه بوجود الآخر ، « لأنه يعاملها كما يعامل كلب دورقا من البلور ، وهي تنظر إليه كما ينظر دورق من البلور إلى كلب ، .

ثم مضى موسم البذر وجاء الصيف ، ووجد نفسه بلا شيء يعمله . كان الأمر بالنسبة له كمن أفاق من النوم فجأة مضطرب الوعى والحس ، من الوديان الدافئة المشمسة ، حيث يعيش الناس ، إلى بقاع بلقع تشمخ فيها قم باردة من اليأس الوحشي ، فوق الوديان المفقودة بين نجوم سوداء متوحشة .

انحدر الطريق في قوس ناعم أحمر بين أشجار صنوبر تلاطمت داخلها

رياح يوليو الساخنة محدثة صوتا ، كأنه صوت قطارات بعيدة ماضية . ثم هبط بعد ذلك إلى كتلة من الصفصاف أقل خضرة ، حيث كان يمر مجرى من الماء تحت جسر من الحجر . وعند قمة المنحدر توقفت البغال الفرعة أرنبية الشكل ، ونزل الزنجي الأصفر وأخذ من العربة غصنا من البلوط الأبيض قلت أوراقه ، واحتجز العجلة الخلفية بأن زج الغصن بين العجلة المتحركة والمدعمة بلفات من السلك وبين محورها . ثم تسلق المنحدر مرة أخرى إلى العربة الغربية ، حيث كان يجلس الزنجي الآخر في جود تام ، وأعنة البغال المنسوعة من الحبال المفتولة بين يديه ورأسه متجهة إلى مجرى الماء . سأل : ماذا كان هذا ؟ .

وسأل الآخر ، : ماذا كان ماذا ؟ . وقد جلس والده ، بنصت في سكون تام ، كما أنصت الزنجي الأصفر . إلا أنه لم يكن ثمة صوت آخر ، عدا زفيف الريح الطويل بين أشجار الصنوبر الوقورة ، وصفير منسأل من طائر سمان في مكان ما من بين قلاعها الخضراء . قال ، : بابا ، هل تسمع شيئا ؟ .

قال وقد حرك الأعنة فجأة ، : شيء ما تحطم هناك . شجرة سقطت ، ربما ، ، ثم هتف بالبغال ، : ووب ، يابغال . ، وهزت البغال آذانها التي تشبه آذان ذكور الأرناب ، ونقلت العربة إلى الحركة ، ومضوا تحت الظلال الرطبة المبرقشة ، وصوت احتكاك العجلة المثبتة بصحبههم ، ومن ورائهم أثرها على الطريق ، شريط براق يميل إلى الزرقة على تراب الطريق الأحمر الناعم . وعند قاعدة التل اخترق الطريق الجسر الحجري ، وتساعد مرة أخرى ، ومن تحت الجسر تلالا الماء وتماوج بلون بني بين أشجار الصفصاف ، وبجوار الجسر المعبر استلقت سيارة في المياه مقلوبة على ظهرها . وما زالت عجلائها الأمامية تدور ، وآلتها تعمل بسرعة قليلة ويتقاطر منها دفعات شاحبة من غازات العادم . ومضى الزنجي الأكبر إلى الجسر ثم توقف ، وظلا جالسين يتطلعان بجمود إلى بطن السيارة المستطيل ثم تكلم الزنجي الأصغر فجأة .

« إنه هناك إنه في الماء نحتها . أستطيع أن أرى قدميه خارجها . »

قال الآخر ، وقد بدا عليه الاهتمام والفضيق معاً ، « إنه معرض للموت غرقاً هناك . » ثم هبط من العربة . وانحدر الزنجي الأصفر إلى المجرى ، ولف الآخر الأعنة ببطء حول إحدى الدعام التي تثبت جسم العربة إلى هيكلها وزج ثمار الجوز المقشرة المنهبة تحت المقعد ، ودار حول العربة وسحب القضيب من العجلة المحتجزة ووضع في العربة ، ثم نزل بحذر إلى شاطئ المجرى حيث كان يجلس ابنه ، محملاً في ساقى بايارد المختلفتين تحت الماء .

قال أمرا ، « إياك أن تقترب كثيراً من هذا الشيء يا ولد . قد ينفجر . مازال دائراً ألا تسمعه ؟ »

قال الأصفر ، « علينا أن نخرج هذا الرجل منها . سيفرق . »

« لاتلمسه . سيقول البيض إننا فعلناها . سنتظر حيث نحن الآن حتى يمر بنا شخص أبيض . »

قال الآخر ، سيفرق قبل هذا . وهو مستلق في هذا الماء ، وكان حافياً وخطاً إلى الماء ثم توقف مرة أخرى وموجات صغيرة بنية من الماء تنبع وتلتصع حول ساقيه النحيفتين السوداوين .

قال الأب ، « أنت جون هنرى ! تعال هنا بعيداً عن هذا الشيء . »

قال الولد مرة أخرى ، « علينا أن نخرجه من هناك . ومضى الاثنان ، أحدهما في الماء والآخر على الشاطئ . يتجادلان بود وهدوء بينما كان الماء يتلألأ حول طرفي حذاء بايارد . ثم تقدم الزنجي الأصفر بحذر وأمسك قدم بايارد وشدها . وقد استجاب الجسم وتحرك ثم نهد مرة أخرى ، أما الزنجي الأكبر سناً فقد ظل جالساً وهو يغمغم بعداء ، وخلع حذاءيه

وخطا إلى الماء أيضا ، قال جون هنرى ، وهو جالس في الماء وذراعه تحت السيارة ، « ثمة شيء يعترض جسمه . إنه يحجوز تحت عجلة القيادة ، ولكن رأسه ليست مغمورة تماما تحت الماء . دعنى أحصل على العمود الخشبي . »

ثم صعد إلى حيث كانت العربة وأحضر الساق منها ، وعاد إلى حيث كان أبوه يقف ، ويتملى من ساقى بايارد وبه شعور من الاستهجان والدهشة الوقورة ، وبمعوثة الساق رفعا السيارة بما يكفى لسحب بايارد من تحتها . رفعاه إلى الشاطئ حيث تمدد في ضوء الشمس بوجهه الهادى . المبلل وشعره الملبد ، وأخذ الماء يتقاطر من خذاهيه ، وقد وقفا من حوله يبدلان قدما بعد قدم ، وهما يعنصران الماء من ملابسهما .

قال الأكبر سنا أخيراً ، إنه ابن كولونيل سارتورس ، أليس كذلك ؟ ، وجلس على الرمال بصعوبة ، وهو يتأوه ويزوم ، وارتدى خذاهيه .

أجاب الآخر . « نعم ياسيدى . بابا . هل مات ؟ »

قال الآخر بخفة ، « بالطبع ميت . بعد أن قفزت به هذه السيارة من فوق الجسر ، وألقت به في المجرى ؟ ماذا تظنه إذن في أية حالة إن لم يكن ميتاً ؟ وماذا ستقول عندما يسألك القانون كيف حدث أنك الوحيد الذى وجدته ميتاً ؟ قل لى هذا . ؟ »

« قل لهم إننا جئنا لمساعدته . »

« هذا ليس من شئونى . أنا لم أقد هذا الشيء فوق الجسر . انصت إليها وما زالت تغمغم وتدمدم حتى الآن . هيا امض بنا لأنها ستنفجر . »

قال جون هنرى ، « الأفضل لنا أن نأخذه إلى البلدة . ربما لا يمر أحد من هنا اليوم . » ثم انحنى ورفع كتفى بايارد . وثبته في وضع جالس ، وقال ، « بابا ، عاونتى على حمله إلى الطريق . »

قال الآخر مرة أخرى ، ليس هذا من شئوني . ، إلا أنه انحنى
وأمسك بساقى بايارد - ورفعاه ، فتأوه دون أن يسترد وعيه ، .

هتف جون هنرى ، ، هل سمعت هذا إنه ليس ميتاً . إلا أنه
كان من الجائز أن يكون ، بجسمه الخامد الطويل ورأسه معقوفة بشكل
مروع ومخشورة فوق كتف جون هنرى . واستراحا قليلا ، واستدارا
إلى الطريق . هتف جون هنرى . ، هاه ! هيا بنا ، .

وناضلا معه بجهد صاعدين الشاطئ . المنحدر حتى وصلا إلى الطريق ،
حيث تحلى الأكبر سنا عن نصييه من الحمل وتركه يستقر على الأرض .
، أوف ، وقذف زفيره بحدة وقال ، ، ثقيل كخزارة دقيق ، .

قال جون هنرى ، ، بابا ، هيا . دعنا نحملة إلى العربية ، وانحنى
الآخر مرة أخرى ، ورفعنا بايارد ، وقد انصق التراب الأحمر بفخذه
المبللتين ، وحلاه وهما يزومان على مراحل إلى العربية . قال جون هنرى
، يبدو كرجل ميت . بالتأكيد أنه يعمل مايعمله ميت . سأركب في
الخلف هنا ، وأحمى رأسه من الاصطدام بالعربة ، .

قال أبوه أمراً ، ، أحضر عمود الفرمنة الذى تركته فى المجرى ،
ونزل جون هنرى واستعاد العمود وركبه فى العربة ورفع رأس بايارد إلى
ركبتيه . وفكّ أبوه الأعنه وصعد إلى المقعد المتهاك واستعاد
ثماره المقشرة .

قال مرة أخرى ، ، أنا لأحب هذا النوع من الأحمال . ووب ،
يابغال ، وحركت البغال العربية من سكوتها مرة أخرى ، ومضت . ومن
ورائهم كانت العربية مستلقية على ظهرها فى المجرى ، ومازالت آلتها تنغمم
فى سرعة هادئة .

أما صاحبها فقد كان مستلقياً فى عربة بلا زنبركات ، مسترخياً وخامداً

مع هزات الطريق وظل هكذا عدة أميال . كان جون هنرى يضع قبعبه
الخصوية المهشمة بين وجه الرجل الأبيض والشمس . وقد ظل بايارد
مستلقيا مكانه ثم تأوه مرة أخرى .

قال جون هنرى ، « بابا ، هدى من سرعتك . أبقتك
صددمات الطريق . »

أجاب الآخر ، لا أستطيع أن أفعل شيئا إزاء هذا . أنا لم أقفز بهذه
السيارة من فوق الجسر . على أن أصل إلى البلدة ثم أعود إلى البيت
هيا ، يا بغال . »

وجهد جون هنرى في التخفيف عليه من وقع الصدمات ، وتأوه بايارد
مرة أخرى ، ورفع يده إلى صدره . ثم تحرك وفتح عينيه ، ولكنه
أغمضهما في الحال عن وهج الشمس . وظل مستلقيا يسب ويلعن ورأسه
على ركبتى جون هنرى . ثم تحرك مرة أخرى محاولا الجلوس . إلا أن
جون هنرى منعه ، ثم ناضل بشدة وفتح عينيه مرة أخرى .

قال ، « دعنى . عليك لعنة الله . أنا مصاب ،

قال « نعم سيدى الكابتن . فقط إذا استلقيت بهدوء . »

تحامل بايارد على نفسه بعنف ، وهو يقبض على خاصرته ، وأسنافه
تلعب من بين شفقيه المشدودتين ، ويقبض على كتف جون هنرى بأصابع
كنخافات من صلب وصرخ ، قف ، وهو يحملق بوحشية في ظهر الزنجى
الآخر ، أوقفه أرغمه على الوقوف إنه يفرس أضلاعى الماعونة داخل صدرى ،
وسب مرة أخرى ، محاولا أن يهم على ركبتيه . وقد قبض على كتف
جون هنرى ، وأمسك باليد الأخرى خاصرته . واستدار الزنجى الأكبر
ونظر إليه ، وصاح بايارد ، « اضربه بشىء . أرغمه على الوقوف . أنا
مصاب . اللعنة على كل شىء . »

وتوقفت العربية ، كان بايارد في تلك اللحظة على أربيته ، وقد تدلت رأسه وأخذت تتمايل من جانب إلى جانب . وكأنه حيوان جريح . وراقبه الزنجيان بهدوء ، وتحرك ، وحاول أن ينزل من العربية . قفز جون هنري إلى الأرض وعاوناه ، وخرج منها ببطء ، واستند إلى المعجزة وكان وجهه شاحباً يتصبب عرقاً وقد صر على أسنانه وشد شفثيه .

وقال جون هنري ، « كابتن . عد إلى العربية ودعنا نصل إلى طبيب في البلدة ،

وبدا وكأن اللون نفسه قد فر من عينيه أيضاً ، واستند إلى العربية وهو يبيل شفثيه بلسانه ، ثم تحرك مرة أخرى وجلس إلى جانب الطريق وأصابه تعثر في أزوار قميصه وكان الزنجيان يرقبانه .

سأل ، « ولد هل معك سكين ؟ »

قال جون هنري ، « نعم سيدي ، وأبرزها ، وبتوجيه من بايارد شطر القميص وخطبه له ، وبمعاونته ، لف بايارد القميص بقوة حول جسمه ووقف

« معك سيجارة ، ؟ »

ولم يكن لدى جون هنري ، وقال عارضا ، « بابا معه بعض طباق المضغ . »

« أعطني مضغة إذن . » أعطاه مضغة وعاوناه على العودة إلى العربية ، ثم إلى المقعد وأخذ الزنجي الآخر الأعتة . وقمعوا وجلجلوا بطريقة متقطعة فوق تراب الطريق الأحمر من الظلال إلى النور ، صاعدين هابطين .

واحتضن بايارد صدره بذراعيه بعنف ، وهو يمضغ ويسب ويلعن بانتظام . ومضوا ومضوا ، وعند كل لكزة من لكزات الطريق ، ومع

كل نفس من أنفاسه ، كانت أضلاعه المكسورة تطعن في لحمه وتنغرس فيه ، ومضوا ومضوا من الظلال إلى ضوء النهار ، ثم إلى الظلال مرة أخرى .

ثم تل أخير . وخرج الطريق من الظلال وعبر الوادي المستوى العارى من الأشجار ، والتحم بالطريق العام . وهنا توقفوا ، والشمس ترسل شواطها على كتفيه العاريتين ورأسه العارية ، بينما أخذ في الجدل مع الزنجي المعجوز عما إذا كان عليهم أن يأخذوه إلى البيت أم لا . وهاج هانج بايارد . وسب ولعن ، إلا أن الآخر ظل معادياً ، ولا يتزعزع ثم أخذ بايارد الأعنة من يديه وأدار البغال إلى الوادي ، وبأطراف الأعنة ساط الحيوانين المذهولين ودفعهما إلى حركة مجنونة .

كان هذا الميل الأخير أسوأ ما في الطريق كله . وقد أحاطتهم من كل جانب الحقول المزروعة الممتدة حتى التلال المتلاثة . كانت الأرض مشبعة بالحرارة ، ومستصلحة ومحروثة ومشبعة مرة أخرى ومخورة بما شربت ، وهي تفتح الحرارة وكأنها أنفاس مخور . وكانت الأشجار على جانب الطريق متباعدة ، لم تكتمل النمو ، وتباطأت البغال إلى مشى يثير الجنون في الأتربة التي تثيرها ، ثم تخلى عن الأعنة مرة أخرى ، وتعلق بالمقعد وهو في غفوة حراء ، لا يعي إلا عطشاً كريهاً ، وكان يدرك أنه في الطريق لأن يفقد وعيه . وقد أدرك الزنجيان أيضاً أنه على وشك أن يفقد وعيه ، وخلع الزنجي الأصغر قبعته البالية وارتابها بايارد .

اتخذت البغال بأذانها المضحكة بالغة الضخامة أشكالاً غريبة ، واندمجت في أشكال أخرى خالية من المعنى ، ثم انفصلت عنها واندمجت معها مرة أخرى . وكانت تبدو في بعض الأحيان وكأنها تتقدم إلى الخلف ، وأنها ستزحف بشكل مربع مارة بنفس الشجرة أو بنفس عمود التليفون

مرة تلو المرة ، وبداله وكان ثلاثتهم والعربة المقعقة والحيوانين -
قد وقعوا في طاحونة مجنونة . حركة لا تقدم ، أبدية وبلا أمل
في الخلاص .

ولكن ، أخيراً ، ودرن أن يكون واعياً بالأمر ، استدارت العربة
ودخلت بين البوابات الحديدية ووقعت الظلال على أكتافه العارية وفتح
عينيه ، وسبح أمامه بيته وطفلاً في سراب باهت . وتوقفت هزات العربة ،
وعاونه الزنجيان على النزول ، وتبعه الأصغر إلى الدرج وهو يمسك بذراعاه ،
ولكنه دفعه بعيداً عنه وصعد الدرج وعبر الشرفة . وفي الهو ، وخاصة
بعد وهج المراء ، ظل لحظة لا يستطيع أن يرى شيئاً ، وهكذا وقف
يتطوح ، وبه غشيان ، وهو يفتح عينيه ويفمضهما . ثم اندفعت عينا
سيمون من العتمة .

قال سيمون ، باسم الله ، ماذا كنت تفعل ؟

قال ، سيمون ؟ ، وتطوح ، وتعث قليلاً محاولاً أن يستعيد توازنه
ثم اعظم بشئ ، سيمون ، .

وتحرك سيمون بسرعة ولمسه ، ظلت أقول لك إن هذه السيارة
ستقتلك . ظلت أقول لك هذا ، وأحاط سيمون بإيارد بذراعيه وقاده
إلى الدرج . إلا أنه رفض أن يستدير هنا ، ومضى إلى مؤخرة الهو
وعاونه سيمون على الوصول إلى المكاتب ، وتوقف وهو منحني
على مقعد .

قال متعثراً ، المفاتيح . العمة جيني . أحضر شراباً .

قال سيمون ، العمة جيني ذهبت إلى البلدة مع مس بينو . لا يوجد
أحد هنا . لا يوجد أحد هنا على الإطلاق عدا الزوج . ظلت أقول
لك ، وتأوه مرة أخرى ، وهو يتضرع إلى إيارد ، ولكن لا يوجد
دم مع ذلك . مستر إيارد ، تعال إلى الأريكة واستلق عليها ، .

قال بايارد ، ، المفاتيح ، أحضر المفاتيح ،

• نعم سيدى . سأحضرها ، ولكنه ظل يلوح بيديه الشاردتين من حول بايارد ، حتى سبه بايارد ودفعه بعنف بعيداً عنه . وظل يتأوه ، لا يوجد دم ، واستدار وحجل من الغرفة . وجلس بايارد ، منكفئاً إلى الأمام ، وقد احتضن صدره بعنف . وسمع سيمون وهو يصعد الدرج ويمضى فوقه . ثم عاد وراقبه بايارد وهو يفتح الدرج ويخرج الدورق ذا الغطاء الفضى . أخرجه ثم حجل مرة أخرى خارجاً ، وعاد بكوب ، ليجد بايارد بجوار المكتب يشرب من الدورق ، وعاونه سيمون على العودة إلى مقعده ، وصب له شراباً فى الكوب ، ثم بحث له عن سيجارة ، وظل يحجل من حوله شاردأ ودون جدوى . مستر بايارد ، دعنى أناد الطيب ، .

• لا . أعطنى شراباً آخر ، .

وأطاع سيمون ، ، شربت ثلاثة بالفعل . دعنى اتصل بمس جينى والطيب ، مستر بايارد ، أرجوك ياسيدى ،
• لا . دعنى وحدى . أخرج من هنا .

وشرب الكأس . وقد ذهب الغشيان والأشكال السرابية وشعر بتحسن . وعند كل نفس من أنفاسه كانت خاصرته تطعنه بإبر ساخنة ، ولذا فقد حرص على أن يتنفس بخفة . لو أنه استطاع فقط أن يتذكر هذا . . .
نعم . لقد شعر بتحسن كبير ، ولذا وقف بحذر ، وذهب إلى المكتب وأخذ شراباً آخر . نعم . ذلك هو العقار الذى يصلح الجرح ، كما قال سورات . كذلك الوقت حينما نفدت فى بطنه رصاصة وما من شئ . كان يستطيع البقاء فى معدته إلاخر الجن واللبن . وهذا ، هذا لم يكن شيئاً على الإطلاق ، مجرد بضعة أضلع تقوست . سيشد هيكله بسلك من أسلاك البيانو فى عشر دقائق . لا ليس كجوتى . نفدت كلها مباشرة فى لحظه .

الجزار الملعون لم يرض حتى أن يرفع عينيه ولو قليلا ، ينبغي ألا ينسى
الأ يتنفس ببطء .

وعبر الغرفة ببطء ، ومرق سيمون أمامه في عتمة البهو ، وصعد
الدرج متباطئا . وهو قابض على سياجه ، بينما كان سيمون يطوح بيديه
ويرقبه . ودخل غرفته ، الغرفة التي كانت له مع جون ، واستند برهة إلى
الجدار حتى استطاع أن يتنفس بهدوء مرة أخرى ، ثم مضى إلى الصوان
وقمحه ، وخر على ركبته بحذر ويده تستند إلى خاصرته وفتح الدرج
الذي كان هناك .

لم تكن ثمة أشياء كثيرة فيه ، ثوب ، كتاب صغير ذو غلاف من
جلد وظرف رصاصة بندقية صيد مربوط بها بسلك مخلب دب مجفف .
كان دب جون الأول ، وكانت الرصاصة التي قتله بها في بطن النهر بالقرب
من أراضي ماك كالم إذ كانت سنة اثني عشرة سنة . أما الكتاب فقد
كان العهد الجديد ، وكان مكتوبا على الورقة البيضاء التي تحول لونها
وأصبح بنياً د إلى ولدي ، جون ، في عيد ميلاده السابع . في ١٦
مارس ١٩٠٠ ، من والدته ، وكان عنده واحد مثله تماما ، كان
ذلك هو العام الذي رتب فيه جده أمر رحيلهما ليلتحقا بالمدرسة ،
فأوقف قطار البضائع المحلي ليأخذهما إلى البلدة . وكانت السترة سترة
صيد مصنوعة من نسج القلوع ، تلمطخت واصطبغت بما كان يوماً دما ،
وتخدشت وتمزقت بفعل أشواك الورد البري ، وما زالت تفوح منها
بضعف رائحة ملح البارود .

ورفع الأشياء ، وهو راكع ، واحداً إثر الآخر ، ووضعها على
الأرض ثم التقط السترة مرة أخرى وسبحت إلى خياشيمه رائحتها الحادة
العتيقة المتهاكمة الفواحة بهمس الحياة والدفء وهمس ، « جوني ، جوني ،
ولجأة رفع الثوب إلى وجهه ثم أوقفه في منتصف الطريق بنفس الحدة ،

وبينما كان الثوب محمولا بين يديه تطالع فوق كتفيه بسرعة ، إلا أنه تمالك نفسه على الفور ، وأدار رأسه ورفع الثوب وغمر وجهه فيه ، بتجد وإصرار ، وظل راکما برهة .

ثم هم واقفا . حل الكتاب وتذكر الصيد والسترة ومضى إلى صوان ملابسه ، وأخذ صورة من أحد الأدرج ، وكانت صورة جون مع أعضاء نادي الطعام في جامعة برنستون وأخذ هذه أيضا تحت إبطه وهبط الدرج ومضى إلى الباب الخلفي ، وعندما نفذ منه كان سيمون يعبر الساحة بالعربة ، وعندما مر بالمطبخ كانت النورا ترتل إحدى أغانيها الناعمة التي لا تنتهي .

استقر الإناء الأسود والدلاء الخشبية وراء الموقد ، وهنا كانت النورات تغسل الملابس في جو مناسب ، وقد كانت تغسل اليوم ، وتمايل جبل الفسيل من جهة إلى جهة بحمله المبلل المتهدل ، ومن تحت الإناء ، كان الدخان يتصاعد متلويًا من الرماد الناعم وقلب الإناء بحذائه ، ودفعه بعيدا ، وأحضر من مظلة الخشب ملء ذراع من عيدان الصنوبر الزيتية ووضعها على الرماد ، وسرعان ما توهجت النار باهتة اللون في الهواء المنير ، وعندما أمسكت النيران بالخشب بقوة وضع السترة والعهد الجديد وتذكر الصيد والصورة بين اللهب ودفعها وقلبها حتى احترقت تماما ، ومضت النورا ترتل برقة في المطبخ وهي تعمل ، وجاء صوتها دافئاً نائماً حزينا على أمواج الهواء المضيئة . يجب أن يتذكر ألا يتنفس بعمق .

وأسرع سيمون بالعربة إلى البلدة ، ولكنه كان قد سبق بالخبر إليها فقد تحدث الزنجيان إلى تاجر عن اكتشافهما لبيارد وهو ملقى على جانب الطريق ، ووصلت الأنباء إلى المصرف وأرسل بيارد العجوز إلى دكتور بيودي ولكن دكتور بيودي كان قد خرج للصيد ، ولذلك فقد أخذ دكتور الفوررد بدلا منه ، ومرامعاً في سيارة دكتور الفوررد بسيمون عند حافة المدينة ، فاستدار وتبعهم

ولكنه عندما وصل إلى البيت كانوا قد خدروا بإيارد الصغير فأصبح عاجزاً مؤقتاً عن إحداث مزيد من الأضرار ، وعندما وصلت مس جيني وناريسيا إلى البيت بعد ساعة ، دون أن تتوقعا أية مفاجأة ، كان قد ضمد واستعاد وعيه مرة أخرى . لم نكونا قد سمعنا عن الحادث ، ولم نتعرف مس جيني على سيارة دكتور ألفورد المنتظرة في الممر الخاص ، ولكنها ألقت نظرة واحدة على السيارة الغريبة وقالت .

« هذا الأحمق قد قتل نفسه أخيراً » . وخرجت من سيارة ناريسيا وأسرعت إلى البيت وصعدت الدرج .

كان بإيارد مستلقياً في فراشه ، وكان شاحباً ساكناً وارتسم على وجهه شيء من الخوف كان بإيارد المعجوز والطبيب على وشك الانصراف وانتظرت مس جيني حتى أصبحاً خارج الغرفة . ثم أطلقت عاصفة غضبها الجنوني ، ومسحت على شعره ، بينما كان سيمون يحجل ويموء في الركن بين الفراش والجدار وهو كذلك . مس جيني ، وهو كذلك ظلت أقول له هذا .

وغادرته ونزلت إلى الشرفة حيث كان دكتور ألفورد في انتظار أداء واجبات الرحيل كما ينبغي . وكان بإيارد المعجوز ينتظره في عربته ، عندما ظهرت مس جيني ، استعاد الطبيب جفافه مرة أخرى ، وأكمل واجباته ومضى ، وركبا معاً .

وبحثت مس جيني في أنحاء الشرفة ، ثم في البهو ، وتساءلت « أين - ، ثم نادى ناريسيا ، وجاءها رد نداءها ، فقالت « أين أنت ، ؟ وجاء الجواب أيضاً ، ودخلت البيت ، ورأت ثوب ناريسيا الأبيض في القتمة حيث كانت جالسة على معقد البيانو . قالت مس جيني ، « إنه متيقظ . تستطيعين أن تأتي وتريه ، ووقفت الأخرى وأدارت وجهها إلى الضوء وسألتها مس جيني « ما الأمر ؟ » تبدين أسوأ منه حالا بكثير . أنت شاحبة كورقة بيضاء . »

قالت الأخرى . لاشئ . أنا . . . وحاقت في مس جيني لحظة ،
وهي تضم - قبضتها إلى جبينها ، . يجب أن أذهب ، وخرجت إلى البهو
و تأخر الوقت ، وهوزاس . .

سألها مس جيني بشغف ، تستطيعين أن تأتي وتحدثني إليه ، إلا
تستطيعين هذا ؟ لا يوجد أثر من دم إذا كان هذا ما تخشيه ،

أجابت ناريسيا . . ليس هذا . أنا لست خائفة ،

اقتربت مس جيني منها متطلعة نفاذة العينين وقالت بحنان ، . حسنا ،
وهو كذلك . إذا كنت تفضلين ألا تفعلني . ظننت فقط طالما أنك هنا .
أنك ربما ترغبين في أن ترى أنه في حالة طيبة . ولكن لا تفعلني إذا
كنت لا تشعرين برغبة في ذلك ! . .

ولا . لا . أنا أرغب . أنا أريد ، ومرت بمس جيني ومضت ،
وعند قاعدة الدرج انتظرت حتى لحقتها مس جيني ، ثم مضت ، صاعدة
بسرعة ، ووجهها بعيد عن مس جيني .

سألها مس جيني ، ماذا دهاك ؟ ، وحاولت أن ترى وجهها ، . ماذا
حدث لك هل وقعت في حبه ،

. أنا أحبه . . أحب بايارد ، وتوقفت ثم أسرعت ، وهي تقبض على
السياج بعنف ، ثم بدأت تضحك بركة ، ووضع يدها الأخرى على
فها ، وصعدت مس جيني الدرج برفقتها ، وهي تنفذ إلى أعماقها بعينها
الحادتين ، وبها شعور من الدهشة وبرود ، وأسرعت ناريسيا وتوقفت
عند قمة الدرج مرة أخرى ، ومازال وجهها محولا عن مس جيني
وتركت مس جيني تمر بها ، وخارج الباب بالضبط ، توقفت واستندت
إليه ، وهي تحاول أن تحبس ضحكها وارتجافها ثم دخلت الغرفة ، حيث
وقفت مس جيني بجوار الفراش ، ترقبها .

وقد تكأ في الغرفة بعض من رائحة الأثير الثقيلة الحلوة ، واقتربت من الفراش كالعمياء ووقفت بجواره. وقبضتا يديها المضمومتين مختلفيتان . كانت رأس بايارد شاحبة هادئة كقناع منحوت طلى برقة بطاقة عنقه المبددة ، وكان يرقها وظلت تحمق فيه برهة ، وسبحت مس جيني والغرفة وكل شيء بعيداً عنها

صاحت بصوت رفيع محبوس ، أيها الحيوان ، أنت أيها الحيوان لم تتحتم عليك دائماً أن تفعل هذه الأشياء حتى أضطر لرؤيتك ؟ ، أجاها بايارد برقة ، ودعشة محدودة ، ولم أكن أعرف أنك هناك ، . كانت تأتي كل بضعة أيام ، بناء على دعوة مس جيني وتجلس بجوار فراشه وتقرأ له .

لم يكن يتم على الإطلاق بالكتب . ومن المشكوك فيه أن يكون قد قرأ برغبته على الإطلاق كتاباً واحداً ، إلا أنه كان يظل مضطجماً دون حركة في قلبه بينما كان صوتها الجاد الدافئ يمضي ويمضي في الغرفة الهادئة . وأحياناً كان يحاول الحديث معها . ولكنها كانت تتجاهل محاولاته وتمضي في القراءة ، فإذا أصر ، كانت تخرج من الغرفة وتتركه . ولذا فسرعان ما تعلم أن يستلقي ، غالباً وعيناه مغمضتان ، سارحاً وحده في فياتي يأسه الكئيبة القاحلة ، بينما ينسال صوتها وينسال فوق الأصوات البعيدة التي كانت تصل إليهما - مس جيني تؤنب إيزوم وسيمون في الطابق الأسفل أو في الحديقة - وزقزقة الطيور في الشجر وراء النافذة بالضبط ، وتأوهات مضخة الماء وراء الجرن التي لاتنقطع . وأحياناً كانت تتوقف وتنظر إليه لتجده نائماً في سلام .

جاء العجوز فولز في خضرة يونيو اليانعة ، وصل إلى البلدة وكانت شمس الصباح ولا تزال أفقية ، وقد جلس في ثوبه المرتب المغبر أمام بايارد العجوز الذي كان يرتدى تيلاً ناصع البياض وزهرة جيرانيوم

بنت وكانها جرح أحر سعيد ، وكانت الغرفة رطبة وساكنة ، بضوء المصباح الصافي ، والغبار الذي يثيره البواب الزنجي في لحظات دخوله الغرفة وخروجه منها ، وهي قليلة ، أما الآن وقد تقدمت السن ببايارد ، وازدادت أساليبه جفافاً وتشبثاً مع صممه المتزايد ، فقد ازداد ميله لإحاطة نفسه بأشياء من طينة مشابهة ، فكشف عن كفاءة لاتصدق في اختيار الخدم الذين يشكلون أيامهم على طراز أيامه ، في أسلوب من التسكع والضياع اليأس ، ومن هؤلاء الخدم البواب الذي كان يطلق على بايارد العجوز لقب جنرال ، ويطلق عليه بايارد العجوز والعملاء الذين كان يؤدي لهم واجبات ، فيما يبدو ، لا آخر لها ، ومن نوع سيء وذى أهمية متواضعة ، كانوا يطلقون عليه لقب دكتور جوز ، كان أسود محنى الظهر بفعل الطبع الشكى والسن المتأخرة ، وكان يستغل كل شخص يسمح له بذلك ، وكان بايارد العجوز يسبه ويلعنه طول الوقت الذي يكون قريباً فيه منه ، ويسمح له أن يسرق طباقه وخزين المصرف من الفهم للشتاء أخذاً في كل مرة ملء دلو ليبيعه للزوجة الآخرين .

كانت النافذة التي جلس وراءها بايارد العجوز وضيئه تطل على ساحة فضاء بها قامة وأعشاب مغبرة وكانت عحاطة بمحدران كالحقة هي مؤخرة مبان من طابق واحد من أنواع متباينة ، حيث كانت توجد متاجر صغيرة لتصليح وتجارة المخلفات وأمثالها - وكان لها وجودها المتواضع وذاتها المجهولة . وكان أهل الريف يستخدمون الساحة نفسها في أثناء النهار كحط لحيولهم وبغالهم ، وكانت بعضها مقيدة داخلها بالفعل ، وهي وسنانه ذاهلة ومجترة . وكانت العصافير تحوم في سحب مشاكسة حول الإفرازات النوشادرية القديمة التي تركتها أجيالها الغابرة ، وكانت الحائم أيضاً ، تنزلق منحدره بصوت كحفيف النوافذ المعدنية الصدئة ، وتنبخر وتتجمل في أبهة مصقولة شرسة ، وهي تغنى لبعضها البعض بأصوات حنجرية غير واضحة .

جلس العجوز فولز على الجانب الآخر من المدفأة المملوءة بالقمامة ، وهو يمسح وجهه بمنديل أزرق نظيف .

قال معتذرا في صوت كلرعد ، إنها ساقى المجوزين الملموتين . اعتدت أن أمشي اثني عشر أو خمسة عشر ميلا في رحلة أو إلى اجتماع ترانيل ، فلا أتكلف من الجهد إلا أقل مما تجشمه لي هذه الأميال الثلاثة التي أقطعها إلى المدينة ، ثم مسح بالمنديل على وجهه الذي أصبح في كل هذه السنوات بنياً ومرحاً بفعل الأرض السمحاء الممتدة . يبدو وكأنهما قد صمما على خذلاني ، وأنا لم أصل بعد إلا إلى الثالثة والتسعين ، وقبض على لفاقة في يده ، الأخرى ، وظل يمسح على وجهه ولم يفتحها .

صاح بايارد المجوز ، لم لم تنتظر على الطريق حتى تمر بك عربة . دائما تجد ولدا ملعونا قادما إلى المدينة يملأ عربة من الأعشاب ؟ ،

قال الآخر مؤيدا ، كان من الجائز أن أفعل ولكن الوصول إلى هنا بسرعة كبيرة يتلف على يوم عطائي ، أنا لست مثلكم أتم أهل المدينة ، ليس لدى من الوقت الكثير حتى أستطيع أن أتعبه ، ثم وضع المنديل جانبا ووقفه ووضع لفاقة بحرص على الرف ، وأخرج من جيب قيصه شيئا صغيراً ملفوفاً في قطعة قماش بالية نظيفة ، ومن بين أصابعه المتعثرة المتباطئة برزت علبة نشوق معدنية ، صقلت بفعل الزمن والاستعمال حتى اكتسبت لون الفضة الناعم الخابي . وقد جلس بايارد المجوز يرقبه ، راقبه بهدوء عندما نزع غطاء العلبة ووضعها أيضا جانبا بحذر .

قال المجوز فولز ، د والآن ، أدر وجهك نحو النور ، .
د ويلى ، لوش بيبودى يقول إن هذا العقار سيصينى بتسمم في الدم ، ومضى الآخر في استعداداته البطيئة ، وعيناه الزرقاوان البريثتان مشغولتان في استغراق . قال مصححا بهدوء ، د لوش بيبودى لم يقل هذا قط أحد هؤلاء الأطباء الشبان قال لك هذا . بايارد . حول وجهك إلى النور ، .

أما بايارد العجوز فقد جلس متوتراً ، وأسند ظهره إلى المقعد وبديه على مرفقي المقعد ، وظل يرقب الآخر برزانة بعينه العجوزين النفاذتين وبشيء من الحزن . لقد امتلأت عيناه بأشياء لا أسماء لها ، كأعين الأسد العجوز ، كما امتلأت بالإصرار .

أخذ العجوز فولز كتلة مناسبة من دهانه القاتم ووازانها على أحد أصابعه ، ووضع العلبة بجواره على مقعده الشاغر ، ووضع يده على وجه بايارد العجوز . . إلا أن بايارد العجوز ظل يقاوم وإن كان بطريقة سلبية ، وفي عينيه أشياء لا يمكن التعبير عنها ، وأزاح العجوز فولز وجهه بحزم ورقة نحو النور الداخل من النافذة .

تعال هنا . لم أعد شاباً بما فيه الكفاية لأضيع وقتي في إيذاء الناس ، والآن ، لا تتحرك ، حتى لا ألتطخ وجهك بالدهان ، فات الوقت الذي كانت فيه يداي ثابتتين تستطيعان التقاط رصاصة بندقية من فوق غطاء موقد ساخن ، .

وهنا استسلم بايارد ، ونشر العجوز فولز دواءه على البقعة بلبسات صغيرة رشيقة ثم أخذ قطعة القماش ومسح الفائض من فوق وجه بايارد ، ورمى بها ، إلى اليوم التاسع من يوليو . ستدبل وتنساقط . ولا تدع أحداً يلبسها ، وقال راويا ، أخذت جدتي هذه الوصفة من إحدى نساء قبائل الشوكتا منذ أكثر من مائة وألثلاثين سنة ، ولم يتحدث أحدنا قط عما في هذه العلبة ، ولا ترك لها أثراً وراه ، ووقف بصعوبة ونفض التراب من فوق ركبتيه ثم أعاد الغطاء إلى العلبة بنفس العناية غير المتعجلة ووضعها جانبا ، والتقط حزمته من فوق الرف ، واستعاد مكانه .

ستصبح سوداء غداً . وطالما ظلت سوداء فإن مفعولها مستمر . لا تضع ماء على وجهك قبل صباح الغد ، وسأحضر مرة أخرى بعد عشرة أيام ، وأدهنها مرة أخرى ، وفي يوم - ، واستغرق في التفكير

مرة أخرى وهو يعد بيظه على أصابعه المفضنة ، وشفتاه تتحركان ولكن دون أن تحدثا صوتا . - في اليوم التاسع من يوليو ، تسقط ، ولا تدع مس جيني ولا أيا من هؤلاء الأطباء يضايقك في شأنها .

ثم جلس وركبته مضمومتان معا . كانت حزمته مستقرة على ركبتيه ، وقد فتحها بعد أن أدى طقوسه العتيقة المعقدة ، وبعد أن ظل يتحسس بأصابعه العقدة الحمراء محاولا فكها ، بأناة تكفي لإثارة شخص أصغر منه ودفعه للسخط عليه والصرخ فيه . أما بايارد العجوز فقد أشعل سيجاراً وأسند قدميه إلى حافة المدفأة ، وفي الوقت المناسب حل العجوز فولز أسرار العقدة ، وخلص الخيط ووضعه على مسند مقعده . ولكنه سقط على الأرض ، فأنحنى إليه ، وأخذه بين أصابعه الكليمة ، ووضعه مرة أخرى على مسند المقعد . وظل يرقبه لحظة ليتأكد من أنه لن يسقط ثانية . ثم فتح الحزمة . جاءت أولاً علبة طباقه . فأخرج منها قطعة وتشممها ، وقلبها في يده ، ثم تشمّمها مرة أخرى ودون أن يقضم منها وضعها مع أخريات من صنفاها جانبا ، وزج بيده داخل الحزمة . ثم فتح عنق الكيس الورقي الذي أخرجه ، وتطلعت عيناه ، البريثتان كميني صبي ، إلى محتوياتها بشهية ووقار .

قال ، وأنا أعترف أنني أحيانا أحس بالنجس فعلا من رغبتى في الحصول على حلوى الفم هذه . إنها لا تترك لي لحظة راحة على الإطلاق . ثم هز الكيس الورقي ، دون أن يفقد ملاحظته للأشياء الأخرى المسندة على ركبتيه ، وأخذ منه اثنين أو ثلاثة من الأشياء المخططة التي تشبه حيوانات صغيرة ملونة بأطراف متعددة ، أخذها في كفه ثم أعادها كلها إلا واحدة ، ووضعها في فمه . وأنا أخشى الآن أن أفقد أسناني يوما ، فيتحتم على أن آكل الأنواع الطرية منها . أنا لا أستطيع أبدا الحلوى الطرية ، وقد أخذ خده في التقبيل قليلا مع حركة مضغه برتابة بطيئة ، كحركة التنفس ، ثم حلق داخل الحزمة مرة أخرى ، ووضعها في يده وكأنه يزنها ويقدر محتوياتها .

كانت أيام في سنة ٦٣ وقبلها حينما كان يستطيع الرجل أن يشترى قطعة أرض وزوجاً من الزوج بهذا الكيس من الحلوى . أنا أذكر هذا وقد حدث مرات وكل شيء قد اتجه ضدنا ، ولم يعد ثمة سكر ولا قهوة وأصبح الطعام شحيحاً ، فكنا نأكل الدقيق العطن عندما كان هناك دقيق ليسرق ، وحشائش المستنقعات عندما كان يتعذر سرقة الدقيق ، وكنا نعسكر في الليل تحت المطر ، وسبح صوته مولياً بين أشباح عتيقة هي أشباح صلابة النفس والجسد ، في عوالم من النضال الساحر عديم الفائدة ، حيث تقيم هذه الأشباح ضحك بهدوء ووضع قطعة أخرى من حلوى النعناع في فمه .

أذكر ذلك اليوم عندما كنا معسكرين حول جيش جرانت المتجه إلى الشمال ، كان جرانت في جرينادا حينئذ ، وأيقظنا نحن الأولاد ، الكولونيل وأخذنا الخيول والتحقنا بفان دورن في ذلك الطريق . كان ذلك حينما كان الحصان الفضي مع الكولونيل . كان جرانت حينئذ في جرينادا ، ولكن فان دورن انطلق ذات يوم واتجه إلى الشمال . ولم نكن نعرف نحن الأولاد . ربما كان الكولونيل يعرف ولكنه لم يقل لنا أبداً ، وليس يعني هذا أننا كنا نهم كثيراً ، مادامنا متجهين إلى بلادنا .

وهكذا ركب رفاقنا معا ، متجهين للحاق بكتلة الجيش بعد ذلك . هذا ما كان يعتقد الآخرون ، ولكن الكولونيل لم تكن لديه أية فكرة عن هذا . لم يكن تاج استشهاده قد أعد بعد ، وكان ينتوى العودة إلى البيت لقضاء فسحة قصيرة . لم نكن فارين . كنا نعرف أن فان دورن يستطيع أن يصمد لهم تماماً أسبوعاً أو أسبوعين . كان يفعل هذا عادة . كان رجلاً طيباً .

قال بايارد مؤيداً وكانوا كلهم رجلاً طيبين في تلك الأيام ، ولكنكم ،

أتم أيها الأولاد الملاعين ، كنتم تتخلون كثيراً عن القتال وتعودون إلى بيوتكم .

قال العجوز فولز مدافعا ، « حسناً . حتى إذا كانت أرض التلال تفيض بالديبة الجارية فليس في استطاعة الرجل أن يمضي دون انقطاع في اصطيادها . حتم عليه أن يترك القتال بين الحيز والحين ، حتى إذا كان هذا لإعطاء الكلاب والخيل قسطاً من الراحة . إلا أنني أعتقد أنه كان في استطاعة تلك الكلاب والخيل أن تمضي في الصيد ، كأحسن ما تستطيعه غيرها . » ثم قال وقد أخذته كبرياء وقور ، « طبعاً لم يكن في استطاعة كل شخص أن يثابر على المضي مع ذلك الحصان ذي اللون الضبابي . لم يكن في كل جيش الاتحاد ، إلا حيوان واحد يستطيع أن يصد له . ذلك الحصان الأخير الذي اقتنصه زيب فوترجيل من أحد فرسان الحرس التابعين لشيرمان ، في رحلته الأخيرة إلى تينس . »

« مامن أحد استطاع أن يعرف ما كان يفعله زيب في رحلاته هذه . زعم كولونيل أنها كانت فقط لسرقة الخيل . إلا أنه لم يكن يعود قط بأقل من حصان واحد ومرة عاد بسبعة من أشرف مامشي منها على الأرض ، على ما أعتقد . وقد حاول أن يستبدل بها شيئاً من اللحم والقمح ، ولكن لم يرد أحد أن يأخذها . ثم حاول أن يعطيها للجيش ولكن حتى الجيش رفض أن يأخذها ، فأطلقها ثم طالب قيادة جو جونستون بثمن عشرة خيول بيعت لفرسان فورست . لا أعلم إن كان حصل على رد على الإطلاق . رفض نيت فورست أن يأخذ هذه الخيول . وأشك إن كانوا قد أكلوا لحمها في فيكسبرج . . . أنا لم أكن أتق كثيراً في زيب فوترجيل ، وهو يذهب ويعود ، بطريقة هذه ، وحده ولكنه كان يعرف الخيل وكان يحضر معه عادة حصاناً طيباً ، كلما ذهب إلى الحرب . إلا أنه لم يحضر أبداً واحداً يشبه هذا . »

وقد ذهب الاتفاخ من فه ، فأخرج مطواة من جيبه واقتطع قضة
أنيقة من الطباق ، والتقطها بضمه من على نصل السكين . ثم أعاد حزم
لفائفه وربط الخيط حولها وارتمد رماد سيجار بايارد برقة حول قلبه
المتوهج إلا أنه لم يتساقط .

بصق العجوز فولز بأناقة بضاقاً بنياً في المدفأة ومضى يروي ، وكنا
ذلك اليوم في منطقة كالمون . كان صباحاً صيفياً جميلاً كأجل ما يكون
الصباح ، وقد استرخى الرجال والخيل وطعموا وفاض بهم شعور الرضا ،
ومضوا يتسكعون على امتداد الطريق خلال الغابات والحقول حيث كانت
الطيور تشدو ، وصفار الأرانب تتقاذف فوق الطريق . وكان الكولونيل
وزيب راكبين معاً جنباً إلى جنب على تلك الحصانين . كان الكولونيل
على جوبيتر ، وزيب على ذلك المهر الذي يبلغ من العمر عامين ، وكانا
يتفاخران كعادتهما وكنا جميعاً نعرف جوبيتر حصان الكولونيل ، ولكن
زيب مضى يردد أنه لن يتلقى من أي رجل الغبار الذي يشيره حصانه .
كان الطريق مستقيماً عبر بطن الوادي في اتجاهه نحو النهر ، ومضى زيب
يستفز الكولونيل ليسابقه ، حتى قال الكولونيل ، وهو كذلك ، ثم
قال للأولاد أن يحضروا وذهب هو وزيب وانتظرونا عند معبر النهر على
بعد أربعة أميال ، ثم وقف هو وزيب بجوار بعضهما البعض وانطلقا .

، كان الحصانان أجمل شيء رأيت في حياتي . انطلقا معاً كصقرين ،
والعنق توازي العنق . واختفيا عن الأنظار في مثل لمح البصر والغبار
من ورائهما نثر في دوامات ، إلا أننا استطعنا أن نتبعهما من خلال
الغبار المتصاعد من ورائهما ، وكأنه يمتص من الطريق مسحوباً إلى أعلى ،
وكان واحدة من تلك السيارات تمضي في وسطه وعندما وصلا إلى
حيث ينحدر الطريق إلى النهر ، كان الكولونيل قد انتصر على زيب
بما يقرب من ثلاثمائة ياردة . وكانت ثمة شجرة خضراء تحت الحافة

المرتفعة ، وعندما مرق الكولونيل فوق المرتفع رأى جماعة من فرسان اليانكي ،
بخيوطهم المقيدة ، وبنادقهم المسندة يتناولون طعامهم بجوار النبع . قال
الكولونيل إنهم كانوا جالسين هناك يتطلعون إلى المرتفع عندما اعتلاه ،
وفى أيديهم فناجين القهوة وقطع الخبز ، وبنادقهم مسندة على بعد أربعين
قدماً منهم وقد جمحت عيونهم نحوه .

لم تكن لديه - على كل حال - فسحة من الوقت ليستدير ويرتد ،
إلا أنني لأظنه كان يفعل حتى لو توافر له الوقت . انحدر على الفور من
فوق المرتفع واندفع بحصانه بينهم نائراً نيران الطهو ، والبنادق والرجال ،
وهو بصيح ، استسلموا يا أولاد . من تحرك منكم فهو ميت ، وحاول
أحدهم أو اثنان الفرار ولكن الكولونيل انتضى مسدسيه ، وأطلقهما فوق
رؤوسها ، فعادا وجلسا بين الآخرين ، وهكذا قعدوا واستأنفوا تناول
طعامهم ، عندما وصل زيب ، وهكذا أيضا وجدناهم عندما وصلنا بعد
ذلك بعشر دقائق ثم بصق المعجوز فولز مرة أخرى بأناقة ، بصاقاً بنياً
وضحك بهدوء وثلاث عيناه وكأنهما حلزون بحري لامع ، تلك القهوة ،
كانت جبارة رائعة ، بالتأكيد .

وهكذا كنا ، مع حزمة من الأسرى لاجدوى لنا منهم . احتفظنا
بهم اليوم كله ، وأكلنا طعامهم ، وعندما جاء الليل أخذنا بنادقهم
ورميناها في بحرى النبع وأخذنا ذخيرتهم وما تبقى من الطعام ، ووضعنا
حارساً على خيوطهم ، ثم نمننا ، نمننا الليل طوله في أغطية هؤلاء اليانكي
الصوفية الجيدة ، ونحن نسمعهم ، هؤلاء الأسرى ، وهم يتسربون واحداً
بعد الآخر منحدرين على الشط ، ثم غائضين في الماء إلى الشط الآخر .
ومن حين إلى حين كانت تزل قدم أحدهم ، أو يهوى في الماء أو شيئاً ما
من هذا القليل ، ثم يعم السكون بعد ذلك برهة . لنسمعهم بعد ذلك
وهم يحاولون نفس الشيء ، وهم يزحفون تحت الأحراش متجهين إلى

الماء ، ونحن نأمنون هناك ، بحافة أعطيهم الصوفية مرفوعة بأيدينا فوق وجوهنا . كان قد مضى من الوقت الكثير قبل أن يتسلل آخرهم بالطريقة التي رأها مناسبة له .

ثم أطلق الكولونيل صيحة من حيث كان ينام ، كان في استطاعة هذه المخلوقات العنسة أن تسمعها على بعد ميل .

كان يقول ، ، اذهب أيها اليانكي . واذهب وابحث لنفسك عن حذاء هندي .

وفي الصباح التالي أسرجنا خيولنا وحملنا غنائمنا ، وأخذ كل رجل حصانا ، وتحركنا نحو أرضنا . كنا قد أمضينا في بلدنا أسبوعين ، وبذر الكولونيل قمحه ، عندما سمعنا عن غزو فان دورن لهولي سبرنجز واحتراق مخازن ذخيرة جرائت . وبات وكأنه لم يعد في حاجة إلى مساعدتنا على الإطلاق ، ظل يضع طباقه برهة ، وهو يراجع الأمر بهدوء مستعيداً من الموت في حضرة الرجال تراباً ، مع التراب الذي من أجله ، ودون علم ربما ، قاتلوا تلك الأيام البطولية مجزومة البطون ، في معارك لا يستطيع إلا قلة ممن يذهبون على الأرض الآن ، أن يدخلوها معه .

نثر بايارد العجوز الرماد من سيجاره وقال ، ويل ، بحق الشيطان ، عم كنتم تتقاتلون على أي حال ؟ .

وأجاب العجوز فولز ، ، بايارد ، فلتحل على اللعنة إن كنت عرفت هذا يوماً .

بعد أن رحل العجوز فولز ، بحزمته الصغيرة ، وخده المنتفخ البريء ، ظل بايارد العجوز جالساً يدخن سيجاره ، ثم رفع يده ولمس الورم الصغير في وجهه ، ولكن برقة متذكراً تعليمات العجوز فولز لحظة رحيله . وإذا تذكر هذا ، جالت برأسه فكرة أخرى أن الفرصة لم تضع لإزالة الدمان بالماء .

ووقف واتجه إلى المغسل في ركن الحجرة ، وقد ثبت فوقه صوان صغير ، بمرآة على بابه وفيها تفحص البقعة السوداء في خده ، لامسا إياها مرة أخرى بأصابعه ، ثم فاحصا بعد ذلك يده . نعم . لا يزال من الممكن إزالته . ولكن ، فلتحل عليه اللعنة إن فعل ، فليكن ملعوناً إذا كان لا يعرف بالضبط ما يريد ، ورمى سيجاره بعيداً وغادر الغرفة ومضى بخطوه الثقيل في بهو المصرف متجها نحو الباب حيث كان مقعده هناك ... إلا أنه قبل أن يصل إلى الباب استدار واتجه إلى نافذة المصرف ، حيث كان الصراف بمظلة عينيه الخضراء يجلس وراءها .

قال ، رس ، .

رفع الصراف عينيه ، نعم يا كولونيل ، .

من يكون هذا الولد الملعون الذي يتسكع حول هذا المكان ، ويتلصص بعينيه من هذه النافذة طول اليوم ؟ وخفض بايارد العجوز صوته كمن يدخل في حديث .

أي ولد ، يا كولونيل ؟ .

وأشار بايارد العجوز بإصبعه ، ورفع الصراف نفسه على مقعده العالي ، ونظر خلال الحاجز ورأى وراء النافذة المشار إليها ، ولدا في العاشرة أو الثانية عشرة يرقبه ببراءة وبطريقة عرضية . هتف ، أوه ، إنه ابن ويل بيرد ، من الفندق الذي هناك . صديق بيرون ، على ما أظن ، .

ماذا يفعل هنا ؟ كلما مررت من هنا أراه هناك يتطلع من النافذة ؟ ماذا يريد ؟ .

قال الصراف حادسا ، ربما يكون لص مصارف ، .
صاح بايارد وقد أحاط كفه المقوس بوحشية حول أذنه ،
ماذا ؟ .

صاح الآخر ، وهو يميل إلى الأمام على مقعده ، ربما يكون امر
مصارف . .

وزفر بايارد العجوز بشدة ومضى يضرب الأرض بقدميه بعنف ، وصفق
مقعده بالباب الذي وراءه وجلس الصراف مكوما فوق بعضه بلا شكل .
وهو يغمغم في أعماق جسمه الغليظ . قال دون أن يدير رأسه ، « سمح
السكرولونيل لويل فولز أن يطيبه بذلك الدهان ، أما سنوبس فلم يجر جوابا
وهو في مكانه ، ولم يرفع رأسه أيضا . وبعد برهة تحرك الولد أيضا
وانساق دون قصد معين ، وبإراءة مبتعداً عن المصرف .

أصبح فيرجيل بيرد مالكا لمسدس يقذف تياراً من الماء النوشادري
الذي يسبب آلاما مبرحة للعين ، وفانوس سحري صغير ، وصندوق
أنيق قديم من صناديق الحلوى ، كان يستخدمه لعرض ممتلكاته من بيض
الطيور وتشكيلة من الحشرات ، مانت ببطء وهي مثبتة بالدبابيس ، ورصيد
متواضع من الدراهم الصغيرة .

وفي يوليو غير سنوبس مسكنه . وتحاشى أن يلتقى بفيرجيل في
الطريق ، وهكذا ظل أسبوعين لم يريا فيهما الولد على الإطلاق ، حتى كانت
أمسية ، حينما خرج بعد العشاء من الباب الأمامي لمسكنه الجديد ووجد
فيرجيل جالسا ببساطة وأدب على عتبة البيت .

قال فيرجيل ، « أهلا مستر سنوبس ، » .

بلغ الغضب والغليظ بمس جيني أقصى حد ، ذلك الأصيل ، حينما عاد
بايارد العجوز إلى البيت صاحت كالعاصفة ، « أنت أيها العجوز العنيد .
ألا يستطيع بايارد أن يقتلك عاجلا ، بما فيه الكفاية ، حتى يتحتم
عليك أن تدع هذا الساحر العجوز ويل فولز يصيدك بتسمم في الدم ؟
وبعد ما قاله لك دكتور ألفورد ، ووافقته عليه حتى لوش بيبودي ،

وهو الذى يعتقد أن جرعة من الكينين أو الكالوميل تشفى كل شيء من
عنتى مكسورة إلى تورم الأصابع بتأثير الصقيع ؟ لأننى أعلن : أنتى أضيق
ذرعاً بكم أحياناً أيها الناس ، ولا أدرى أى جريمة ارتكبتها وأكفر عنها
باضطرارى للحياة معكم . بمجرد أن هدأ بايارد بشكل ما ، واستطعت أن
أكف عن الجرى كلما دق جرس التليفون ، يتحتم عليك أن تذهب وتدع
هذا المسول العجوز يدهن وجهك بشحم العجلات والصنّاج الأسود . لأننى
أفكر جادة فى أن أحزم أمتعتى وأخرج ، وأبدأ حياتى من جديد فى
مكان ما لم يسمع فيه أهله مطلقاً عن أى سارنورس ، وماجت وماجت
ومضت فى ذلك ، وماج بايارد العجوز أيضاً ، بالفاظ عنيفة وسباب
فظيع ، وتمطت أصواتهما وماجت فى البيت ، حتى خفف سيمون وإلنورا
من وقع أقدامهما فى المطبخ ، وأنصتا . وأخيراً خرج بايارد من البيت
ووقع أقدامه ثقيل وركب حصانه ومضى تاركاً مس جينى تبلى غضبها
الجنونى على الهواء الفارغ ، ثم ساد البيت سلام إلى حين .

ولكن العاصفة اختمرت ساعة العشاء مرة أخرى وانفجرت ، وكان
فى استطاعة سيمون ، من وراء باب غرفة الساق أن يسمعهم ، ومعهم
بايارد الصغير أيضاً ، وهو يحاول صاخباً أيضاً أن يهدى . ثأرتهم . كان
يصرخ : كنى . كنى . جبا فى الله لا أستطيع حتى أن أسمع صوتى وأنا
أمضغ طعامى فى فى ،

استدارت مس جينى عليه على الفور وصاحت : وأنت أيضاً . أنت
مثله تماماً ، متعب شاق أنت وأساليبك العنيدة المظلمة المشؤمة وأنت
تجوب المنطقة كالشيطان فى تلك السيارة لمجرد أنك تتصور أنه ربما يوجد
شخص ما يعنيه على الإطلاق إن كنت ستحطم عنقك التى لاقيمة لها أم
لا ، ثم تأتى بعد ذلك إلى مائدة العشاء ورائحتك كرائحة خدم الإسطبلات
لمجرد أنك اشتركت فى حرب . أتظن نفسك الشخص الوحيد فى العالم الذى
ذهب على الإطلاق إلى حرب ؟ أتظن رجلى بايارد ، عندما عاد من الحرب ،

كان يجعل من نفسه مبعث ضيق لكل شخص يتحتم عليه أن يعايشه ؟
ولكنه كان سيداً مهذباً ، كان يشمل نيران جهنم كسيد مهذب ، وليس
مثلكم أنتم يا أهل ريف المسيسي . فلاحون أجلاف . انظر ماذا فعل
بحصان فقط . لم يكن بحاجة إلى طائرة .

قال بايارد الصغير ، « انظري إلى الحرب التافهة التي ذهب إليها .
كانت حرباً صغيرة إلى الدرجة التي جعلت الجد لا يرضى حتى بالبقاء في
فيرجينيا حيث كانت تدور . »

وأجابت مس جيني على الفور ، « وما من أحد أراده هناك . رجل
يجن جنونه بمجرد أن رجاله عزلوه وانتخبوا بدلاً منه كولونيلا أفضل .
جن جنونه وعاد إلى الريف ليقود عصابة من القتلة قطاع الطرق . »

قال بايارد الصغير مرة أخرى ، « كانت حرباً تافهة وعلى حصان . أي
شخص يستطيع أن يشترك في حرب على حصان . ما من فرصة لديه ليحتمل
الكثير من أي شيء . »

قالت مس جيني بسرعة ، « على الأقل استطاع أن يجعل نفسه يقتل
بطريقة مهذبة . أتى بحصان مالم تستطيع أنت أن تفعله بتلك الطائرة . »

قال سيمون وأنفاسه تصطدم بباب غرفة الساق ، « ما أعنف شجارهم .
هؤلاء الناس البيض يتشاجرون بالتأكيد . »

وهكذا كان مد وجزر في البيت في الأيام التالية ، ثم أبلى الأمر
نفسه ، ثم فاض مرة أخرى عندما عاد بايارد إلى البيت بدھنة جديد على
وجهه . إلا أن سيمون كان حينئذ قد أصبحت له متاعبه الخاصة أيضاً ،
متاعب استشار فيها بايارد آخر الأمر ذات أصيل . كان بايارد الصغير في
فراشه بأضلعه المهشمة ، ومس جيني ترعاه بحب وحشى روم ، ومس
ينسبو تعوده وتجلس معه وتقرأ له ، وعاد سيمون إلى شئونه الخاصة مرة

أخرى . لقد هبطت القبة العالية والمعطف من فوق المسبار ، وتناقصت سجاثر بايارد العجوز بمعدل سيجار واحد يوميا واستهلك زوج الخيل المتوافق كسلها التراكم ما بين البيت والمصرف ، حيث كان ينحدر بها سيمون ويوقفها كل أصيل . كما كانت عاداته منذ القدم ، بسيجاره المثبت في وجهه ، وسوطه الرشيق المنشور ، وكل استعراضات اللحظة الرائعة . قال سيمون متقلساً ، السيارة لا بأس بها للاستمتاع والاستثارة ، ولكن ليكل سيد مهذب أصيل لا يوجد إلا شيء واحد ، هو الخيل .

وهكذا جاءت فرصة سيمون جاهزة بين يديه ، ومرة كانا قد خرجا من المدينة ، وقد استقر زوج الخيل في سرعته المنتظمة ، فاتهز الفرصة . قال مفتتحاً الحديث ، حسناً ، كولونيل ، يبدو وكأننا ، أنت وأنا سنضطر إلى الاتفاق على بعض الترتيبات المالية ،

ماذا ، ؟ واستحضر بايارد العجوز انتباهه من حديث كان يتجول بين الحقول المزروعة المألوفة والتلال الزرقاء المضيئة من ورائها .

قلت إنه يبدو أننا ، أنا وأنت سنضطر لعمل بعض الترتيبات بشأن قدر قليل من المال ،

أجاب بايارد العجوز ، سيمون ، أنا مدين لك بالشكر . إلا أنني لست في حاجة إلى المال الآن . أشكرك على كل حال ،

وضحك سيمون من أعماقه ، كولونيل ، أنا أعلن ، أنت بالتأكيد رجل فكه ، غني مثلك يحتاج إلى المال ، ثم ضحك مرة أخرى ، ضحكا لرجا قصيراً ، نعم ، سيدى ، بالتأكيد أنت رجل فكه ، ثم توقف عن الضحك واستغرق في الخيل برهة . كانا توأمين . روزفلت وتافت . بمؤخرات انسيابية وأخاذا عريضة مريحة ، أنت تافت ، ميل على هذا الطوق . الكسل يتزايد فيك وسيقتلك يوماً بالتأكيد . ، وجلس بايارد العجوز يرقب رأسه القردية الشكل وقبعته

العالية المحتملة ، ثم أدار سيمون وجهه المتغضن البرىء فوق كتفه مرة أخرى وقال ، ولكن ، بالتأكيد يتحتم علينا أن نهدى هؤلاء الزوج بطريقة ما .

« ماذا فعلوا ؟ ألا يستطيعون أن يجدوا ثمة شخصاً يأخذ أموالهم ،

قال سيمون شارحاً « حسناً ، سيدى ، الأمر هكذا . إنه بشكل ما غريب من كل ناحية . أنت ترى ، كانوا يجمعون المال لبناء تلك الكنيسة التي احترقت ، وعندما حصلوا على النقود ، أعطوها لى ، بمالى من مركز رسمى هام فى مجلس إدارة الكنيسة ، ولأننى من أحسن الأسر فى المنطقة . حدث هذا فى عيد الميلاد الماضى ، والآن ، لانهم يريدون استرداد النقود .

قال بايارد العجوز « هذا غريب ،

واقفه سيمون فى الحال ، « نعم سيدى ، أحسست مثلك بنفس هذا الشعور .

« إذا أصروا ، أظنه من الأفضل لك أن تعيده إليهم ،

« والآن هانت قد اقتربت من المشكلة ، وأدار سيمون رأسه مرة أخرى ، كان أسلوبه أسلوب من يعترف بسر خطير ، وقد فجر قبيلته بعد لحظة هدوء ، وبطريقة بالغة التأثير المسرحى ، « لقد ضاعت النقود ،

أجاب بايارد العجوز ، وقد غاضت فكاهته فجأة ، « عليها اللعنة ، أنا أعرف هذا . أين ذهب هذا المال ؟

قال سيمون ، وما زالت نغمته سرية ، وإن تخللها العجب الحزين من بلادة العالم ، وهؤلاء الزوج يتهموننى الآن بسرقتها .

« هل تريد أن تقول لى إنك أخذت نقوداً تتعلق بناس آخرين ثم ذهبت وأقرضتها لغيرهم ؟

قال سيمون ، أنت تفعل مثل هذا الأمر كل يوم . أليس إقراض

المال هو عمك الأساسي ؟

ودفع بايارد العجوز من أنفه صوتا غليظا عنيفا ، وقال عليك
أن تسترد هذه النقود وتعيدها إلى هؤلاء الزوج ، وإلا فسنتهي إلى
السجن ، هل تسمعي ؟

قال سيمون بلهجة تفيض بالآلم ، أنت تتكلم بالضبط كهؤلاء الزوج
الذين يقيمون في طرف البلدة . ثم قال مذكراً سيده ، هذه النقود
قد ذهبت الآن .

استعدها . . ألا يوجد لديك رهن لها ؟

ألا يوجد لدى ماذا ؟

شيء يساوي المال في القيمة تحتفظ به حتى تسترد المال ؟

نعم سيدي . عندي هذا ، ثم ضحك بهدوء مرة أخرى ، ضحكة
طرية لزجة ، ساخرة وغنية بالإشارات اللطيفة ، نعم سيدي ، وهو
كذلك ، لدى هذا . إلا أنني لم أسمع الكلمة قبل الآن . والآن سيدي ،
ليس الأمر كذلك .

سأله بايارد العجوز ، هل أعطيت المال لامرأة زنجية ؟

قال سيمون ، حسنا ، سيدي الأمر كذلك . ولكن الآخر قاطعه :
آه . باللاشيطان . وأنت تتوقع مني الآن أن أدفعه لهم ،
أليس كذلك ؟ كم كان المبلغ ؟

لا أذكر كم كان بالضبط . يزعم هؤلاء الزوج أنه كان حوالي سبعين
أو تسعين دولارا أو ما يقرب من هذا . ولكن لا تعرمم التفاتك .
ادفع لهم ما يترامى لك صوابا . سيأخذونه .

أكون ملعونا لو فعلت . يستطيعون أن يستخلصوه من جلدك الذي
لا يساوي شيئا ، أو أن يرسلوك إلى السجن . . أيا كان ما يرغبون في

عمله ، ولكن سأكون مملونا إذا دفعت منه شيئا واحدا .
قال سيمون « كولونيل ، وبعد .. أتسمح لبعض زنوج البلدة هؤلاء
أن يتهموا أحد أفراد أسرتك بالسرقة ؟ »

صاح بايارد العجوز « امض ا ، واستدار سيمون على المقعد ، وهتف
بالخيل ، ومضى وسيجاره مرفوع باختيال إلى حافة قبمته ، ومرافقه
مفرودان ، والسوط وقد امتد برشاقة إلى الخلف في يده ، وهو يلقي
بين الحين والحين نظرة تفيض بالتسامح والازدراء على الزنوج العاملين
بين صفوف القطن .

أعاد العجوز فولز الفطاء إلى علبة الدواء المعدنية ، ومسح العلبة
بمناية بقطعة القماش البالية ، ثم ركع على الأرض أمام المدفأة الباردة
وقرب نقابا مشتتلا من الخرقه .

قال متسائلا ، « أظن هؤلاء الأطباء ما زالوا يقولون لك إنه سيقتلك ،
أليس كذلك ؟ »

وأسند بايارد العجوز قدميه إلى حافة المدفأة . ووضع نقاباً مشتتلا محاطا
بكفه في طرف سيجاره ، فظهرت في عينيه صورة لطبين دقيقين مشتعلين .
ورمى الثقاب بعيداً وزام .

راقب العجوز فولز خرقته البالية وهي تمسك بالنار ببطء ، وخيطا رفيعا من
الدخان المصفر اللون نفاذ الرائحة ، وهو يتصاعد ويتلوى ويتبدد في الهواء
الساكن . قال : « بين كل حين وحين ، يتحتم على الرجل بشكل ما ،
أن يقف ويخرج ويبصق في وجه الموت ، من أجل خير نفسه . يتحتم
عليه أن يضع على نفسه ، بشكل ما ، حدا ، وكأنه بذلك يضع حافة فأسه
على حجر المسن . ثم جلس القرفصاء أمام اثثناءات الدخان نفاذة الرائحة
وكانه صورة مصفرة لطقوس دينية همجية . إذا كشف الرجل عن وجهه
بين الحين والحين للموت ، فسيتركه الموت حتى تحين ساعته . »

« الموت يجب أن يأخذ الرجل غيلة » ..

قال بايارد العجوز ، « ماذا » ؟

وقف العجوز فولز ونفض التراب بعناية من ركبتيه . قال بصوت مدور ، الموت كالأشياء الفارغة الجبابة الأخرى . لن يهاجم رجلا ينظر إليه في عينيه ، إلا إذا اقترب منه كثيراً ، أبوك كان يعرف هذا . وقف في باب ذلك المخزن ، ذلك اليوم ، عندما استحضر المهيجان السياسيان الزوج ليصورتوا لهما في ذلك اليوم سنة ٧٢ ، وقف هناك بسترته من طراز ألبرت وقبعته المصنوعة من فراء القندس ، وذراعا مطبقتان ، وقد ذهب كل شخص آخر ، وقف يرقب الرجلين القادمين من ميسوري ، وهما يسوقان الزوج على الطريق إلى المخزن ، وقف في وسط الباب بالضبط ، بينما تراجع المحرضان وأيديهما في جيوبهما حتى ابتعدا عن الزوج ، وسباه ، وهو واقف مكانه هكذا . وعقد ذراعيه على صدره ، ويداه باديتان للعيان ، وابرته وجيزة رأى بايارد العجوز ، وكأنه يتطلع من خلال زجاج غطاء الضباب ، ذلك الشكل المتعجرف المألوف الذي استحضره بشكل ما ذلك العجوز ذو الملابس الرثة واحتفظ به في فراغ ذاته التي كان ينكرها .

« وعندما ذهبنا وعادا إلى الطريق ، دخل الكولونيل من الباب ، وأخذ صندوق بطاقات الانتخاب ، ووضع بين قدميه .

« أنتم أيها الزوج جئتم لتتخبوا ، وهو كذلك تعالوا هنا وانتخبوا » .

« وعندما انفضوا وتفرقوا . أطلق ذلك المسدس الأمريكى الكبير فوق رؤوسهم مرتين ، ثم عباه مرة أخرى وخرج إلى الطريق ، إلى بيت مس وينتر بوتوم حيث كان يقيم ذلك الرجلان .

« قال ، وهو يرفع قبعته : « سيدتى ، لدى أمر صغير أريد أن أتحدث فيه مع المقيمين عندك . اسمحى لى ، « وأعاد قبعته إلى رأسه ومضى إلى

الدرج ، في خطو كالأستعراض العسكري ، وهي فاعرة فاما . مضى مباشرة إلى قلب الغرفة ، حيث كانا جالسين وراء مائدة ، في مواجهة الباب ، ومسدساها على المائدة .

« وعندما سمعنا نحن الأولاد ، وكنا واقفين في الخارج ، الطلقات الثلاث ، جرينا داخلين . كانت مس وينتر بوتوم واقفة هناك ، تتطلع مشدوهة إلى أعلى من أول الدرج ، وفي دقيقة جاء الكولونيل وقبعته متعجرفة فوق عينيه ، في مشية منتظمة ، وكأنه قاض يدخل محكمة ، وهو ينفذ الثراب من مقدمة سترته بمنديله . ونحن واقفون هناك ، نرقبه . ثم وقف أمام مس وينتر بوتوم ورفع قبعته ثانية .

قال : « سيدتي ، اضطرت لأن أفسد نظام غرفة ضيوفك كثيراً جداً . رجاء أن تقبلي اعتذارى ، وكافى زفوجك بتنظيفها ، وأرسلني كشف الحساب إلى . »

« سيدتي : اعتذاراتي مرة أخرى لاضطرابي لإبادة حشرات قدرة في بيتك . ثم قال لنا : أيها السادة سعدتم صباحاً ، ووضع قبعته القندسية تلك على رأسه ومضى .

قال العجوز فولز : « وبايارد ، بشكل ما كنت أحسد هؤلاء الشماليين . أكون ملعوناً إذا لم أفعل . يستطيع الرجل أن يتخذ زوجة ويعيش معها زمناً طويلاً ، إلا أنهما مع ذلك ليسا من دم واحد . ولكن الشخص الذي يستحضرك إلى الحياة أو يخرجك منها . . . »

من حيث كان يقبع وراء باب مخزن الطعام ، كان في استطاعته أن يسمع صوتي مس جيني وبايارد العجوز وهما يعصفان بانتظام ، وعندما ذهبا إلى المكتتب ، جلست للنورا وكازبي ولأيزوم حول المائدة في المطبخ في انتظاره ، وقد جاء إليهما هزيم ثورة مس جيني ، وعناد بايارد العجوز الصخري في موجات مكظومة ، وكأنها أمواج بحر تتلاطم من بعيد .

سأل كازبي ابن أخيه ، وعم يتشاجرون الآن ؟ هل ذهبت وفعلت شيئاً ؟ ، وأدار إيزوم عينيه بهدوء فوق فكيه العاملين بانتظام وغرغم ،
« لا سيدي لم أفعل شيئاً ، .

« يبدو وكأنهما سينفجران بعد قليل . لنورا ، ماذا يفعل بابا ؟ ،
« هناك في البهو يتسقط الحديث . اذهب وقل له أن يأتي حتى يتناول عشاءه واستطيع أن أنتهي من عملي ، .

انزلق إيزوم من مقعده ، وهو يمضغ ، وغادر المطبخ . وتزايد عجب
الصوتين المنتظم حيث كان جده يقف في ردة البهو المعتم . كان شكلاً
غير واضح ، كأنه طائر عتيق قبيح وقد استطاع إيزوم أن يميز كلمات ،
سم . . . دم . . . تتصور أنك تستطيع أن تقطع رأسك وتعالجها . . .
يا أحق ضعه على قدمك ولكن . . . رأس وجه . . . تموت وخبر
الخلاص . . . أحق مثلك يموت بسبب حماقة رأسك ، رأس
أور . . . استلق أولاً على ظهرك . . .

ثم طغى صوت بايارد المعجوز على الأخرى مؤقتاً ، أنت وذلك الطبيب
الملعون تزعمائتي إلى درجة الموت . لن تكون لدى ويل فولز ثمة فرصة
لقتل . لا أستطيع الجلوس في مقعدي في البلدة ، دون أن يتسحب هذا
النظام من حولي ، وعلى وجه خيمة الأمل ، لأنني ما زلت على قدمي حياً
أرزق . وعندما أعود إلى البيت ، عندما أخلص منه ، لا أستطيعين حتى
أن تدعيني أتناول عشاءي بسلام ، يتحتم عليك أن تعرضني على حشداً ملعوناً
من الصور الملونة لما يفتقد أحق ملعون أنه موجود داخل الجسم .

همس إيزوم ، بابا ، من الذي سيموت ؟ ،

أدار سيمون رأسه ، « يا ولد ، لم تتطلع هنا ؟ اذهب حالا إلى المطبخ
حيث يجب أن تبقى ، .

قال إيزوم : « العشاء ينتظر . بابا ، من الذي سيموت ؟ ،

« ما من أحد سيموت . هل يبدو الموت على أحد ؟ والآن اخرج من البيت » . وعادا معا عبر الباب ودخلا المطبخ ، وقد ماجت الأصوات من ورائهما وعصفت ، وإن فقدت وضوحها بفعل الجدران . إلا أنها ظلت سائدة وجلية .

سأل كازبي وهو يعض « وعم / يتشاجران الآن ؟ »

قال سيمون : « هذا من شئون البيض . اهتم بشئونك ، وسيكونون هم على ما يرام » ، وجلس ، وهمت لإنورا وملات فنجانا من إناء القهوة فوق الموقد وأحضرتة إليه « لدى الناس البيض متاعهم ، تماما كالزئوج ، أعطى يا ولد ، طبق اللحم هذا » .

وقد أخذت العاصفة مجراها كل ليلة في البيت ، ثم توقفت على ما يبدو وبالاتفاق المتبادل ، وإن ظل كل من الطرفين متحصنا في خنادقه ، لتستأنف مرة أخرى في الأمسية التالية ساعة العشاء . وهكذا ، يوما بعد يوم ، حتى كان الأسبوع الثاني من يوليو ، بعد ستة أيام من إحضار بايارد الصغير بصدرة المهشم إلى البيت ، إذ ذهبت مس جيني وبايارد العجوز ودكتور ألفورد إلى ممفيس لاستشارة خبير في الدم وأمراض الغدد واسع الصيت ، استطاع دكتور ألفورد أن يعقد معه بصعوبة محدودة اتفاقا رسميا . وقد استلقى بايارد الصغير في قلبه في الطابق العلوى ، ولكن نارسيسا يينو وعدت بالحضور والبقاء معه ذلك اليوم .

وفيما بينهما استطاعا أن يضموا بايارد العجوز في قطار الصباح المبكر ، وإن ظل يحتج ويسب ويلعن ، كشور عنيد معذب . وكان في العربة آخرون ممن يعرفونه ومن لاحظوا مصاحبة دكتور ألفورد لها ، فأخذهم حب الاستطلاع والقلق . وقد استغل بايارد العجوز هذه الفرصة وحاول فرض إرادته بدمدمات عنيفة تجاهاتها مس جيني .

وأخذوه ، كصبي صغير مشاكس ، إلى العيادة حيث سيلتقى بالطبيب

الإخصائي ، وجلسوا في غرفة تشبه بهو فندق صيني خال من الرسيمات ، بين آخرين جلسوا ينتظرون أيضاً في هدوء وهم يتكلمون همساً . بين قمعقة صحف ومجلات . كانوا جميعاً ينتظرون وصول الإخصائي وقد انتظروا وقتاً طويلاً .

وقد هاجم دكتور ألفورد ، بين الحين والحين بشاشة المرأة الجالسة إلى لوحة التليفون ، تلك البشاشة التي لا يمكن النفاذ منها ، وفي كل مرة صد هجومه ، وعاد ليجلس متصلاً بجوار مريضه وهو يعي أنه مع كل دقيقة تمر ، يفقد جزءاً من تقدير مس جيني له ، وقد تم إخضاع بايارد العجوز أيضاً ، رغم أنه ظل يدمدم على مس جيني بأمل بين الحين والحين .

قاطعته أخيراً وقالت د أوه ، كف عن السباب . لا تستطيع أن تخرج الآن . خذ . خذ ، هذه جريدة الصباح .. خذها واهداً .

ثم دخل الإخصائي مسرعاً وذهب إلى المرأة الجالسة إلى لوحة التليفون ، وراه دكتور ألفورد ، ووقف ، وذهب إليه . استدار الإخصائي - كان رجلاً محتدماً أريماً يتحرك بمنهجية ، حركة تشنجية ، كأنه يتدرب على مبارزة بسيف صغير ، وقد استدار فكاد أن يطأ قدم دكتور ألفورد . ثم ألقي عليه نظرة تلجية عيل صبرها ، ثم صاحف وأطلق سيلاً من الألفاظ المتقطعة العالية ، أرى أنك أتيت في الموعد بالضبط . في الموعد .. عظيم ! . عظيم ! .. المريضة هنا ؟ احتملت الرحلة بسهولة ، هل فعلت ؟

« نعم يا دكتور ، إنه - »

« حسن ، حسن .. خلعت ملابسها وكل شيء معد ، إليه ؟

« المريض ..

« واستدار الطبيب ، لحظة واحدة . أوه ، مسز سميث ، »

« نعم يا دكتور ، ولم ترفع المرأة الجالسة إلى لوحة التليفون رأسها ، ودخل في هذه اللحظة ، إخصائي آخر من نوع ما ، إخصائي ضخم يحوطه

جو من الفخامة والسرية وكأنه تربي ملكي ، دخل وألجم دكتور ألفورد ،
ولبرهة فقعق كل منهما وجلجل على الآخر ، بينما ظل دكتور ألفورد واقفاً
وقد تجاهلاه ، وهو يكظم غيظه بصلافة وأدب ، وقد أحس بتساقط قيمته
المهنية رويداً رويداً في نظر مس جيني . ثم انتهى الإخصائيان ، وصحب
دكتور ألفورد رجله إلى المريض .

« قلت إنك أعددت المريض ؟ حسن ، حسن ، هذا يوفر الوقت .
سأتناول الغداء في المدينة اليوم . هل تناولت طعام غداك ؟ » .

« لا . ولكن المريض ... » .

قال الإخصائي ، « أجرؤ أن أقول إنك لم تفعل . توجد فسحة من
الوقت مع ذلك ، ثم استدار بسرعة متجهاً إلى منفذ مستور ، إلا أن
الدكتور ألفورد قبض على ذراعه بحزم ولكن بلطف وأوقفه . كان بايارد
العجوز يقرأ الصحيفة . وكانت مس جيني ترقبهما يرود ، وقبعتها فوق
قمة رأسها تماماً .

قال دكتور ألفورد ، « مسز دوبرى ، الكولونيل سارتورس ، هذا
دكتور براننت . الكولونيل سارتورس هو ... » .

« كيف الحال ؟ جاء مع المريضة إليه ؟ ابنة ؟ حفيذة ؟ » ورفع
بايارد العجوز عينيه .

قال ، وهو يحيط أذنه بكفه ، « ماذا ؟ » ورأى الإخصائي يحملق فيه .
« ما هذا الذي على وجهك ؟ » ودفع يده بحركة مفاجئة ولمس البروز
المتفحم وإذا فعل انفصل الشيء في أصابعه ، تاركا على خد بايارد العجوز
المغضن ، بقعة مستديرة من الجلد الوردي الجميل كبشرة طفل .

وفي القطار ، تكلم بايارد العجوز فجأة بعد أن ظل وقتاً طويلاً غارقاً
في الفكر العميق ، جيني ، أي يوم من أيام الشهر هذا ؟ » .

قالت مس جيني ، ، التاسع ، لماذا ،
وظل بايارد المعجوز جالسا أيضا ، ثم وقف وقال ، « أظنني سأذهب
لأدخن سيجاراً . دكتور ، ما رأيك ، لأحسب قليلا من التدخين
يؤذيني ؟ »

وبعد ثلاثة أسابيع ، وصلهم كشف حساب من الطبيب الإخصائي
يطالبهم فيه بخمسين دولاراً . قالت مس جيني بلهجة لاذعة ، « أنا أعرف
الآن لم هو مشهور جداً ، ثم قالت لابن أخيها ، « الأفضل لك أن
تشكر طالعك لأنه لم يأخذ قبعتك من فوق رأسك ، . »

وكان موقفها من دكتور ألفورد دفاعيا إلى أقصى حد فكانت تحميه
بوحمية ، وإلى المعجوز فولز كانت توجه تحية مقتضبة عاجلة إلى أقصى
حد ، وتمضى وأنفها مرفوعة في الهواء ، أما لوش بيبودى فلم تكن
تخاطبه على الإطلاق .

دخلت مع الصباح النضير الحار إلى البهو الرطب ، حيث كان سيمون
قائماً على منفضة في يده ، باهتمام ودون فائدة ، فمز لها رأسه وقال ،
« ذهبوا اليوم إلى ممفيس . مستر بايارد ينتظرك . اصعدى مباشرة
يا آنسة . »

قالت ، شكراً لك ، ومضت وارتقت الدرج وتركت مشغولاً
بطرده الغبار من سطح إلى آخر ثم إعادته مرة أخرى . صعدت إلى
تيار هوائي منتظم كان يهب من الأبواب المفتوحة في نهاية البهو ، ومن
خلال هذه الأبواب استطاعت أن ترى قطاعاً من التلال الزرقاء ، والسماء
ملحية اللون . توقفت عند باب بايارد ووقفت برهة وهي تغم الكتاب
إلى صدرها .

وكان بالبيت رغم حركة سيمون في البهو الأسفل ، هدوء غريب

مريب يبعث على الخوف ، ذلك أنه خلا من الطمأنينة التي يبدؤها فيه وجود مس جيني الدائب . وكانت تصلها أصوات خافتة قادمة من بعيد جداً . أصوات من خارج البيت ، انسالت تموجاتها الأخيرة الوسنانه إلى البيت على هواء يوليو المتدفق بالحيوية ، أصوات بلغ بها النعاس والبعد أن عجزت عن أن تموت وهي بعيدة .

ولكن صوتاً ما لم يصل إليها من الغرفة التي أمامها . ربما كان نائماً . والدافع الأصلي ، الوعد الذي أعطته ، وقوة قلبها المستئيس التي مكنتها من الحضور رغم غياب مس جيني ، قد تخلت عنها بعد أن أدت دورها ، فوقفت خارج الباب بالضبط ، آمله أن يكون نائماً ، آمله أن ينام اليوم كله .

إلا أنه يتحتم عليها أن تدخل الغرفة لتعرف إذا كان نائماً ، ولذا لمست وجهها بيديها وكأنها تعيد إليه بذلك الاستقرار الوفور المفقود حتى يراه ، ثم دخلت .

قال بابارد « سيمون . كان مستلقياً على ظهره . ويداه تحت رأسه ، وقد مد باصريه عبر الغرفة إلى النافذة ، وتوقفت مرة أخرى داخل الغرفة وبجوار الباب بالضبط . وأخيراً وقد استناره صمتها ، أدار رأسه ونظرته الجوفاء . « حسنا ، أنا مامون لم أصدق أنك ستأتين اليوم . »

قالت « نعم كيف حالك ؟ »

ومضى يقول « وأنت تضعين إحدى قدميك في البهو كلما خرجت مس جيني من الغرفة ، هل هي التي جعلتك تحضرين ؟ »

« طلبت مني أن أحضر . إنها لا تريد لك أن تبقى وحدك طوال اليوم ، وليس في البيت إلا سيمون . هل تشعر بتحسن اليوم ؟ »

قال في صوت مسترسل « هكذا ؟ ألا تجلسين ، إذن ؟ » ومضت إلى

ركن من الغرفة حيث كان مقعدها المألوف وجرته عبر الغرفة . وكان يرقبها وهي تدير المقعد وتجلس ، وسألها ، وما رأيك في الأمر ؟ ، ،
« أى أمر ؟ » ،

« حضورك حتى لا أبقى وحدى ؟ » ،

قالت « أحضرت معي كتاباً جديداً . حصلت عليه أخيراً . أرجو أن يعجبك ، هذا الكتاب » ،

قال « أرجو هذا ، ولكن دون أى اقتناع ، أظن أنني سأستمع بكتاب آخر بعد قليل أليس كذلك ؟ ، ولكن ما رأيك في حضورك إلى هنا اليوم ؟ » ،

قالت « أحسب أنه لا ينبغي أن يترك شخص مريض بلا أحد من حوله إلا الزوج ، وقد انحنى وجهها على الكتاب . « اسم هذا الكتاب - » ،

« لم لا يرسلون ممرضة إذن ؟ ما من فائدة في حضورك إلى هنا . والتقت نظراته الحادة أخيراً ، بعينها الجادتين المستئيستين . سأل بإصرار :
« لم تأتين وأنت لا ترغبين في الحضور ؟ » ،

قالت « لا .. يضايقتني هذا ، ثم فتحت الكتاب ، « اسم هذا الكتاب .. » ،

قال مقاطعاً « لا تفعل . سييتحتم على أن أنصت إلى هذا الشيء الملعون طوال اليوم . فلتكلم قليلاً ، ولكن رأسها كانت منحنية ويدها جامدتان على الكتاب المفتوح ، ما الذى يجعلك تخافين من الحديث معي ، ؟ » ،

قالت مكررة ، « خائفة ؟ أتفضل أن أذهب ؟ » ،

« ماذا ؟ لا .. اللعنة على كل شيء . أنا أطلب منك أن تكوني آدمية مرة واحدة وتحدثني إلى . تعالى هنا ، لم تنظر إليه ، ورفعت يديها بينهما » ،

وكأنه لم يكن مستلقياً على ظهره عاجزاً على بعد ياردين منها . قال لها
أمراً ، و تعالى هنا واقتربي مني قليلاً ، و قفت وقد قبضت على
الكتاب بشدة .

قالت و أنا ذاهبة . سأطلب من سيمون أن يظل حيث يستطيع أن
يسمعك عندما تناديه . وداعاً ، .

قال ، و حسناً . ومضت مسرعة نحو الباب ، .

وداعاً ، .

و بعد كل ما قلته الآن ، عن بقاى وحدى بلا أحد من حولي في
البيت إلا الزوج ؟ ، و توقفت عند الباب ، وقال بمكر بارد و بعدما قالته
لك العمه جيني - ماذا أقول لها ، الليلة ؟ لم تخافين من رجل مستلق على
ظهره في سترة ملعونة من الحديد المصبوب ، على أي حال ؟ ، إلا أنها
ظلت تنظر إليه بعينين وقورتين يائستين . قال بعنف ، و وهو كذلك .
اللعنة على كل شيء ، اذهبي إذن ، . ورمى رأسه على الوسادة ومضى
يحملق من النافذة ، بينما عادت إلى مقعدها . قال بركة و ما اسم هذا
الكتاب ؟ ، وقالت له . و تمض إذن . على أية حال أظن أنني سأنام
سريعاً ، .

فتحت الكتاب وبدأت تقرأ بسرعة ، وكأنها كانت تقبع وراء ستار
الكلمات الذي أقامه صوتها بينما مضت تقرأ بانتظام زمنياً ، وهو على
فراشه لا يأتي أية حركة ، وكان رأسها مخبياً على الكتاب ، واعيا بمرور
الوقت . كأنها كانت في سباق مع الزمن . ثم انتهت جملة وتوقفت ،
دون أن ترفع رأسها ، إلا أنه تسكلم على الفور تقريباً و امضى . ما زلت
هنا . حظاً أفضل المرة القادمة ، .

وهكذا انقضت ساعات ما قبل الظهيرة . وفي مكان ما ، كانت شمة

ساعة تدق كل ربع ساعة وفيما عدا هذا ، فلم يكن ثمة صوت في البيت . وقد انتهى نشاط سيمون في الطابق الأسفل منذ وقت طويل ، ولكن همهمات من الصوت كانت تصلها على فترات من مكان ما ، غمغمة لا يمكن تمييزها . لم تهتز الأوراق على الغصن الصاعد وراء النافذة واندمجت في الهواء الساخن ، آلاف الأصوات في نغم واحد وسنان - أصوات الزوج ، أصوات الحيوانات في ساحة الجرن ، تأوهات مضخة الماء الرتيبة ، وصيحات مفاجئة صاحبة من الدجاج في الحديقة أسفل النافذة ، تقطعها صيحات ليزوم الخالية من كل معنى وهو يسوقها خارج الحديقة .

وقد نام بايارد ، وعندما أدركت هذا أدركت أيضا أنها لا تعرف متى توقفت بالضبط عن القراءة ، وظلت جالسة والكتاب مفتوح على ركبتيها ، على صفحة لم تترك كلماتها أي صدى على عقلها ، ومضت تنظر إلى وجه الهادي . لقد أصبح مرة أخرى كقناع من برنز ظهره المرض من حرارة عنقه إلا أن العنف كان ولا يزال نائما هناك ، وإن كان أصغر قليلا . . . ثم حولت نظرها بعيداً وظلت مكانها بالكتاب المفتوح ، ويدأها المستقرتان بلا حركة على الصفحة ، وأخذت تطلع من النافذة ، تعلقت الستائر في مكانها ساكنة بلا حركة وتعلقت الأغصان خارج النافذة بلا حركة أيضا ، تحت أصابع الشمس المتقطعة ، وجلست هي الأخرى بلا حياة ، لا يهتز نسيج ثوبها بتنفسها غير المحسوس وهي تفكر أن السلام لن يتحقق لها إلا في عالم خال من الرجال تماما .

دقت الساعة اثنتي عشرة مرة . وبعدها على الفور ، وبمقدمة من أنفاس ثقيلة محشجة وحركات متلصصة كحركات فأر هائل ، وحركات جردانية مختلطة أيضا في البهو ، دفع سيمون رأسه من الباب ، وكأنه جد جميع القرود .

قال في همس مبهور ، ألم يتم بعد ؟
قالت نارسيبا وهي ترفع يدها ، ش ش ش . . . ودخل سيمون على

أطراف أصابعه ، وهو يتنفس بثقل ، ويسحب قدميه على الأرض .
قالت نارسيسا بسرعة ، « ش ، ستوقظه » .

قال سيمون في همس ، « الغداء معد » .

قالت هامسة ، « تستطيع أن تحتفظ بغدائه دائماً حتى يستيقظ ، هل
تستطيع أن تفعل هذا ؟ » ثم نادته هامسة أيضاً « سيمون ا ، . وولفت
ولكنه كان قد جاء إلى المائدة ، حيث تحسس صف الكتب الموجودة
عليها ، واستطاع في النهاية أن يسقط أحدها على الأرض ، محدثاً ضجة
عشوائية . فتح بايارد عينه .

قال ، « يا إلهي الطيب ، أنت هنا مرة أخرى ؟ » .

قال سيمون متضيقاً : « حسناً ، والآن ، إذ لم نوقظه أنا ومس
بينبو » .

قال بايارد ، « لم لا تستطيع أن تحتل رؤية أى شخص نائم على ظهره
وعيناه مغمضتان ، لا أستطيع أن أفهم . شكراً لله لأنك لم تولد في مستنقع
كالبعوض » .

قال ، « استمعي إليه . ينام وهو يتشاجر ، ويستيقظ من النوم
ليتشاجر . أعدت إلتورا الطعام لسكا » .

قال بايارد ، « إذن لم لم تحضره ؟ وغداً مس بينبو أيضاً
« وأضاف ، « إلا إذا كنت ترغبين في النزول إلى الطابق الأسفل ؟ »

كان سيمون في كل ما يأتيه من حركة صورة هزلية لنفسه . وقد اتخذ
لنفسه الآن مسلك اللائم المتألم : « غرفة الطعام هي مكان الضيوف » .

قالت نارسيسا : « لا . سأنزل إلى الطابق الأسفل . لن أدع سيمون
يتحمل هذا العناء » .

قال سيمون نافياً ، « ليس ثمة عناء . كل ما في الأمر أنه ليس - » .
قالت نارسيسا . « سأنزل . اذهب أنت وأعد صينية مستر
بايارد . »

قال سيمون ، « نعم سيدتي ، واتجه إلى الباب « تستطيعين أن
تنزلي حالا ، ستضعه للنورا على المائدة في اللحظة التي تصلين فيها ،
وخرج . »

قالت نارسيسا . « حاولت أن أبعده . . . »

قال بايارد مقاطعاً ، « أنا أعرف ، لن يسمح لأحد بالنوم ساعة تناول
الطعام . والأفضل لك أن تذهبي وتتناولي طعامك ، وإلا فسيعيد كل شيء
إلى المطبخ . وليس عليك أن تعودي بسرعة من أجل . »

« ليس على أن أعود بسرعة ، وتوقفت عند الباب واستدارات إليه .
« ماذا تعني ! ظننتك تعبت من القراءة ، ربما . »

« أوه ، ، ونظرت بعيداً ، وظلت مكانها واقفة ، وقد اكتست
ببأسها العميق . »

قال فجأة « اسمعي ، هل أنت مريضة أو بك أي شيء آخر ! أتفضلين
العودة إلى البيت ؟ »

قالت ، « لا . ، وتحركت مرة أخرى ، « سأكون هنا سريعاً . »

وتناولت طعامها في أبهة موحشة في غرفة الطعام المعتمة ، بينما ظل
سيمون بعد أن أرسل صينية بايارد مع إيزوم يتحرك حول المائدة حاضاً إياها على
قبول أطباق الطعام ، بإصرار لطيف ، مستنداً على الصوان بجوار الحائط
يغمغم برتابة بحديث بدا وكأنه بلا بداية ولا أمل في نهايته . وظل
الحديث ينسال بسهولة من ورائها ، وهي ماضية إلى نهاية اليوم ، وكان

مستمراً أيضاً عندما وقفت عند الباب الأمامي ، الفاظ بلا حروف
وكأنها سحرت بوجودها الذاتي وتغلذت من ذات عزمها .

وقد استلقى حوض السلفيا وراء المدخل في وهج لا يحتمل من الضوء
الأبيض ، في بقع ساخنة ومن ورائه تلالاً المرز بالحرارة ، حتى تحول إلى
نفق أخضر أقواسه من أشجار البلوط والخروب ، فأصبح رطبا حتى وصل
إلى البوابات وشربط الطريق الساخن . ومن وراء الطريق امتدت الحقول
المتلألئة ، وقد تناثرت فيها متباعدة كتل من الأشجار الساكنة حتى التلال
التي ذابت في زرقة يوليو الشاحبة .

ظلت مستندة برهة على الباب ، وهي في ثوبها الأبيض ، وخذها
ملتصق بعارضة الباب الباردة الناعمة ، في نسيم رقيق كان يهب بانتظام من
جهة ما ، رغم أن ورقة ما لم تهتز ، وقد انتهى سيمون من غرفة الطعام ،
وصعدت من المطبخ إلى البهو همهمة أصوات وسنانة ، محمولة على تلك
الاهتزازة الرقيقة من الهواء التي كانت أدفاً من أن تسمى نسيماً .

وأخيراً سمعت حركة ما في آخر الدرج ، وتذكرت إيزوم وصينية
بايارد ، فاستدارت وفتحت أبواب القاعة ودخلت . كانت الستائر
مسدلة بإحكام وأسهمت حزمة الضوء التي تبعثها في تعميق العتمة . وجدت
البيانو ووقفت بجواره برهة . وهي تتلمس سطحه المغبر ، متذكرة في
خيالها مس جيني منتصبية الظهر لا تقهر ، وهي جالسة في مقعدها بجواره .
سمعت إيزوم وهو ينزل الدرج ، وسرعان ما مانت خطواته وهي تتباعد
في البهو ، وسحبت المقعد وجلست ووضعت ذراعها على امتداد
الغطاء المغلق .

دخل سيمون غرفة الطعام مرة أخرى ، وهو يغمغم لنفسه ، ثم جاءت
النورا بعده ، ووفقاً الأطباق إلى بعضها البعض وهما يتحدثان معاً بالفاظ
بلا حروف مستحيلة التمييز ، تصعد برقة وتهبط . ثم ذهباً . ولكنها ظلت

مكانها جالسة ، وذراعاها على امتداد الخشب الرطب ، في الغرف المأدبة
المعتمة حيث كان كل شيء يتسكسل قليلا ، حتى الزمن .

ودقت الساعة مرة أخرى وتحركت . وفكرت ، كنت أبكي . كنت
أبكي ، قالتها في همس كثيب مستمتع بما فيه من وحشة وحزن . ثم
وقفت بالقرب من باب الغرفة أمام المرآة الطويلة وحملت في صورتها
المنعكسة المعتمة ، وهي تلبس عينيها بأطراف أصابعها . ثم مضت وتوقفت
مرة أخرى عند قاعدة الدرج ، وأنصتت . ثم صعدت الدرج بحمية ،
ومضت إلى غرفة مس جيني ، ودخلت حمامها وغسلت وجهها .

وقد ظل بإبارد مستلقياً كما تركته . كان يدخن سيجاره . وبين النفثات
كان يدق طرفها دون اهتمام بطبق موضوع على الفراش بجواره .
قال ، حسنا ،

قالت وهي ترفع الطبق ، ستشعل النار في البيت بهذه الطريقة . أنت
تعرف أن مس جيني لن تسمح لك أن تفعل هذا ،

قال بشيء من الخجل ، أنا أعرف هذا ، وجرت المائدة ووضعت
عليها الطبق .
، أتستطيع أن تصل إليه الآن ؟ ،

، نعم . شكراً . هل أعطوك كفايتك من الطعام ؟ ،

، أوه . نعم . سيمون شديد الإلحاح كما تعرفه . هل أقرأ لك أيضاً
أم تفضل أن تنام ؟ ،

، أقرئي ، إن كان هذا لا يضايقك . أظني سأظل متيقظا هذه المرة
، وهل هذا تهديد ؟ ،

نظر إليها بسرعة وهي تأخذ مكانها وتلتقط الكتاب ، قولي لي ،
ماذا حدث لك ؟ ،

« كنت قبل الغداء في غاية الضيق . هل أعطاك سيمون شراباً أم ماذا ؟ »
« لا ليس إلى هذا الحد من سوء ، وضحكك ، وكانت ضحكها
وحشية قليلاً ، وفتحت الكتاب ، وقالت وهي تقلب صفحاته بسرعة ،
« نسيت أن أضع علامة على المسكان ، هل تتذكر ؟ لا ، كنت نائماً أليس
كذلك ؟ هل أعود إلى حيث توقفت عن الإناصات ؟ »
« اقرئي شيئاً تشائين . أظنه كله يشبه بعضه بعضاً . أحسبني سأظل متيقظاً
إن اقتربت قليلاً .

« نعم إذا شئت . لا يضايقتني هذا ،

« أتعنين أنك لن تقرري أبداً . سألهما وهو يحدهما بنظراته الجوفاء .
وحركت مقعدها قليلاً ، وقربته منه وفتحت الكتاب مرة أخرى وقلبت
صفحاته .

« قالت بتردد ، « أظنني توقفت هنا تقريباً . نعم . » ثم قرأت
لنفسها سطراً أو سطرين ثم بدأت بصوت مرتفع ، وقرأت إلى نهاية
الصفحة ، حيث تشاغل صوتها في دهشة جادة . ثم قلبت الصفحة التالية ، ثم أعادتها
مرة أخرى . « أنا قرأت هذا مرة ، أنا أتذكر الآن ، . وقلبت الصفحات ،
وقد تجعدت جبهتها الهادئة قليلاً .

« قالت : « لا بد أنني كنت نائمة أيضاً ، ثم ألقت عليه نظرة تحفل بالعجب
والصدافة . يبدو وكأنني قرأت صفحات و صفحات . »

« قال مرة أخرى ، « أوه اقرئي في أي مكان . »
« لا ، انتظر هذه هي ، » ثم قرأت مرة أخرى والتقطت خيط القصة ، ورفعت
عينها مرة أو مرتين بسرعة ورأته وهو يرقبها ، بنظرة كثيفة ولكن هادئة ، ثم
توقف عن النظر إليها وأخيراً ، إذ وجدت عينيه مغمضتين ، ظنته نائماً ، انتهت
من الفصل وتوقفت .

« قال في صوت وسنان ، لا ، ليس بعد . » ثم ، إذ فشلت في استئناف القراءة
فتح عينيه وطلب منها سيجارة ، وضعت الكتاب جانباً وأشعلت له نقاباً ، ثم
أخذت الكتاب مرة أخرى .

وأبلى الأصيل نفسه ، ذهب الزوج ولم يبق في البيت ثمة صوت عدا صوتها ،
ودقات الساعة كل ربع ساعة ، وفي الخارج أخذت الظلال تستطيل وتستطيل ،
رسل السلام القادمة في طليلة المساء ، ثم ذهب في سبات ، رغم اعتقاده المضاد ،
وبعد قليل توقفت ووضعت الكتاب جانبا ، استلقى جسمه الطويل متصلاً في قلبه
تحت الغطاء ، وظلت جالسة تنظر إلى وجه الهادي الجريء ، وتنكره المحطم ،
وفاض حزنها الهادي وأحست بالعطف عليه ، كان خلوا من كل عاطفة على
الإطلاق لأي شيء ، قاسياً .. جداً .. جداً .. لا ، ليست هذه هي الكلمة
ولكن بارداً ، تحاشتها ، كان في استطاعتها أن تفهم القسوة ،
ولا تفهم البرود ..

ومضى الأصيل ، وكان المساء يحاول أن يجد نفسه ، وقد جلست في تأملاتها
الساكنة الهادئة ، تتطلع من النافذة ، ولم يكن الهواء قد صافح أوراق
الشجر بعد ، جلست هكذا وكأنها تنتظر شخصاً ما ليقول لها ماذا تفعل
الآن ، وفقدت كل تصور للزمن إلا أن يكون مجرى معتما غير متمجل ،
ظلت تحملق فيه إلى أن تمكنت تعاويد المساء المسحور من أخذ المساء
نفسه مولية به .

أحدث صوتاً لا يوصف ، وأدارت رأسها بسرعة ، ورأت جسمه
مشدوداً بشكل مربع داخل قلبه وقبضتيه مضمومتين بعنف شديد ،
وأسنانه بارزة تحت شفثيه المشدودتين ، أخذت فظلت في مقعدها وقد
غاض اللون من وجهها وعجزت عن القيام بأية حركة ، ثم أحدث الصوت
مرة أخرى ، رفخت أنفاسه وصفرت من بين أسنانه ، ثم صرخ بصوت
خال من الكلمات سرعان ما اتصل بدفقة من ألفاظ السباب واللعن ، وعندما
وقفت أخيراً بجواره ، ويداها على فمها ، استرخى جسمه ، ومن تحت
جبهته الناضحة بالعرق ، نظر إليها بعينين واسعتين مصممتين ، تربص فيهما
الرعب والجنون ، والغضب الحميم واليأس .

قال بصوت جاف رقيق ، « كاد أن يصيبني أخيراً ، عليه اللعنة ، ،
ومضى يرقها من وراء الحنة الفائضة في عينيه الواسعتين ، « كانت ثمة

حلقة منهم حول صدرى ، وفى كل مرة أطلق النار ، كان يشد الحلقة من حول صدرى قليلا . . . وتحسس الغطاء بيديه وحاول أن يشده إلى وجهه ، أتستطيعين أن تأتىين بمندبل ، يوجد عدد منها فى الدرج العلوى هناك .

قالت : « نعم نعم » ثم ذهبت إلى الصوان ، وأمسكت به لتسند جسمها المرتعد ، ووجدت المندبل وأحضرتة إليه . حاولت أن تجفف جبينه ووجهه ، ولكنه أخذ المندبل منها ، وفعل هذا بنفسه . قالت وكأنها تنوح : أنت أفرعتى . أنت أفرعتى إلى درجة كبيرة . ظننتك . . . قال باقتضاب و آسف . أنا لا أفعل هذا عن عمد ، أريد سيجارة .

أعطتها له ، وأشعلت الثقاب ، ومرة أخرى كان عليه أن يقبض على يدها حتى يستقر اللهب فيها ، وأخذ أنفاسا عميقة من السيجارة عدة مرات وهو قابض على يدها . حاولت أن تخلص رسغها ، ولكن أصابعه كانت كالصلب ، ولحانها جسمها المرتعد ، وتساقطت مرة أخرى على مقعدها ، وهى تحملق فيه برعب وفرع ، وفرغ من السيجارة بأنفاس عميقة سريعة ، وبدأ يتحدث عن أخيه الميت ، وهو قابض على رسغها ، دون مقدمة ، وبوحشية . كانت قصة وحشية ، دون بداية ، عنيفة بفضاعة وبلا جدوى وفى بعض أجزائها دنسة وغليظة ، رغم أن وحشيتها نفسها سلحتها القدرة على جرح المشاعر ، كما حمتها فظاظتها من بذاتها . ومن تحت هذا كاه ، كبرياؤه السكاذبة العنيدة فى صراعها المرير ، وهى جالسة وذراعها فى قبضته ويدها الأخرى ضاغطة على فمها ترقبه مخلوبة اللب مرعوبة .

« كان يطير فى خط لولبي ، وهذا ما منعى من اصطياذ الألمانى ، فى كل مرة استطعت فيها أن ألتقط الألمانى ، كان جون يدخل بيننا ، فأضطر إلى الابتعاد قبل أن يلحق بى واحد من الآخرين . ثم كف عن الطيران اللولبي ، وبمجرد أن رأيتة ينحدر مائلا عرفت أن كل شىء قد انتهى .

ثم رأيت النار تتصاعد على امتداد جناحه ، وكان ينظر إلى الخلف .
لم يكن يتطلع إلى الألماني مطلقا ، كان يتطلع إلى . وهنا ، توقف الألماني
عن إطلاق النار ، وكلنا بشكل ما ، ظللنا جالسين هناك . لم أستطع أن
أعرف ما الذي كان يعتزمه جون بعد ذلك ، حتى رأيت يخرج ساقيه .
ثم لمس أنفه بإبهامه مشيرا إلى كما كان يفعل دائما ، ولوح بيديه للألماني ،
ورفص طائرته بعيداً وقفز ، قفز بساقيه أولاً . أنت لاتستطيعين أن
تقطعي مسافة كبيرة وسافلك إلى أسفل ، كما تعلمين ، وسرعان ما انبطح
مستويا . كانت ثمة كتلة من السحاب تحتنا مباشرة ، واندفع إليها وبطنه
إلى أسفل ، كهذا النوع من السباحة الذي اعتدنا أن نسميه مفرج البطون .
إلا أنني لم أستطع قط أن أجده تحت السحاب . أنا أعرف أنني هبطت
قبل أن يكون في استطاعته الخروج من السحاب لأنني بعد أن هبطت ،
جاءت طائرته منقضه على مباشرة وقد أمسكت بها النار تماما . انحرقت من
طريقها بسرعة ، ولكن الطائرة الملعونة مرقت أمامي واستدارت بسرعة
واقضت على مرة أخرى ، وكان على أن أتفادها . ولذا لم أستطع أبدا
أن أجده عندما خرج من السحابة . هبطت بطائرتي بسرعة حتى تأكدت
أنني تحته ، ونظرت مرة أخرى . ولم أستطع أن أجده ظننت أنني ،
ربما لم أهبط إلى المستوى الكافي . ففطست بطائرتي بسرعة ورأيت طائرته
وهي تصطدم بالأرض على بعد ثلاثة أميال ، إلا أنني لم أستطع أن أرى
جون مرة أخرى . ثم بدءوا في إطلاق النار على من الأرض .

ومضى يتكلم ، وفارقت يدها فيها ، وانزلت على ذراعها الأخرى
وحاولت أن تفك قبضة أصابعه من على يدها .

همست ، وأرجوك ، أرجوك ، وهنا توقف ونظر إليها ، وتحركت
أصابعه ، وفي اللحظة التي تصورت فيها أن يدها تحررت ، انقبضت
أصابعه ، وأصبح رسغها معا أسيرين . ناضت ، وهي تحملق فيه برعب ،
ولكنه ابتسم لها فبرزت أسنانه ، وضغط ذراعها المعقودتين على
الفراش بجواره .

قالت متضرعة ، ، أرجسوك ، أرجوك ، ، وناضلت ، كان في استطاعتها أن تحس بلحم راسها ، وبالعظام وهي تتحرك داخله وكأنها في ثوب فضفاض ، وأن ترى عينيه الكئيبتين والسخرية المستقرة بين أسنانه ، ولجأة مالّت في مقعدها إلى الأمام ، وسقطت رأسها بين ذراعيها الأسيرين ، وبكت بكاء هستيريا يائسا فظيما .

بعد قليل لم يعد في الغرفة ثمة صوت ، وحرك رأسه ونظر إلى تاج رأسها القائم . ورفع يده ورأى مواضع قبضته على راسها ، وقد غاض منها الدم وتكدمت . إلا أنها لم تتحرك أيضا ، فوضع يده على راسها ، مرة أخرى ، وهذا ، وبعد برهة ، توقف حتى ارتجاف جسمها وارتعاده .

قال ، ، أنا آسف .. لن أفعل هذا مرة أخرى ، .
وكان في استطاعته أن يرى قمة رأسها المعتمة فقط ، وقد استلقت يداها خامدتين تحت يده .

قال مرة أخرى ، ، أنا آسف . لن أفعل هذا بعد الآن ،
سألك ، ، لن تقود هذه السيارة بسرعة بعد الآن ، ولم تتحرك
وكان صوتها مكظوما .

، ماذا ؟ ،

لم تحر جوابا ، وبسلسلة من الآلام الصغيرة التي لانهاية لها ، وببطء ،
أدار نفسه وقاله ، رويداً .. رويداً ، حتى أصبح على جنبه . وهو يعض
شفتيه ويسب ويلعن من بين أسنانه ووضع يده الأخرى على شعرها .

قالت دون أن ترفع رأسها ، ماذا تفعل استكسر أضلاعك مرة أخرى ، .

قال ، نعم ، ومسح على شعرها بيديه باضطراب .
قالت ، ، وهذه هي المشكلة . هذه هي الطريقة التي تسلك بها . أن تأتي
من الأشياء ما - ما - أنت تأتي من الأفعال ما تؤذي به نفسك بمجرد

إزعاج الآخرين . أنت لا تجد ثمة متعة في عمل ما تفعله ، .
قال مؤيدا ، « نعم ، واسنلقى بصدريه المملوء بالإبر الساخنة ؟ وهو
يمسح على رأسها القائمة بيده الجافة المضطربة . وقد صعدت من فوقه القمة
الساكنة بين النجوم السوداء المتوحشة ، ومن حوله وديان الهدوء
والسلام . ثم مضى الوقت ، وقد استطلت الظلال في الحجرة ، وأخذت
تفقد نفسها في ظلال أخرى ، ومن وراء النافذة كان ضوء الشمس إشعاعا
منتشرا ؛ بلا منبع ، إلا أنه من الممكن رؤيته ، ومن مكان ما تنادت
الأبقار على بعضها البعض ، بكآبة وحزن ، وأخيرا اعتدلت في جلستها
وتحسست وجهها وشعرها .

« أنت معقد تماما . ولن تتقدم إلا إذا أحسنت من سلوكك ، والآن ،
نم على ظهرك . ، وأطاع . وفعل ببطء وألم ، وشفته بين أسنانه ،
وقطرات عرق على جبينه بينما كانت ترقبه بقلق عميق « هل يؤلمك هذا ؟ ،
« لا ، وانغلقت يده مرة أخرى على راسها فلم يحاول الهروب .
وقد غربت الشمس ، وجاءت لحظة الغسق ، أم الهدوء والسلام ،
وملأت الفرقة الغائضة ، ثم وجد المساء نفسه ،

قالت من العتمة في إصرار ، « وأنت لن تقود هذه السيارة بسرعة
بعد الآن ا ،

قال ، « لا ،

وقد تلقت خطابا آخر من مراسلها الجحول ، أحضره إليها هوراس
عند عودته في المساء إذ كانت مستقلية في فراشها مع كتاب ، طرق بابها
برقة وفتحها ووقف برهة مستحييا ، وهكذا ظلا لحظة يتبادلان النظر عبر
سد تنافرهما المتبادل وكبرياتهما العنود .

قال بحفاف ، « آسف لإزعاجك ، وكانت مضطجعة تحت النور المظلل

وشعرها القائم متناثر على الوسادة ، ولم يتحرك منها - وهو يعبر
إليها الغرفة - إلا عيناها ثم وقف بجوارها وهي مستلقية مكانها وقد تركت
كتابها ، وأخذت ترقبه في تساؤل رصين سألها ، « ماذا تقرئين ؟ »
وللإجابة أغلقت الكتاب على إصبعها وكشفت غلافة ورسوم عنوانه
الملونة إلى أعلى . ولكنه لم ينظر إليه كان قيصه مفتوحاً تحت ردايه
الحريرى ، وتحركت يده النحيفة بين الأشياء الموضوعة على المائدة بجوار
فراشها ، والتقط كتاباً آخر ، لم أكن أعرف أنك تقرئين بهذه
الكثيرة .

أجابته ، « لدى الآن مزيد من الوقت للقراءة ، » .

« نعم ، وظلت يده تتحرك فوق المائدة ، وهي تتلس الأشياء
هنا وهناك .

وظلت مستلقية مكانها تنتظر منه أن يتكلم . ولكنه لم يفعل ،
وقالت ، « هوراس ، ما الأمر ، ؟

ثم جاء وجلس على حافة الفراش ، وظلت عيناها معاديتين متساثلتين
وكان ظلها عنوداً بارداً قال « نارسى ، : تخفضت عينيها إلى الكتاب ،
فقال « أولاً ، أريد أن أعتذر لأننى أتركك وحدك فى الليل كثيراً جداً ،
« نعم ، .

وضع يده على ركبته ، انظرى إلى ، ورفعت وجهها والعداء فى
عينيها فقال مكرراً ، أريد أن أعتذر عن تركك وحدك فى الليل ،

« وهل يعنى هذا أنك لن تفعلها بعد الآن ، أم أنك لن تأتى على
الإطلاق ؟ ، ظل جالساً برهة يتأمل استكانة يده المتوحشة وهي
مستلقية على ركبته المغطاة ، ثم ترك مكانه ووقف مرة أخرى بجوار
المائدة ، وأخذ يلبس الأشياء التى عليها ، ثم عاد وجلس على الفراش . كانت قد
استأنفت القراءة مرة أخرى وحاول أن يأخذ الكتاب من يدها ولكنها قاومت .

قالت وقد عيل صبرها ، هوراس ماذا تريد ؟ .
استغرق مرة أخرى في تأملاته بينما ظلت ترقب وجهه ، ثم رفع وجهه
وقال بسرعة « سأزوج بيل » .

« ولم تقول لي ؟ هاري هو الشخص الذي تقول له هذا . إلا إذا
كنت ، أنت وبيل ، ستستغنيان عن شكليات الطلاق » .
قال : « نعم إنه يعرف » . ووضع يده على ركبته مرة أخرى
ومسح عليها من فوق الغطاء ، « أنت لم تدهشي حتى لهذا .. أليس كذلك ؟ » .

« أنت الذي تثير دهشتي ، وليست بيل ، بيل لها طبيعة الشوارع
الخلفية ، قال مؤيدا « نعم ، ثم « من قال لك هذا ؟ أنت لم تتصورى هذا
بنفسك ، وظلت مستلقية مكانها ، وكتابها مرفوع قليلا ، وعيناها عليه
.. أمسك يدها بغلظة ، وحاولت أن تستخلصها ، ولكن دون جدوى
ثم سألتها ، « من الذي قال لك هذا ؟ » .

« لم يقل أحد لي هذا . هوراس ، لا تفعل » .
ترك يدها وقال « أنا أعلم من . إنها مسر دوبرى » .
قالت مرة أخرى « لم يقل أحد هذا . هوراس ، اذهب
ودعني وحدي » .

ومن وراء العداء كانت عيناها بانستين مستيشتين . « ألا ترى أن
الكلام لا جدوى منه ؟ » .

قال بإعيا . « نعم ، إلا أنه ظل جالسا يدلك ركبته . ثم وقف ودفع
يده داخل ثوبه وإذا استدار ليخرج توقف مرة أخرى ، أخرج من جيبه
غلافا ، هذا خطاب لك نسيتته معي أصيل اليوم . آسف » .

كانت تقرأ ، فقالت له « ضعه على المائدة » ، دون أن ترفع عينيها .
ووضع الخطاب على المائدة وغادر الغرفة . وعند الباب نظر إلى الخلف .
ولكن رأسها كانت مخنية على الكتاب .

وإذ أخذ في خلع ملابسه ، بدأ له بالفعل ، وكان رائحة بيل الثقيلة الشاحبة قد تعلقت بها ، وبيديه أيضاً حتى بعد أن أوى إلى فراشه ، وإذا تعلق به تلك الرائحة جسمت في الظلام بجواره شهوية بيل الحيوانية الغزيرة ، وكان ولم يزل في تلك المنطقة الدافئة التي لم تغط في النوم بعد ، حيث تقيم أم الأحلام ، فتجاسمت بيل أشد وضوحاً وجلالاً ، بقدر ما انزلت جسمه مبتعداً عنه . وهارى أيضاً ، بصمته الشرس ، واستقصائه الجريح ، الذي لم يكن في بعضه إلا غروراً حطياً وصدمة ، وفي أغلبه حيرة صبي مخاضة ، أطلقت نفسها بعنف هائل في شكل عبارات سينائية . وبالضبط قبل أن ينام ، استحضرت عقله ، بما للعقل من قدرة غريبة على استرجاع الذكريات غير المناسبة ، استحضرت بشبحية جهاز تسجيل الصوت المذهلة ؛ حادثاً اعتبره في حينه تافهاً . أخذت بيل فها منه ، وابرهة ظل جسدها ملاصقاً له ، وأمسكت وجهه بيديها معاً ، وتطلعت إليه بعينين مركزتين مستفهمتين ، « هوراس ، هل تملك مالا كثيراً ؟ ، وأجابها على الفور « نعم . طبعاً عندي ، ثم أحاطت به مرة أخرى وكانها عقار شديد سميت ، وكانها بحر ساكن موحد ، راقب نفسه وهو يغرق فيه .

ظل الخطاب (١) على المائدة تلك الليلة ، منسياً ، ثم اكتشفته في الصباح التالي وفتحته ، أنا أحاول أن أنساك . أنا لا أستطيع أن أنساك عيناك الكبيرتان شعرك الأسود كم يجعلك شعرك الأسود تبدين بيضاء ، وكيف تمشين . . أنا أرقبك . يفوح العطر منك كزهرة ، عيناك تلعبان بسر ، أسلوبك في المشي يجعلني مريضاً كحوموم طول الليل أفكر كيف تمشين . أنا أستطيع أن أمسك وأنت لا تستطيعين أن تعرفي . كل يوم ولكنتي لا أستطيع يجب أن أفرغ على الورق يجب أن أنكلم أنت لا تعرفين . شفتاك كقوس كيوييد عندما يأتي اليوم عندما أضغطهما على شفتي كما حللت في حمى من الجنة إلى الجحيم . أنا أعرف ماذا تفعلين أنا أعرف أكثر مما تتصورين . أنا أرى رجالاً يزورنك بألم مر . كوني حذرة

(١) في هذا الخطاب من الأخطاء ما يدل على عدم تمكن صاحبه من اللغة (الراجع) .

إنا رجل مستيئس . لن يهمني شيء إذا أحببت بدنس رجلا سأقتله .
« أنت لا تجيبين أنا أعرف أنك تستليني أنا رأيت واحداً في حقيبة
يدك . الأفضل لك أن تجيبي سريعاً أنا رجل مستيئس تأكله الحي
ولا أستطيع أن أنام منها أنا لن أوديك ولكنني مستيئس لا تنسى أنني
لن أوديك ولكنني رجل مستيئس . »

وتراكت الأيام . لم تكن أياماً حزينة ولا موحشة ، كانت محومة إلى
الدرجة التي لا تجعلها حزينة وكانت نفسها ممزقة في اتجاهين ، بعد أن
دمرت جدران حديقته الهادئة ، وهي نفسها كحيوان ليلى أو طائر وقع
في حزمة من النور ويحاول سدى أن يهرب .

لقد ذهب هوراس نهائياً في طريقه ، ومنضياً معاً ككفريين يعيشان
رتابة أيامهما المادية ، في قطيعة لا تنحني ، لود طويل وكبرياء متشابهة
اختفت تحت غلاف كاذب رقيق من الصفائر . وكانت تجلس مع بايارد
تقريباً كل يوم ، ولكن بحذر على مسافة ياردتين منه .

في البدء ، حاول أن يخضعها بالجمعية ثم بالمداينة ولكنها كانت
صلبة ، فكف أخيراً واستلقى في فراشه لتطلع بهدوء من النافذة ،
أو لينام وهي تقرأ .

وكانت مس جيني ، تأتي من حين إلى حين ، لتطل من الباب عليهما
وتذهب . أما نفورها وتوقعها للخطر ورعبها من وجودها معه فقد ذهبت
كلها ، وأحياناً ، كانت تكف عن القراءة ، ويتحدثان معا بهدوء حديثاً
غير شخصي . وشيخ ذلك الأصيل بينهما ، رغم أن أحداً منهما لم يشر
إليه على الإطلاق وقد استبد حب الاستطلاع قليلاً بمس جيني حول ذلك
اليوم ، إلا أن نارسيسا رفضت بجدية ووقار أن تقول شيئاً ، ولم يتكلم
بايارد أيضاً ، وهكذا تكونت بينهما رابطة أخرى إلا أنها لم تكن
رابطة مفضية ، وقد سمعت مس جيني أيضاً شائعات حول هوراس وبيل ،
ولكن نارسيسا لم يكن لديها شيء تقوله حول هذا الموضوع .

قالت مس جيني بمكر ، خذى الأمر كما تشاءين أنا أستطيع أن أكون رأي الشخصي ، وأنا أتصور بيل وهوراس وفي استطاعتهم أن يحدثا معا الكثير من الفوضى . وأنا مسرورة بهذا . هذا الرجل كان سيجعل منك عائساً عجوزاً . لم يتأخر بك الوقت كثيراً جداً . ولو انتظر خمس سنوات أخرى ليلعب دور الأحمق ، لما تبقى لك ثمة شيء ، عدا إعطاء دروس في الموسيقى . ولكنك تستطيعين الزواج الآن .

سألها نارسيسا ، « وهل تنصحيني بالزواج ؟ »

« لن أنصح أحداً بالزواج . لن تكوني سعيدة ، ولكن النساء لم يتحضرن بعد بما يكفي ليكن سعاداً . وهن غير متزوجات . ولذا يجوز لك أن تجربي الزواج . ونحن مع ذلك نستطيع أن نصمد لأي شيء . والتغيير خير للناس . هكذا يقولون على الأقل ، .

ولكن نارسيسا لم تكن تصدق هذا . قالت لنفسها ، لن أتزوج قط الرجال . . ذلك هو الشيء الذي يكن فيه الشقاء ، أن تسمحى للرجال بالدخول في حياتك ، .

« وإذا كنت قد عجزت عن الاحتفاظ بهوراس بكل ما منحته من حب . . . ونام بايارد والتقطت الكتاب وأخذت في القراءة لنفسها ، عن ناس عجيبين في عالم عجيب حيث كانت الأشياء تحدث كما ينبغي أن تحدث ، واستطالت الظلال نحو الشرق ومضت تقرأ ، وقد فقدت إحساسها بالموجودات .

تيقظ بايارد بعد وقت قصير ، وأحضرت له سيجارة وثقاباً . قال :
لن يكون عليك بعد الآن أن تفعل هذا . أحسبك آسفة ،

وكان يعني بهذا أن قلبه سينخاع عنه في الغد . وقد استلقى في فراشه يدخن سيجارته ، ويتحدث عما سيفعله عندما يعود إلى حالته الطبيعية . سيعنى أول ما يعنى بإصلاح سيارته ، سيأخذها إلى ممفيس في المرجح .

وخطط رحلة لثلاثتهم مس جيني ونارسيسا وهو - في الوقت الذي تكون فيه السيارة قيد الإصلاح . قال : . سأخذ ذلك ما يقرب من أسبوع لا بد أنها في حالة سيئة جداً . أرجو ألا أكون قد أذيت أجهزتها .

قالت له تذكره . . ولكنك لن تقودها بسرعة بعد الآن ، وظل مستلقيا في سكون وسيجارته تحترق بين أصابعه فاستطردت تقول :
. أنت وعدت بهذا . .

متى وعدت ، ؟

. ألا تتذكر ؟ ذلك . . . الأصيل عندما كانوا . . .

. عندما أفزعتك ؟ ، وكانت في مكانها ترقبه بعينها الجادتين المهمومتين .

فقال . تعال هنا ، فوقفت وذهبت إلى فراشه وأخذ يدها .

قالت بإصرار : . لن تقودها بسرعة مرة أخرى . .

قال : . لا ، أنا أعد ، وظلا هكذا ساكنين لحظة ، ويدها في يده . اهتزت الستائر في النسيم ، وطرفت أوراق الغصن القريب من النافذة بأعينها لبعضها البعض ، واستدارت وتهامست معا . لم يعد الغروب بعيد ، وحينئذ يتوقف النسيم . ثم تحرك .

ناداها ، . نارسيسا ، فنظرت إليه ، فقال : . ميلي وجهك إلى ، .

نظرت بعيداً ، ولبرهة قصيرة لم تكن ثمة حركة بينهما ولا صوت .

قالت أخيراً بهدوء . يجب أن أذهب ، وتخلي عن يدها .

وقد خلع عنه قلبه ، ووقف وجال في المكان ، وكان يتحرك - بالتأكيد - متعثراً إلى حد ما إلا أن مس جيني كانت قد بدأت بالفعل تتأمل حالته بشئ من القلق . . إذا استطعنا فقط أن ندبر الأمر بحيث

نكسر إحدى عظامه الأقل أهمية ، واحدة كل شهر أو ما يقرب من هذا بما يكفي لإبقائه في البيت

قالت لها نارسيسا . « لن يكون هذا ضروريا . سيحسن منذ الآن التصرف ، سألتها مس جيني . من أين تعرفين هذا ؟ أى شيء في العالم يدفعك إلى التفكير بهذه الطريقة ؟ »

« وعد أن يفعل ، »

أجابت مس جيني على الفور « سيعد بأى شيء وهو مستلق على ظهره . كلهم سيفعلون ، وكلهم فعلوا . ولكن ما الذى يدفعك للاعتقاد بأنه سيحفظ الوعد ؟ » .

قالت نارسيسا بوقار ، « وعدنى أن يفعل ، »

كان العمل على إصلاح السيارة أول ما اهتم به . كانت قد جرت إلى البلدة وأصلحت بالطريقة التى تكفل لها السير بقوتها الذاتية ، إلا أنه كان من المهم أن تؤخذ إلى ميفيس لتقويم هيكلها وإصلاح جسمها ، وكان بايارد مصمما على عمل هذا بنفسه ، بأضلاعه حديثة العقد وأربطته . ولكن مس جيني أصرت على موقفها . وبعد نصف ساعة صاحبة كانت هزيمته قد تحققت . وهكذا قاد شاب من يرتزقون من حول أحد جراجات البلدة السيارة إلى ميفيس .

قالت مس جيني ، « ستصحبك نارسيسا في سيارتها إن كان من الضروري لك أن تركب ، قال بايارد ساخراً ، « فى محصة الفول السودانى هذه ؟ لن تقطع أكثر من واحد وعشرين ميلا فى الساعة ، »

أجابت مس جيني « لا وشكراً لله . وقد كتبت إلى ميفيس وطلبت منهم أن يضبطوا سيارتك حتى تجرى بنفس هذه السرعة أيضا ، »

خلق بايارد فيها بكتابة ووجوم وسألها ، هل فعلت أى شيء مثل هذا الشيء الملعون ؟ ، صاحت مس جيني ، أوه ، خذيه بعيداً عنى ياناريسيا . أغربى به عن عيني . سئمت تماماً النظر إليه ، .

وقد رفض فى البدء أن يركب سيارة ناريسيا . ولم يدع ثمة فرصة تفوته للتحدث عنها بسخرية واستخفاف ثقيلين ، وهو ماض فى إصراره على رفض الركوب فيها .

وقد اصطنع دكتور ألفورد ضمادة مطاطية لصدرة تمسكته من ركوب حصانه ، غير أنه اكتسب رغبة عجيبة فى التسكع حول البيت عندما تكون ناريسيا فيه .

وكانت ناريسيا تأتي كثيراً . وقد تصورت مس جيني أنها تفعل هذا من أجل بايارد ، واستفسرت من ضيفتها بأسلوبها المباشر ، فحدثتها ناريسيا عن هوراس وبيبل ومس جيني جالسة مكانها تستمع منتصبية الظهر لا تقهر بجوار البيانو .

قالت . يا للطفل المسكين ، ثم يا إلهي ؟ ، أليسوا أغبياء ؟ وأخيراً ، حسناً ، أنت على صواب . لو كنت مكانك لما تزوجت أحدا منهم . قالت ناريسيا ، ولا أنا . تميت إلا يوجد أحد من الرجال فى العالم ، وصاحت مس جيني ، أوف ، .

وذات أصيل ، كانا فى سيارة ناريسيا ، وكان بايارد جالسا إلى عجلة القيادة رغم احتجاجها فى البداية إلا أنه كان يتصرف بحكمة تماماً ، فاطمأنت فى النهاية . مضيا بالسيارة هابطين طريق الوادى واستدار إلى التلال ، وسألته عن وجهتها . ولكن إجابته كانت غامضة . وهكذا جلست بهدوء بجواره ، وصعد الطريق فى انحناءات طويلة بين أشجار صنوبر تعتمت فى الأصيل المنحدر . ولف الطريق وهو يكشف عند كل دورة مشاهد واسعة صغيرة من الوديان التى أضاءتها الشمس ، والتلال

المقابلة وكانت تحوطهما دائماً أشجار صنوبر الكثيبة وأريجها الكليل المنعش .
وبعد وقت ما اعتلى تلا وأبطأ السيارة ومن تحتمهم تهادى الطريق ،
ثم اعتدل متجها إلى صف من أشجار الصفصاف ، ثم فوق جسر حجري ،
وصعد الطريق مرة أخرى واستدار واحمر لونه واختفى بين الأشجار
القائمة .

قال ، هذا هو المكان ، .

قالت وهي سارحة ، المكان ؟ ، ثم ، وإذا انزلت السيارة مرة أخرى
إلى الأمام وهي تكتسب سرعة متزايدة ، أنهضت نفسها . وأدركت
ما بعينه وصاحت به ، ، أنت وعدت ا ، ولكنه دفع خناق الوقود
إلى أسفل ، فتعلقت به وحاولت أن تصرخ إلا أنها لم تستطع أن تخرج
صوتا ، ولا استطاعت أن تفضض عينيها عندما اندفع عليهما الجسر الضيق
متراقصا . ثم توقفت أنفاسها وقلبها عندما مرقا مبرقين ، بهزيم كأصدا .
عاصفة ثلجية على سطح من الصفيح ، بين صف من الصفصاف ولألاء مياه
متساقطة واندفعا نحو التل التالي . وتمايلت السيارة الصغيرة على المنحني ،
وانزلت أقدامها عن الأرض ، ومضت إلى المستنقع ، وقفزت منه ،
واندفعت إلى الطريق . ثم أحكم بايارد قيادتها وصعدت إلى قمة التل بسرعة
متناقصة ، وتوقفت وقد كانت جالسة بجواره وفيها الشاحب مفتوح تستعطفه
بعينيها الواسعتين البائستين . ثم التقطت أنفاسها فناحت .

قال متعلشاً ، لم أقصد . . . أردت فقط أن أعرف إن كان في
استطاعتي أن أفعلها . وأحاطها بذراعيه وتعلقت به ، ويدها تتحركان
بجنون حول كتفيه ، قال مرة أخرى ، لم أقصد . . . وكانت يدها
المجنوتتان حينئذ على وجهه وكانت تبكي بوحشية ووجهها على شفتيه .

قضى ساعات الصباح منكبا على دفاتره ، متقبعا بنوع ما من الدهشة .
يده وهي تضع الأرقام الأنيقة في الأعمدة المسطرة . وقد انتهى به الأمر
إلى شكل ما من أشكال الذهول بعد ليلة لم يغمض له فيها جفن وقد

تبددت طاقة عقله إلى الدرجة التي أعجزتها حتى عن تأمل صور شهوته العارمة التي صعدت إلى آخر الزمن ، إلا بدهشة غبية ، لأن الصور لم تملأ دمه بالغضب الجنوني واليأس ، ولذا فقد كان ينبغي أن تمر برهة قبل أن تتفعل أعصابه المخدرة بخطر جديد ، وتدفعه لأن يرفع رأسه . كان فيرجيل يريد يدخل في تلك اللحظة من الباب .

انزلق بسرعة من فوق مقعده العالي وتسلل حول الركن واندفع من باب مكتب بايارد العجوز وقبع داخل الباب . وسمع الصبي وهو يسأل بأدب عنه ، وسمع الصراف يقول له إنه كان هناك منذ دقيقة ، وإنه يعتقد أنه قد خرج لشأن ما ، وسمع الصبي وهو يقول له ، إنه يرى أن ينتظره حتى يعود ، ثم ظل قابلاً داخل الباب ، وهو يسمح له الذي يتصعب باللعب بمنديله .

ثم فتح الباب ، بعد برهة ، بحذر . وقد ألقى الصبي مستنداً إلى الجدار بصبر وبساطة ، ووقف سنوبس مرة أخرى بيديه المقبوضتين المرتعدتين . لم يسب ، كان غضبه الجنوني اليأس أضخم من الكلمات ، ولكن أنفاسه كانت تأتي وتذهب بصوت سريع في حنجرتة آه - آه - آه وبدا له وكأن كرتي عينيه قد شدتا إلى الخلف إلى داخل جمجمته ، وأنهاما تبتعدان حتى توشك الجبال التي تشدهما على الأقطاع ، ثم فتح الباب . صاح الصبي بسرور وهو يقف ، د أهلا ، مستر سنوبس ، ومضى مستر سنوبس ودخل ردهة المصرف ، واقتراب من الصراف .

قال بصوت هامس لا يكاد يسمع ، ريس أعطني خمسة دولارات ، .
د ماذا ؟ ،

قال مرة أخرى بصوت مبجوح ، د أعطني خمسة دولارات ، وقد فعل الصراف ، وكتب بسرعة مذكرة وشبكها بدبوس على إضبارة بجواره وكان الصبي قد جاء إلى النافذة ، ولكن سنوبس مضى في طريقه وتبعه الصبي عائداً إلى المكتب مرة أخرى ، وقدماء العاريتان تحدثان فحيجا على أرضية المكتب المصنوعة من المشمع .

قال موضعا ، حاولت أن أعثر عليك ليلة أمس ، ولكنك لم
تسكن في البيت ، ثم رفع عينيهِ ورأى وجه سنوبس ، وبعد لحظة صرخ
وتخلص من ذهوله واستدار مولياً . ولكن الرجل أمسك به من ثوبه
قتلوى في يده وتشنج ، وهو يستغيث في رغب شامل . والرجل يجره
عبر المكتب ، ثم يفتح الباب المؤدى إلى الساحة الخالية . كان سنوبس يحاول
أن يقول شيئاً في صوته المجنون المرتعد ، ولكن الصبي ظل يصرخ دون توقف ،
وقد استرخى جسمه في قبضته ، والرجل يحاول أن يزج بالورقة المالية في جيبه
وفي النهاية استطاع أن يفعل ذلك ثم أطلق الصبي ، الذي تعثر مبتعداً ، ثم
وجد الطريق إلى ساقيه ، ففر هارباً . وعاد إلى المكتب فسأله الصراف بدهشة ،
« لم كنت تضرب هذا الصبي ؟ »

قال على الفور وهو يفتح دفتره « لتطفله على شئون الآخرين ، .

تطلع وهو يعبر الميدان الخالي إلى وجه الساعة المضيء . كانت الساعة الحادية
عشرة وعشر دقائق . ولم تكن ثمة علامة من علامات الحياة إلا شبح حارس الليل
الوحيد بجوار باب ردهة إدارة البريد .

وغادر الميدان ودخل شارعاً ومضى في خطو منتظم تحت أضواء المصابيح
الكهربية ، كان الشارع حينئذ له وحده ، وظله واسع الخطو ، الذي يطارده
باتتظام من الظلام ويتبعه في بحيرة النور ، ثم إلى الظلام مرة أخرى ، واستدار
عند ركن ومضى أيضاً في شارع أكثر هدوءاً ، ثم عرج منه إلى مرج بين سياجين
كثيفين من الياسمين البري أكثر ارتفاعاً من قامته ، وبأريج حلو في هواء الليل .
كان المرج معتماً فأسرع من خطوه . وعلى الجانبين ارتفعت الطوابق العليا من البيوت
فوق الياسمين البري فظهرت نافذة مضيئة من حين إلى حين بين الأشجار المعتمة .
وظل ماضياً بالقرب من الجدار وقد أسرع خطوه ، حتى أصبح بين خلفيات
البيوت . وبعد برهة تشاخ بيت آخر ، وصف من أشجار الأرز المتزاحمة ،
تشاخحت أيضاً ومن ورائها سماء أكثر شحوباً ، ثم استرق خطاه بجوار حائط حجري
وبذلك أصبح قبالة الجراج .

توقف هنا وبحث بين الحشائش الغزيرة تحت الجدار وانحنى والتقط قائمة خشبية أسندها إلى الجدار ثم تسلق الجدار مستمينا بالقائمة واعتلى سقف الجراج .

كان البيت معتما ، وهنا انزلق إلى الأرض واسترق خطاه عبر المرح وتوقف تحت نافذة . كان ثمة ضوء من مكان ما في مقدمة البيت ، ولكن بلا صوت ولا حركة ، وظل واقفا ينصت برهة ، وهو يرمح بنظراته هنا وهناك ، متلصصا دون انقطاع وكأنه حيوان وقع في مصيدة .

واستسلمت النافذة لسكينه بسهولة ورفعها وأنصت مرة أخرى وبحركة واحدة مضطربة أصبح داخل الغرفة ، وقبع . ثم لا صوت عدا وقع ضربات قلبه ، وانبعث من البيت كله الإحساس الذي لا يخطئ . بخلوه المؤقت من أهله . ثم أخرج منديله ومسح فمه .

كان الضوء في الغرفة المجاورة ، ومضى إليها ، وكان الدرج يبدأ في آخر هذه الغرفة ففرق خلالها ، وصعد الدرج مسرعا إلى عتمة الطابق العلوى وتحسس طريقه حتى لمس جداراً ثم بابا ، ودار مقبض الباب في يده .

كانت هي الغرفة المطلوبة ، وقد عرف على الفور هذا . كان وجودها يحيط به من كل جانب ولمدة من الزمن دق قلبه في حنجرتة وضرب فيها بالمطارق الثقيلة ذوات الصوت المكتوم ، وزلزه الغضب الجنوني والشهوة واليأس . ثم تماسك ، يجب عليه أن يخرج بسرعة ، وتحسس طريقه إلى فراشها ، واستلقى منكفئا عليه ، ورأسه مدفون بين الوسائد ، وهو يتلوى معذبا ينبعث منه أنين حيواني محبوس ولكن يجب عليه أن يخرج بسرعة ، فقام وتجول متحسسا طريقه في الغرفة مرة أخرى . وما كان في الغرفة من ضوء كان خلفه في تلك اللحظة ، وبدلا من أن يجد الباب ، وقع على صف من الأدراج ، فتوقف لحظة ، وهو يتعرف على شكلها بأصابعه ثم فتح أحدها وبحثت أصابعه فيه بطريقة عشوائية . كان مملوءاً بأثواب رقيقة خفيفة العطر ، إلا أنه لم يستطع أن يميز بأصابعه قطعة منها من الأخرى .

وجد ثقابا في جيبه وأشعله تحت ستار كفه ، وبضوئه اختار إحدى قطع الملابس الناعمة ، مكشفا ، ولهب الثقاب يموت ، حزمة من الخطابات في ركن الدرج . وقد تعرف عليها في الحال ، ورى الثقاب الميت على الأرض ، وأخذ الحزمة من الدرج ووضعها في جيبه ، ووضع الخطاب الذي انتهى للتو من كتابته في الدرج ، وظل واقفا لحظة ووجه مدفون في قطعة الثياب ضاغطاً بها عليه بعنف هائل ، وظل هكذا وقتاً ، حتى دفعه صوت لأن يرفع رأسه فجأة وينصت . كانت ثمة سيارة تدخل الممر الخاص ، وإذا كان يقفز إلى النافذة اكتسحت أضواؤها المكان من تحته وسقطت بكل قوتها على الجراج المفتوح ، فقبع في النافذة في رعب هائل . ثم أسرع إلى الباب وتوقف مرة أخرى ، وأقوى ، وهو يلثم ويزجر متردداً .

جری عائداً إلى النافذة . كان الجراج مظلماً ، وقد أخذ شخصان تحوطهما العتمة في الاقتراب من البيت ، فقبع بجوار النافذة حتى اختفيا عن الأنظار ، ثم تسلق النافذة ، وهو قابض على قطعة الثياب في يده ، وظل معلقاً من حافتها بيديه لحظة ، ثم أغمض عينيه وهوى .

ودوى صوت تحطيم الزجاج ، فزحف وقد أفقدته الصدمة إحساسه بين أصوات تحطيم أقل ، وموجة غبار عطن جاف . لقد سقط في حوض زهور محفور على انخفاض قليل من الأرض فتسلقه زاحفا وحاول أن يقف وسقط مرة أخرى ، وقد شمله شعور الغثيان وكأنه في دوامات . كانت ركبته وقد استلقى متألماً ، وشفتاه مشدودتان لاهثتان ، بينما نرف ساق سرواله ببطء ودفء ، وقد قبض على قطعة الثياب في يده . وحملق في السماء المعتمة بعينين واسعتين مجنونتين .

ثم سمع أصواتا في البيت ، وأضاء نور وراء النافذة التي تعلوه ، واستدار وحبا بقفزات زاحفة عبر المرح وغطس في ظلام الأرض بجوار الجراج ، حيث استلقى هناك وهو يرقب النافذة التي انحنى منها رجل أخذ يتطلع من

حواله ، وقد تأوه قليلا بينما كان دمه يجرى بين أصابعه المضمومة . ودفع نفسه مرة أخرى إلى الأمام ، وجر جر ساقه الدامية فوق الجدار ، وهبط على المرج ورمى القضيبي جانبا . وعلى بعد مائة ياردة أخرى ، توقف وأزاح سرواله الممزق جانبا وحاول أن يضمّد النزيف المتدفق من ساقه . إلا أن المنديل تلتطخ كله في الحال تقريبا ، وظل الدم يجرى منسالا فوق ساقه إلى داخل حذائه .

ما كاد يصل إلى غرفة البنك الخلفية حتى رفع ساق سرواله ونزع المنديل وغسل الجرح في المغسل - إلا أنه ظل ينزف ، وقد أشاع منظر دمه فيه الغشيان فتمايل ويده مستندة إلى الجدار ، وهو ينظر إلى دمه . ثم خلع قميصه وضمد به ساقه وشده قدر ما استطاع . وقد ظل شعور الغشيان ملازما له ، فشرب بشراهة من ماء الصنبور الفاتر . وعلى الفور أتخذه الماء وثقل عليه ، فاستند إلى جدار المغسل ، وقد تصبب عرقا ، محارلا ألا يقى . حتى مرت الأزمة ، وكان ضعيفا وتمنى أن يستلقي ولكن لم يجرؤ أن يفعل .

دخل ردهة البنك ، وكعب حذائه الأيسر يترك بصمة حمراء عند كل خطوة . وقد انفتح باب القبول دون صوت ، ودون حاجة إلى ضوء وأخذ مفتاح صندوق العملة النقدية وفتحه . لم يأخذ إلا أوراقا مالية إلا أنه أخذ كل ما استطاع أن يجده . ثم أغلق القبول ، وثبته بالقفل ، وعاد إلى المغسل وبلل منشفة بالماء وأزال بصمات كعبه من الأرضية المغطاة بالشمع . ثم خرج من الباب الخلفي ، ورمى السقطة حتى ينغلق الباب من ورائه . ودقت الساعة في بيت القضاء الثانية عشرة .

جلس زنجي في سيارة فورد حطيمة بين متجرين من متاجر السود . كان ينتظر . أعطى الزنجي ورقة مالية ، وشغل الزنجي الآلة وعاد وحلق بدهشة في قطعة النسيج المغطاة بالدم تحت سرواله الممزق . قال الزنجي :

« ماذا حدث يا ريس ؟ ، أنت لم تصب بأذى اليس كذلك ؟ »

قال باقتضاب : « تعثرت في سلك به وقود كثير اليس كذلك ؟ »

وأجاب الزنجي بالإيجاب ومضى بالسيارة ولإذ كان يعبر الميدان كان
الأمور بك واقفا تحت الضوء أمام إدارة البريد ، وسبه سنوبس في سميت
وسخرية مريرة . ومضى ودخل شارعا آخر واختفى عن الأنظار ، ورويدا
وريدا غاض صوت ذهابه .

الجزء الرابع

كان أصيلاً بهيجاً في أحد أيام أكتوبر ، وقد مضت نارسيسا وبايارد في السيارة بعد الغداء بوقت قصير ، وكانت مس جيني وبايارد المعجوز جالسين في آخر الشرفة المشمسة عندما جاء الوفد بوقار من وراء ركن البيت وفي طلبه سيمون . كان وفداً من ستة زنوج في طراز كاثوليكي من ملابس الأحد الرسمية ، وكان ياتم الوفد زنجي هائل الحجم ذو رأس كراس الثور . كان يرتدي بفيقة مؤخرتها مكان مقدمتها وسترة من طراز الأمير ألبرت . ومن حوله جو من الأبهة المجمعمة وكانت له عينان وحشيتان قاهرتان .

قال سيمون ، « هؤلاء هم ، ودون أن يتوقف ارتقى الدرج واستدار ، فلم يترك في ضمير أحد ثمة شك في الجانب الذي يعتبر نفسه منتصباً إليه . وتوقف الوفد وتهامس أعضاؤه قليلاً باحتشام وقور .

قالت مس جيني « ما هذا ؟ أهذا أنت أيها العم بيرد ؟ . . . »
وكشف أحد أعضاء الوفد عن فروة رأسه الصوفية المفلفة وانحنى وقال :
« نعم سيدتي مس جيني . . كيف حالك ؟ . . ونقل الآخرون أقدامهم ، ورفعوا قبعاتهم واحداً بعد الآخر : أما الزعيم فقد وضع قبعته فوق صدره ، وكأنه أحد أعضاء الكونجرس وهو يستعد لالتقاط صورة له .

سأل بايارد المعجوز ، سيمون اسمع ما هذا . . ؟ لأي سبب أحضرت هؤلاء الزنوج هنا ؟ . . »

قال سيمون موضعاً ، « جاءوا من أجل أموالهم . »

« ماذا ؟ »

وقالت مس جيني باهتمام : « أموال ! سيمون . . أي أموال ؟ » . .

قال سيمون هاتفاً ، « لقد جاءوا من أجل المال الذي وعدتهم به . » . .

قال بايارد ، « قلت لك إنني لن أدفع هذه النقود . ثم سأل الوفد ، « هل

قال لكم سيمون إنني سأدفعها ؟ » . .

وقالت مس جيني مرة أخرى ، « أي نقود ، سيمون عم تتكلم ؟ » . .

أما زعيم الوفد فقد كان يعد وجهه للسكيات ، إلا أن سيمون سبقه وقال
د كولوئيل ، أنت قلت لي بنفسك أن أقول لهم ، هؤلاء الزنوج ، إنك
ستدفع لهم .

أجاب بايارد العجوز بعنف ، لم أقل مثل هذا الشيء . قلت لك إنهم إذا كانوا
يريدون أن يضعوك في السجن ، فليمضوا ويفعلوها . هذا هو ما قلته لك .

د كولوئيل ، أنت قلت لي هذا بكل صراحة . كل ما في الأمر أنك نسيت .
أنا أستطيع أن أستشهد بمس جيني أنك قلت لي ، - فقاطعته مس جيني قائلة ، ليس
بي . هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن الأمر . سيمون أموال من هي ؟ .

وأعطاهما سيمون نظرة متألمة لأئمة ، لقد قال لي أن أقول لهم إنه سيدفع لهم ،
وصرخ بايارد ، أكون مملوئاً لو فعلت . قلت لك إنني لن أدفع سقناً واحداً منها .
وقلت لك إنك إذا سمحت لهم بإزعاجي حول هذا الأمر فسأسلخك حياً ياسيدي ،

قال سيمون مهدئاً ، إن أسمع لهم أن يزعموك ، وهذا هو ما أرتبه الآن .
عليك فقط أن تدفع لهم أموالهم ، وأنا وأنت نستطيع أن نسوي الأمر فيما بعد .

أكون مملوئاً إلى الأبد إن فعلت . إذا سمحت لزنجي كسول لا يساوي
ثمان طعامه و - .

قال سيمون موضحاً بصبر ، ولكن ثمة شخص ما يجب عليه أن يدفع لهم ،
مس جيني أليس هذا صحيحاً ؟ .

وقالت مس جيني مؤيدة ، هذا صحيح إلا أنني لست هذا الشخص ،

نعم ياسيدي ليس ثمة خلاف أن شخصاً ما يتحتم عليه أن يدفع لهم وإذا لم يهدى .
نأثرتهم أحد فسيضعونني في السجن وهنا ماذا ستفعلون كلكم . . ؟ دون أي شخص
يقوم بإطعام الخيل وتنظيفها وتنظيف البيت وبالخدمة على مائدة الطعام . بالطبع
أنا لا أضيف بالذهاب إلى السجن رغم أن أرضيته لن تفيد شقائي . ورسم صورة
طويلة مؤثرة لمبادئ سامية مقدسة ولتضحية بالذات صابرة

د كم المبلغ ،

انتفخ الزعيم داخل سترة الأمير ألبرت وقال « أيها الأخ مور ، أرجو أن
تقرأ مجموع الربيع المستحق لمشروع كنيسة المعمدين الثانية لدى الشماس ستروتر
المفصول بصفته أميناً لصندوق مجلس إدارة الكنيسة . »

واصطنع الأخ مور اضطراباً خفيفاً في مؤخرة الجماعة ثم تقدم إلى الأمام
بعمونة الكثير من الأيدي التي تطوعت راغبة في تقديم العمونة ، كان زنجياً صغير
الحجم متردداً في لون البنوس ، وفي ملابس سوداء وقورة تفوق مقاسه كثيراً ،
وقد وسع القس له المسكان بمركبة ملكية وقورة ، محاولاً بشكل ما تركيز الاهتمام
عليه . وضع قبضته على الأرض عند قدميه ، وأخرج من جيب سترته الأيمن
منديلاً أحمر ، ثم « لبيسة » حذاء ، ثم قطعة من طباق المضغ ، ثم أمسكها جميعاً في يده
الظليقة وغطس بيده الأخرى في جيبه وعلى وجهه شعور خفيف بقلق رجل مسئول
ذو ضمير . ثم أعاد الأشياء مكانها ، ومن جيبه الأيسر أخرج مطواة وعصا
قصيرة طوي عليها خيطاً من القنب ، وقطعة قصيرة من حزام جلدي مربوطة بعقدة
معدنية صدئة وفاسدة فيما يبدو وأخيراً مفكرة ملطخة قدرة تآوت حوافها ، زج
الأشياء الأخرى في جيبه وسقطت قطعة الجلد من يده ، فأنحنى إليها وأخذها
ثم عقد هو والقس حديثاً مقتصراً هامساً ، ثم فتح المذكرة واضطرب ما بين
أوراقها ، وظل هكذا حتى انحنى القس فوق كتفه ووجد الصفحة الصحيحة ووضع
إصبعها عليها .

سال بايارد العجوز وقد عيل صبره « كم المبلغ أيها الموقر ؟ ... »
قال القس بنغمة هادئة ، « سيقرأ الأخ مور المبلغ ، . أما الأخ مور فقد نظر إلى
الصفحة محملاً باستغراق ثم غمغم شيئاً بصوت لا يمكن تمييزه عملياً .

قال بايارد العجوز ، وهو يحيط أذنه بكفه « كم ؟ ... »

وقال سيمون « اجعله يتكلم . ألا يستطيع أحدكم أن يخبرنا عما يقوله ؟ »

وقال القس بصوت أجش به أثر من الضجر ، « ارفع صوتك ، »

قال الأخ مور أخيراً ، « سبعة وستون دولاراً وأربعون سنتاً . »

وارتمى بايارد العجوز على مؤخرة ظهر مقعده وظل يسب ويلعن دقيقة كاملة

وسيمون يرقبه بقلق مكتوم ثم وقف وعبر الشرفة بخطواته الثقيلة ودخل البيت وما زال يسب ويلعن . وهنا تنهد سيمون واسترخى وتحرك الوفد قلقا وتراجع الأخ مور إلى المؤخرة . أما القس ، فقد احتفظ بطابع الغموض والعمق .

سألت مس جيني ، وقد أخذها حب الاستطلاع ، « سيمون وماذا حدث لهذا المال ، أنت أخذته ، أليس كذلك ؟ »

أجاب سيمون ، « هذا هو ما يزعمونه ، »

« وماذا فعلت به ؟ »

قال لها مطمئنا ، « لقد سوى الأمر . صرفته ، هذا كل ما في الأمر بشكل ما ، وافقته مس جيني وقالت ببرود ، « أراهن أنك فعلت . أراهن أيضا أنها لم تبرد قط وهي معك . وهم يستحقون أن يفقدوها جزاء لهم ، في المحل الأول ، عن إعطائها لك . من الذي أعطيتها له ؟ »

قال سيمون بسهولة ، « أوه ، أنا والكولونيل قد اتهمنا من تسوية هذا الأمر منذ وقت طويل ، وجاء بايارد العجوز وهو يدب في البهو ثم خرج إلى الشرفة وفي يده شيك .

قال أمراً « خذ ، » واقترب القس من سور الشرفة وأخذه وطبقه وسواه في جيبه ، وصاح بايارد ، وأنتم أيها الناس إذا بلغت بكم الحماقة الدرجة التي تجعلكم تعطونه مزيدا من أموالكم مرة أخرى فلا تحضروا إلى من أجلها ، أسمعوني ؟ »

ثم سدّد عينيه الغاضبتين إلى الوفد برهة ، ثم إلى سيمون ، « وأنت ، عندما تسرق مالا في المرة القادمة ، وتأتي إلى لأدفعه عنك فساكون السبب في سجنك ، وساقاضيك شخصياً . أخرج هؤلاء الزوج من هنا ، »

كان الوفد قد بدأ يتحرك بالفعل بطريقة منسقة ، إلا أن القس أوقفهم بحركة من يده ، ثم واجه سيمون مرة أخرى وقال : أيها الشماس ستروثر بصفتي راعيا لكنيسة المعمدين الأولى المحترمة ، وراعيا لكنيسة المعمدانيين الثانية المقترحة ، ورئيسا لهذه اللجنة هانذا أعيد إليك سلطاتك السابقة كشماس في كنيسة المعمدانيين الثانية المقترحة سالفة الذكر . أمين كولونيل سارتورس ، سيدتي ، طاب يومكم ، ثم استدار وساق لجنته خارجا من المشهد - قال سيمون ، و شكراً لله ، انتهت مشغوليتنا بهذا الأمر ، ثم جلس على الدرجة العليا وتأوه بسرور .

قال بايارد محذرا ، وأنت تذكر ماقلته ، مرة أخرى ، .

ولكن سيمون كان قد مد رأسه في الاتجاه الذي ذهب فيه مجلس إدارة الكنيسة وقال ، ، والآن ، ماذا تظنهم يريدون الآن ؟ ، ذلك أن اللجنة كانت قد عادت وكانت تطالع بتردد من وراء ركن البيت . سأل بايارد ، حسنا ما الأمر الآن ؟ ،

كانوا يحاولون مرة أخرى دفع الأخ مور إلى المقدمة ، ولكنه انتصر عليهم هذه المرة وأخيرا تكلم القس ، أيها البيض ، لقد نسيتم الأربعين سنتا ، .

، ماذا ؟ ،

هتف سيمون ، ، يقول إنك لم تضيف الأربعين سنتاً ، . وانفجر بابارد العجوز ووضعت مس جيني كفيها على أذنيها ، ودارت العيون في روس اللجنة بإعجاب ملو بالخوف ، بينما حلق بابارد العجوز إلى قم رائحة ، منقضا في النهاية على سيمون .

صاح كالعاصفة ، ، أنت أعطهم هذه الستات الأربعين ، وأخرجهم من هنا . وإذا سمعت لهم يوما بالعودة فأسضربكم جميعاً بسوط من سياط الخيل ، .

« يا إلهي ليس عندي أربعون سنتاً يا كولونيل ، وأنت تعرف هذا .
ألا يستطيعون الاستغناء عنها بعد أن حصلوا على المبلغ ؟ »

قالت مس جيني : « لا . يا سيمون ، معك نصف دولار تبقى معك
بعد أن اشتريت لك هذا الخذاء ليلة أمس ، ، ومرة أخرى ، نظر إليها
سيمون بدهشة تفيض بالألم .

قال بايارد العجوز أمراً ، أعطها لهم ، وببطء مد سيمون يده إلى
جيبه وأخرج قطعة نقود ذات نصف دولار وقلبها في يده .

قال متمتماً ، كولونيل ، ربما أحتاج إلى هذا المبلغ . يبدو وكأنه من
الجائز لهم أن يتركوا لي هذا المبلغ .

قال بايارد العجوز بصوت كهزيم الرعد ، « أعطهم هذا المبلغ ،
أحسبك تستطيع أن تدفع منه على الأقل أربعين سنتاً ، . وقف سيمون
متباطئاً ، واقترب القس .

قال سيمون للقس ، « أعطني باقي النقود ، . ورفض أن يسلم قطعة
نقوده حتى أصبحت قطعتان من النيكل في يده ، ثم رحلت اللجنة .

قال بايارد العجوز ، « والآن أريد أن أعرف ماذا فعلت بهذه النقود ،
قال سيمون دون تردد ، « حسناً سيدي . حدث الأمر هكذا . صرفت
هذه النقود ، .

قالت مس جيني ، « يا إلهي ، هل ستبدون الحكاية من جديد ،
وتركتهما وكان في استطاعتها وهي في غرفتها ، جالسة في نافذة يضرها
ضوء الشمس ، أن تسمعهما ، غضب بايارد العجوز الجنوني ومراوغات
سيمون اللطيفة المقبولة ، وهي تعلم وتهبط فوق هواء السبت الوسنان .

كانت ثمة وردة ، وردة واحدة متبقية . وقد ظلت نضيرة عبر أيام
الصيف الأخيرة الحزينة الميتة ، والآن أيضاً ، رغم أن أشجار الكاكي

قد علفت منذ زمن طويل زهورها التي تشبه شموسا صغيرة بين الأغصان التي تحملت بعقود من الفراشات . وقضت أشجار الصمغ والإسفندان والجوز أسبوعين من الذهب والقرمز . والأعشاب ، أيضا ، حيث قعدت جدود الجنادب يوما متبلدة ، وكأنا شيوخ مكتئبون في الثمانين من أعمارهم ، ترك عليها الصقيع رسوماً رقيقة ، وقد تعطرت ساعات الظهيرة المشمسة بأريج أشجار الغاب ، والتي ظلت تحمل زهورها رغم أنها فضجت منذ زمن ، فهدات قليلا وإن ظلت في أماكنها ببطولة ، وكأنا نجوم ساخرة خافية . وكانت مس جيني ترتدى صداراً صوفياً ، وكانت مسجتها تلعب أيضاً في قفازها ترابي اللون .

قالت : « إنها تشبه امرأة عرفتاً يوما . كل ما في الأمر أنها لاتعرف كيف تستسلم بنبل وتصبح جدة » .

قالت نارسيسا محتجة ، وكانت ترتدى ثوبا صوفيا رمادياً ، « دهبها تقض الصيف ، وكانت ثمة مسجة أخرى في يدها ، وقد ظلت تتابع برقة ووقار مس جيني التي عيل صبرها فتدفقت باللوم والتأنيب دون أن تحقق شيئاً ، بل وأسوأ من لاشيء ، وأسوأ حتى مما حققه إيزوم ، لأنها حطمت عزيمته ، فأعلن على الفور عن ولاته المكتوم للجناح الأيسر ؛ أو السليبي . قالت نارسيسا ، « من حقها أن تقضى الصيف كما ترى ، قالت مس جيني « بعض الناس لا يعرفون الصيف عندما ينتهي . والصيف الهندي ليس مبرراً للشيوخ كي يرتدوا إلى المراهقة » .

« وهي ليست شيخوخة أيضاً » .

« وهو كذلك ستين يوماً » .

« أوه يوماً ما لست مستعدة تماماً لكي أكون جدة الآن » .

ونزعت مس جيني بمسجتها بعناية وخبرة بصيلة زنبق وأزالت بمهارة من حول جذرها كتل الطين التي انعدت حولها . قالت : « يبدو وكأننا

قد أتينا بإبارد تماما ، في الوقت الحاضر على الأقل أحسب من الأفضل لنا أن نسميه جون هذه المرة .

حقا . . .

قالت مس جيني مرة أخرى : نعم . سنسميه جون . أنت ليزوم ،

وما زالت حلاجة القطن تعمل بانتظام منذ شهر ، وماذا كان أمامها إلا أن تفعل هذا ولديها قطن آل سارتورس وزراع الوادي الآخرين ، والزراع الأقل شأننا بحقولهم المنحدرة بين التلال . كانت أرض آل سارتورس تزرع بالمشاركة وقد انتهى معظم المستأجرين من جني أقطانهم ، وحصد القمح المتأخر وفي الساعات المتأخرة من الأصيل ، وقد افترش الصيف الهندي الأرض ، وتمطى حزن عتيق حاد كدخان حريق من خشب فوق هواء ساكن . كان بإبارد ونارسيسا يخرجان من السيارة ويذهبان إلى مكان قريب من نبع على حافة الغابة ، حيث كان الزوج يحضرون عيدان قصب السكر ، ويصنعون نتاجهم الشتوي المشترك من العسل الأسود . كانت المعصرة والبغل الذي يزودها بالقوة المحركة ملصكا لأحد الزوج الذي كان يشتغل بين المستأجرين مكانة الشيخ والزعيم . كان يقوم بالعصر ويشرف على طهو العصارة مقابل عشرين ، وعندما كان بإبارد ونارسيسا يصلان كانا يجدان البغل وهو ماض في دورانه البطيء الرتيب الصبور ، وأقدامه تحدث صوتا ضعيفا بين نخاع عيدان القصب الجافة بينما يقوم أحد أحفاد الشيخ بإطعام المعصرة بعيدان القصب .

وقد مضى البغل يدور ويدور وهو يضع أقدامه الرفيعة التي تشبه أقدام الغزلان بحذر ورقة بين نخاع القصب ذي الفحيح ، وعتقه تهتز إلى أعلى وإلى أسفل بليونة وكأنها قطعة من طوقه المطاطي ، وجنباة محصوران بين الأحزمة الجلدية ، وأذناه تهتلان إلى أسفل وكأنهما ميتين وعيناه نصف المغمضتين وسناتان بشر كامن وراء الجفون الشاحبة ، كان يسدو نائما بفعل حركته الذاتية الرتيبة . إن واجب أحد شعراء الحقول أن ينشد ،

وكأنه هوميروس القديم ، ملحمة البغل ومكانته في الجنوب . إنه البغل
أكثر من أى مخلوق أو شئ. آخر ، ذلك الذى استمسك بالأرض عندما
تهاوت عزائم الجميع إزاء الظروف المدمرة الساحقة التى لا أمل فيها ،
غير مبال بالأحوال التى حطمت قلوب الرجال ، ذلك لأنه كان مستغرقاً
بمقد و صبر في الحاضر المباشر ، فاستخلص الجنوب المستسلم من تحت حذاء
التمهيد الحديدى ، ومرة أخرى عليه الكبرياء من خلال الذلة ، والشجاعة
من خلال الانتصار على الشدائد ، هو ذلك الذى حقق ما كاد يكون
مستحيلاً رغم العقبات المليئة بالصبر المنتقم الحقود الخالص . الأب والأم
لأنه لا يشبههما ، الابن والبنت لن يعرفهما حقود صبور (ومن الحقائق
المعروفة أنه يقبل على العمل من أجلك صابراً ، مدة عشر سنوات حتى
يفوز بامتياز ركك مرة واحدة) ، إنه وحيد ولكن دون تكبر
باكتفاء ذاتى دون غرور ، وصوته هو صوت سخريته من نفسه . منبوذ
وطريد بلا صديق ولا زوجة ولا حبيبة . أعزب ، وليس عليه
شائبة ، لا يملك من الأرض دعامة أو كهناً صحراوياً ، ليس محلاً لهجوم
المغريات ، ولا تسوطه الأحلام بسياطها ولا تغريه عينه . الإيمان والأمل
والحبة ليست له . بغاض للبشر ، ومع ذلك يعمل ستة أيام دون جزاء
من أجل المخلوق الذى يكرهه وهو مربوط بالأغلال للمخلوق آخر يحتقره
ويقضى اليوم السابع وهو يركل رفاقه أو تركاه . غير مفهوم حتى لدى ذلك
المخلوق . الذى يقوده ، الزنجى ، الذى تتشابه حوافزها وعمليات عقلها
إلى أقصى حد ، وهو يؤدى أعمالاً معادية في ظروف معادية . إنه يصنع
الخبز لا لجنس واحد بل لشكل شامل من أشكال السلوك ، متواضع ،
وتركته تؤخذ مع روحه بعيداً لتطهى في أحد مصانع الفراء . قبيح
لا يتعب ، ومشاكس لا يمكن التأثير عليه بالمنطق أو بالمداينة ولا بالوعداً والمكافأة ،
لأنه يؤدى واجباته المتواضعة الرتيبة دون شكاية والضربات نوابه . وعندما
يكون حياً ، يرفع العالم كله ذكره كرمز للسخرية العامة ، غير مبكى عليه ، غير
مكرم ، غير مثنى عليه ، ثم يترك عظام هيكله القبيحة المتهمة لتسلي بين
علب الصفيح التى يأكلها الصدا والأواني الفخارية المهشمة وإطارات السيارات
(٢١ - م)

البالية على سفوح التلال العزلاء ، بينما يصعد لمة حلقاً دون أن يدري في
زرقة السماء في حوصلات الصقور .

كانت تأوهات المعصرة وصريرها هي أول ما يصل أسماعهما من مس وهما
يقتربان من المكان إلا إذا كانت الريح تهب نحوهما ، وهنا تكون الرائحة
الحادة المثيرة المنتشرة من التخمير والعسل الأسود الذي يغلي . كان بايارد يميل
إلى هذه الرائحة ، وكانا يعضيان بسيارتهما ثم يتوقفان برهة بينما يسترق
الصبي الذي يزود المعصرة بعيدان القصب النظر لإيهما ، وهما يرقبان البغل
الصابر والمعجوز الذي ينحن فوق القدر المغلي . كان بايارد يخرج
من السيارة أحياناً ويذهب إلى الرجل ويتحدث إليه تاركاً نارسيما في
السيارة مغلقة في أريج السنة التي أوشكت على الانتهاء ، وفي أحزانها
العميقة الغامضة ، ونظرتها تتأمل بايارد والزنجي المعجوز أحدهما نحيف
وطويل وبه شباب يحوطه الشؤم ، والآخر أحنى الزمن ظهره ، وكانت روحها
تنطلق في موجات وقورة رتيبة ، تغلفه دون أن يعي .

ثم كان يعود ويجلس بجوارها قتلس ثيابه الخشنة ، ولكن برقة فلا
يحس بها ، ثم كانا يعودان في الطريق غير الواضح غير المستوى ، بجوار
الغابات المتباهية المزدهرة ثم يعبران منحى الخروب والبلوط ، إلى البيت
الأبيض البسيط الهائل الراسخ ، وقرص قر أيام الحصاد البرتقالى يطل
من فوق التلال البعيدة ، وقد فضج كقرص من الجبن .

وأحياناً كانا يعودان مرة أخرى بعد الظلام . حينئذ تكون المعصرة
صامتة وقد سكن ذراعها الطويل دون حركة وبرز في المشهد الذي تضيئه
النيران . كان البغل يجرش طعامه في إسطلبه أو يركله بقدميه ، ويتفحص
مزوده بضمه ، أو نائماً وهو واقف غير مشغول بالغد ، وظهرت أشباح
تتحرك في ضوء النار . لقد تجمع الزوج : عجائز من النسوة والرجال
جالسون على وسائل مطلققة من عيدان القصب من حول النار . كان
يزودها واحد منهم بالعيدان المعصورة وتمضي في هذا حتى تدوم ثورتها
المجنونة المحملة بالأريج وتعلق بألسنتها عروق الخشب فوق رؤوسهم ،

فزيد الأوراق الذهبية المتلاثلة ذهباً على ذهب ، ورجال وقتيات في سن الشباب ، وأطفال قاعدون في سكون كالحيوانات ، وهم يحملون في النار ، وكانوا يغنون أحياناً. أنفاما مرتعدة بلا كليات تندمج فيها الأصوات النائمة بالأصوات الجشة الخفيضة في توتر حزين أقدم من التاريخ ، وقد انحنت وجوههم المعتمة الجادة على السنة النيران بلا حركة في الشفاه .

إلا أن الغناء كان يتوقف عند وصول الناس البيض ، ويستلقون أو يجلسون من حول النار التي يغلي من فوقها القدر الأسود ، وهم يتحدثون في همس متقطع منغم ، متطلع إلى المرح المشيع بالحزن ، بينما يضطجع الشبان والفتيات على فرش ظلية بين عيدان القصب الجافة الهامسة ، كانوا يتحدثون همساً ويضحكون .

ودائماً كان أحدهما ، أو كلاهما معا يعرج على المكتب ليجد بايارد العجوز ومس جيني تحت الضوء المنبعك من وهج المدفأة بجريدها اليومية المثيرة ، وبايارد العجوز وقدماه في خفيهما مستندان على جدار المدفأة ، ورأسه مكلل بالدخان والسكراب العجوز يحلم من آن إلى آخر بجوار المقعد ، ربما كان يعيش أياما متكبرة عتيقة مرة أخرى ، ربما كان يمضي بالحلم إلى ما قبل ذلك ، إلى أيام صباه الخرقاء العجفاء ، عندما كان العالم مملوءاً بالروائح التي كانت تثير الجنون في دمه . حينئذ لم تكن الكبرياء قد علمته ضبط النفس . ومهما بايارد ونارسيسا ، ونارسيسا تحلم أيضاً في ضوء النار ، وهي وقورة هادئة ، وبايارد الصغير يدخن سيجارته في لحظة استرخائه المغللة القائمة .

وأخيراً يرمي بايارد العجوز سيجاره في المدفأة ، ويهبط بقدميه على الأرض ويستيقظ السكراب ويرفع رأسه ويرمش بعينه وبتشاب بتان واضح إلى الدرجة التي كانت تحصل نارسيسا ، وهي ترقبه ، تشاب أيضاً .
« جيني هيا » .

ثم تضع مس جيني صحيفتها جانبا وتقف ، وتقول نارسيسا « دعيني دعيني

أذهب ، إلا أن مس جيني لم تكن تسبح لها قط ، وتعود بصينية عليها ثلاثة أكواب ، فيفتح بايارد العجوز مكتبه ويخرج الدورق ذا الغطاء الفضي ويعد ثلاثة كئوس من الشراب بعناية ، وكأنه يؤدي طقوسا دينية .

ومرة أغراها على ارتداء ملابس الصيد الخاكية والأحذية الطويلة وأخذها في رحلة لصيد حيوان المتأوت . كان كازبي في انتظارهم عند البوابة المؤدية إلى الساحة الحالية ويحمل على كتفه فانوسا حجب نوره إلا من خطوط رفيعة وبوقا وإيزوم ومعه زكية من السكتان ، وفأس وأربعة كلاب صيد متحفزة بدت كالأشباح في عتمة الليل وبدوا رحلتهم بين جرون شبحية من القمح ، وكان بايارد يصيد منها كل يوم عددا من طيور السمان وانجهوا إلى الغاية .

سأل بايارد كازبي : من أين تبدأ الليلة ؟

من وراء مكان العم هنري يوجد واحد هناك في تسكيبية الضرب خلف عزن القطن طارده بلو حتى هناك ليلة أمس .

سألته نارسيسا : من أين لك العلم إنه لا يزال هناك ؟

أجاب كازبي بثقة : لا بد أن يكون هناك إنه هناك الآن بالفعل يرقب هذ المصباح بعينيه المتطلعيتين وينصت ليعرف إن كانت الكلاب معنا .

وتسلقوا سياجا وانحنى كازبي ووضع الفانوس على الأرض وتزاحمت الكلاب وتجاذبت حول قدميه . وهي تشم وتدمدم على بعضها البعض في أصوات حنجيرية مسكتومة وهو يفك قيودها . أنت ، روبي ، قف هادئا مكانك أنت بالاعق الأواني . . . الأحق . . . كف . . .

إلا أنها ظلت تمهم وتمدافع . وقد لمعت أعينها في نظرات سريعة سائلة ، ثم غاصت دون صوت وبسرعة في الظلام واختفت . قال كازبي : أعطها فسيحة من الوقت ، دعها تر إذا كان قد عاد إلى هناك . ثم نبح كلب ثلاث مرات بصوت حاد من الظلام . . .

قال كازبي ، هذا نباح الكلب الصغير ؛ إنه يستعرض نفسه فقط لم يشتم شيئا . ، وقد سبحت النجوم فوق رؤوسهم بغموض في السماء الشاحبة ، لم يكن الهواء قد أصبح بارداً بعد ، كانت الأرض ولا تزال دافئة على ملس اليد . وقد وقفوا في واحة مستقرة من ضوء الفانوس في عالم من بعد واحد ، مستودع غامض من الظلام يملو ، بالضوء الواهن وغطاؤه مظلة بلا حافة من النجوم البالية . كان الدخان ينبعث من الفانوس ويترك رائحة حرارة خفيفة ثم رفعه كازبي وخفض شعلته ووضعها عند قدميه مرة أخرى ثم من الظلام جاء عواء وحيد رنان ومنخفض وجاد قال إيزوم ، إنه هناك ، .

قال ، كازبي مؤيداً ، هذا روبي ، والتقط الفانوس ، لقد أمسك به ، وعوى الكلب الصغير مرة أخرى بهستيرية مجنونة ، ثم تلات الصيحة الوحيدة المنخفضة فوضعت ناريسيسا ذراعها في ذراع بايارد ، ولكن كازبي قال ، لاداعي للمجلة لم يجدوا أثره بعد ، ثم رفع صوته وأرسل نداءً طويلاً ممدوداً للكلاب . كان الكلب الصغير قد توقف عن العواء ، ولكن الآخر ظل يرسل على فترات عواؤه الوحيد المميز ، ومضوا في أثره وأرسل كازبي نداءه الطويل إلى الكلاب .

وتعشروا قليلاً في حفر الأرض الشاحبة التي خلقتها أسنان المحاريث ، وهم ماضون وراء فانوس كازبي الصاعد الهابط ثم امتلأ الظلام فجأة بصيحات قصيرة هادئة في أربعة أصوات مختلفة . قال إيزوم .
« وجدوه ، »

قال كازبي مؤيداً ، هذا صحيح فلنذهب . أمسكي به يا كلاب ، وأسرعوا خطوهم ، وناريسيسا متعلقة بذراع بايارد ، ثم اندفعوا خلال أعشاب عطنة ثم فوق سياج آخر ثم بين الأشجار ولعلت عيون الماحة من الظلام ثم عاصفة أخرى من النباح تخلفتها همهمات متوترة قلقة وماجت الكلاب بين ظلال متعشرة نصف مضاة . قال كازبي ، إنه هناك فوق ، وبلو العجوز يراه ، .

قال إيزوم « هذا كلب العم هنرى أيضاً » .
زام كازبى وقال « كنت أعرف أنه سيكون هنا . لم يعد يستطيع أن يطارد ممتاوتا ، ولكن دع أى كلب يطارد ممتاوتا حيثما يستطيع أن يسمعه . »
ثم وضع الفانوس فوق رأسه ، وسدد عينيه إلى الساق المغلفة بأغصان العنب وأخرج بايارد من جيبه مصباحاً كهربياً ووجه حزمة ضوئه إلى الشجرة . وقد جلس الكلاب الثلاثة : الأكبر سناً ، وحيوان العم هنرى العتيق الذى أكلت الشيوخوخة منه فى حلقة متوترة بالقرب من الشجرة ، وهى تهمهم أو تعوى فى دفعات بينها فترات قصيرة ، ولكن الكلب الصغير ظلى يعوى بانتظام فى دفعات هستيرية مجنونة . صاح كازبى آمراً ، « اضرب هذا الكلب حتى يسكت . »

صاح إيزوم ، أنت ، جنجر ، اقفل فك ، ثم وضع فأسه وجرارته على الأرض وأمسك بالكلب ووضعها بين ركبتيه . وتحرك كازبى ، وبايارد ببطء من حول الشجرة ، وبين الكلاب القلقة وتبعهم ناريسيا .

قال كازبى ، « هذه الأعشاب كثيفة جداً فوق هذه الشجرة . . . »

قال بايارد فجأة « هذا هو ، وجدته ، ثم صوب مصباحه وتحرك كازبى من ورائه ونظر من فوق كتفه .

وسألت ناريسيا ، أين ؟ هل تستطيع أن تراه ؟

قال كازبى مؤكداً ، « هذا صحيح هو هناك . روبي لا تكذب .

عندما تقول إنه هناك يكون هناك . »

قالت ناريسيا مرة أخرى ، « بايارد ، أين هو ؟ ، فأوقفها أمامه

وصوب مصباحه من فوق رأسها إلى الشجرة ، وهنا حملقت فيها ، من

بين أغصان العنب المتكاثفة ، نقطتان حمراوان من النيران ، لا تبعدان

عن بعضهما البعض عرض ثقاب ، ثم طرفنا ، ثم أضاءنا مرة أخرى .

قال كازبى ، « إنه يتحرك . ممتاوت صغير . إيزوم ، اصعد إليه

واطرده من مكانه . وثبت بايارد ضوء مصباحه على عين الحيوان ،
ووضع كازبي فانوسه على الأرض ، وجمع الكلاب حول ساقيه . تسلق
ليزوم الشجرة واختفى في أغصان العنب المتكاثفة ، إلا أنه كان في
استطاعتهم تتبع حركته من خلال الأغصان المهترزة وكلماته اللاهثة ، وهو
يهدد الحيوان بخليط من ألفاظ المداهمة والأقسام المغلظة .

وقال وهو يصر على أسنانه ، هاه . لن أؤذيك . لن أفعل بك
شيئا إلا أن ألقى بك في إناء الطمو . انتبه ، أيها السيد ، أنا قادم
إليك ، ثم مزهد من الضوضاء ، ثم توقفت . وكان في استطاعتهم أن
يسمعوه وهو يزيح الأغصان بحذر ثم هتف فجأة ، هذا هو . أمسك
هذه الكلاب الآن .

سأل كازبي ، صغير أليس كذلك ؟

لا أستطيع أن أعرف . لا أستطيع أن أرى إلا وجهه . راقب
هذه الكلاب . ثم انفجرت الأغصان العليا في غضبة مجنونة مستمرة ،
وعلا صياح كازبي أكثر وأكثر وهو يمز الأغصان ، ثم هتف
هو . . . لقد خرج ، ثم تساقط شيء غير مرئي ببطء وتردد من
غصن إلى غصن آخر ، وتوقفت وأحدثت الكلاب صخبا مضغوطا .
سقط الشيء مرة أخرى ، وتبع ضوء مصباح بايارد شيئا ثقيلًا متكثلا
سقط على الأرض فأحدث اصطدامه بها صوتا مكتوما ثم اختفى على الفور
تحت دوامة من الكلاب .

وثب كازبي وبايارد على الفور إلى وسطها وهما بتصايحان ، ونجحا
أخيرا في جرحرتها بعيدا . ورات نارسيسا الحيوان في بحيرة من ضوء مصباح
بايارد ، مستلقيا على جنبه ، وجسمه منحني في قوس مبتسم ، وعيناه
مغمضتان ؛ ويداه المراءوان اللتان تشبهان يدي طفل مقوستان على
صدره . نظرت إلى الشيء الساكن دون حركة بعطف واشمئزاز واضح .
وذلك التناقض ، الابتسامة الماكرة التي تشبه جمجمة منشقة ، وتلسكا

اليدين الدقيقتان اللتان تشبهان يدي إنسان ، وذلك الذيل الطويل ، ذيله الذي يشبه ذيل الفأر . وقفز إيزوم من فوق الشجرة ، وسلم كازبي الكلاب الثلاثة المناضلة الثائرة إلى ابن أخيه ، والتقط الفأس ، وبينما كانت ناريسا ترقبه بتطلع ووجل ، وضع الفأس فوق عنق الحيوان ، وقدمه على طرفي ذراعها ، وقبض على ذيل الحيوان . واستدارت وفرت وقد أطبقت يديها على فها .

إلا أن سور الظلام أوقفها ، فوقفت مكانها ترتعد ، وبها غشيان قليل ، ومضت ترقبهم وهم يتحركون من حول الفانوس - ثم طرد كازبي الكلاب ، وأعطى كلب الم هزى العجوز ركلة قوية رنانة أرسلته إلى بيته ، بعويل مذهل يجمد الدم في العروق ، وطوح إيزوم الفرارة المتكتلة فوق كتفه . واستدار بايارد وبحت عنها ، ناريسا ؟

قالت ، ، هنا ، فذهب إليها .

، هذا واحد . ينبغي أن نحصل على اثني عشر الليلة ، .

قالت وهي ترتعد ، ، أوه... لا ، فنظر إليها بحمقا وهو يردد متسائلا ، لا ، ثم أضاء مصباحه فجأة وسقط ضوءه على وجهها . فرفعت يدها ووضعتها جانبا .

، ما الأمر ؟ أنت لم تتعبى بعد ؟

قالت ، ، لا . فقط أنا . . . هيا بنا ، سيتركونا وراهم ، .

قادم كازبي إلى الغابات ، وكانوا يمشون على حفيف أوراق الشجر الجافة وطققة شجيرات الغابة . تجاسمت الأشجار في ضوء الفانوس ، ومن فوقهم ، ومن بين الأغصان المتضائلة كانت النجوم تسبح في السماء الصامتة الغامضة . كانت الكلاب في مقدمتهم ، ومضوا بين جذوع الأشجار المشاعخة منحدرين إلى أحاديدي لمعت رمالها في بحيرة نور الفانوس ، وتجاسمت فيها ظلال قدمي كازبي ، وكأنها مقصات هائلة تنفتح وتغلق ، وشقوا

طريقهم خلال أدغال ذوات أشواك من الورد الوحشي صاعدين إلى الجانب الآخر .

قال كازبي مقترحا ، « الأفضل لنا أن نمضي بعيداً عن قاع النهر ، فقد يقومون على حيوان الراقون ، فلا يعودون إلى البيت قبل طلوع النهار ، ثم شق طريقه مبتعداً نحو الأرض المكشوفة مرة أخرى ، وخرجوا من الغابة ، وعبروا حفلا من نبات الحلفاء ، تفوح منه رائحة الشمس والغبار ونمشي فيه على ضوء المصباح قليلا . وفتف كازبي بالكلاب - دخلوا الغابات مرة أخرى . وقد بدأ التعب يأخذ طريقه إلى نارسيسا ، ولكن بايارد مضى مسرعا بتجاهل رفيع لهذه الإمكانية ، ونبعته دون شكاية . وأخيراً ، ومن مكان بعيد جاءت تلك الصيحة الرنانة الوحيدة . توقف كازبي وقال ، « فلنر في أي اتجاه يمضي ، ووقفوا في الظلام ، في انحدارة السنة الحزينة المقرورة قليلا نحو نهايتها . وقفوا بين الأشجار ، ينصتون ثم صاح كازبي « هو . . . ي ، امض إليه وامسك به ، .

وأجاب الكلب ، وتحركوا مرة أخرى ببطء ، متوقفين من لحظة إلى أخرى - لينصتوا ، وعوى الكلب ، كان ثمة صوتان الآن وبدوا وكأنهما يتحركان في دائرة عبر اتجاههما . ونادى كازبي ، « هو . . . ي ، وصوته يفيض في أصدااء متعاقبة بين الأشجار ومضوا . ومرة أخرى تكلمت الكلاب ، وقد ابتعد نصف الدائرة عن مكان صيحتها الأولى . قال كازبي إنه يسحبهم وراه إلى المسكن الذي جاء منه . الأفضل لنا أن ننتظر حتى يوقفوه . ووضع الفانوس على الأرض ، وقعد بجواره ، ووضع إيزوم حله على الأرض ، وقعد أيضاً وجلس بايارد مستنداً إلى جذع شجرة ، وشد نارسيسا وأجلسها بجواره . وعوت الكلاب مرة أخرى ، ولكن من مكان أقرب وتطلع كازبي في الظلام نحو المسكن الذي جاء منه الصوت .

قال إيزوم ، « أظنه راقونا أمسكوا به ،

« ربما يكون راقونا جبلياً ،

« إنه متجه إلى تلك الشجرة ذات الجذع الأجوف ، أليس كذلك ؟ »

« يبدو كذلك . ، وأنصتا ، دون حركة . قال كازبي ، « سيكون لدينا من العمل ما يشغلنا ، إذن . . ثم صاح ، « هو . . . » كانت ثمرة برودة خفيفة في الجو ، ذلك أن الأرض قد بدأت تفقد حرارة النهار ، واقتربت نارسيسا من بايارد . أخرج علبة سجاريه من جيبه وأعطى كازبي واحدة وأشعل أخرى لنفسه . جلس إيزوم على عقبه ، وكانت عيناه تدوران وبياضهما يلمع في ضوء الفانوس .

قال « أعطني واحدة ، أرجوك يا سيدي ،

قال كازبي ، « يا ولد ، ليس من شأنك أن تدخن ، ولكن بايارد أعطاه واحدة ، ثم قعد على عجيزته النجيلية ، أمسكا اللقافة البيضاء بنجيل بيده السوداء المترددة ، ثم جاء صوت حركة وراهم بين الأوراق وهممة متوترة ، ثم جاء السكيب إلى ضوء الفانوس ، وانزلق إلى ساقى كازبي ، وهو يحدث هممة رفيعة ، ونظرات عينيه الفسفورية المترددة من مكان إلى مكانه . قال كازبي ، وهو يهبط بيديه على رأسه « ماذا تريد ؟ شيء ما أفزعك هناك ؟ ، وثني السكيب الصغير جسمه النجيل ؛ وتحسس بضمه يد كازبي ، وهو يعوى بصوت خافت . قال كازبي ، « لا بد أنه قد وجد دبا هناك . ألا تساعدك تلك الكلاب الأخرى على الإمساك به ؟ ، .

قالت نارسيسا ، « يا للسكين الصغير . كازبي ، أظنه رأى ما أفزعه فعلا ؟ بوبي ، تعال هنا . .

قال كازبي ، « كل ما فعلته الكلاب الأخرى هي أنها ذهبت وتركته . . وعرك السكيب الصغير جسمه بنجيل في كازبي . ثم تسلفه ولحق وجهه .

صاح كازبي ، « انزل من هنا ، ورمي السكيب بعيداً فوقع على الأوراق الجافة بعرض جسمه ثم قام على أقدامه ، وفي هذه اللحظة غوت

الكلاب في الظلام مرة أخرى عواء رقيقا رنانا يمزا ودار الجرو حول نفسه كالدوامة وأسرع وهو يعوى بصوت حاد إلى مصدر الصوت. وبعوت الكلاب مرة أخرى ، وأنصت لإيزوم وكازبي .

قال كازبي ، « نعم يا سيدي . إنه متجه إلى هذه الشجرة التي هناك ، .

قالت نارسيسا ، « كازبي ، أنت تعرف هذه المنطقة كما تعرف ساحة البيت الخلفية ،

« نعم ياسيدي . ينبغي عليّ اختراقها أكثر من مائة مرة منذ أن ولدت . مستر بايارد يعرفها ، أيضا . ما زال يصيد حيواناتها منذ زمن طويل مثلي . تقريبا . هو ومستر جوني قبل ذلك . أرسلتني مس جيني معهما عندما حصلنا على أول بندقية لها ، أنا وتلك البندقية ذات المسورة الواحدة ، التي اعتدت أن أربطها بخيط مستر بايارد ، هل تذكر تلك البندقية العتيقة ذات المسورة الوحيدة ؟ إلا أنها كانت تصيد . وما أكثر الثعالب التي اصطدناها في هذه الغابات ، والأرانب أيضا ، كان بايارد قد أسند ظهره إلى جذع شجرة ، كان يحملق بعيداً ، إلى قم الأشجار والسماء الناعمة من ورائها وسيجارته تحترق ببطء . بين أصابعه . نظرت إلى جانب وجهه كان كئيبيبا في وهج الفانوس ، وتحركت قليلا واقتربت منه . إلا أنه لم يستجب ، ووضعت يدها برقة في يده . إلا أنها كانت أيضا باردة ، ومرة أخرى هجرها ليذهب إلى مرتفعات بأسه الموحشة . كان كازبي يتكلم في صوته البطيء . غمير بارز الحروف والكلمات ، الذي تفيض من فوهة نغمة الحزن الرقيق . « مستر جوني ، بالتأكيد كان يستطيع إصابة الهدف . أتذكر ذلك الوقت ، حينما كنا أنا وأنت وهو . . . »

وقف بايارد . رمى سيجارته وسحقها بعناية بكعب حذائه . قال : « هيا بنا الكلاب لا تتجه إلى شجرة هناك ، وأمسك يد نارسيسا وشدها

إلى قدميها ، واستدار ، ومضى . وقف كازبي ، وأمسك بوقه من فوق كتفه ووضع على شفتيه . وانطلق الصوت من حولهم ، جاداً وواضحاً وممتداً ثم مات في أصداؤه وانتهى إلى الصمت مرة أخرى ، غير تارك وراءه ثمة اهتزازات في الظلام الصامت .

كانت قرابة منتصف الليل عندما تركا كازبي وإيزوم عند كوخهما ومضيا في المرح متجهين إلى البيت . وتشاخ الجرن في الظلام بجوارهما ، والبيت أيضاً بين أشجاره المتناقصة ومن وراءه السماء الشاحبة . فتح البوابة ومرت منها وتبعها وأغلقها واستدار ووجدها بجواره ، وتوقف . همست ، بايارد ؟ ، واستندت إليه . وأحاطها بذراعيه ووقف هكذا . وهو يتطلع من فوق رأسها إلى السماء . أخذت وجهه بين كفيها وجذبت برقة إلى أسفل إلا أن شفتيه كانتا باردتين ، وذابت من فوقهما طعم القدر المشوم ، وظلت متعلقة به لحظة ، وقد انحنت رأسها على صدره .

وبعد ذلك كانت ترفض أن تصحبه إلى الصيد . ولذا كان يذهب وحده ، ليعود في أي وقت بين منتصف الليل والفجر لينخلع ملابسه في الظلام بهدوء وينزلق بحذر إلى الفراش إلا أنها كانت تلمسه عندما يجثم عليه السكون وتنطق وهي بجواره باسمه في الظلام ، وتستدير إليه دافئة ناعمة والنوم في عينيها وهكذا كان يضطجمان وقد أمسك كل منهما في الظلام بالآخر ، في لحظات عابرة توقف فيها بأسه وانقشع ذلك المصير المشوم الذي ينتظره فلم يكن يستطيع منها فراراً .

قالت مس جيني بسرعة وبألفاظ واضحة . وأمامها إناء الحساء ، لقد ذهبت فتسالك وهجرتك وتستطيع الآن أن تجد الوقت اللازم للخروج لزيارة أهلك . أليس كذلك ؟ ،

ابتسم هوراس ابتسامة صغيرة وقال ، إذا قلت الصدق ، فقد جئت لأحصل على بعض الطعام لآكاه . لا أظن امرأة واحدة من عشر نساء لديها القدرة على إدارة شؤون البيت ، إلا أن مكاني ليس بالتأكيد في البيت ،

قالت مس جيني وهي تصحح عباراته ، أنت تعنى أنه لا يوجد بين الرجال واحد من كل عشرة لديه ما يكفي من الحكمة للاقتران بامرأة تجميد الطهي ،

، ربما يكون لديهم من الحكمة والتقدير الآخرين ما يمنعهم من إفساد الطاهيات البارعات ، .

قال بايارد الصغير ، نعم حتى الطاهية تترك العمل عندما تتزوج ، .
قال سيمون ، ، هذه هي الحقيقة ، وقد وقف مستنداً إلى صوان الحائط وتمطى قليلاً . كان يرتدى قيصاً لا لون له بلا بنيقة وسراويل يوم الأحد (كان يوم الشكر) وتفوح منه رائحة خفيفة من الويسكى بالإضافة إلى روائحه الطبيعية ، قال موافقاً . ، كان على أن أجد ليوفروني مكاناً جديداً تعمل فيه طاهية في الشهرين الأولين من زواجنا ، .

قال دكتور بيبودى ، ، سيمون ، لا بد وقد تزوج طاهية شخص آخر ،
قالت مس جيني ، ، أفضل أن يتزوج المرء بطاهية شخص آخر على أن يقترن بزوجه ، .

هتفت بها نارسيسا مؤنبة ، مس جيني . أرجوك ، .

قالت مس جيني على الفور ، أنا آسفة . هوراس ، لم أفصذك بما قلت ، إنها مجرد فكرة عبرت رأسي . لوش بيبودى كنت أتحدث إليك . أنت تظن ، مجرد أنك أكلت معنا في أعياد يوم الشكر وأعياد عيد الميلاد لمدة ستين عاماً ، أنك تستطيع أن تأتي إلى بيتي وتسخر مني ، أليس كذلك ؟ ،

قالت نارسيسا مرة أخرى ، ، مس جيني اسكتي ، ووضع هوراس ملعقته ، ووجدت يد نارسيسا يده تحت المائدة .

قال بايارد العجوز ، ، ما هذا ؟ ، كانت فوطته مثبتة فوق صدره . فأعاد ملعقته وأحاط أذنه بكفه .

قال بايارد الصغير لا شيء . العمة جيني والدكتور يتعاركان مرة
أخرى ، سيمون تيقظ ، تحرك سيمون ورفع أطباق الحساء ، ولكن
بتكاسل ، ذلك أن اهتمامه كان موجها إلى العراك .

واندفعت مس جيني تقول : نعم . أجرد أن ذلك الأحق العجوز
ويل فولز وضع شحم العجلات على بروز صغير في وجهه دون أن يقتله
ينتحم عليك أن تتجول بيننا وقد اتفخت بالاختيال وكأنك كلب مسموم ؟
وماذا كان شأنك بهذا الورم ؟ أنت بالتأكيد لم تعالجه .

. . ربما تكون قد قرأت بعض التعاويذ لتبرزه على وجهه في
البداية سأل دكتور بيوي سيمون بركة ، سيمون أليس لديك قطعة من الخبز
أو من أى شيء آخر تستطيع مس جيني أن تضعها في فمها ؟ ، حملت
فيه مس جيني برهة بوحشية ، ثم ارتدت في مقعدها بعنف .

أنت ، سيمون اهل مت ا ، وجمع سيمون الأطباق وحملها
خارجا ، وجلس الضيوف وكل منهم يتحاشى أن تلتقى عيناه بعيني الآخر
بينما ظلت مس جيني تنفث النيران والحجم ، وهى جالسة وراء متاريسها
المكونة من الفناجين والقناني والقوارير والأشياء الأخرى .

قال بايارد العجوز مرة أخرى ، ويل فولز ، جيني ، قولى
لسيمون ، عندما بعد تلك السلة أو يأتي إلى مكنتي ، لأن لدى شيئا
يجب أن يوضع فيها ، تلك كانت زجاجة الويسكى التي كان يضيفها إلى
سلة العجوز فولز التي يأخذها في عيد يوم الشكر وعيد الميلاد ، والتي
كان العجوز يقسمها في أيام الأعياد هذه بالملعقة ، بقدر ما تكفى بين
زملائه من الكهول والمشردين ودائما كان بايارد العجوز يذكرها بأن
تقول لسيمون شيئا لم يغفل عنه أيهما .

قالت ، وهو كذلك ، وعاود سيمون الظهور بمقعم قهوة فضى
هائل ، ووضعه بجوار مس جيني وارتد إلى المطبخ .

سألت عامة الضيوف ، كم عدد من يريدون قهوة منكم ؟ بايارد
لن يستطيع أن يجلس ليتناول وجبة لا تصحبها القهوة أكثر من
استطاعته الطيران . هوراس ، هل تريد ؟ ، ورفض دون أن تنظر
إلى دكتور بيبودى ، قالت له ، أحسبك ستأخذ القليل منها ، أليس
كذلك ؟ .

أجاب بركة ، ، إذا لم يكن في هذا إزعاج لك ، وطرف بعينه
إلى نارسيسا ووضع على وجهه رسم الاكتئاب والحجل . أخذت
مس جيني فنجانين ، وظهر سيمون بقارب هائل محمول ببطولة ومغامرة
فوق رأسه ووضعها أمام بايارد المعجوز بحركة استعراضية عريضة .

قال بايارد الصغير ، ديا لى . سيمون من أين حصلت على حوت في هذا الفصل
من السنة ؟ ١ .

قال سيمون ، نعم هذه هي السمكة ، (وكانت سمكة طولها ياردة
وعريضة كدثار سرج) وكان لونها أحمر بهيجا ، وقد استلقت في القارب
فاغرة فاها ، وكانها تقمقه جذلة في مرح غامر .

قال بايارد المعجوز ، عليها اللعنة جيني لأى سبب أردت أن تعدى
هذا الطبق ؟ من الذى يريد أن يزحم معدته في نوفمبر بالسمك ، والمطبخ
مملوء بالسناجب والديكة الرومية والمتماوتات ؟ .

قالت على الفور ، يوجد آخرون غيرك في البيت ممن يأكلون . إذا
كنت لا ترغب فيه لا تأكل منه . اعتدنا أن نطهو سمكا دائما في بيتنا
في هذه المناسبة إلا أنك لا تستطيع أن تبعد هؤلاء الريفيين من أهل
المسيحي عن الخبز واللحم ولو في سبيل إنقاذ حياتك . سيمون هيا ،
ووضع سيمون صفا من الأطباق أمام بايارد المعجوز ، ثم جاء بصينية
ووضعت عليها مس جيني فنجانى قهوة ، ثم قدمها إلى بايارد المعجوز
ودكتور بيبودى ، وأخذت مس جيني فنجانا ودار سيمون بالسكر
والقشدة وقطع بايارد المعجوز السمكة وهو يدمدم بصوت أجش .

قال دكتور بيودي ، لم أجد في أى فصل من فصول السنة ما يدعونى للشكوى من أكل السمك .

قالت مس جيني في الحال ، لن تجد ، ومرة أخرى طرف بعينه بوضوح لنارسيسا ثم قال ، كل ما فى الأمر أتى أرغب فى صيد أسماكى بنفسى ، من بحيرتى الخاصة . أسماكى لها قيمة غذائية أكبر ، .

سأل بايارد الصغير ، وأمازلت تحتفظ ببجيرتك الخاصة يا دكتور .

نعم إلا أن الصيد لم يكن جيداً هذا العام . أصيب أب بالإنفلونزا فى الشتاء الماضى ، ومنذ ذلك الوقت وهو يقضى وقته نائماً وعلى حسابى ويتحتم على دائماً أن أجلس هناك وأنتظره حتى يستقيظ فأخرج السمك من الماء وأضع طعاماً جديداً ولكن أخيراً فكرت فى ربط خيط الشص بساقه وطرفها الآخر بالدكة ، وعندما تهمز عوامة الصنارة فإن كل ما على هو أن أشد الخيط ، وأيقظه . بايارد ، يبنى عليك أن تصحب زوجتك يوماً وتأتى . لأنها لم تر بحيرتى أبداً .

سأل بايارد نارسيسا ، أنت لم تريها ؟ ، وكانت لم ترها ، أحاطها بدكك من جميع الجهات وامتدكات للأقدام من أمام الدكك ، وسياج مرتفع بقدر ما يسمع لك بأن تسندى قصبه الصيد عليه وزنجى لكل صياد ، ليضع الطعام فى شصه ، ويخرج له السمكة من الماء . لا أفهم لم تطعم كل هؤلاء الزوج يا دكتور ؟ .

لقد ظلوا معى سنين طوالاً بحيث إننى لا أعرف كيف أتخلص منهم اللهم إلا إذا أغرقتهم فى البحيرة ومع ذلك فإن إطعامهم هو المشكلة الكبرى منذ زمن طويل - هذا هو السبب فى تناولى الطعام خارج البيت كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً . إن كل وجبة مجانية أحصل عليها أشبهه بنصف يوم عطلة بالنسبة لرجل عامل ، .

سأله نارسيسا ، دكتور ، كم عدد من عندك من الزوج ؟ .

قال : « لا أعرف بالضبط . لدى ستة أو سبعة مسجلون رسمياً ،
إلا أنني لا أعرف عدد المتسكعين الذي يقيمون عندي . كل يوم تقريباً
أرى طفلاً وليداً جديداً ، ،

وكان سيمون يرقبه باهتمام شامل .

سأله : « دكتور ألا يوجد لديك ثمة مكان آخر شاغر . أنا أكادح
هنا اليوم بطوله كالعبد ، لأعد لهم طعامهم وغير ذلك ، .

سأله دكتور بيودي بهدوء : « هل تستطيع أن تأكل كل يوم سمكاً بارداً
وخضاراً ؟ » . أجاب سيمون بشك ، « حسناً ياسيدي ، لست واثقاً من
هذا تماماً . أكلت السمك يوماً حتى سئمته ، كنت حينئذ رجلاً في مقتبل
العمر . ومنذ ذلك الحين لم تعد معدتي تصلح له . »
« حسناً : هذا كل ما عندنا في البيت لتأكله . »

قالت مس جيني « سيمون ، حسناً ، وكان سيمون مستنداً في سكون
إلى صوان الجدار وهو يرقب دكتور بيودي بدهشة وعجب .

« وأنت تحتفظ بينيتك الضخمة بأكل السمك البارد والخضر ؟ إنني
ياسيدي سأصبح في أسبوعين هيكلًا من العظام على مثل هذا النوع من
الطعام . بالتأكيد سأكون ، رفعت مس جيني صوتها بحدة « وسيمون ، ثم
قالت « لوش ، لم لا تدعه وشأنه ، حتى يستطيع أن يقوم بعمله ، وخرج
سيمون من لحظة تجليه فوراً ، وحمل السمكة من على المائدة وتحت المائدة
وضعت نارسيسا يدها في يد هوراس مرة أخرى .

قال بايارد الصغير « أيتها العمدة جيني ، كفي عن مضايقة الدكتور ،
ثم لمس ذراع جده « ألا تستطيع أن تجعلها تدع الدكتور وشأنه ؟ » .
سأل بايارد العجوز « جيني ، ماذا يفعل ؟ ألا يريد أن يأكل طعامه ؟
أجابت مس جيني « إن يحصل أحد منا على شيء ليأكله إذا ظل جالساً هنا
يتحدث مع سيمون عن السمك البارد وأوراق اللفت . »

قالت نارسيسا ، مس جيني ، لا احسبك إلا خسيمة إذ
تعاملينه هكذا .

أجاب دكتور بيبودي ، حسنا ، لأنها تزودني بشيء يتحتم على أن
أشكرها من أجله ، إنك رفضت أن تأخذيني عندما سنحت لك الفرصة ،
ثم قال لهم ، مرة ذهبت وعرضت على جيني الزواج .

قالت مس جيني ، أنت أيها الكاذب المعجوز أشيب الشعر . أنت لم
تفعل قط مثل هذا الأمر أبدا .

، أوه نعم فعلت . كل ما في الأمر أنني فعلته من أجل جون
سارتورس قال لي إن لديه من المتاعب أكثر مما يستطيع أن يتحمل ،
مع انشغاله بالنشاط السياسي ، هل تعلمون .

، لوش بيبودي ، أنت أكبر كذاب في العالم .

، وكبت أن أصل إلى إقناعها . حدث هذا في ذلك الربيع الأول
عندما أزهرت تلك الأعشاب التي أحضرتها معها من كارولينا لأول مرة
وكانت ليلة مقمرة وكنا في الحديقة . وكان ثمة ببناء يعني ... ،

صرخت مس جيني . ، ما من شيء كهذا . لم يحدث قط .

قال دكتور بيبودي ، انظروا إلى وجهها إن كنتم تعتقدون أنني
أكذب .

وردد بايارد الصغير بعد لحظة ، انظروا إلى وجهها . لقد احمرت
وجنتاها خجلا ، وكانت كذلك . ولكن وجنتها كانتا كاليبارق .
ورأسها عال ، في خضم الضحك الصاخب ، ووقفت نارسيسا وذهبت
إلها وأحاطت كتفها المعتدلتين الأنيقتين بذراعيها . وقالت . ، أتم .
استكتوا جميعا حالا . خير لكم جميعا أن تعتبروا أنفسكم من المحظوظين
عندما تقبل ابنا الزواج منكم على الإطلاق . بل إننا نظريكم عندما نرفض .

قال دكتور بيبودى ، أنا ضحية الإطراء . وإلا ما كنت أرمل
الآن .

قالت مس جيني ، ومن الذى لا يصبح أرمسل إذا كان فى حجم
برميل كبير . ويعيش على السمك البارد وخضر اللفت ، ثم قالت
لنارسيسا ، اجلسى يا حبيبتي . أنا لا أخاف رجلا يمشى فى الأرض ،

عادت نارسيسا إلى مقعدها . وعاود سيمون الظهور من جديد . ومن
ورائه إيزوم . وفى الدقائق القليلة التالية . ظلا يتحركان بانتظام بين
المطبخ وغرفة الطعام بديك روى محمر وفخذ خنزير مقعد وطبق من
طيور السمان . وآخر من السناجب ومتماوت مشوى على فراش من
البطاطس والقرع والبنجر المخلل . وآخر من البطاطس العادية والبطاطس
الأيرلندية . والأرز والقمح الهندى المقشور المسروق والبسكوت الساخن
والمضروب . وقضبان رقيقة طويلة من خبز القمح والكريز والكشرى
المحفوطة ومرببات السفرجل والتفاح . ويحنة التوت البرى والخوج المملح .

ثم توقفوا عن الكلام برهة وأكلوا بالفعل وهم يتطلعون من
حين إلى حين عبر المائدة إلى بعضهم البعض . وهم فى وهج وردى من
الوداد والروائح المتصاعدة مع الأبخرة . وكان إيزوم يدخل من لحظة إلى
أخرى بالخبز الساخن بينما وقف سيمون يشرف على الميدان تماما .
وبشكل ما كما وقف قيصر . ولا بد لينظر من فوق المرتفعات على بلاد
الغال . بعد أن أصبحت فعلا بين يديه .

قال دكتور بيبودى بعد أن تنهد قليلا . وبعد سيمون ، أحسبني
أستطيع أن آخذك عندي ، وسأجد لك قطعة من اللحم حين إلى آخر .

قال سيمون ، أظنك تستطيع ، وظل يرقبهم وكأنه قائد جيش ذو
عينين صقريتين على استعداد لقف الاحتياطى إلى المراكز المهددة ،

ضاغطا عليهم بالمزيد من الطعام عندما تخاذلت قوام لكن حتى
دكتور بيودي سمح لنفسه في النهاية بالإقرار بالهزيمة . وهنا أحضر
سيمون فطائر من ثلاثة أنواع وفطيرة صغيرة دسمة من البرقوق وكعكة
دس فيها بدهاء الويسكي والنقل والفواكه ، كانت مغرية كعطور الجنة .
خداعة وقائلة كالحطيشة . وأخيراً وبطريقة الساحرات عندما يقمن بطقوسهن
وبأسلوب وقور عميق أحضر زجاجة من خمر النبيذ وقد اضطجعت الشمس
غير واضحة المعالم في الأفق الجنوبي المتوهج . وأرسلت أشعتها أفقية
عبر النوافذ لتسقط على أدوات الطعام الفضية المصفوفة على صوان الحائط .
كانت الشمس تحلم في نورها الرقيق . وهي مستلقية بين حلقات
مستديرة مستكينة من النور فوق الزجاج الملون العلوي في نوافذ
وأبواب الحائط الغربي .

إلا أن ذلك كله كان في نوفمبر . فصل الأيام الشبهية المسترخية .
عندما تصل فورة الحريف الأولى إلى نهايتها . ويطلق الشتاء من
تحت الأفق الأعرج تعاويذه السحرية الأولى - - نوفمبر . عندما
يموت العام في سلام . وكأنه امرأة عجوز مدثرة بشالها بين
أطفالها ، تموت بسلام دون ألم ودون أن تصاب بمرض . وفي
الأيام الأولى من ديسمبر سقطت الأمطار . وشابت ناصية العام
وهو في فصل الانحلال والموت . وقد ظلت تهمس الليل طوله والنهار
فوق الأسطح وعلى امتداد أفاريزه وذرفت الأشجار أوراقها الأخيرة العنودة .
وشورت بأغصانها المحزونة السوداء على المشاهد التي لا تنتهي عدا شجرة جوز في
طرف الحديقة فقد احتفظت بأوراقها ، ولمعت وكأنها لمب سائل في لازوردية
السماء الخالدة . ومن وراء الوادي اختفت التلال تحت أقطعة من المطر .

كل يوم تقريبا . رغم معارضته لمس جيني وأوامرها .
والاحتجاج العميق في عيني نارسيسا كان بايارد يخرج بينديقية صيد
والكلبين ليعود قبل حلول الظلام بالضبط . وقد أغرق الماء ملابسه
حتى جلده ، مقرروا . حينئذ تسكون شفتاه ثلجيتين فوق شفتها .

وعيناه خاويتين بهما مس من جن . كانت تتعلق به في ضوء نار حجرتها
الأصفر ، وتستلقي وهي تبكي بصمت في الظلام بجوار جسده المتصلب
وكان شبحا يتوسطهما .

قالت مس جيني ، وقد قدمت عليها وهي جالسة مستغرقة في تأملاتها
أمام النار في غرفة بايارد العجوز ، أنت تقضين وقتنا أطول مما
ينبغي بهذه الطريقة . ستصبحين بلهاء شاردة العقل . كفى عن
الانشغال به ، لقد قضى نصف حياته في ملابس سقتها مياه الأمطار .
ومع ذلك فلم يصب أحدهما يبرد حتى... وهذا أستطيع أن أتذكره ،

أجابتها وهي شاردة ، ألم يصب ؟ ، ووقفت مس جيني بجوار
مقعدها وظلت ترقبها بحدة ثم وضعت يدها على رأس نارسيسا ، وبرقة
أكثر مما تستطيعها واحدة من أسرة سارتورس .

د أنت مهمومة لأنه لا يجبك ، ربما بنفس الشكل الذي كان ينبغي
عليه كما تتصورين ؟ ،

أجابت ، د ليس هذا . إنه لا يجب أي شخص . لن يجب حتى
الطفل . يبدو عليه وكأنه لا يحس بالسرور أو الحزن أو أي
شيء آخر .

قالت مس جيني ، د نعم ، وطقطت النار وتطايرت بين قطع الخشب
الصفية ومن وراء زجاج النافذة الشاحب ، امتد النهار بلا نهاية .
قالت مس جيني فجأة ، د أنصتي . لا تركبي معه هذه السيارة بعد الآن
أتسمعيني ؟ ،

د لا . لن يدفعه هذا اقيادتها بيطة . ما من شيء سيدفعه إلى هذا ،
د طبعا لا . ما من شخص يصدق أن وجودك معه فيها سيدفعه
إلى هذا ولا حتى جده . إنه يصحبه في السيارة لنفس الأسباب التي تدفع
هذا الولد ، سارتوس .

« إنها في الدم ، متوحشون . كل واحد منهم كذلك . وليس فيهم ثمة فائدة
دنيوية لأي شخص ، وتعلقت أنظارها بالسنة النيران المتقافزة ، ومازالت
يد مس جيني على رأس نارسيسا . قالت لها ، « أنا آسفة لأنني أوقمتك
في هذا ، » .

« أنت لم تفعلها . ما من شخص أوقفني فيها . أنا فعلتها بنفسى ،
قالت مس جيني بعد لحظة صمت ، « هل فعلتها مرة أخرى إذا
قدر لك ؟ » أما الأخرى فلم تجب ، فأعدت مس جيني سؤالها ، هل
تفعلها ؟ ، » .

أجابت نارسيسا « نعم ، ألا تعرفين ذلك ؟ » ثم ران الصمت
بينهما مرة أخرى ، صمت وقفا فيه دون كلام . إنه حلفهما اليأس
بتلك الشجاعة السلبية الرفيعة التي تعرفها النساء . ثم وقفت نارسيسا .
« أحسبني سأذهب وأفضى اليوم مع هوراس . إذا سمحت ؟ »

قالت مس جيني « وهو كذلك - كنت سأذهب أيضا لو كنت
مكانك ، يحتاج هوراس في المرجح لبعض الرعاية هذه الأيام . كان يبدو
إلى حد ما هزيلا عندما كان هنا في الأسبوع الماضي ، وكأنه لا يتناول
ما ينبغي من طعام ، » .

عندما دخلت من باب المطبخ ، تحولت يونيس ، الطاهية ، عن مائدة
إعداد الخبز ورفعت يديها بإشارة رقيقة غامضة . قالت « حسنا مس نارسيسا
لم نترك منذ شهر . هل قطعت كل الطريق والمطر يهطل ؟ »

« جئت في العربة . كان الطريق مبللا إلى الدرجة التي لا تلائم
السيارة دخلت الفرقة وظلت يونيس ترقبها بسرور وجدية . قالت
نارسيسا « كيف حالكم جميعا ؟ »

أجابت يونيس « إنه يجد ما يكفي من الطعام . أنا أهتم بهذا ،
إلا أنه يتحتم على أن أدفعه ليأكل . إنه يحتاج إليك لتكوني معه هنا ، » .

« إننى هنا اليوم كله ، على أية حال ماذا عندك للغداء ؟ ورفعا
أغطية الآنية معا ، وحلقا فى الآنية التى تغلى فوق الموقد ، وفى الفرن
قالت « أوه فطيرة شيكولاته ! »

قالت يونيس موضحة « على أن أغريه بها على الطعام ، ثم قالت
متباهية « سياتكل أى شىء إذا أعددت له فطيرة شيكولاته . »

قالت نارسيسا « أراهن أنه يفعل . لا يستطيع أحد أن يصنع مثل فطائرک ،

قالت يونيس « لم تطلع هذه الفطيرة جيدة جداً ، واستطردت تنقدها :
« أنا لست راضية عنها تماماً ،

« لماذا ؟ يونيس لأنها رائعة ، .

قالت يونيس بإصرار « لا لست فى المستوى المطلوب ، إلا أن
وجهها تألق بالسرور ، وإن ظلت حبيبة جادة ، وظلا يتحدثان بود وضع
دقائق ، ونارسيسا تنقب محتويات الدواليب والصناديق .

ثم عادت إلى البيت وارتقت الدرج . كانت مائدة الزينة قد أقفرت من
آنيتها الفضية والبلورية العزيزة ، والأدراج خاوية ، والحجرة كلها بجوها
الساكن الشاحب المقفر ، كأنها كانت توجه إليها عتابا . والبرد أيضا . لم تشعل
شمعة نار فى المدفأة منذ الربيع الماضى وعلى المائدة بجوار الفراش . كانت شمعة
حزمة من الزهور زرقاء ، منسية من الجميع ذابلة ميتة . وإذا لمستها
تفتتت بين أصابعها ، تاركة عليها أثرا من لونها ، والماء فى الزهرية
أيضا ، كانت فيه رائحة الانحلال العطنة . فتحت النافذة وأقمتها
جميعا منها .

كانت الحجرة أبرد من أن تستطيع التوقف فيها طويلا ، وحزمت
أمرها على أن تطلب من يونيس أن تشعل نارا فى المدفأة من أجل راحة
ذلك الجزء الذى تلكأ من روحها وأقام فى الغرفة ، برزاة يفسحونها
شىء من الحزن ، مقرورا فى البرد ، ولأنما إياها لما يحوطه من وحشة .

توقفت مرة أخرى عند صوان ملابسها ، وتذكرت تلك الخطابات ،
بحرف وانزعاج مستغرقين لأئمة نفسها من جديد لإهملها وعدم تمريرها لها .
ولكن ربما تكون قد مزقتها ، وهكذا دخلت مرة أخرى دائرتها المغلقة
التي تكمن فيها الحيرة والخوف ، محاوله أن تتذكر ما فعلته بهذه الخطابات
حقاً . إلا أنها كانت واثقة أنها تركتها في الأدراج مع ملابسها الداخلية كانت
واثقة تماماً أنها تركتها هناك . إلا أنها لم تستطع أبداً أن تجدها ، ولا رأتها
يونيس ولا هوراس كذلك ، كان ذلك في اليوم الذي فقدتها فيه ، اليوم السابق لليلة
زفافها ، عندما حزمت أمتعتها . إنها افتقدتها في ذلك اليوم ، ووجدت
مكانها خطاباً آخر بخط مختلف ، لم تتذكر أنها تلقتة . كان المقصود منه
واضحاً تماماً ، رغم أنها لم تفهم بعض ما جاء فيه حرفياً . إلا أنها قرأته في
ذلك اليوم وهي في استغراق هادئ . هو وكل ما استحضره إلى ذاكرتها كان
قد أصبح الآن بالفعل من الماضي . ولم تكن لتدهش وقد افتقد حتى صفة
الحضور ، أو تصدم لو فهمته . أخذها حب الاستطلاع ، ربما لإدراك معاني
بعض الكلمات . إلا أن هذا كان كل شيء .

إلا أنها لم تستطع أن تتذكر ما فعلته بالخطابات الأخرى ، وقد تسبب
عجزها هذا في إشاعة لحظات من الخوف الحقيقي في نفسها ، عندما أخذت
بعين الاعتبار إمكانية معرفة بعض الناس أن البعض كان يخامره عنها مثل
هذه الأفكار وأنه وضع أفكاره في كلمات . حسناً ، لقد ضاعت ، وما من
شيء من المستطاع عمله بشأنها ، إلا أن تأمل أن تكون قد مزقتها ، كما
فعلت بالخطاب الأخير ، أو إذا كانت لم تفعل ، أن تأمل بثقة ألا
يكشف الطريق إليها قط . إلا أن هذا كله أعاد إليها اشمزازها السابق
وشعورها بالفرح : أن يكون صفاء حياتها المتناسك ، الذي لم يعكسه شيء
بعد ، محلاً للمغامرات الظروف ، أن يكون عليها أن تثق في الحظ ضد
إمكانية التقاط غريب بمحض الصدفة لقصاصة ورق من على الأرض .

ولكنها حزمت أمرها على أن تضع هذا كله جانباً ، في وقتها الحاضر
على الأقل . ينبغي أن يكون هذا يوم هوراس ، ويومها أيضاً - مجرد

توقف لهذا الحلم الذي تجوس فيه الأشباح والذي تعلقت به وهي متيقظة ونزلت الدرج . كانت نمة نار في غرفة الجلوس . وقد احترق الوقود حتى أصبح جرات ، فوضعت فوقها فخا ، وقلبها حتى تأججت . سيكون هذا أول ما يرى من أشياء عند عودته ، ربما يأخذه العجب ، ربما يعرف قبل أن يدخل فقد يدرك بوجوده حضورها قبل أن يراها بعينه . وفكرت في الاتصال به تليفونيا ، وظلت تداعب الفكرة دون حسم وهي جالسة أمام النار ، ثم قررت أن تجعل من الأمر مفاجأة . ولكن إذا فرض ولم يعد للبيت لتناول الغداء بسبب المطر فكرت في هذا ، ثم صورته في خيالها ماشيا في أحد الشوارع تحت المطر ، وعلى الفور ويأدراك غرزي سابق ، ذهبت إلى الصوان الموضوع تحت الدرج وفتحت بابه . كان الأمر كما توقعت ، معطفه ، ومعطف المطر معلقان هناك ، وأغلب الظن أيضا أنه لم تكن معه حتى مظلة ، ومرة أخرى فاضت في أعماقها مشاعر الضيق والحب العميق وأصبح الأمر كما كان منذ القدم ، وكل ما قام بينهما من حجب ، انزلق مبتعدا وكأنه سحب .

وقد كان من المعتاد دائما أن يدفع البيانو على عجلاته إلى غرفة الجلوس كلما أتى فصل الشتاء . ولكنه كان هذه المرة في ركنه الصغير . كان نمة موقد هناك ، ولكن لم تشعل فيه نار بعد ، وكانت الغرفة باردة ، ومن تحت أناملها أطلقت المفاتيح الباردة نغما متكاسلا ، متما ولائما أيضا ، فعادت إلى النار ووقفت حيث تستطيع أن تتطلع من النافذة ، الممر الخاص تحت أشجار الأرز الوقورة المتهدلة - ودقت الساعة الصغيرة الموضوعه على الرف فوق المدفأة اثنتي عشرة دقة . كانت وراها . ثم ذهبت إلى النافذة ووقفت بها وأنفها تلس زجاجها البارد وأنفاسها تتكاثف فوقه . سيأتي سريعا الآن ، لم يكن منظما أبدا في مواعيده ، إلا أنه لم يكن يتأخر عن موعد أبدا وفي كل مرة كانت تظهر أمامها مظلة كان قلبها يقفز في صدرها . إلا أنه لم يكن هو ، وتتبعته حامل المظلة في خطواته حتى أزاح مظلته بالقدر الذي سمح لها أن تتعرف عليه ، وهكذا لم تر

هوراس حتى كان قد قطع منتصف الطريق عبر المر . كانت قبعتها
تحجب وجهه وبنيفة معطفه مرفوعة حتى أذنيه ، وهكذا كان الأمر كما
كانت تعرف . لم تسكن معه حتى مظلته .

صاحت ، د أوه ، أنت أيها العبيط ، وجرت إلى الباب ، ومن
وراء الزجاج المحجوب بالستائر رأت شكله المبهم وهو يقفز الدرج مسرعاً
دفع الباب ودخل وهو يضرب ساقه بقبعته الملطخة بماء المطر ، ولذا فلم
يرها حتى تقدمت إليه وقالت ، د أنت أيها الأحمق ، أين معطفك الواق
من المطر ؟

ظل يجملق فيها برهة ، وفي انتفاضة متوحشة خجولة ، ثم قال
، نارسي ! ، وأضاء وجهه واكتسحها بين ذراعيه المبللتين .

صاحت ، د لا تفعل . أنت غارق في الماء ، ، ولكنه طوح بها
من فوق الأرض ، محتضناً إياها في صدره الذي كان يقطر بماء المطر
وهو يكرر ، نارسي ، نارسي ! ، ثم لامس طرف أنفه وجهها ، وذابت
طعم المطر .

قال ، وهو محتضنها د نارسي ، وقد كفت عن المقاومة ، والتصقت
به . ثم فك عقالها فجأة ، ورفع رأسه بحركة سريعة ، ونظر إليها وفي عينيه
توتر رزين ، وقال لها ، د نارسي ، هل هذا الوغد الحقيقي - ،

أجابت بجدية د لا طبعاً لا ، أنت جننت ؟ ثم احتضنته مرة
أخرى بملابسه المبللة وكأنها بهذا تتمنى ألا تتركه أبداً ، أوه ، هوري .
لقد عاملتك بقسوة وحشية ،

كانت السيارة هذه المرة من طراز فورد ، وقد رأى بايارد انزلاقها
الجنونية ، عندما حاول سائقها أن يعيدها إلى الطريق الخادع المنطى بالجليد

المنصر . وفي اللحظة المبرقة ، وباستمتاع عابر ، رأى بايارد ، فيما بين
بنيقة السائق الطليقة من ربطة عنق ، والجورب النسائي الملفوف حول
رأسه تحت قبضته والمعقود تحت فكه ، رأى تفاحة آدم في رقبته
وكانها جرو مذعور محبوس في غرارة . مرق المشهد أمامه ومضى من
خلفه وأدار بايارد عجلة القيادة بعنف . عادت الفورد المعطلة المثيرة
للاشمزاز إلى مجال رؤية مرة أخرى عندما دارت العجلات على محاورها
دون أن تتحرك السيارة على الطريق اللزج وكان محركها المفصول عن
عجلاتها يزأر ، ثم سبحت الفورد بعيداً عن أنظاره عندما أدار عجلة
القيادة مرة أخرى بعنف شديد في الاتجاه الآخر ، ووصل المحرك بعجلات
السيارة ، ليزيد من اتزان حركتها وانضباطها ، ثم علا الهزيم الممثل غير
المعجل ، عندما رفضت السيارة أن تأخذ مكانها من الطريق ، وسبح
أمام عينيه عالم ديسمبر المملوء بالصقيع ، كان بايارد العجوز جالساً بجواره
وكان في استطاعته أن يرى من ركن عينيه الرجل العجوز وقد قبضت
يده على حافة الباب العليا . كانا يواجهان في تلك اللحظة الأكمة التي
تستقر فوقها الجبابة ، ومن فوقهم مذئمال جون سارتوس يده في إيماة
حجرية عريضة ، وتطلع من بين أشجار الشربين الساكنة على الوادي ،
ليرى ميلين من خط السكة الحديدية الذي بناه وهي تمتد تحت نظرة عينيه
المنحوتتين . أدار بايارد عجلة القيادة بعنف مرة أخرى

على الجانب الآخر من الطريق . كانت هوة تهبط عمودياً بين أشجار
شربين قزمة وسان صخرية مديبة تغطت هياكلها بطبقة هشة من الجليد والثلج
الموحل ، حيث لم تستطع أشعة الشمس أن تصل بعد . وقد ارتكزت
مؤخرة السيارة على حافة الهوة تماماً قبل أن تدور مرة أخرى ، ومحركها
يعمل بأقصى قوته ، ثم اندفعت حتى شور أنفها مرة أخرى إلى أسفل التل
دون أن تقلل من سرعتها . ومع ذلك فلم تعد إلى الأخاديد التي تركتها
العجلات على الطريق ، وكانت قد تعدت منتصفه ، رغم أنهم كانوا قد
وصلوا تقريباً إلى أسفل التل ، فقد أدرك بايارد أنهم لن يستطيعوا
صعوده بالسيارة ، وبالضبط قبل أن تزلق بهم السيارة ، أدار عجلة

القيادة بعنف واندفع بمقدمة السيارة فوق جانب الطريق ، وتوقفت السيارة برهة ، وكأنها تلتقط أنفاسها ، صاح في جده صارخا ؛ « أمسك جيدا ، ثم هويا .

لحظة من الزمن خلو تماما من كل صوت ، اقتقد فيها كل إحساس بالحركة . ثم انقضت أشجار الشربين القزمة على محرك السيارة ، وصفعتم بحقد وهما جالسان في انحناءة متقلصة الساقين ، ثم قفزت السيارة ودارت في الهواء . ثم برهة أخرى كالفراخ ، ثم صدمة ضربت عجلة القيادة بصدر بايارد ، ونفضت عنها قبضتيه القويتين ، وخلعت مفصلي ذراعيه ، انقذف جده إلى الأمام ، ومد بايارد ذراعه في نفس اللحظة ليحميه من الاصطدام بالحاجز الزجاجي الأمامي . صرخ مرة أخرى ، أمسك جيدا ، ولم تهدى السيارة من اندفاعها وجرجر بايارد عجلة القيادة التي لم تكف عن الانفلات من يده ، ودارت بالسيارة في قاع الوادي الضيق ، وفتح المحرك ، وبقوة الآلة وبعزم اندفاع القطعة ، اندفعت السيارة صاعدة هابطة ، مصطدمة بكل شيء في قاع مجرى الماء واستدارت وصعدت وهي تلثم إلى جانب المجرى المنخفض وارتقت الطريق مرة أخرى . أوقفها بايارد .

جلس برهة ساكناً دون حركة ، ثم نفث الهواء من بين أسنانه بعنف ، ثم « يا إله الجبل الجبار » . وقد جلس جده بجواره دون حركة ، وما زالت يده قابضة على الباب ، ورأسه محية قليلا . قال بايارد : « أظنني سأدخن سيجارة بعد هذا ، وأخرج واحدة من جيبه وثقابا ، وكانت يدها ترتعدان ، قال معتذراً ، فكرت في هذا الجسر الحجري مرة أخرى ، ونحن نعب ، . أخذ نفسا عميقا وتطلع إلى جده وسأله « أنت بخير ؟ ، ولم يجر بايارد العجوز جوابا ، وسكنت سيجارته في يده وألقى على جده نظرة أخرى . كان جالسا كما كان ، وقد انحنت رأسه قليلا ، وقبضت يده على الباب . نادى بايارد جده .. جدى ؟ ولم يتحرك بايارد العجوز أيضا ، ولا حتى عندما رمى حفيده السيجارة وهزه بعنف .

حمله فرسه الصغير الجسم الذي لا يصيبه تعب إلى قمة التل الأخير ،
وامتدت ظللهما الطويلة في شمس الشتاء المنخفضة عبر حافة التل إلى الوادي
من تحته حيث تصاعدت منه صيحات كلاب حادة . محمولة على الهواء الجليدي
الساكن . قال بايارد محدثا نفسه ، « كلاب صغيرة ، وأوقف فرسه
في الدرب الضيق ، وأخذ ينصت إلى هتيرها الكلاب حادة الصوت
وأصدائها التي تفيض إلى مجال سمعه ، وكان في استطاعته أن يحنس
بالصقيع في الهواء ، وهو جامد مكانه . ومن فوقه ، كانت أشجار الصنوبر
رغم سكون الهواء ، تحدث صوتا وحشيا مستمرا حادا ، وكأن صقيع
الهواء قد أصبح ذا صوت وفم . ومن فوقهم جميعا ، وتحت سماء الأصيل
الزرقاء ، انزلت أوزات على ارتفاع منخفض وكانت تطير على هيئة
رقم ٧ ، وفكر ، وهو ينظر إليها ، « سيسقط الثلج الليلة ، وتصور
في خياله المياه السوداء التي تذهب إليها لتستريح ، وأنصال الحشائش الميتة
المتعفنة ، التي سينكش حولها الماء قريبا . ليتجمد في أمواج صغيرة
رقراقة ثابتة من العتمة الهشة .

ومن ورائه انطوت الأرض مبتعدة ، قمة وراء قمة ، زرقاء جميعا
كدخان الخشب المحترق مصعدة إلى سماء وهي تشبه طبقة رقيقة من الدم
المتخثر . واستدار وهو على هجره وحلق في الشمس دون أن يظرف له
جفن ، كانت منتشرة وكأنها بيضة قرمزية تكسرت فوق أبعاد الآكام .
وكان ذلك دليلا على نوع الطقس ، وتشمم الهواء الساكن المدغدغ ، أملا
أن يكون قد استنشق أيضاً رائحة الثلج . وزفرت الفرس ودمت رأسها
مختبرة ، واكتشف استرخاء الأعنة ثم خفضت رأسها وزفرت مرة أخرى
في الأوزاق الميتة وإبر الصنوبر الرقيقة الجافة تحت أقدامها . قال بايارد
وهو يشد الأعنة ، « بيرى ، هيا ، ورفعت بيرى رأسها وانطلقت في
خطو عال سريع ولكن بايارد ردها عن هذا براءة ، وأعادها إلى خطوها
المنتظم الذي يشبه مشى الثعلب . ولم يكن قد ابتعد كثيراً ، حينما انفجرت

الكلاب عن يساره في زفير شديد ، ثم اقتربت منه فجأة ، وعندما أوقف بيرى ، وحلق على امتداد الدرب ، رأى الثعلب القادم عليه في وسط الطريق في خطو رتيب وقور ، وقد رآته بيرى أيضاً في نفس الوقت ، وردت أذنيه الدقيقتين إلى الخلف ، وأدارت عينيها الشابتين ، إلا أن الحيوان ظل ماضياً نحوهما دون أن يدري في خطوه المنتظم غير المتعجل ، وهو يلقى من لحظة إلى أخرى ، نظرة إلى الخلف من فوق كتفيه . همس بايارد وهو يمسك بيرى بشدة بين ركبتيه تماماً ، باللعجب ، لم يكن الثعلب يبعد عنها أربعين ياردة ، وظل يتقدم وفيما يبدو لم يكن يحس أبداً بوجود الفارس ، ثم صاح بايارد .

ألقي الحيوان عليه نظرة ، وسبحت الشمس الغاربة حمراء في عينيه وانسالت ، ثم اختفى في ومضة واحدة متواضعة من اللون البني ، ونفث بايارد هواء صدره كان قلبه يدق بعنف داخل أضلاعه . صاح وهو يهايا كلاباً ، تزايد طنين الكلاب وأصبح عجيباً حاداً ، وانفجر قطيعها على الطريق فوضى من الجلود المنقطة ، والألسنة والآذان المتدلية المهترئة . ولم يكن أحدهما قد بلغ أشده ، وتجاهلت الحصان وراكبه واندفعت وهي تموى نحو النباتات الكشيقة التي اختفى داخلها الثعلب ، وظلت تتصايح بأصوات حادة ، وإذ كان بايارد على فرسه جالساً يتطلع حيناً مرت واختفت بلغت أذنيه صيحات أكثر حدة وجنوناً . اندفع من الغابات كلبان أحدث سنا من الكلاب الأخرى ورحا أمامه على سيقانها القصيرة وهما يهمهان بصيحات تفيض بالاهتمام الجنوبي الذي يثير السخرية ، هم غاض النباح وتحول إلى أصدااء هستيرية وهكذا مضى .

ومضى ، وقد ارتفعت الأرض على جانبي الطريق وقد تعتم أحد الجانبين وكأنه جدار حصن صخري من البرنز واستلقت على الآخر أشعة الشمس الأخيرة الحمراء . وطقطق الهواء الثلجي في خياشيمه ودغدغهما ، ولفح رتيه يابر منعشة . وقد مضى الطريق عبر الوادي ، لم يعد بين من الشمس فوق الجدار الغربي إلا نصفها ، وبين الأشجار المتقاربة سار بحصانه في ظلال تبلغ ارتفاع ركابه ، وكأنه يخوض ماء بارداً . كان عليه

أن يبلغ البيت قبل الغروب ، فدفع بيرى إلى الإسراع قليلا . ثم تزايد ضجيج الكلاب مرة واقترب من الطريق وهنا دفع بيرى للجري .

أقبل بعد ذلك على عمر بين الأشجار - حقل قديم مزروع بالقصعين ، وقد التأم جراح المحراث فيه منذ زمن طويل ، وملاؤه الشمس الغاربة بالذهب الميت وفجأة أوقف حصانه حتى كاد أن يقف على خلفيته أمامه وفي ركن من الحقل بجوار الطريق كان الثعلب جالسا . جلس على مؤخرته كما تفعل الكلاب ، يرقب الأشجار من خلال المر الضيق ، ودفع بإيارد حصانه مرة أخرى إلى الأمام . أدار الثعلب رأسه وألقى عليه نظرة متلصصة سريعة ، ولكن دون أن يبدو عليه قلق ، وأوقف بإيارد الحصان وهو في دهشة بالغة . اقترب ضجيج الكلاب من داخل الغابة ، إلا أن الثعلب ظل مقعيا مكانه ، يرقب الرجل بنظرات متلصصة مكتومة غير مهتم بالكلاب . لم يكشف عن أى قلق على الإطلاق ، ولا حتى عندما انطلقت الكلاب الصغيرة وهي تعوى بجنون عبر المر الضيق وظلت تكدح عند حافة الغابة برهة بينما وزع الثعلب انتباهه بينها وبين الرجل .

وأخيراً رأى أكبر الكلاب الصغيرة الصيد ، كان من الواضح أنه زعيمها وعلى الفور كفت عن ضجيجها وقدمت في خطوة غير سريع عبر المر وقعدت في دائرة قبالة الثعلب ، وألستها مدلاة . ثم ، وفي لحظة واحدة ، استدارت كلها وواجهت الغابة التي بدأ الظلام يسودها ، كان العواء المجد الحاد المروع يقترب منها رويداً رويداً . ثم عوى أكبر الكلاب مرة واحدة ، وهنا تزايد العواء القادم من الغابة بعد أن سادته نغمة الاطمئنان وإن ظل حاداً عنيفاً ، وظهر السكبان الصغيران وزحفاً خلال الحقل المزروع كدودتين صغيرتين ، حتى وصلا . ثم وقف الثعلب وألقى نظرة أخرى سريعة مختلصة على الفارس ، ثم مضى في خطو بطيء ، تحوطه حلقة الكلاب الصغيرة الصديقة ذات السترات القطنية ، وصعد إلى الطريق واختفى . قال بإيارد وهو يتطلع وراءها . يا للعجب على اللعنة ا ، ثم . بيرى ، هيا ، .

وأخيراً ، حلقت في سكون فوق الأشجار البعيدة ريشة شاحبة اللون من الدخان وخرج من الغابة ، وتلألأت في جدار البيت الممتد نافذة بدعوة دافئة للغريب ساعة الغروب . وكانت الكلاب قد أطلقت ضجيجاً رناناً كدق الأجراس ، وقد استطاع بايارد أن يميز من بينها أصوات الكلاب الصغيرة ، وصوتها يأمرها بأن تكف ، وإذا كان يقف يبرى في الفناء. كان الثعلب يتردد ودون عجلة وراء البيت . ثم صاحف وجه نحيف في العتمة بفأس في إحدى يديه ، وملء ذراع من الخشب في اليد الأخرى ، وقال بايارد ، « بادي ، بمحك ما هذا الشيء ؟ هذا الثعلب ؟ » .

أجاب بادي ، « هذا لمن ، ووضع الخشب على الأرض بروية ، وكذلك الفأس ، وجاء وهز يد بايارد مرة واحدة باسترخاء ، بأسلوب أهل الريف ، ولكن يده كانت قوية وراسخة « كيف حالك ؟ »

أجاب بايارد ، « بخير ، جئت لأصيد ذلك الثعلب العجوز الذي حكى لي ريف عنه ، » .

قال بادي في صوته البطيء قليل الاستعمال ، « بالتأكيد . كنا نتوقع حضورك . ترحل ودعني آخذ فرسك ، »

« لا ، سأقوم بهذا بنفسى . أنت أدخل هذا الخشب ، سأضع يبرى في مكانه ، إلا أن بادي كان حازماً ، دون إصرار أو غلظة ، وتخلي له بايارد عن حصانه . »

صاح بادي في اتجاه البيت « هنرى . هنرى ، انفتح الباب على السنة نيران حلوة ، وقد وقف به شخص ، باعد ما بين قدميه ، قال بادي ، « بايارد هنا ، ثم قال له « ادخل واستدنى ، وأخذ الحصان ومضى به . أحاطت الكلاب ببايارد ، فالتقط الأخشاب والفأس ، واتجه نحو البيت ، وقد تحلق به جيشان شبحى منقط من الكلاب ، وظل الشخص في الباب

المضى ، بينما صعد بايارد إلى الشرفة وأسند الفأس إلى الجدار .

قال هنرى ، كيف حالك ، ومرة أخرى كانت المصافحة طرية ، ومرة أخرى كانت اليد قوية راسخة ورقيقة ، كانت أكبر طراوة من جسد يادى الفتى القوى ، حمل عن بايارد الأخشاب ودخلا البيت . كانت جدران الغرفة من ألواح الخشب المشقة : وقد علق عليها تقويمان أو ثلاثة كلها قديمة ورسم ملون عن عقار طبي . كانت الأرضية عارية ، ومن ألواح الخشب المثبتة إلى بعضها البعض باليد ، وقد ضغطتها الأحذية الثقيلة ، وصقلتها أقدام الأجيال الكثيرة من الكلاب ، كان في استطاعة رجلين أن يستلقيا واحداً بجوار الآخر في المدفأة . أما الآن فقد أمسكت النار فيها بقطع من الخشب تبلغ من الطول أربع أقدام ، ومن ورائها ظهر المدفأة المصنوع من الأحمر وتصاعدت ألسنتها المتوحشة في دوامات لتختفي داخل حويصلة المدخنة المظلمة . وقد جلس فيرجينس ماك كالم أمامها ، فبدأ معتما تحوط رأسه هالة فضية من فوضى شعره الكك .

قال هنرى ، بايارد ، هذا بايارد سارتورس .

استدار العجوز في مقعده في حركة وفورة متأنية كأنها حركة أسد قابع ، ومد يده للضيف دون أن يقف . كان في سنة ١٨٦١ في السادسة عشرة من عمره ، وكان قد وصل حينئذ إلى ليكسنجتون بفرجينيا ساعياً على قدميه وتطوع في الجيش ، وخدم أربع سنوات في لواء ستونوول ثم عاد ماشياً إلى مسيسيبي وبني لنفسه بيتاً وتزوج . كانت دوطه ، زوجته هي ساعة حائط وخزير ملح ، وأعطاهما أبوه بغلا . وقد ماتت زوجته منذ سنوات طويلة وماتت أيضاً من جاءت بعدها وهو الآن جالس أمام المدفأة التي طهى عليها ذلك الخنزير ، تحت السقف الذى بناه في سنة ٦٦ ، وفوق الرف استقرت الساعة ، وهي تسخر من ذلك الزمن الذى كانت ذات يوم ، خادمته . قال ، حسنا يا ولدى . تأخرت زيارتك كثيراً كيف حال أهلك ؟

أجاب بإيارد ، « على ما يرام يا سيدي ، ونظر بإيمان وحدة إلى وجه العجوز وردى اللون الذي يفيض بالعافية ، لا ، لم يسموا بعد ، .

« ما زلنا نتوقع حضورك منذ أن التقي ريف بك في البلدة في الربيع المنصرم . هنري ، قل لمأندى أن تضع طبقاً آخر على المائدة ، .

وقد تبعته إلى الغرفة أربعة كلاب . ظلت ثلاثة منه ترقبه بعيون جادة متوهجة . أما رابعها ، وقد كان يرتدى سترة زرقاء ، وعلى وجهه رسم الوقار الملكي ، فقد جاء إليه ولمس بأنفه الباردة يده . قال له ، « جنرال كيف حالك ؟ ، ثم عرك أذنيه بيده ، وهنا تقدمت الثلاثة الأخرى وتحسست بأنوفها يده وحاولت أن تدسها فيها .

قال مستر ماك كالم ، « هات مقعداً واجلس ، ، واستدار بمقعده ، فعمل بإيارد كما أمره ، فتبعته الكلاب ، وتحلقت حول ركبتيه وهي تتدافع حوله بأدب ، واستطرد العجوز يقول « لم أكف عن دعوة جدك لقضاء بعض الوقت هنا . ولكنه لم يفعل لأنه متكبر أحق ، أو ربما كسول ملعون ، : ثم هتف بالكلب الكبير « جنرال ؟ اخرج من هنا . بإيارد اطردا ، ثم صاح « هنري ! ، وظهر هنري ، فقال له « اطرد هذه الكلاب حتى ينتهي العشاء ،

ساق هنري الكلاب من الغرفة . التقط مستر ماك كالم من المدفأة عوداً من الصنوبر وأشعله وأشعل منه غليونه ، وأخذ الشعلة في رماد المدفأة ووضعها بجوارها . قال العجوز ، « ريف ولي يقضيان اليوم في المدينة . كان في استطاعتك الحضور معهما في العربة . إلا أنني أظنك تفضل عليها حصانك ، .

قال بهدوء ، « نعم ياسيدي ، . إذن سيعرفون . ظل يتطلع إلى النار برهة ، وهو يمسح بيديه ببطء على ركبتيه ، وفي لحظة قصيرة ، طافت به ، دون أن يفعل حور الأشهر الأخيرة من حياته ، بضياعها

واندفاعها وطيشها ، طافت به فراها كلها . وكأنها شريط سينمائي يمضي به مسرعا ، إلى غاتمة كان يخشاها ، وكان في استطاعة أي أحق أن يتبأ بوقوعها ، حسناً ، عليها اللعنة ، ماذا وقد حدث : هل يمكن أن يلام ؟ هل هو الذي أصر على أن يصحبه جده في السيارة ؟ هل هو الذي منح المعجوز قلباً هزبلاً تافها ؟ ثم سمع نفسه يقول في أعماقه برود : أنت خفت أن تعود إلى البيت أنت كلفت زنجياً أن يتسلل ويحضر لك حصانك دون أن يحس به أحد . أنت ، وأنت من يفعل من الأشياء عامداً ، ما يتشكك عقلك أنت في إمكان نجاحه ، بل وباستحالته ، أنت تجبن عن مواجهة نتائج أعمالك أنت . ثم مرة أخرى ، شيء ما مر وعميق في أعماقه لا يهدأ قط ، اشتعل فجأة ، مدافعا ومبرراً ومتهما ، ماذا ، لم يكن يعرف ، ثم يشتعل مرة أخرى ، من لم يكن يعرف . أنت فعلتها ؟ أنت تسببت فيها كلها ، أنت قتلت جوني .

كان هنري قد سحب مقعداً إلى جوار النار ، وبعد قليل ، دق المعجوز غليونته بعناية فوق كفه ليفرغه مما فيه ، ثم أخرج من صدره الصوفي ساعة فضية دائلة بيضاوية الشكل . قال : الساعة الخامسة والنصف ألم يعد هؤلاء الأولاد بعد ؟

قال هنري ، « إنها هنا . سمعتم يتكلمون في الخارج ، وأنا أطرده الكلاب ، » .

قال والده آمراً ، أحضر الدورق إذن ، وقام هنري وخرج مرة أخرى ، وهنا تعالي وقع أقدام ثقيلة في الفناء ، واستدار بايارد وتطلع دون اهتمام إلى الباب . ثم انفتح ودخل ريف ولي .

قال ريف ، « حسنا ، حسنا ، وأضاء وجهه النحيل الأسمر قليلا » وصلت أخيراً أليس كذلك ؟ ، ثم صافح بايارد ، وجاء لي في لائمه . كان وجهه لي ، كوجوههم جميعا ، قناعاً أسمر عابساً ، لم يكن عريض البنية مثل ريف ، وكان أقلهم جميعاً حديثاً . كانت عيناه سوداوين

وقلقتين ، ومن ورائهما كن ثمة شىء وحشى وحزين . صافح يد بايارد دون أن ينطق بكلمة .

ولكن بايارد كان يرقب ريف . لم يكن ثمة شىء فى وجهه ، لا برود ، ولا تساؤل . أمن الممكن أن يكون قد قضى وقتا فى البلدة ، ولم يسمع رغم هذا ؟ أم أن بايارد نفسه حلم بالأمر كله ؟ ولكنه يذكر جيداً إحساسه عندما لمس جده ، يذكر كيف انهار فجأة ، وكأن صميم أنسجته ذاتها ، التى نسجت لتظل شماء ، راسخة عمرها كله ، بقوة الكبرياء والاحتمية الحقا ، التى تفيض من القدر المشوم برأس الأسرة ، كأن هذه الأنسجة انهارت فجأة تاركة لهيكله الفرصة ليرتاح أخيراً . وتكلم مستر ماك كالم .

« هل ذهبت إلى مكتب البريد السريع ؟ »

أجاب ريف « نحن لم نبلغ المدينة قط ، انكسر عمود المحور بجوار فرنون ، كان علينا أن نفصل المقطورة ونذهب إلى فرنون لإصلاحها هناك ، تأخر بنا الوقت لى فصل إلى البلدة ، اشترينا حاجتنا من هناك وعدنا ، »

« حسناً ، لا بأس بهذا . ستذهب إليها فى الأسبوع القادم فى عيد الميلاد ، وأخذ بايارد نفساً عميقاً ، وأشمل سيجارة ، وفى سحابها الكشيف المعتم دخل بآدى وقعد فى ركن المدخنة المعتم . »

سأل بايارد ريف ، « ألا يزال هذا الثعلب الذى حدثنى عنه مخيفاً هنا ؟ »

« بالتأكيد . وسنصيده هذه المرة . ربما غداً . الطقس سيتغير ، »

« تلج ؟ »

« ربما . بابا ، كيف سيكون الجو غداً ؟ »

أجاب المعجوز ، « مطر ، غداً أيضاً . إن يتحسن الجو قبل يوم

الأربعاء . هنرى ؟ ، وبعد برهة هتف مرة أخرى ، هنرى ا ، ودخل
هنرى بقدر مغطى بالسناج يقطر وراه سحابة خفيفة من البخار ،
ودورق من الحجر ، وقده غليظ فيه ملعقة معدنية . كان في هنرى ثمة
شيء أليف أتوى ، بحسه المريض المترهل قليلا ، وعينيه بنيتى اللون
الناعمين ، ويديه المتباطئين القديرتين . كان هو الذى يشرف على المطهى
، أصبح يجيد الطهو خيراً من ماندى ، والبيت ، حيث كان يوجد دائماً
مشغولاً بلا نهاية بعمل ما ، كان يزور البلدة بنفس الندرة التى يزورها
به والده ، وكان لا يهتم بالصيد إلا قليلا . وكانت تسليته الوحيدة فى
تقطير الويسكى ، ويسكى جيد لاستهلاك العائلة وحدها ، فى قفر مجهول ،
معروف مكانه فقط لوالده وللزنجى الذى يعاونه ، بوصفه تتابعت عبر
الأجيال الضائعة من أجداده الذين نشئوا على الويسكى . وضع القدر
والدورق والقده على المدفأة وأخذ الغليون الفخارى من يد والده ووضع
على الرف ، وأحضر كوباً مشروحاً به سكر ، وسبعة أقذاح ، بكل منها
ملعقة . انحنى العجوز قليلاً نحو المدفأة وأعد الكئوس ، واحداً واحداً
بتأن وقور مزعج . وبعد أن وزع الكئوس على الجميع ، بقى اثنتان .
قال ، ألم يعد الولدان الآخرون بعد ؟ ، ولم يجب أحد . ووضع
السدادة على الدورق . ووضع هنرى الكأسين على الرف .

وهنا جاءت ماندى إلى الباب ، فلاته بثوبها القطنى الأبيض . قالت
« تستطيعون جميعاً أن تأتوا الآن ، وعندما استدارت لتمضى خاطبها
بايارد وتوقفت ، وكان الرجال قد نهضوا ومضوا خارجين من الغرفة . كان
العجوز منتصب القامة كرجل من الهنود الحمر وباستثناء قامة ماندى
النحيلة المتراخية ، فقد كان أطول عوداً من جميع أبنائه بقدر رأسه
انتظرت ماندى بجوار الباب ، ثم صافحت بايارد . قالت له ، أنت
لم تزرنا منذ مدة طويلة ، وأراهن أنك لم تنس ماندى ، أيضاً .

قال بايارد ، بالتأكيد ، لم أنس ولكنه كان قد نسى . والنقود
بالنسبة لماندى لم تكن تعوضها فقط عن قطعة من الحلوى لا قيمة لها ،

كان جون لا ينسى أبداً أن يقدمها إليها عند زيارته . مضى إثر الآخرين في الظلام والصقيع . وقد أخذت الأرض تحت قدميه في التصلب ، وكانت السماء فوق رأسه لامعة بالنجوم . وتعث قليلاً وهو يمضي وراء الظهور المتزاحمة حتى فتح ريف بابا يؤدي إلى مبنى منفصل ووقف جانباً حتى دخلوا جميعاً ، كانت الحجرة مملوءة بالدفء وبسحاب رقيق شاحب أزرق يفيض بروائح الطهو ، ومصباح كيروسين يشع ضوءاً منتظماً على مائدة طويلة ، وأمام أحد طرفي المائدة كان مقعد مفرد ، ويوازي الجوانب الثلاثة الأخرى ذلك بلا مساند للظهر . كان الموقد بجوار الجدار البعيد ، وصوان هائل من ألواح الخشب المشقوق ، وصندوق خشبي . وقد جلس وراء الموقد زنجيان وصبي لم يكتمل نضجه وقد التفت وجوههم بفعل الحرارة ، ودارت أعينهم في محارها فبدا بياضها واضحاً وقد تحلق حول سيقانهم خمسة كلاب صغيرة ، ظلت تزجر على بعضها البعض بوحشية مصطنعة ، أو تعضض ببلادة في ركب الزوج الساكنة أو تجوس وراء الموقد وحوله باستطلاع متخبط غير هادف .

قال بايارد : كيف حالكم يا أولاد ؟ ، وناداهم بأسمائهم ، وهزوا رؤوسهم له ، بابتسامة سريعة حية وهمهمات مهذبة .

قالت ماندي أمرة ، ريتشارد ، أبعده هذه الكلاب ، جمع الزوج الكلاب الصغيرة واحداً واحداً وألقوا بها في صندوق أصفر وراء الموقد ، حيث ظلت تتحرك وتهرش جدران الصندوق بمخالبها ، وتتصادم مع بعضها البعض ومع جدرانها ، ومن حين إلى حين صيحة احتجاج مكتومة . وفي أثناء تناول الطعام . ومن لحظة إلى أخرى ، كان يطل رأس منها ويتطلع من فوق حافة الصندوق ، وقد أخذه فضول وقور هادى ، ثم يختفي بسقطة مفاجئة وهرج ومرج ومزيد من صيحات الاحتجاج ، وتتصاعد مرة أخرى أصوات المشاحنة الطفولية ، فيقول ريتشارد ، صمتاً يا كلاب انامى الآن ، ثم يندق على الصندوق ببرجة أصابعه ، ثم توقفت الأصوات بعد قليل .

أخذ العجوز المقعد المفرد ، ومن حوله أولاده والضييف ، بعضهم كان بلا سترات ، وكلهم بلا ربطات عنق ، وكلهم بوجوه سمراء عابسة ، كلها قد صبت بوضوح من نفس القالب . وأكوا سحقا وأضلعاً ، وطبقاً من فطائر القمح الهندي ، وآخر من البطاطا المقلوة ، وخبز القمح وقندرا من غسل الذرة الصيفية الأسود ، وصبت ماندى القهوة من إناء هائل معدنى الطلاء . وفي أثناء تناول الطعام حضر الغائبان -- جاكسون الأكبر رجل في الثانية والخمسين ، كانت جبهته عريضة شماء وحاجباه كشيخين ، وعلى وجهه يبدو على الفور رسم الاحتدام والخيالية -- كان فيه ، بشكل ما ، من سمات نبات السينسيناتس عديم الفائدة ، الكثير الخجل واللاواقعية وسيتوارت ، في الرابعة والأربعين وتوأم ريف . ورغم كونهما توأمين فلم يكن بينهما من التشابه أكثر مما بين أى اثنين من الآخرين . كان القالب كان واثقاً جداً إلى الدرجة التي صنع منها طبقات غاية في النظافة . الأمر الذي لم تضطر منه حتى الطبيعة إلى استعجاله أو تغييره . ولم يكن لسيتوارت ثمة شيء من أسلوب ريف السهل . كان ريف هو الوحيد بينهم ، الذي يمكن أن يوصف بشيء من المبالغة بأنه كثير الكلام ، وكان فيه الكثير من رصانة هنرى . كان فلاحاً كفئاً ، وتاجراً ماكرأ وكان له باسمه حساب محترم في المصرف . أما هنرى . البالغ عمره الخمسين فقد كان الابن الثانى .

مضوا يأكلون بأدب صامتين غير متمجلين ، بأقل الكلمات وأشدّها ضرورة ، ولكن بود ، وكانت ماندى تمضى بينهم من المائدة إلى الموقد جيئة وذهاباً .

فاض زئير الكلاب فجأة في الظلام كالأجراس ولم يكونوا قد انتهوا من طعامهم بعد ، وانسال عبر الجدران المحكمة إلى الحجرة . أصغى الزنجى ريتشارد وقال ، « الآن ا » وتعلق فنجان بادى في يده .

« ديك ، أين هم الآن ؟ »

و وراء كوخ النبع ، وقد أحاطوا به أيضاً ووقف بادي وانسحب من ركنه بهدوء ووقف بايارد أيضاً ، وقال : سأذهب معك ، ومضى الآخرون يأكلون بانتظام وأنزل ريتشارد فانوساً من فوق الصوان وأشعله وخرج ثلاثهم من الغرفة ، إلى الظلام الصقيعي الذي جاء عبره عواء الكلاب ، في دفعات موسيقية رنانة كصوت يحدته زجاج متجمد كان برد وظلام . وتجاسم البيت ، لا يبين من جداره الممتد إلا النافذة ، المتوهجة قال بايارد : الأرض تكاد أن تكون جافة ، .

أجاب بادي ، : لن يظهر الصقيع الليلة . ديك ، أليس كذلك ؟ ،
لا ياسيدي ستمطر . ،

أجاب بايارد ، : أنا لا أصدق هذا ، .

أجاب بادي ، : بابا قال هذا أيضاً ، إنها أدفا بما كانت ساعة الغروب ، .

قال بايارد بإصرار ، : لا تبدو كذلك بالنسبة لي ، ومرا بالعربة ، كانت ساكنة خامدة في ضوء النجوم ، وإطاراتها تلمع كأشرطة من حرير أسود ، والإسطبل الطويل الممتد الذي تصاعدت منه أصوات رقيقة ، وزفرة عرضية عند عبور الفانوس . ثم تلاً الفانوس بين جذوع الأشجار على منحدر الطريق . وتزايد ضجيج الكلاب تحتمهم تماماً ، وتحركت أشباحها في الوهج الخافت ، وعلى غصن صغير وراء كوخ النبع بالضبط وجدوا المتماوت وقد انحنى على نفسه وسكن تماماً ، وأغمض عينيه بشدة ، كان بين غصنين على ارتفاع من الأرض لا يزيد على ست أقدام . حمله بادي من ذيله إلى الأرض ، دون مقارمة ، صاح بايارد ، : يا لجهنم ، .

نادى بادي الكلاب أن تعود ، فصعدت إلى الممر مرة أخرى . وفي سقفية غير مستعملة وراء المطبخ ، تلالآت نقط حمراء متزاوجة ، بدت وكأنها على الأقل خمسون عيناً ، سطعت في اللحظة التي أدخل فيها بادي الفانوس وأسقط نوره على قفص محاط بالأسلاك ، تصاعدت منه رائحة

عطنة دافئة . كانت فيه أجسام ذات فراء خشن تتحرك متكاسلة ، أو تدير إلى النور وجوها حادة في شكل الجاجم . فتح الباب ورعى بأخر أسراه بين رفاقه وأعطى الفانوس لريتشارد وخرجا ، كان الجو قد أصبح شاحبا قليلا ، وفقد القليل من برودته الحادة .

وقد جلس الآخرون في شبه دائرة حول النار المتأججة وعند قدمي العجوز غفل كلب الصيد ذو السترة الزرقاء . ووسعوا لبايارد ، وقعد بادي مرة أخرى في ركن المدفأة .

سأل مستر ماك كالم ، « اصطدموه ؟ »

أجاب بايارد ، « نعم يا سيدي . كأنك ترفع قبعتك من فوق مسار على الحائط ،

وأخذ العجوز أنفاسا من غليونه ، « ستخرج معنا في عملية صيد كبيرة قبل أن ترحل ،

قال ريف ، « بادي . كم عندك الآن منها ؟ »

أجاب بادي ، « ليس عندي إلا أربعة عشر ،

أجاب ريف ، أربعة عشر . إن تستطيع أن تأكل أبدأ أربعة عشر ،

أجاب بادي ، « إذن ، أطلقها ، وصددها مرة أخرى ، . ومضى العجوز يدخن ببطء وكان الآخرون يدخنون أو يمضغون ، وأخرج بايارد سجايره وقدمها إلى بادي . وهز بادي رأسه معتبرا .

قال ريف ، « لم يبدأ بادي التدخين بعد ، .

سأله بايارد « لم تفعل ؟ بادي ، ما الأمر ؟ »

أجاب بادي ، وهو في العتمة ، « لا أدري . لم يتوافر لي الوقت

لأتعلم ، على ما أظن ،

طلعت النار ودومت ، ومن وقت إلى آخر كان سيتوارت ، وهو أقربهم إليها يضع قطعة خشب فيها . وكان السكب القابع عند قدمي المعجوز يحلم ، ومن لحظة إلى أخرى يشمشم ، وكان الرماد الخفيف يدور بالدوامات حول أنفه فيعطس ، ويستيقظ ، ويرفع رأسه ويطرف بعينه ناظراً إلى وجه المعجوز ، ثم يغفو مرة أخرى ، جلسوا جميعاً دون كلمات وبحركة ضئيلة جداً ، وكانت وجوههم الصارمة ذوات الأنوف المحدبة كأنما قد نحتت بالسنة النار من صنخور العتمة الظلام ، وشكلت بفكرة واحدة ، وسويت ولونت بنفس اليد .

دق المعجوز غليونه برقة بكفه ونظر إلى ساعته الفضية . الساعة الثامنة .

قال ، د بايارد ، نحن نستيقظ في الساعة الرابعة . ولكن أنت ، ليس عليك ، أن تنهض قبل أن يحل النهار . هنرى ، مات الدورق ،

قال بايارد أيضاً ، الساعة الرابعة ، وقد أخذ هو وبادى فى خلع ملابسهما فى صقيع الغرفة ذات السقف المائل المضاء بمصباح كيروسين ، وحيث كان ثمة سرير خشبى هائل بلحاف صوفى حائل اللون مصنوع من قطع من النسيج من ألوان متباينة خيطة معا . كان ذلك هو فراش بادى . قال بايارد ، لا أدري لم تهتم على الإطلاق بالذهاب إلى الفراش ، وكانت أنفاسه تتكاثف فى الهواء الثلجى وهو يتكلم .

قال بادى ، نعم ، وخلع قميصه من فوق رأسه ، وركل قدميه النحيلتين اللتين تشبهان سيقان خيمل السباق من سراويله السكاكية القديمة . قال ، د تنقضى ساعات الليل بسرعة فى بيتنا . أنت تؤنسنا ، أيضاً ، وكان فى صوته ثمة أثر ضئيل للغاية والشوق للماضى . لن يكون النوم فى ساعات الصباح بعد أن تبلغ الخامسة والعشرين ذهبياً كما كان قبلها . كانت استعداداته للنوم بسيطة ، خلع حذاءه وسراويله وقمصه ، وذهب إلى الفراش فى ملابسه الداخلية الصوفية ، وقد استلقى لا يبين منه إلا رأسه المستدير ،

ليرقب بايارد ، الذي وقف في صدار صوفي بلا أكمام ، وسراويل قصيرة رقيقة . قال بادي ، ان تمام مستدقنا بهذه الطريقة . اتريد بعض ملابس الثقيلة ؟ .

أجاب بايارد ، اظنني ، سأنام مستدقنا . ثم نفخ المصباح فأطفأه ، وتحسس طريقه إلى الفراش ، وقد تقلصت أصابعه إلى أعلى من الأرضية الثلجية ، ودخل إلى فراشه - كانت الحشية مملوءة بقشور الذرة ، كانت تقعقع من تحته ، موسوسة بصوت رفيع كلما تحرك هو أو بادي ، مهما كانت الحركة ضئيلة ، أو أخذ شهبيا عميقا . تحركت القشور بأصوات صغيرة ذات حفيف .

ارتفع صوت بادي في الظلام ناصحا ، دلف ذلك اللحاف جيدا من هناك ، ونفس زفيراً في صوت ، متفجر قصير يفيض بالشعور بالراحة . وتثأب ، مسموعا غير مرئي . قال ، لم أرك منذ مدة طويلة .

هذا صحيح . فلتر ، متى كان آخر لقاء ؟ سنتين - ثلاث سنوات ، ليس كذلك ؟ ، أجب بادي ، سنة ١٩١٥ ، آخر مرة أنت وهو . ثم أضاف بهدوء ، قرأت الاسم في جريدة عندما وقع الحادث بشكل ما عرفت على الفور أنه هو . كانت صحيفة بريطانية .

حقا ؟ أين كنت حينئذ . ؟

أجاب بادي ، هناك . حيث كان البريطانيون . حيث أرسلونا ، إلى بلاد منبسطة لا أدرى كيف يستطيعون تجفيفها بما يكفي لزراعتها ، ويسقط عليها كل هذا المطر .

نعم ، كانت أنف بايارد ، كقطعة من ثلج . وكان في استطاعته أن يحس بأنفاسه وهي تبعث دفئا قليلا في أنفه ، كان في استطاعته حتى أن يرى الأبخرة الشاحبة التي تتصاعد مع أنفاسه ، كان في استطاعته أن يحس بأنفاس شقيقه وهي تجمد خياشيمه مرة أخرى . بدا له وكان

في استطاعته أن يحس بالواح خشب السقف وهي تنحدر نحو الحائط
القصير ، بجوار بادي ، وكان في استطاعته أن يحس بالجو وهو يتراكم في
ذلك الركن البعيد ، مريراً وبارداً وكثيفاً ، أكثف من أن يصلح للتنفس ،
كأنه وحل غير مرئي ، وهو مستلقى تحته ... وكان واعياً بحفيف القشور
الحاد من تحته ، واكتشف بهذه الطريقة ، أنه يتنفس في دفعات عميقة
مضطربة ، وتمنى بشكل فظيع ألا يكون في الفراش ، أن يجلس ، أن
يتحرك ، أمام نار ونور ، أينما كان . وقد استلقى بادي بجواره في جود
الصقيع الضاغط نصف المتجلط ، وكان يتحدث بألفاظه البطيئة المناسبة ،
التي تعلمها من الحرب . كانت بشكل ما حكاية غامضة حالة ، دون بداية
ولا نهاية ، مملوءة بإشارات متعثرة إلى أماكن يخطئ في نطقها بشكل بشع
- كانت تترك في المرء انطباعاً عن أناس هم مجرد مخلوقات عاجزة عن
التصرف وبلا ماض ولا مستقبل ، وقعوا إلى الأبد في تيه الاهتمامات
الفردية المتصارعة ، كأنها لعب تدور وتدور وتتقارع ، ومن ورائها
كابوس وشيك الحدوث ولا يمكن فهمه .

سأله بايارد ، « بادي هل أحببت الجيش ؟ »

أجاب بادي ، « ليس كثيراً . ليس فيه ما يكفي من العمل . حياة
طيبة لرجل كسول ، ثم استغرق في تأملاته برهة وقال في لحظة مصارحة
خجولة وسرور وقور ، منحوني تمويذة ، »

قال بايارد ، « تمويذة ؟ »

« نعم . واحدة من تلك الحلوى البرنزوية التافهة المعلقة بشريط ملون ،
نويت أن أريها لك إلا أنني نسيت . سأريك إياها غداً ، هذه الأرضية
باردة إلى الدرجة التي تجعلني لا ألمسها إلا عند الضرورة ، سأترقب غداً
لحظة عندما يكون أبي خارج البيت ، »

« لماذا ؟ ألا يعرف أنك حصلت عليها ؟ »

أجاب بادي ، ، إنه يعرف . كل ما في الأمر أنه لا يعيل إليها
لأنها كما يزعم من تعاويد اليانكي . ريف يقول إن أبي وستونوول
جاكسون لم يستسلبا قط . .

قال بايارد ، ، نعم ، وتوقف بادي عن الكلام ، ثم ثاب مرة
أخرى ، كأنه كان يقوم بتفريغ جسمه استعداداً للنوم . ولكن بايارد
كان مستلقيا ومتصلبا على ظهره في فراشه ، وعيناه مفتوحتان تماما .
كنت تشعر وكأنك مخور كلما أغمضت عينيك ، ذلك أن الغرفة تبدأ
في الدوران والدوران ، ولذا فإنك تستلقي في فراشك متصلا مفتوح
العينين ، حتى لا تصاب بالغمثيان . وقد توقف بادي عن الكلام وأصبح
تنفسه أكثر امتدادا وهدوءا وانتظاما . وتحركت القشور في شكابة ذات
خفيف حاد ، عندما استدار بايارد ليرقد على جنبه .

ومضى بادي يتنفس في الظلام بهدوء وسلام . وكان في استطاعة بايارد
أيضا أن يسمع أنفاسه هو أيضا ، ولكن تلك الأنفاس الأخرى كانت
تحلق فوقها وتحيط بها ، وتحتويه أيضا وكأنه كان شيئا يتنفس بأنفاس
مجهدة لاهثة ، شيئا ما داخله ، يأخذ أنفاسه مع بادي ، مستهلكا كل
الهواء حتى يتحتم على الشيء الأضال أن يلمك في سبيله . وكان الشيء
الأعظم يتنفس بعمق وهدوء ، وكان غافلا عن كل شيء ، نائما ، نائما ،
نعم ، وربما كان ميتا ، وتذكر ذلك الصباح ، وعاشه من جديد بانتباه
مشدود منذ اللحظة التي رأى فيها دخان الرصاصة المضيفة الأولى حتى رأى
من مكانه على التل المنحدر ، انفجار السنة النيران من أنف طائرة جون
والسكامل ، ، وكأنه خفق بريق برتقالي صغير ، ورأى تلويفة أخيه
المألوفة ، وانسطاحة جسمه الفاطس المفاجئة بعد أن فقد توازنه في الهواء .
عاشها من جديد ، كما تجرى بعينيك فوق قصة مطبوعة قرأتها كثيرا من
المرات ، محاولا أن يتذكر ويستشعر ، طلقه نارية آخذة طريقها إلى
جسمه نفسه أو رأسه ، كان من الممكن أن تذبحه في نفس اللحظة .
وهذا قد يفسر الموضوع ، قد يشرح الكثير جداً منه . إنه هو أيضا

ميت ، وإن ما يعيش فيه هو الجحيم ، الذي يتحرك عبره وخلاه إلى الأبد بوم من السرعة ، باحثاً عن شقيقه ، الذي كان بدوره في مكان ما يبحث عنه ، ولن يلتقي الشقيقان أبداً . استدار مرة أخرى وورق على ظهره ، وهمست القشور من تحته بسخرية جافة .

كان البيت مملوءاً بالأصوات ، وبالنسبة لحواسه المرهفة كان السكون آلافاً من الأصوات : نحنة الخشب الجاف في الصقيع الأسود ، طقطقة القشور وهو يتنفس ، صميم الجو نفسه وكأنه ثلج لزج موحل في منجلة البرد ، يضغط على رثتيه . كانت قدماء باردتين ، وقد تغطت أطرافه بالعرق من فرط البرد ، ومن حول قلبه الساخن كان جسمه متصلباً يرتعد وقد رفع ذراعيه العاريتين فوق الأغطية ، وظل مستلقياً برهة وكان البرد من حوله قالب من الصلب أطبق عليه . وفي أثناء هذا كانت أنفاس بادي الهادئة وأنفاسه المشدودة المهوردة ، كلاهما بلا منبع إلا أن كلا منهما مكثف بالآخر متداخل معه .

تحت الأغطية مرة أخرى ، كانت ذراعه باردتين على صدره ويده كقطع من ثلج فوق أضلعه ، وتحرك بحذر لا نهائي بينما انزلق الصقيع من فوق كتفيه إلى أسفل ، وثرثرت من تحته القشور الختفية ، وطوح ساقيه إلى الأرض . كان يعرف الطريق إلى الباب ، وتحسس طريقه إليه على أصابع متقلصة . كان مغلقاً بقضيب خشبي ، ناعم كالثلج ، وقد لمس شيئاً آخر بجواره وهو يتلمس الطريق إليه ، شيئاً ثلجياً وأسطوانياً ورأسياً ، وانزلت يده عليه إلى أسفل ، ثم ظل واقفاً بعد ذلك برهة في الظلام القاري الثلجي وبنديقية الصيد في يده ، وبينما هو واقف كذلك ، وأصابعه المخدرة تعبت بالزناد ، تذكر صندوق الطلقات ، الذي يستقر عليه المصباح . لحظة أخرى ظل واقفاً هكذا ، ورأسه محني قليلاً ، والبنديقية بين يديه المخدرتين ، ثم أسندها مرة أخرى في الركن ورفع القضيب الخشبي من فجواته بحذر ودون أن يحدث ضجة تراخي الباب ومال بعيداً عن مفصلاته ، وبعد الاحتكاك الغليظ الأول ، قبض على حافته ورفعها ورده إلى الخلف ، ووقف خارجه .

وفي السماء لم تظهر نجمة ، وكانت السماء جيفة ذاتها وقد تراخى
وسطها . استلقت على الأرض وكأنها بالون فرغ من هوائه ، وقد تصاعد
إليها شبح المطهى الأسود بلا عمق ، والأشجار من وزائه ، والأشكال
المألوفة كأنها أشباح أرواح حزينة في ضوء الجيفة الجليدى . كومة من
الحشب ، إحدى أدوات الزراعة ، برميل بجوار الشرفة المكسورة بالقرب
من باب المطهى حيث تمثر ، قبل العشاء . انساب الصقيع الرمادى إلى
داخله كما ينساب الماء في الرمال ، في موجات قصيرة متقاطرة ، متوقفة ،
ثم متعشة طريقها من حول عقبة ، ثم ماضية في طريقها مرة أخرى ،
لتتدفق على امتداد عظامه بلا مقاومة . كان ينتفض ببطء وانتظام
في البرد ، ومن تحت يديه كان لجه قد تصلب وقد القدرة على الإحساس
إذ أنه كان ينتفض باستمرار ، وكان شيئاً ما داخل غلافة الميت كان
يناضل ليتحرر . دقت من فوق رأسه على السقف الحشبي طرقة رقيقة
وحيدة ، وكان انصمت الشاحب كان ينتظر هذه الإشارة فقد بدأ
السكون في الحال في الانفضاض . أغلق الباب بسكون وعاد إلى فراشه .

وقد أخذته رعشة في فراشه أعنف من كل رعشة أخرى لحقت به
في ذلك الليل . ومن تحته كانت القشور تسخر منه ببرود ، وقد استلقى
على ظهره في سكون ، يتسمع همس أمطار الشتاء على السقف . لم يكن
ثمة ضجيج كضرب الطبل ، كذلك الذى يتصاعد عندما تهطل أمطار الصيف
عبر الهواء المنعش ، بل همس من صوت غير واضح النبرات ، وكان
الهواء البارد الذى اضطجع متاثقاً فوق السقف ، قد أخذ في الذوبان
والتقاطر متكاسلاً رتيباً من خلال الثقوب والفجوات . تدفق دمه في جسمه
مرة أخرى والأغطية ملبس كلبس الحديد أو الثلج ، وبينما كان مستلقياً
دون حركة تحت المطر تزايد الدفء في دمه حتى توقف جسمه أخيراً عن
الارتعاد ، فذاب في شيء وكأنه إغفاءة معدبة متشنجة ، تحيط به من
كل جانب صور وأشكال متقاصدة متوترة لليأس والعنود والصراع الذى
لا يتوقف في سبيل . . . ليس في سبيل التبرير بقدر ما هو في سبيل
الفهم ، مجرد يد ، ليس بهم يدمن ، لتلمسه وتخرجه من فوضاه السوداء

سيرجرها بطبيعة الحال . ولكنها ستميد إليه كفايته الذاتية الباردة
وظل المطر يهطل ويهطل ويهطل ، وبجواره كان بادى يتنفس بوداعة
وانتظام : لم يغير حتى وضعه فى الفراش . وقد غفى بايارد من لحظة
إلى أخرى فى إغفاءات تشنجية وإذ كان يغفو ، كان فى نفس الوقت
متيقظا تماما ، وعند ما كان يستيقظ ، كان يضطجع فى حالة غامضة مملوءة
بأشكال النضال غير المعقولة ، ليس فيها ثمة لحظة انفراج أو راحة ، وقطرة
وراء قطرة قطع المطر الليل كله ، وأبلى الزمان نفسه ، إلا أنه كان ليلا
طويلا ، ليلا طويلا ملعونا إلى أقصى حد ، وقد تحرك دمه المبدد الجهد ،
الذى أضناه النضال . تحرك فى جسمه فى نبضات متباطئة ، وكان كالمطر
أيضا ، فقد أضنى غمه أيضا . إنه يأتى إلى الجميع . . . التوراة . . .
واعظ ما ، على أية حال . . . ربما كان يعرف النوم . النوم يأتى إلى
الجميع . . .

وأخيراً سمع من وراء الجدران ثمة حركة . كانت حركة لا تميز ،
إلا أنه أدرك أنها حركة إنسان ، حركة أتاها ناس كان يعرف أسماءهم
ووجوههم ، عادوا مرة أخرى إلى عالم لم يتمكن حتى من فقدته مؤقتا ،
ناس كان بالنسبة لهم . . . وأحس بالراحة . واستمرت الأصوات ،
وقد سمع بالتأكيد حفيف باب ، وصوت إنسان ، أدرك أنه يستطيع أن
يعرف اسمه بجهد ضئيل من التركيز . وأحس من كل الأشياء جميعا ،
فقد عرف أن فى استطاعته أن ينهض من فراشه ويذهب إليهم حيث
كانوا متجمعين حول نار مطققة ، هناك حيث النور والدفء . وهنا
استلقى وبه شعور بالراحة ، منتويا فى كل لحظة النوح والذهاب إليهم
فى اللحظة التالية ، مؤجلا الأمر فى كل لحظة إلى اللحظة التالية ، بينما
كان دمه يسرى فى جسمه فى نبضات بطيئة ، وقد استرد قلبه هدوءه .
كان بادى يتنفس بهدوء بجواره وقد انتظمت أنفاسه أيضاً كأنفاس
بادى ، بينما كانت الأصوات الإنسانية تفيض مهمة على الغرفة الباردة
فتسلوها بالثقة العميقة والأمن . إن النوم يأتى إلى الجميع ، يأتى إلى الجميع
هكذا حاول قلبه أن يبك فيه شيئا من العزاء وأخيراً راح فى سبات عميق .

استيقظ من نومه في ساعات الصباح الأولى الشاحبة ، وكان جسمه متعباً وثقيلًا وخامدًا ذلك أنه لم يفز من نومه بشيء من الراحة . وكان يادى قد ذهب ، وما زال المطر يهطل إلا أنه كان قد تحول فوق السقف إلى صوت شديد الإصرار واضح المعالم ، وزاد الدفء في الهواء ، إلا أن برودته ظلت تتحسس طريقها إلى عظامه نفسها ، ومضى في جواربه وحقاؤه في يده ، عبر الغرفة حيث ينام لي وريف وستيوارت . ووجد ريف وجا كسون بصطليان أمام النار بغرفة الجلوس .

قال ريف ، « تركناك تأخذ حاجتك من النوم ، ثم قال ، يا إلهي الطيب ، أنت تبدو كالشبح يا ولد . لم تتم ليلتك أمس ؟ »

أجاب بايارد ، « بلى . نمت غلى ما يرام ، ثم جلس ووضع قدميه في حذاءيه وشبك أشرطتها الجلدية تحت ركبتيه . كان جا كسون جالسا على أحد جانبي المدفأة . وفي الركن الظليل بجوار قدميه تهارش بسكون عدد من المخلوقات الحية الصغيرة . قال بايارد وهو يسوى حذاءيه في قدميه .

« جا كسون ، ما هذا الذي عندك ؟ أى نوع من أنواع الجراء هذه ؟ »

أجاب جا كسون ؛ « هذه سلالة جديدة أحاول اصطناعها ، واستدار ريف وفي يده نصف قدح من ويسكى هنرى ذى اللون الكهرمانى الشاحب ، قال « هذه جراء لإن . دع جا كسون يحكى لك عنها بعد أن تأكل . خذ اشرب هذا . تبدو مجهداً تماماً . ثم قال في سخرية باردة ، « لا بد أن يادى ظل يتكلم وحرملك من النوم . »

شرب بايارد الويسكى وأشعل سيجاره . قال ريف . « ما لندى تحتفظ بطعام لإفطارك فوق الموقد ، »

قال بايارد مردداً ، « لإن ؟ أوه ، ذلك الثعلب . أردت أن أتحدث إليك عنه ليلة أمس . أتم تتولون تربيتها ؟ »

و نعم . لقد نمت مع دفعة جراء العام الماضي . بادى صادما .
ويعتزم جاكسون بوساطتها أن يحدث ثورة في صناعة الصيد . يريد أن
يصطنع سلالة من الحيوان ، يرثى كلب صيد وقوة احتماله ، وبراعة
ثعلب وسرعته .

اقرب بايارد من الركن وتفحص المخلوقات الصغيرة باهتمام وفضول ،
وقال ولم أر قط مثل هذه الكثرة من جراء الثعالب ، ثم قال أخيراً ،
« إلا أتى لم أر أى شىء يشبهها » .

أجاب ريف ، « ويبدو أن هذا ما يعتقد جنرال أيضاً » .

بصق جاكسون في النار ، وانحنى فوق المخلوقات . كانت تعرف يديه ،
ولذا تزايد هراشها حدة ، وهنا لحظ بايارد أنها لم تحدث صوتاً على
الإطلاق ، ولا حتى مهمة الجراء الصغيرة . قال جاكسون ، « إنها تجربة ،
الأولاد يسخرون منها ، إلا أنها لم تتعد إلا مرحلة الفطام . انتظر
وسترى » .

قال ريف بغلظة ، « لا أدرى ماذا ستفعل بها . لن تكبر إلى الحد
الذى يسمح لها بالعمل . بايارد ، الأفضل لك أن تذهب وتتناول
طعام إفطارك » .

قال جاكسون مرة أخرى ، « انتظر وسترى » ، ثم تلس الأجسام
الصغيرة المتدافعة وفي لمساته كانت رقة وحماية . قال لبايارد وكأنه
يستعين به « أنت لا تستطيع أن تقطع بشىء عن كلب حتى يبلغ من العمر
شهرين على الأقل ، أليس كذلك ؟ » وتطلع إلى بايارد من تحت حاجبيه
الكثيفين وكان في نظراته احتدام وغموض .

قال ريف بإصرار « بايارد اذهب وتناول إفطارك ، بادى تركك
وفطر ، وقد غسل وجهه بماء ثلجى في وعاء من الصفيح على مدخل البيت
وأكل طعام إفطاره الذى تألف من فؤد خنزير وبيض وفطائر ساخنة

كبيرة وعسل أسود ، وكانت ماندى تتحدث إليه وهو يتناول طعامه مع أخيه . عندما عاد إلى البيت كان مستر ماك كالم العجوز هناك . كانت الجراء تتزاحم وتتعارك في ركنها وقد جلس العجوز ، ويداه على ركبتيه ، يرقبها باستمتاع صريح هائل ، بينما جلس جاكسون على مقربة منه معنيا بها ، وكأنه دجاجة تحوم بعناية حول أفراخها .

قال العجوز عندما دخل بايارد : تعال هنا يا ولد . ريف ، اسمع ، هات قصبة صيد السمك ، وخرج ريف ، ليعود بعد برهة قصيرة بقطعة من جلد فخذ خنزير مثبتة في خيط أخذها العجوز ودفع الجراء بغلظة إلى النور ، حيث جثمت هناك بذلة وحقارة - وبطريقة غريبة لم يرباها يارد بين الجراء لها مثيلاً . لم يكن يشبه أحدها الآخر ولم تكن جميعها تشبه أيا من المخلوقات الحية الأخرى . لم تكن ثعالب ولا كلاب صيد ، أخذت بعضها من كل منها ، إلا أنها لم تكن أيهما . وبالرغم من طفولتها الرقيقة ، فقد كان ثمة شيء فيها بشع وناشر ووقح ، كان هنا فم الثعلب الحاد القاسي بين عيني كلب الصيد الحزبنتين ، وأذنيه الرقيقتين ، حاولت أذناها المتراخية بجرأة أن تنتصب ، وفشلت بشكل فاضح ، وتحرك الذيل القصير الرخو بشعره الذهبي الشاحب الذي يشبه لون ثمرة القسطل من الداخل . أما من ناحية اللون ، فقد تراوحت بين اللون البني المائل إلى الأحمرار عبر لون مخطط ومنقط وغير واضح المعالم حتى لون معتم شاحب تنخلله نقط واضحة ، وكان لأحدها ، إذا أخذت معالم وجهه كل على حدة ، وجه الجنرال العجوز ، وإن كان مصغراً مثيراً للسخرية ، حتى رسم الآسى وإدراكه لحقيقة الوجود وزوال الوهم وانعدام الأمل ، واحتماله لهذا بكبرياء وعزة ، قال العجوز : انقبه إليها الآن ، .

ودفعها جميعاً للنظر إلى أمام ، ثم دلى قطعة اللحم وراها وحركها . لم يدرك أحد وجودها ، دفعها إلى الخلف والأمام فوق رءوسها بالضبط . فلم تنظر أحدها إلى أعلى . ثم رجحها مباشرة أمام عينيها ، إلا أنها ظلت جائعة تحجل على سيقانها الصغيرة غير الثابتة ، وتطلعت إلى قطعة

اللحم بشغف ، ولكن دون أى اهتمام ذاتى على الإطلاق ، ثم بدأت تتهاوش فيما بينها دون أى صوت على الإطلاق .

قال جاكسون ، ، أنت لا تستطيع أن تعرف أى شيء عن أى كلب ، ،
ولكن أباه قاطعه ، قائلا :

، والآن ، انتبه ، قبض على الجراء بإحدى يديه ، ثم دفع بالأخرى قطع اللحم فى أفواهها . وعلى الفور بدأت تتدافع متعثرة مشوقة فوق يده ، إلا أنه حرك قطعة اللحم بعيداً ، ومن الحبل المربوطة به بدأ فى جر قطعة اللحم على الأرض أمامها وعلى بعد قليل جداً منها ، حتى أخذت فى المشى نحوها ، بطريقة متعثرة . ثم شد قطعة اللحم جانباً مسافة قصيرة ، ودون أن تنحرف فى اتجاهها ، ظلت ماضية متعثرة حتى وصلت إلى ركن ظليل ، حيث أوقفها الجدار ، ومن هناك بدأ هراشها الصامت الدموب مرة أخرى . ذهب جاكسون إليها والتقطها وعاد بها إلى نار المدفأة مرة أخرى .

سأل العجوز ، ، والآن ماظنك بها ، كقطع من كلاب الصيد ؟
لا تستطيع أن تشم . لا تستطيع أن تعوى . ولتجلى على اللعنة إن كنت
أعتقد أنها تستطيع أن ترى . ،

قال جاكسون مرة أخرى بصبر ، لا تستطيع أن تعرف ثمة شيئاً
عن أى كلب . ، ولكن أباه قاطعه وقال ، جنرال يستطيع . ريف ، اسمع . ،
ناد جنرال ليحضر هنا . ،

ذهب ريف إلى الباب ، ونادى ، وبعد برهة دخل جنرال ، ولحاله
حفيف خفيف فوق أرضية الغرفة المسارية ، وسترته المنقطة مزركشا
بقطرات المطر ، ثم توقف ونظف بوقار إلى وجه العجوز متسائلاً . قال
مستر واك كالم : ، تعال هنا ، وتحرك الكلب مرة أخرى بكبرياء وبطم .
فى هذه اللحظة رأى الجراء تحت مقعد جاكسون ، توقف فى وسط خطوه

وظل ينظر إليها برهة ، مفتوناً بها ، وفي نظره حيرة ورعب عميقان ، ثم ألقى على سيده نظرة واحدة جريئة عاتبة ، واستدار وخرج ، وذيله بين ساقيه . وظل مستر ماك كالم جالساً مكانه وفي صدره دمدمة مكتومة .

قال جاكسون مرة أخرى ، أنت لا تستطيع أن تعرف ثمة شيئاً عن أى كلب - ، ثم انحنى وجمع عهدته واعتدل .

ظل مستر ماك كالم يدمدم ويهتز ، ثم قال : أنا لا أوجه لوما لصاحبنا العجوز . إذا تحتم على يوماً أن أنظر إلى حزمة من الفتيان تشبهها ، وأقول لنفسى ، حسناً ، هؤلاء ، هم أولادى - ، ولكن جاكسون كان قد ذهب . وظل العجوز مكانه يدمدم باستمتاع عميق ، نعم ياسيدى . أحسبني سأزدرها بكبرياء كما فعل جنرال . ريف ، ناولنى غليونى .

وقد ظلت السماء تمطر طوال ذلك اليوم ، واليوم التالى ، والآخر الذى تلاه . وظلت الكلاب تجوس فى البيت بين أقدام الرجال طوال ساعات الصباح ، أو تقوم برحلات قصيرة ، تستكشف منها حالة الجو ، لتعود وتستلقى أمام النار وسنانة ، ورائحة رديئة تفوح منها . وهى تتصبب عرقاً وتظل كذلك حتى يأتى هنرى ويسوقها خارج البيت ، ومن فتحة الباب رأى بايارد الثعلب إن مرتين ، وهو ينسال بنجمل ليختفى فى الفناء . وباستثناء هنرى وجاكسون ، الذى كان يعانى من إصابة خفيفة بالروماتزم ، فقد ظل الآخرون فى مكان ما تحت المطر أغلب ساعات اليوم . ليلتقوا فى ساعة تناول الغداء ، بعد أن يخلعوا ستراتهم المبللة بماء المطر عند مدخل البيت ، دخلوا فى خطوات ثقيلة ليضعوا أحذيتهم الموحلة والتي تتصاعد منها الأبخرة أمام النار بينما أحضر هنرى القدر المعدنى والدورق ثم جاء آخرهم بادى ، وقد غرق فى ماء المطر .

كانت لبادى طريقته فى شد قامته النحيفة الطويلة من مكانها الركين بجوار المدفأة فى أى ساعة من ساعات النهار ، ليخرج دون كلمة ، وليعود فى ساعتين أو ست أو اثنتى عشرة أو ثمانية وأربعين ، ليحتوى

المسكان خلال هذه الفترة ، ورغم وجود جاكسون وهنرى وعادة لى ،
جو غامض الخواء . وقد ظل الأمر كذلك حتى أدرك بايارد غياب
كثرة الكلاب أيضاً . وعندما غاب بادى منذ ساعة الإفطار ، قالوا
له : إنه ذهب للصيد .

سأل بايارد ، : إذن لم لم يدعى أعرف ؟ ،

قال جاكسون مرجحاً : ربما اعتقد أنك لن تحرص على الخروج في
هذا الجو .

ووضع هنرى قائلاً : بادى لا يهتم بحالة الجو . أى يوم بالنسبة له
يشبه الآخر .

وقال لى : : ما من شيء له أهمية عند بادى ، . قالها بصوته المرير
العاطف وقد جلس أمام النار غارقاً في تأملاته ، ويداه النسائيتان تتحركان بقلق
فوق ركبتيه . : لن يضايقه أبداً أن يقضى حياته كلها في قاع ذلك النهر ،
بقطعة من خبز القمح البارد ، ليأكلها ، وعدد من الكلاب كصحبه ، .
ووقف فجأة وغادر العرقة . كان لى في أعوامه الماضية الأخيرة من
الثلاثينيات . وقد كان طفلاً ضعيفاً . وكان له صوت رجالي جيد وكان
يطلب كثيراً للاشتراك في ترانيم الأحد - وكان من المفهوم أنه يعاشر
امرأة شابة تقيم في قرية مونت فرنون ، التي تبعد ستة أميال . وكان يقضى
أكثر وقته هائماً متجولاً مكتئباً في البقاع المحيطة بهم .

بصق هنرى في المدفأة وحول رأسه وراء أخيه الذاهب وقال : هل
ذهب إلى فونون أخيراً ؟ ،

اجاب جاكسون ، : هو وريف كانا هناك منذ يومين ، .

قال بايارد ، : حسناً ، لن أذوب في ماء المطر . هل أستطيع اللحاق به
الآن يا ترى ؟ ،

وظلوا صامتين لحظة ، وهم يبصقون بوقار في نار المدفأة . ثم قال
جاكسون أخيراً ، « لا أنصح بهذا . من الجائز أن يكون بادى الآن
على بعد عشرة أميال . عليك أن تلحق به في المرة القادمة قبل أن
يخرج » .

وبعد ذلك فعل بايارد كما قيل له ، وهو وبادى حاولا اصطياد الطيور
في الحقول العارية تحت المطر ، حيث كانت البنادق تحدث صوتاً ناعماً
يتلصقاً في الهواء المنسال ، وكأنه بقعة من لون تنتشر ببطء ، أو تجريرة
حظهما في المياه الخلفية الراكدة على امتداد مجرى النهر بحثاً عن البط
والأوز ، أو ، وفي صحبة ريف أحياناً ، اصطياد القطط الوحشية
والراقون في بطن الوادى ، وأحياناً ، وعلى بعد كبير منهما ، كانا يسمعان
عواء الجراء الصغيرة الحاد في تتابع جنونى . وكان بادى يعلق ، « هذه
إن ذاهبة . وقل نهاية الأسبوع ، صفا الجو ، وذات غروب منذر بسقوط
الصقيع ، وبينما كانت رائحة الأرض طيبة ، أخذ جنرال العجوز النعلب
الأحمر الذى ضلله مراراً كثيرة ، على غرة .

وقد ظلت الأصوات الصداحة الرنانة كالأجراس تتردد طول الليل ،
وترتعد وتتجاسم وتردد أصدائها بين التلال ، وكلهم عدا هنرى
تتبعوا أثر الصيد على صهوات خيولهم مقودين بصيحات الكلاب ، ولكن
في الأرجح بالبراعة العجيبة التى كان يبيدها الرجل العجوز وبادى التى
تصل إلى درجة الشفافية في إدراك اتجاه سير الطراد . كانوا يتوقفون
أحياناً ، حيث يتجادل بادى وأبوه حول المسكان الذى سيتجه إليه الصيد ،
وكانا يتفقان عادة ، متنبئين بحركات الحيوان ، قبل أن يعرفها الحيوان
نفسه ، ومرة أوقفوا خيولهم فوق قمة تل وظلوا ساكنين في الصقيع الذى
تضيئه النجوم ، حتى فاضت أصوات الكلاب من الظلام ، ناعمة مجلجلة
كالأجراس ، ثم تجاسمت وازدادت قرباً ومرت بهم دون أن يروها ،
على بعد يقل عن نصف ميل ، ثم غاضت متضائلة ، وبغموض متوتر
كأصوات الأجراس ذابت في الصمت مرة أخرى .

قال المعجوز ، الآن ، وكان يبدو بلا شكل واضح في معطفه وهو على حصانه الأبيض وقال ، هذه الموسيقى ، أليست تعزف من أجل الرجال ، هيا ،

قال جاكسون ، د أرجو أن يمسكوا به هذه المرة . تجرح خيلاء جنرال إلى أقصى حد في كل مرة ينجح فيها في خداعه .

قال بادي ، د لن يوقعوا به . سيلجأ إلى هذه الصخور ويختبئ في أحد أوجرتها بمجرد أن يصيبه الإعياء .

قال المعجوز مؤيداً ، د أحسبنا سنضطر للانتظار حتى تشب جراه جاكسون ، ذلك إذا لم ترفض أن توقع بجدهما . لقد رفضت حتى الآن كل شيء عدا الطعام .

قال جاكسون مرة أخرى دون أن يسأم ، د عليك فقط أن تنتظر . عندما تبلغ هذه الجراء من العمر ما يكفي ، د انصتوا .

توقف الكلام مرة أخرى عبر التلال تلالاً أصوات الكلاب ، صيحات مستطيلة رنانة تفيض وتموت في ارتعاشة متوترة ، كأنما هي أجراس أو أوتار لمست ، وكررت وثبتت ، بأصداً كأصوات نواقيس ، واستعيدت مراراً ، لتموت بين التلال الممتمة تحت النجوم ، متلكئة رغم هذا في الآذان صافية كالبلورة ، نائحة ومجترة وحزينة إلى حد ما .

قال ستيوارت بهدوء . د سيء جداً إلا يكون جون معنا . . . هذا الطراد كان سيمنعه .

وقال جاكسون ، د كان فتي صيد . كان يستطيع أن ينافس حتى بادي .

قال المعجوز ، د كان جون ولداً ممتازاً .

قال جاكسون ، « نعم ياسيدي . ولدا طيبا ذا قلب حار ، قال هنري إنه لم يكن يأتي قط إلى هنا دون أن يحضر لبادي والأولاد شيئا صغيراً بما يباع في المتاجر ، .

قال ستيوارت ، « لم يكن يتجهم أبداً في أثناء الصيد ، مهما كان البرد والمطر ، حتى عندما كان قتي صغيراً ، بتلك البندقية ذات الماسورة الوحيدة التي اشتراها بحرمانه ، والتي كانت تدقه بعنف كلما أطلقها . ومع ذلك كان يحملها ويخرج بها ، بدلاً من تلك البندقية التي اشتراها له الكولونيل العجوز ، ليجري أنه اشتراها بنفسه وبماله الذي اقتصده من أجلها ،

قال جاكسون ، « نعم . إذا وقع شخص في شيء برضاه التام ، فإن عليه أن يمضى فيه بسرور . »

قال مستر ماك كالم ، « كان قتي شداً صياحاً . كان يفرع الصيد على مسافة عشرة أميال . ما زلت أذكر تلك الليلة عندما نهض وذهب في طليعة طراد عبر جسر سامسون ، ولم نعرف بعد ذلك شيئاً ، حتى رأيناه هو والثعلب طايفين فوق ماء النهر على قطعة خشب شاردة ، وهو يقف وقد رفع عقيرته إلى أقصى ما يستطيع .

قال جاكسون ، « ذلك كان جوني . كان يقتنص أقصى ما يستطيع من بهجة من كل شيء يعرض عليه . »

قال مستر ماك كالم مرة أخرى . « كان ولداً عظيماً . »

« انصتوا ،

ومرة أخرى تكلمت الكلاب في الظلام من تحتهم . وحلق الصوت وطفأ في الهواء البارد . ومات في أصداً كررت الصوت مرة أخرى حتى افتقد بذلك مصدره وضاع ، وحتى الأرض نفسها ربما تكون أيضاً قد

تكلمت ، بوقار وحزن ، وبكل الوحشية التي تفيض من الندم .

كان قد بقي على عيد الميلاد يومان ، وقد تحلقوا مرة أخرى حول النار بعد العشاء ، ومرة أخرى أغفى جنرال عند قدمي سيده . وغدا ستكون ليلة عيد الميلاد ، وستذهب العربية إلى البلدة ، ورغم ضيافتهم الوقورة التي لا تكل لبايارد ، (فإن كلمة ما لم تقل له عن موعد رحيله) فقد كان يعتقد أنهم مقتنعون فيما بينهم بأن أمر عودته في الغد إلى بيته للمشاركة في العيد كان أمراً مفروغاً منه ، وحيث إنه لم يعلن هذا بنفسه ، فقد نشأ بينهم جو من حب الاستطلاع والتوقع .

كان الجو بارداً ، بصقيع حاد دفع قطع الخشب المشتعلة للقمعة والتشق ، منطلقة منها شرارات شريرة ، وقطع جمر صغير سقطت على الأرض لتسحقها حذاء كسولة ، وقد جلس بايارد بينهم وفي عينيه سمة من النوم ، وقد استرخت عضلاته المتعبة في فيض من موجات الحرارة المترابكة ، وكأنه في حمام دافئ ، واسترخى أيضاً - ومؤقتاً - قلبه الحرون اليقظان دائماً ، غداً فيه من الوقت ما يكفي ليقرر إذا كان سيعود أم لا . ربما يمضي في البقاء هنا ، دون أن يقدم حتى ذلك التفسير ، الذي لن يطلب منه قط . ثم أدرك أن ريف ، ولي ، أو أيا منهما سيذهب ، ويتحدث إلى الناس ، وسيعرف ذلك الشيء الذي افتقد هو الشجاعة لكي يتحدثهم عنه .

وقد خرج بادي من ركنه الظليل ، وقعد على الأرض في وسط نصف الدائرة وقد وضع ظهره قبلة النار ، وأحاط ركبتيه بذراعيه ، وظل كذلك ، بتلك القدرة التي لا تنضب فيما يبدو ، على الجلوس على عجزه في سكون تام دون حركة أوقاتاً طويلة . كان طفل الأسرة ، إذ كانت سنه عشرين عاماً . كانت أمه هي زوجة العجوز الثانية . وكانت عيناه المسائتان وشعره الأحمر المقصوص قصيراً حول رأسه المستدير ، كانت تفترق بشكل ملحوظ عن أعين إخوته البنية اللون - وشعرهم الأسود . إلا أن العجوز كان قد ترك طبيعته على وجه بادي ، بنفس الوضوح الذي فعله

مع أي من الأشقاء الآخرين ، ورغم شبابه فقد كان شديداً للآخرين -
الأنف المحذبة وكان نحيفا وقورا ومتحفظا ، وإن كان أكثر نضرة
قليلا بلون شبابه الحدث وراء بشرته .

كانت للآخرين قامات متوسطة أو دون المتوسط ، تراوح بين قامة
جاكسون الهزيلة ، التي تبدو شاحبة غير ذات فاعلية ، عبر استدارة هنري
المستكينة ، وقامة ريف - وكان - اسمه رافاييل سيمز - وعضلية ستيوارت
القوية المترنة ، وبنية لي النحيلة المتوترة الملتبهة ولكن بادي ، وله مثل هزال
النبته الصغيرة كان كفوفاً لذلك الأب الذي كان يحمل سنواته السبع والسبعين
فوق جسده وكأنها سترة رقيقة . كان العجوز يقول ، متظاهراً بلومه ، وغد
في نحافة المغزل . جعل من نفسه شجاعاً بتدله على كل هذا الطعام الذي
يأكله ، وكانوا يجلسون ضامتين ، متطلعين إلى قامة بادي النحيلة وفي نفوسهم
نفس الفكرة : فكرة كان يتصور كل منهم أنها لا تجول إلا بعقله وحده ،
ولم يسبح بها أحدهم قط ، أن يتزوج بادي يوماً ويخلد اسم الأسرة

كان بادي يحمل أيضاً اسم أبيه ، رغم أنه من المشكوك فيه أن يكون
هذا معروفاً خارج الأسرة ووزارة الحرب وقد فر وهو في السابعة عشرة
من عمره وتطوع . وفي معسكر تجميع المشاة في أركنساس حيث أرسل
قال له مجند آخر ، يا بنت ، وقاتله بادي بهدوء ودون غضب لمدة سبع
دقائق ، وفي معسكر تجميع المجندين المسافرين في نيوجرسي فعل رجل
آخر نفس الشيء ، وقاتله بادي أيضاً ، وهدوء وشمول ودون غضب
أيضاً . وفي أوروبا ، وتحت إكراه طبيعته العميقة غير المعقدة ، حاول
دون قصد ربما ، أن يفعل شيئاً ، أكدت الجهات الرسمية بعد ذلك ، أثره
الشديد في مضايقة العدو ، ومن أجله أيضاً منح تعويضته كما كان يسميها .
ماذا كان ذلك الشيء الذي فعله ، لم يستطع أبداً أن يدفع للحديث عنه .
أما قطعة المعدن المزخرقة ، فلم تفشل فقط في تهدئة غضب أبيه لأن
واحداً من أبنائه انضم إلى جيش الاتحاد ، بل بالعكس أضافت وقوداً
لنار غضبه ، ولذا فقد اختفت اللعبة بين مقتنيات بادي القليلة ، ولم يعد

ماضيه العسكرى يذكر قط فى أوساط الأسرة ، وقد جلس قيا بينهم ،
وظهره قبلة النار وذراعه حول ركبتيه ، بينما كانوا هم يجلسون حول المدفأة
وفى أيديهم كئوس الشراب التى يتناولونها قبل النوم . كانوا يتحدثون عن
عيد الميلاد .

كان العجوز يقول باشمزاز مترفع شديد : ديك روى ، ولديكم
حظيرة مملوءة بالمتاوت ، وقاع واد مملوء بالسنجاب والبط ، وحجرة مملوءة
بلحم الخنزير المقدد ، يتحتم عليكم أيها الأولاد الملاحين أن تقطعوا كل هذه
المسافة إلى البلدة لتشتروا ديكا روميا لعشاء ليلة عيد الميلاد .

قال جاكسون مبرراً برقة ، : عيد الميلاد لن يكون عيداً بالنسبة لآى
شخص إلا إذا كان لديه ثمة شىء صغير جديد مغاير لسكل يوم .

أجاب العجوز على الفور ، : أتم أيها الأولاد لا يتحدثون إلا عن
مبرر للذهاب إلى البلدة والتسكع فيها اليوم كله ، وتبذير النقود . رأيت
من أعياد الميلاد أكثر مما رأيتم . وإذا اشترى الشىء من متجر فلن
يكون ذلك عيداً .

سأل ريف : وماذا عن سكان المدن ؟ أنت لا تدع لهم فرصة
الاستمتاع بعيد الميلاد على الإطلاق .

قال العجوز على الفور ، : لا يستحقونها . يعيشون على قطع صغيرة
من الأرض قدمين فى أربع ، فى زحام ، وكل منهم لصق باب الآخر
الخلقى ، ويأكلون طعاماً محفوظاً فى علب معدنية .

قال ستيوارت ، : افترض أنهم هجروا المدينة ، وجاءوا إلى هنا وأخذوا
الأرض ، حينئذ ستسمع بابا وهو يلعن أهل المدينة . لا تستطيع أن
تمضى فى حياتك دون أن يكون ثمة مدن يتجمع فيها الناس . بابا ، أنت
تعرف هذا .

قال مستر ماك كالم باشمزاز وحشى ، : يشترون ديكا روميا . يشترونه .

مازلت أذكر الزمن حينما كان في استطاعتي أن آخذ بندقية وأخرج من هذا الباب الذي أمامكم وأحصل على ديك في ثلاثين دقيقة ، وفخذ غزال في ساعة في أغلب الأحيان . أتم أيها الأولاد لا تعرفون شيئاً عن عيد الميلاد ، كل ما تعرفونه هو نوافذ المتاجر المماوءة بجوز الهند وبنادق الهواء وأمثالها بما يصنعه الياباني ، .

قال ريف ، « نعم يا سيدي ، وطرف بعينه إلى بايارد ، « كانت أعظم غلطة اقترفها العالم على الإطلاق ، يوم أن استسلم لي . لم تستطع البلاد أن تفيق من آثارها ، .

زفر العجوز ، وقال ، « أكون ملعونا إذا لم أكن قد أنجبت وريت ألين وأشطر مجموعة من الأولاد في العالم . لا أستطيع أن أقول لهم شيئاً ، لا أستطيع أن أعلمهم ثمة شيئاً . لا أستطيع حتى أن أجلس أمام نار بيتي الملعونة ، دون أن يقولوا لي جميعا الطريقة التي يجب أن تساس بها هذه البلاد الملعونة ، كني ، أتم أيها الأولاد هيا إلي فراشكم ، .

وفي الصباح التالي ، وعند شروق الشمس ، ذهب جاكسون وريف وستيوارت ولي إلى البلدة في عربة . ومع ذلك ، فلم يعبر أحدهم عن أية رغبة في معرفة ما إذا كانوا سيجدونه عند عودتهم مساء ذلك اليوم ، أم أنهم لن يروه مرة أخرى إلا بعد ثلاث سنوات . وقد وقف بايارد في المدخل المغطى بالجليد ، يدخن سيجارة . وكان الجو صقيعا يتدفق بحبوبة لحظة شروق الشمس ، وتطلع إلى العربة وهي ذاهبة وعليها الأربعة الملتحفون ، وتساءل في أعماقه إن كان سيراهم مرة أخرى بعد ثلاث سنوات ، أم لن يراهم قط بعد ذلك . جاءت الكلاب وتحاقت من حوله وتشمته ، وأدلى إليها بيده بين أنوفها الثلجية وألستها الدافئة اللاعقة متطلعا إلى الأشجار التي جاءت من ورائها غير معوقة مقعقة العربة على هوا الصباح الصافي الصامت .

قال بادي من ورائه ، « أنت مستعد ؟ ، واستدار وأخذ بندقية

كانت مسنودة إلى الجدار . وقد تزاخت الكلاب من حولهم وتداولت بهمهمات قلقة وأنفاس تتسكثف في الهواء وقادما بادي إلى حظيرتها وجمعها داخلها ، وأوصد الباب على احتجاجاتها المتعجبة ومن حظيرة أخرى أخرج كلب الصيد الفتي دان وظلت الكلاب ترفع احتجاجاتها المكتومة الرقيقة .

ظلا يصيدان في الحقول غير الممهدة العارية وعلى حدود الغابات حتى جاءت ساعة الظميرة وقد تزايد الدفء في الهواء . كان الصقيع قد ذهب ، وأصبح الهواء دافئا متراخيا بلا رياح ، وقد شهدا مرتين في أدغال الورد الوحشي طيوراً حمراء تمرق كالسهم وكأنها لهب قرمزية . وأخيراً رفع بايارد عينه دون أن تطرف إلى الشمس .

قال ، بادي ، على أن أعود . سأعود أصيل اليوم إلى البيت .

قال بادي دون احتجاج ، وهو كذلك ، ونادى كلب الصيد ، عليك أن تعود لويارتنا في الشهر القادم .

أحضرت لها ما ندى طعاما بارداً أكلاه ، وبينما كان بادي يعد يبرى للرخيل دخل بايارد البيت حيث كان هنرى يرتق بجهد شديد حذاء ، والعجوز يقرأ ، بنظارة ذات إطار من الصلب ، جريدة مضى عليها أسبوع .

قال مستر ماك كالم موافقا ، وهو يرفع نظارته ، أظن أهلك قد أخذوا في البحث عنك . إلا أننا سننتظرك في الشهر القادم لتصيد ذلك الثعلب . لن نستطيع جنرال أن يرفع رأسه أمام هذه الجراء إذا لم يصطد الثعلب في القريب العاجل .

أجاب بايارد ، نعم ياسيدى . سأفعل .

وحاول أن تقنع جدك بالحضور معك . يستطيع أن يرقد ويستجم هنا ويأكل ما شاء من الطعام الذي لا يقل عما يجده في البلدة .

« نعم ياسيدي . سأفعل . »

قاد بادي الفرس خارجاً بها ، ومد العجوز يده له دون أن يقف وترك هنري رفق الخذاء وتبعه إلى مدخل البيت . قال بتردد ، « تعال مرة أخرى ، وهز يد بايارد مرة واحدة قوية ، ومن بين حشد الكلاب المتزاحمة المستطلعة التي لم تبلغ أشدها بعد مد بادي يده . »

قال باختصار ، « سأظل في انتظارك ، واستدار بايارد ومضى ، وعندما نظر إلى الخلف رفعوا أيديهم بوقار . ثم صاح به بادي فشد لجام بيرى وعاد . كان هنري قد اختفى ثم عاد حاملاً غرارة ثقيلة معقودة بحبل . »

قال ، كدت أن أنساها . قدر من نحر الخنطة من أبي إلى جدك . ثم قال بكبرياء متواضعة « ان تجد خيراً منه في ليوفيل ، ولا في أي مكان آخر ، وشكره بايارد ، وربط بادي الغرارة بمقدمة السرج ، حيث استقرت بجوار ساقه . »

« هكذا . لن يصيها شيء . »

« نعم . لن يصيها شيء . شكراً جزيلاً ، »

« وداعاً ، »

« وداعاً ، »

ومضت الفرس بيرى ، ونظر إلى الخلف . كانوا واقفين مكانهم ، صامتين . وقورين راسخين . وبجوار باب المطهى . كانت إن الثعلب جالسة ترقبه متلصصة . وبجوارها تلاعبت الجراء الصغيرة . وتدحرجت في ضوء الشمس . كانت الشمس قد صعدت فوق التلال الغربية . واستدار الطريق متجهاً إلى الأشجار . نظر إلى الخلف مرة أخرى . وقد استلقى البيت الطويل في أصيل الشتاء وكان دخانه كريشة

عمودية في الهواء الساكن . وكان الباب خاليا ، ودفع بيرى إلى خطوما
الثعلبي السريع الذي لا يتعب منه . وقدر الويسكى يهتز مع الحصان
قليلا إزاء ركبته

-- ٥ --

حيث يفترق درب ماك كالم المظلم غير المطروق عن الطريق
الرئيسي مصعدا ، أوقف بيرى وجلس برهة في غروب الشمس .
جيفرسون ١٤ ميلا . مازالت في الوقت فسحة قبل أن يأتي ريف
والأولاد الآخرون على الطريق . والبلدة تحتفل بالعيد . وبتجمعات
أهل الإقليم البطيئة البهيجة . ورغم هذا . ربما يكونون قد غادروا
البلدة مبكرين . ليصلوا إلى البيت قبل حلول الظلام . ربما لا يعتمدون
عنه أكثر من ساعة . وقد انحدرت أشعة الشمس . فأطلقت الصقيع
الذي اعتقلته في الأرض خلال ساعات سقوطها العمودية ، وتصاعد الصقيع
ببطء من حوله ، وهو يجلس بيرى في الوسط الطريق . وقد هدأ دمه مع توقف
حركة بيرى . أدار رأس الحصان بعيداً عن البلدة . ودفعه إلى
خطواته الثعلبية السريعة مرة أخرى .

سرعان ما أحاط به الظلام . ولكنه مضى تحت الأشجار العارية
من الأوراق في الطريق الشاحب تحت ضوء النجوم المتحاشد .
كان بيرى يفكر بالفعل في الإسطبل والعشاء . ومضى وهو يهز
رأسه بين الحين والحين مجرباً ومستفهما . ولكن بخضوع ودون أن
يبطئ من سرعته . لم يكن يدري أين سيذهبان . ولا لماذا ؟
عبداً أنهما كانا يبتعدان عن البيت . وكان الأمر مريباً إلى
حد قليل . ولكنه لم يفقد ثقته . وقد تزايد البرد في ظل الصمت
والوحدة والرقابة . شد بايارد أخته بيرى وأوقفه . وفك القدر وشرب ،
ثم ربطه من جديد في السرج .

تصاعدت التلال من حوله موحشة سوداء : فلم يكن ثمة أثر
لأى مأوى ، ولم يلتقيا بأثر يدي إنسان ، وفي كل اتجاه ترامت
التلال على التلال سواء في ضوء النجوم ، أو عندما كان ينحس

الطريق إلى بطون الوديان . حيث كانت الحفر قد أخذت في التجمد والتماسك لتصبح شقوقا كقطع الصلب : تقع تحت سنابك بيرى ، صعدت التلال خيفة ممتمة فوق رأسها ، وقد حملت فوق ظهورها أشجارها العارية من الأوراق تحت السماء المزركشة وحيث تقاطر ماء أحد سيول الشتاء عبر الطريق : فعمقت أقدام بيرى في الثلج الهش وأرخت بايارد الأعنة وتشمم الحصان الماء : وشرب من القدر مرة أخرى .

أمسك عودا من ثقاب بين أصابعه المتعثرة فاقدة الإحساس وأشعل سيجارا ، ودفعه من فوق معصمه . الحادية عشرة ونصف . قال « بيرى ، حسنا ، وفاض صوته عاليا مفاجئا في السكون والظلام والبرد ، أحسب من الأفضل لنا أن نبحث عن مكان نلجأ إليه حتى الصباح ، ورفع بيرى رأسه وزفر ، وكأنه قد أدرك معنى الكلمات ؛ وكأنه سيدخل الوحدة الموحشة التي يتحرك فيها راجبا إذا استطاع . ثم ركب ومضيا .

انتشرت الظلمة من حولها ، إلا أنها كانت تخف من حين إلى حين ، حيث توجد الحقول تحت نور النجوم الغامض لتحطم رتابة الأشجار ، وبعد وقت قضاها راجبا وتاركا الأعنة على عنق بيرى ويداه في جيبيه . باحثا عن الدفء بين الجلد والفخذين رأى بيتا في مزرعة قطن بجوار الطريق ، وقد تغطى سقفه بطبقة من الصقيع لأمعة كالفضة . قال لنفسه سنصل بعد قليل ؛ وانحنى إلى الأمام ووضع يده على عنق بيرى مستشعرا الدم الدافئ الذي لا يصيبه تعب ، وقال « بيرى ، بيت قريب ، إذا لم تتلكأ .

وصهل بيرى بصوت خافت مرة أخرى ، وكأنه قد أدرك ، وهنا انحدر عن الطريق ، وعندما شد بايارد أعنته ، رأى هو أيضا أثر العربة الشاحب على الطريق المؤدى إلى كتلة غير واضحة المعالم من الأشجار . قال وقد أرخت الأعنة مرة أخرى « بيرى ، أيها الولد الطيب ، .

كان البيت مجرد كوخ . كان معتما ، ولكن كلبا هزيلا جاء من

ورائه ونبح عليه ، وظل يحدث ضجيجه بينما كان بايارد يقيد بيرى إلى الباب ويطرقة بيده فاقدة الإحساس . وقد جاء إليه ، أخيرا من داخل البيت صوت ، وصاح بايارد ، « هالو ، ثم أضاف ، « فقدت طريقى . افتح الباب ، ظل الكلب ينبج عليه دون أن يصيبه إعياء . وبعد برهة انفتح الباب مقعقا على وهج جمرات هزيل ، وانبثقت منه رائحة الزنوج المعطنة ومن وراء الفتحة الدافئة أطلت رأس .

صاحت الرأس ، « أنت ، جول . أقفل فمك ، وتوقف الكلب خاضعا وارتمد وراء البيت ، رغم أنه ظل يزجر بصوت خافت . « من هناك ؟ »

قال بايارد مرة أخرى ، « فقدت طريقى . هل أستطيع أن أقضى الليلة فى جرنك ؟ »

أجاب الزنجى ، ليس عندى جرن . يوجد بيت آخر على الطريق لا يبعد إلا قليلا .

قال بايارد ، « سأدفع لك ، وبحت فى جيبه عن شيء . وقال « حل الإجهاد بحصانى ، وتطلعت رأس الزنجى حول الباب ، ومن ورائها شق من وهج النار . قال بايارد وقد عيل صبره ، « هيا أيها العم . لاترك رجلا واقفا فى البرد ، .

« من أنت أيها الأبيض ؟ »

« بايارد سارتورس ، من جيفرسون . هذه يدي ، ومد يده

للزنجى . ولكن الزنجى لم يحاول أن يصالحها

« من بيت المصرفى سارتورس ؟ »

« نعم . هيا . »

انتظر دقيقة وانغلق الباب ، ولكن بايارد شد الأعنة جيدا وتجهول بيرى مطمئنا ودار حول البيت ومضى بين حطب القطن الذى جففه الصقيع

فناطق بين حوافره وركبه . وعندما ترجل بايارد على أرض منحدره متصلة أمام باب مفتوح ، ظهر فانوس من داخل الكوخ ، وكان يتأرجح على ارتفاع منخفض بين عيدان القطن التي قرصها الصقيع ، وساق الزنجي الظليلتين الشبيهتين بطرفي المقص . وقد جاء الزنجي بلقافة غير واضحة الشكل مضمومة تحت ذراعه وأمسك بالفانوس بينما نزع بايارد السرج واللجام من على الحصان .

سأل الزنجي وقد أخذه حب الاستطلاع ، كيف استطعت أيها الرجل الأبيض أن تبتعد هكذا عن بيتك في عمّة الليل ؟ .

أجاب بايارد باختصار ، « تهت . أين أستطيع أن أضع حصاني ؟ »

أدار الزنجي الفانوس نحو حظيرة . وتقدم بيرى بحذر فوق عتبة الباب واستدار إلى ضوء الفانوس ، وعيناه تدوران وفيهما وهج فوسفوري ، ومضى بايارد وراءه ودلّكه بالجانب الجاف من سترة السرج الصوفية . وقد اختفى الزنجي ثم عاد بقبضة صغيرة من سنابل القمح ، ودفعها في مزود بيرى بجوار أنفه المدسوسة فيه والباحثة بشوق عن الطعام .

سأل الزنجي ، « ستكون حذراً عند إشعال نار أيها الرجل الأبيض ، أليس كذلك ؟ »

« بالتأكيد لن أشعل ثمة نقابا على الإطلاق هنا . »

« كل ما عندي من ماشية وأدوات وطعام موجود هنا . لا أستطيع أن أحتمل نتائج احتراف كل ما أملك . التأمين لا يصل إلى هذا المسكن البعيد من البلدة . »

قال بايارد ، « بالتأكيد ، وقفل حظيرة بيرى ، وبينما ظل الزنجي يرقبه ، أخذ الزنجي الفرارة من مكانها بجوار الحائط حيث تركها ، وأخرج منها القدر . « لديك كوب هنا ؟ ، اختفى الزنجي مرة أخرى ،

وكان في استطاعة بايارد أن يرى الفانوس خلال شقوق المزود المثبت في الحائط المقابل ، ثم ظهر بعلبة معدنية صدئة ، تفتح من داخلها قبضة من التبن قتايرت . شربا معا . ومن ورائهما كان يرى يجرش طعامه . وقاده الزنجي إلى السلم الذي يؤدي إلى سطح الجرن .

قال بقلق ، أنت لن تنسى النار أيها الرجل الأبيض ؟

قال بايارد ، بالتأكيد . سعدت مساء ، ووضع يده على السلم ، ولكن الزنجي أوقفه وأعطاه اللقافة ذات الشكل الغامض التي أحضرها معه .

ليس لدى إلا واحدة أستطيع أن أستغني عنها ولكنها ستفيد إلى حد ما . ستبيت الليلة مقروراً . وكان غطاء صوفيا ، بالياً وقنراً عند مجرد اللبس ، ومشبعاً برائحة الزنوج الواضحة .

أجاب بايارد ، شكراً . أنا مدين لك كثيراً . سعدت مساء ،

سعدت مساء أيها الرجل الأبيض ،

وطرف الفانوس بعينه وهو ذاهب ، عبر حركة ساق الزنجي التي تشبه حركة شق مقص ، وصعد بايارد إلى الظلام ، ورائحة التبن الجافة النافذة . هنا ، اصطنع لنفسه عشا من الظلام زحف إليه ، منزلقاً داخل اللحاف الصوفي وقذارته ورائحته أجمياً ودفع يديه الثلجيتين داخل قبضه ، لصق صدره المرتعد . وبعد وقت ، وببطء بدأت يده تستدفئان ، والقر يدغدغهما قليلا ، إلا أن جسمه ظل يرتعد ويتقلص متشنجا من الإعياء والبرد . ومن تحته كان يرى يجرش في الظلام بهدوء وسلام ، ضاربا الأرض بقدمه من حين إلى حين ، ورويدا رويدا توقفت تقلصات جسم بايارد المتشنجة . وقبل أن ينام رفع اللحاف عن ذراعه ونظر إلى الميناء المضيء . الساعة الواحدة . لقد حل عيد الميلاد بالفعل .

أبعظته الشمس النافذة إليه في حزم حراء خلال شقوق الجدار ، وقد ظل مستلقيا في فراشه القاسي ، والهواء الثلجي على وجهه كما .

مثلج ، وهو لا يدرى مكانه بالضبط ثم تذكر ، وإذ تحرك وجد جسده متخشبا من البرد المتراكم ، وقد بدأ دمه في الجرى في أطرافه ، وكأنه كريات صغيرة مما يستخدم في حشو طلاقات صيد الطيور . جرجر قدميه من فراشه ذي الرائحة الشديدة ، ولكن قدميه كانتا ميقتين داخل حذائه وظل جالسا وهو يثنى ركبتيه ومفصلي قدميه ويفرطها حتى تيقظت ساقيه وفيهما مثل لدغ الإبر .

كانت حركانه متيبسة ثقيلة ، وهبط السلم ببطء وحذر ونزل إلى الشمس الحمراء التي تساقطت على مدخل الجرن وكأنها دوى أبواق . كانت الشمس اعتلت الأفق ولم تسكد ، هائلة الحجم حمراء ، وكان سطح البيت ، وقوائم الوشائع ، وأدوات الزراعة التي تصدأ حيث أقيت في ساحة الجرن ، وأعواد القطن الميتة حيث قام الزنجي بزراعة أرضه حتى باب كوخه الخلفي ، كانت مغطاة كلها بطبقة رقيقة من الصقيع ، الذي لوحته الشمس بلون وردي متلألئ . وكأنه غلالة سكرية على كعكة حفل كبير . دفع يري فه المستدير من باب الحظيرة وختم نحو سيده ، بتحية متكافئة البخار ، وتحدث إليه بايارد ولمس أنفه الباردة . ثم فك الغرارة وشرب من القدر . وظهر الزنجي بدلو مملوء باللبن على الباب .

قال وقد تعلق عينه بالقدر ، « هدية عيد الميلاد ، أيها الرجل الأبيض ، وأعطاه بايارد جرعة . قال الزنجي ، « شكراً يا سيدي . عليك أن تذهب إلى البيت ، إلى النار ، سأطعم حصانك .. أهد المعجوز طعام إفطارك . » والتقط بايارد الغرارة ، وتوقف عند البئر خلف الكوخ وملاً دلوا بالماء الثلجي وبلل وجهه .

وثمة نار كانت تشتعل في المدفأة المشدوخة ، وسط رماد وأهقاب سيقان الخشب المتفحمة وأوعية الطهو المتناثرة . وأغلق بايارد الباب وراه على الصقيع المتلألئ بأشعة الشمس ، واحتواه الدف . ورائحة العطن المتراكم العميقة ، وكأنها بخدر . ردت امرأة منحنية على المدفأة تحيته

بخجل . وسكن على الفور ثلاثة أطفال سود في ركن من السكوخ وتطلعوا إليه يرقبونه بعيون تدور في محاجرهما . كان أحد الأطفال فتاة ، في ملابس قدرة غير مألوفة مزينة وقد تلوت خصل شعرها الصوفى ، في عقد متينة من أشرطة القماش الملون القنرة . أما الثانى فقد كان من الجائز أن يكون ذكراً أو أنثى أو أى شيء آخر . وأما الثالث فقد كان شيئاً عاجزاً في ثوب مصنوع من بعض الملابس الصوفية الداخلية للرجال . كان أصغر من أن يمشى ، وكان يحبو على الأرض بنوع من الإصرار غير الهادف ، ومن كل من فتحت أنفه كان ثمة مجرى لامع يسيل حتى ذقنه ، وكان بعض القواقع كيانت تسير هناك .

وضعت المرأة مقعداً أمام النار وأشارت إليه إشارة غامضة كأنها كانت ترجو بها نحو أثر الغرفة السيء عليه . وجلس بإيارد عليه ومد قدميه الباردتين نحو النار . سألتها ، هل تناولت كأس عيد الميلاد ، أيتها العمة ؟

أجابته من مكان ما خلفه ، لا يا سيدى . ليس عندى ثمة خمر هذا العام ، وطوح يده بالفرارة نحو المكان الذى جاء منه صوتها .

د اشربى . بها الكثير من الخمر . ، وقد قعد الأطفال الثلاثة مستندين إلى الجدار ومضوا يرقبونه بهدوء ، دون أن يحدثوا صوتاً أو حركة . سألتهم ، هل حل عيد الميلاد يا أطفال ، ولكنهم ظلوا يتطلعون إليه بإصرار حيوانى حذر ، حتى عادت المرأة وتحدثت إليهم فى نغمة ناهرة .

قالت تحرضهم ، د اعرضوا على الرجل الأبيض ساتنا كلوز الذى لديكم . ، ثم قالت له ، د شكراً لك يا سيدى ، ووضعت على ركبتيه طبقاً من الصاج وفنجاناً مشروحاً من الصينى على جدار المدفأة عند قدميه . قالت للأطفال مرة أخرى ، د فرجوه أتريدون أن يظن الناس أن ساتنا كلوز لا يعرف أين تقيمون ؟

وحينئذ تحرك الأطفال ، ومن العتمة وراءهم من حيث خبثوا لعينهم عند دخوله أخرجوا سيارة صغيرة من الصفيح ، وعقدوا من الحبات الخشبية الملونة ، ومراة صغيرة وقصدياً هائلا من حلوى النضاع التصقت به أشياء من القمامة وبدءوا في لعقها على الفور بهدوء واحداً بعد الآخر . ملأت المرأة الفنجان من إزاء القهوة الموضوع بين الجرات ، ورفعت الغطاء عن مقلاة حديدية والتقطت بشوكة قطعة غليظة من اللحم المقلو ووضعتها في طبقه ، وأخرجت شيئاً رمادياً من رماد المدفأة وكسرتة نصفين ونفضت عنه الرماد ، ووضعتة كذلك في الطبق . أكل بايارد اللحم والفطيرة وشرب السائل الخفيف الذي لا طعم له . وقد أخذ الأطفال في اللعب بهدوء بهدايا العيد ، إلا أنه كان يراهم من لحظة إلى أخرى وهم يسترقون إليه النظر ويرقبونه . دخل الرجل بدلو اللبن .

سأل ، ، أعطتك العجوز تصبيرة ؟ ،

نعم . ما أقرب بلدة على خط السكة الحديدية ؟ ، وأخبره الزنجي - على بعد ثمانية أميال . ، أتستطيع أن تصحبني إلى هناك صباح اليوم ، وتعيد حصاني إلى مزرعة مستر ماك كالم في أي يوم من هذا الأسبوع ؟ ،

أجاب الزنجي بهدوء ، ، زوج شقيقتي استعار بفالي . ليس عندي إلا زوج واحد وقد استعاره . ،

سأدفع لك خمسة دولارات ،

وضع الزنجي الدلو على الأرض وجاءت المرأة وأخذته . وحك رأسه بيطة . قال بايارد مرة أخرى ، ، خمسة دولارات ،

، أنت في عجلة شديدة من أجل العيد ، أيها الرجل الأبيض . ،

قال بايارد وقد عيل صبره ، ، عشرة دولارات . ألا تستطيع أن تستعيد بفالك من زوج شقيقتك ؟ ،

« أظننى أستطيع . أظنه سيميدها قبيل الظهيرة . حينئذ تستطيع الذهاب . »

« ولم لا تستطيع أن تحضرها الآن ؟ خذ حضانى واذهب واحضرها . أريد أن ألقى بقطار . »

« أيها الرجل الأبيض ، أنا لم أحتفل بعد بالعيد . أى رجل يعمل كل يوم طوال العام يحتاج لعيد ميلاد صغير . »

« سب بإيارد باقتضاب ودون حاسة ، ولكنه قال : « وهو كذلك ، إذن . بعد الغداء بالضبط . ولكن عليك أن تجعل زوج شقيقتك يميدها فى فسحة من الوقت . »

« ستكون هنا : لا تشغل بهذا الأمر . »

« وهو كذلك . اشرب أنت والعمة من القدر . »

« شكراً ياسيدى . »

وقد خدر حواسه الهواء العطن فى الغرفة المحيكة الفلق ، كان الدفء يترقب الفرصة ليتغلغل فى عظامه المجهدة والمتيبسة بعد ليلته القارصة . كان الزوج يتحركون فى الغرفة الوحيدة ، المرأة مشغولة أمام المدفأة بشئون طهورها والأطفال السود بلعبهم التنسة زهيدة الثمن وحلواهم القذرة . وقد ظل بإيارد جالسا فى مقدمه الخشن ، وهكذا قضى ساعات الصباح غافياً - لم يكن نائماً ، ولكن الزمن ، كان قد فقد فى إقليم لا يعرف الزمن ، هناك تسكع ، غير يقظان ، وإليه ، وقد أدرك هذا أخيراً ، كان ثمة شىء يحاول أن يقتحم أو ينفذ ، وظل يرقب محاولاته الفاشلة من عزلة التى تفيض بالسلام : صوت . « الغداء جاهز . »

تناول الزنحيان معه الشراب ، بوود وتحفظ محدود . مفهومان متضادان ، متعاديان بحكم الجنس واللحم والطبيعة ، وظروف البيئة ، يتصالحان برهة من الزمن ، وينصهران داخل بوتقة من الوهم - الجنس البشرى ينسى شهوته

وجبه وجشعه ، يوماً واحداً . وغنمتم المرأة بجيا . . عيد الميلاد
شكراً لك يا سيدي . .

ثم الغداء : متاوت بالبطاطا ، مزيد من كعك الفرن المغطى بأنزما ،
السائل الميت بلا طعم في إناء القهوة ، دسمة من الموز وكسر جوز الهند
المديبة ، والأطفال يحبون حول قدميه كالحيوانات ، عندما تشم رائحة
الطعام . وقد أدرك أخيراً أنهما لا يأكلان وينتظرانه حتى ينتهي ، ولكنه
تغلب على مقاومتها وطعموا جميعاً معا ، وأخيراً ، وقد وضع القدر
الذي كاد ينضب بين قدميه في العربة ، نظر مرة واحدة إلى الخلف ،
إلى الكوخ ، إلى المرأة الواقفة بالباب ، وسحابة شاحبة ساكنة من
الدخان فوق المدخنة ، (ذلك أن البغال كانت قد تمت معجزة إعادتها
بوساطة زوج الشقيقة الذي لا وجود له) .

كان السرج يتخبط بأضلاع البغال المعجفاء ، وكانت الأجراس المثبتة
فيه تدق . كان الهواء دافئاً ، إلا أنه كان مقلداً بقطير من البرد الذي
ستزيد منه عتمة المساء . وقد امتد الطريق عبر الأرض البهيجة . ومن
وقت إلى آخر ، وعبر الحلفاء المضيفة ، أو من وراء الغابات البنية اللون
العارية من الأوراق ، كانت تصل طلقات البنادق ذات الصوت الأجرس ،
وكانا يمران بين الحين والحين بفصائل من الفرسان ، ومن المشاة ، الذين
كانوا يرفعون أيديا مسترحمة للزنجي الذي كان محبوساً داخل سترة عسكرية
قديمة ، ويلقون نظرات سريعة متلصصة على الرجل الأبيض الجالس بجواره
على المقعد . وتحية عيد الميلاد ، أو من وراء الحلفاء الصفراء والروابي
البنية ، كانت التلال الأخيرة مستلقية في زرقة تحت السماء العميقة المحوطة
بالأسرار ، وتحية . . .

توقفا ، وشرباً ، وأعطى بإيارد رفيقه سيجارة . أصبحت
الشمس وراءهما ، بلا سحب ولا رياح ، ولا طيور في الزرقة السماوية
الكوبالتيه الحافلة بالصفاء والسكون . يوم الشتاء قصير . أربعة ميالاً

أخرى د هيا يا بفال ا ، ثم قعمقة ألواح طليقة من الخشب فوق ماء في ومضات هامة بين أشجار صفصاف ساكنة ، محتفظة بإصرار بخضرتها صعد الطريق وقد احمر لونه ، ورفعت أشجار الصنوبر رؤوسها إلى السماء وكأنها جدران حصون مديبة الحوائى . وتسلقوا هذا ، وانفرط من أمامهم هضبة بقطاعاتها ، من الخلفاء المصقولة ، والحقول المعتمة العارية ، وأرض الغابات بنية اللون ، وبيت من حين إلى آخر ، ثم الأفق الشاحب اللازوردى المتلألئ ، ودخان كذلك في أسفل الأفق د ميلان فقط ، ومن ورائهما كانت السماء باللوناً نجاسيا علق في السماء على بعد ساعة . شربا مرة أخرى .

كانت قد لامست الأفق عندما أطلا على الوادى الأخير حيث كانت خطوط السكك الحديدية اللامعة محتفية بين سطوح المنازل والأشجار ، وعلى الهواء ، ومن بعيد ، جاءهما صوت انفجار بطيء ثقيل . قال الزنجى : د ما زالوا يحتفلون ،

ومن الشمس هبطوا إلى ظلال بنفسجية . حيث كانت ثمة نوافذ تتلألأ من وراء أكاليل وضفائر من الزهر وأجراس من الورق الملون وعرضات دور تناثرت فيها بقايا مفرقات نارية . وفي الشوارع كان الأطفال المرتدون صدارات وسترات من ألوان بهيجة يتسابقون على دراجات لامعة ، وزلاقات وعرباب . ثم انفجار ثقيل آخر من العتمة البعيدة أمامها ، ثم خرجا إلى الميدان الذى سادته هدوء السبت ، وقد تناثرت فيه أيضا مرق من الورق . كان الأمر كذلك بالضبط في بلدته ، كان يعرف هذا ، إذ كان الرجال والشباب الذين عرفهم منذ أيام صباه يقضون عيد الميلاد هكذا ، يشربون قليلا ، ويطلقون الألعاب النارية ، ويمنحون قطع النقد المعدنية الصغيرة لصبية الزنوج الذين يصيحون بهم وهم يمرون هدية العيد ، هدية العيد ، وهناك في البيت ، الشجرة في البهو ، وإناء شراب البيرة والبيض أمام نار المدفأة ، وسيمون يدخل غرفةهما معا هو وجونى ، على أطراف أصابعه المتوترة المتعثرة ويحبس أنفاسه وهو واقف .

فوق فراشه ، وهما يتظاهران بالنوم حتى يفيض توتره ، ثم يصرخان فيه معا بصوت كالزئير ، هدية العيد ، الأمر الذي كان يثير فيه الاحتزاز والالم ، حسنا . أنا أعلن إن استطاعوا أن يمسكوا بي مرة أخرى ، ولكن في ساعات الصباح الأولى يكون في حالة اتعاش ، وعند ساعة الغداء يكون في حالة من الثرثرة الأليفة التي لانجني منها ثمة فائدة . ومع حلول الليل يكون غير صالح للمعركة ، والعمة جيني تعصف بالبيت صارخة لاعنة ، أن البيت لن يصبح أبدا بعد ذلك حانة للتافهين من الزوج ، ما دامت حافظة قوتها . وليعنها الإله جوبيتر على ذلك . وبعد ذلك وبعد الغروب وفي مكان مارقص ، بأغصان من شجرة عيد الميلاد وشجرة الدابوق ، وعقود الورق الملون ، والبنات اللاتي كان يعرفهن دائما بأساورهن الجديدة وساعتن ومراوحن وسط الأنوار والموسيقى والضحك المتلألئ .

كانت ثمة جماعة صغيرة تقف عند أحد الأركان ، وإذا مرت العربة يسبقها حفيف مفاجئ . التهب ضوء أصفر في لحظة الغروب ، وترددت أصداء الانفجار في موجات متكاسلة بين الجدران الصامتة ، وأسرعت البغال وشدت أطواقها ، وقمقت العربة على أرض الشارع . وفي عتمة الغروب ، ومن الأبواب المضاءة حيث علقت الأجراس والعقود ، نادى الأصوات بإصرار ورقة ، وأجابت أصوات الأطفال معترضة آسفة مترددة ثم المحطة ، حيث كانت تنتظر حافلة وأربع أو خمس سيارات ، ونزل بايارد وأنزل الزنجي الفرارة .

قال بايارد ، أشكرك كثيرا . . وداعا .

، وداعا ، أيها الرجل الأبيض .

وفي غرفة الانتظار كان موقد يتوهج باحمرار ، وفي أرجائها وقفت جماعات مرحة في فراء ملساء ومعاطف ؛ ولكنه لم يدخل . أسند الفرارة إلى الجدار ، ومضى يتمشى على الطوارجئة وذهابا ، محاولا بذلك أن يبعك الدف . في دمه مرة أخرى .

وعلى امتداد خط السكة الحديدية ، وفي الاتجاهين ، أضاءت الأنوار الخضراء في العتمة . وفوق الأشجار الغربية وعلى مسافة قبضة كف كانت نجمة المساء كصباح كهربى فى جدار زجاجى . وتمشى جيئة وذهاباً ، ملقياً نظرات سريعة إلى النوافذ الحمراء ، إلى غرفة الانتظار ، حيث كانت الجماعات المرححة فى أرديتها الفراشية ومعاطفها ، تتحدث بحوية مهرجانية صامتة ، وإلى غرفة الانتظار الملونة ، حيث كان شاغلوها جالسين حول الموقد يغمغمون بأناة وصبر تحت ضوء المصباح الضعيف . وعندما استدار هنا تحدث إليه صوت مستحييا من الظلال هدية العيد يا (ريس) ، أخرج قطعة تقود من جيبه دون أن يتوقف . ومرة أخرى انفجرت إحدى الألعاب النارية بشدة من الميدان ، ومن فوق الأشجار ، اندفع صاروخ فى خط منحني ، ثم سكن برهة ثم انفتح كقبضة اليد نائراً فى صمت أصابعه الذهبية الغائضة على السماء الزرقاء .

ثم وصل القطار وأوقف بهزة عرباته ذات النوافذ المضادة ، والتقط غرارته مرة أخرى ، ووسط حشد فرح يتصاحج بألفاظ الوداع وتماني العيد ، والرسائل الموجهة إلى الغائبين ، ركب القطار ، غير حليق ، وفى حدائه الممزق ، وسراويله الكاكية القذرة ، وسترته القديمة ، المتهدلة ذات اللون الدخانى ، وقبعته اللبادية البشعة . وجد مكاناً خالياً ووضع القدر بين قدميه وجلس .

اجتزاء الخابرس

وحيث إن جوهر الربيع هو الوحشة وشيء من الحزن وإحساس رقيق بالحياة والضياع ، فإنني أحسب أن روحك تتطهر بدرجة أكثر حدة إذا أضفت إلى هذا توفية للكامل ، شيئا من الحنين إلى الماضي . وعندما أكون في الوطن أجد نفسي دائما متجولا في ذكرى أشجار تفاح أو مروج خضراء أو لون البحر في أماكن أخرى ، ويفيض بي الحزن الكبير لأنني لا أستطيع أن أكون في كل مكان في نفس الوقت ، أو لأن كل صنوف الربيع لا تستطيع أن تكون ربيعا واحداً ، كشفاء سيدات بيروت . أما الآن ، فإنه يبدو لي وكأنني قد توحدت وأصبحت مستهدفا لغرض وحيد غاية في التحدد ، وهذا بالنسبة لي على الأقل شيء جدير بالذكر . وتوقف قلم هوراس وحلق في الورقة التي تُبج عليها بخطه الذي يتعذر في الواقع تمييزه ، بينما ترددت أسداء الكلمات التي انتهى من كتابتها ولم يكده ، ترددت وفي أصدائها جراءة محدودة وحزن غريب ، وللحظة قصيرة انفصل عن المكتب والفرقة والحجرة والبلدة وعن كل ما هو حديث غليظ فجع دفعته إليه أقداره ، ثم مرة أخرى مضى ذلك الضياع الوحشي الموغل في الخيال الذي يتميز به - مضى يوم - دون مقاومة عبر فياف موحشة ، جمع فيها في آخر الأمر قواه المتصارعة . وقريبا ستزهر الأغصان الغليظة المتلوية كالأسلاك على الشرفة وتتغطى بنقط دقيقة بنفسجية اللون في حجم رموس عيسدان الثقاب ، ودون أي جهد على الإطلاق ، كان في استطاعته من مكانه أن يري المرج المنخفض تحت أشجار الشربين وقد تناثرت فيه عشوائية تجمعات النرجس مختلطة بالنسرين ونبات المصارع ذو الأوراق المشرعة كالسيوف والرماح . كانت جميعا تنتظر دورها لكي تزهر .

إلا أن جسده ظل خامدا ، وقد اضطجعت يده بالقلم المشلول على الورقة المثبجة . وقد استلقت الورقة على ظهر مكتبه الجديد الأصفر المصقول . كان المقعد الذي جلس عليه جديدا أيضا ، وكذلك كانت

الحجرة بمجدراتها البيض الميته وأثاثها الملون لكي يبدو في شكل البلوط . كانت الشمس تدخلها النهار بطوله ، غير مخففة بأى أثر من ظل . وفي أيام الربيع المبكرة كانت ممتعة ، إذ كانت تسقط كما تفعل الآن خلال النافذة الغربية عبر المكتب حيث تفتحت زهرة ياقوت زعفرانى بيضاء في زهرية من الفخار القرمزى الغامق المصقول .

ولكنه إذ كان في مقعده غارقا في تأملاته ، متطلعا من النافذة ، حيث كان يرى ، من وراء سقف مغطى بالقار ، يشرب الحرارة وكأنه قطعة من الإسفنج ويشعها أيضا أمام جدار من الآجر ، كان في استطاعته أن يرى حشدا صغيرا من أشجار السماء الرثة وقد حملت زهورها المتهدلة الخجولة ، فزع لقدوم أيام الصيف الحارة الطويلة ، التي تسقط فيها الشمس على السقف المغطى بالقار الذى يعلو حجرته . وتذكر مكتبه المعتم الزخم في بيته ، حيث كان فيما يبدو ثمة نسيم يتحرك دائما ، بصفوفه المرتبة من الكتب ، تلك الكتب التي كانت مغبرة ولم يمسا أحد ، وكانت تبث - فيما يبدو ، جوا من الرطوبة والهدوء حتى في أشد الأيام حرارة ، وعندما جالت أفكاره هناك ، افتقد مرة أخرى من الجدة القاسية التي جلس فيها جسده . وتحرك القلم مرة أخرى .

ربما تكون الصلابة أو القدرة على الاحتمال تقليدا تعسا لشيء له في نهاية الأمر قيمته ، بالنسبة لهذه الكثرة الكبيرة من يقضون حياتهم في الظلام ، حافرين في الأرض أو جرة كحيونات الخلد ، أو كالبوم ممن يتختمهم ضوء شمعة ويمرضهم . ولكن ليس بالنسبة لهؤلاء الذين يحملون السلام في طريقهم ، كما يحمل هب الشمعة النور . لقد كنت دائما عبدا للكلمة . ولكن يبدو وكأننى أستطيع حتى أن أستعيد لجبى الذاتى الثقة بالاحتمال عليه قليلا . وأنا أجرؤ أن أقول ، إنك إن تستطيعى أن تقرأ هذا ، كالعاده ، أو أنك إذا قرأته ، فلن يعنى ثمة شيء بالنسبة لك . وإسكنك ستكونين قد أدبت الغرض على أى حال من وجودك ، أنت يا هروس الصمت التي لم يمسا أحده حتى الآن - ، كنت أكثر

سعادة وأنت في قفصك . أكثر سعادة ؟ ، وتحولت الأفكار في رأس هوراس ، وهو يقرأ الكلمات التي كتبها ، والتي غسل فيها كالعادة ، الملابس الداخلية لامرأة في بيت أخرى . وهب على الغرفة لجأة نسيم رقيق ، كان فيه أريج أشجار الخروب شاحب الخلاوة وقد اضطربت الورقة تحت النسيم في مكانها من المكتب ، فنبهته ورجأة ، كرجل يصحو من نومه ، نظر إلى ساعته وأعادها إلى مكانها وكتب بسرعة .

« إننا سعداء بوجود بيل الصغيرة معنا . إنها تحب الحياة هنا ، وتوجد أسرة كاملة من البنات الصغيرات في البيت المجاور ، درجات سلم مملوءة بالاضفائر المزدوجة ، التي تبدو بيل الصغيرة - والحق يقال - أكثر لمعاناً منهن قليلاً ، إنها تشعر بتفوقها عليهن بعض الشيء . وهذا حقها بحكم السن الأطفال يجعلون جو البيت مختلفاً كل الاختلاف . من السيء تماماً أن السامسة لم يصل بهم الذكاء إلى الدرجة التي يقدمون بها بيوتنا مزودة بالأطفال الإيجار خاصة بطفل يشبه بيل الصغيرة ، إلى أقصى حد وقورة وضاعة وبشكل ما غير معقول محتدمة النضوج ، أنت تعرفين هذا . ولكنك لا تعرفينها جيداً . أليس كذلك ؟ كلانا مسرور بوجودها معنا . أنا أعتقد أن هارى ، - وتوقف القلم ، وإن ظل مشرطاً ، وبحث عن الكلمات التي قلنا راغت منه ، فأدرك وهو يفعل هذا ، أن الإنسان وإن كان في استطاعته أن يكذب عن الآخرين ببداهة جاهزة ارتجالية ، فإنه لا يستطيع أن يفعل تجاه نفسه إلا بعد روية وباختيار حذر للكلمات ، ثم ألقى نظرة أخرى على ساعته ، وكشط هذه العبارة عن هارى وكتب « أيتها الصفاء . بيل ترسل إليك قبلاها ، وجففها وطواها بسرعة ووضعها في غلاف وعلونه ولصق عليه طابعا ، ونهض وأخذ قبعته . إذا جرى فسيكون في استطاعته أن يرسل الخطاب بقطار الرابعة .

في يناير تلقت عمه بايارد بطاقة بريدية منه أرسلها من تامبكو ،
(م - ٢٦)

وبعد شهر تلقت منه من مدينة مكسيكو برقية يطلب فيها تقوداً . وكانت هذه هي آخر رسالة كتبها ، وقدر معها بقاءه في مكان محدد مدة تكفي لوصول رسالة إليه رغم أنه كان يشير - بين الحين والحين - في بطاقات مزركشة إلى المكان الذي كان فيه ، بالأسلوب الموحش الشرس الذي يتميز به . في أبريل جاءت البطاقة من ريو ، وجاءت إثرها فترة بدا فيها وكأنه قد اختفى من العالم تماماً ، وفضتها مس جيني وناريسا في هدوء في البيت ، وقد تركت أيامهما برقة حول الطفل المنتظر الذي أسمته مس جيني جون .

أحست مس جيني أن بايارد العجوز قد سخر منهم جميعاً ، وارنكب خيانة عظمى في حق أجداده وفي حق جلال مصير الأسرة بموته ، على حد قولها ، عملياً وبالقلوب ، ولذا فلم تكن راضية عنه ، وحيث إن بايارد الصغير كان في حالة انعدام إلى حد ما ، فقد زاد حديثها رويداً ، رويداً عن جون . وإثر وفاة بايارد العجوز المفاجئة . انكبت في اندفاع مفاجيء على عملية تنقيب وتعمس وصفقتها بأنها عملية التنظيف الشتوية ، ووجدت بين أنار أمه صورة صغيرة لجون رسمها أحد فناني نيو أورليانز عندما كان جون وبايارد في الثامنة من عمرهما تقريباً . وتذكرت مس جيني أنه كان هناك صورة لكل منهما وبدا لها وكأنها تتذكر جيداً احتفاظها بهما معا عندما ماتت أمهما . إلا أنها لم تستطع أن تجد الأخرى . ولذا فقد تركت سيمون ليجمع الأشياء المتناثرة التي تركتها وأخذت الصورة الصغيرة إلى الطابق الأسفل حيث كانت ناريسا جالسة في المكتب ، ثم أخذتا معا في فحصها .

دان الشعر ، حتى في تلك الفترة المبكرة ذا لون نحاسي غني ، وماثلاً إلى الطول . قالت مس جيني ، « لئنني أذكر أول يوم عاد فيه إلى البيت من المدرسة . كأننا ملطخين بالدم كخنازير متوحشة ، كلاهما ، من مقابلة الأولاد

الآخرين الذين قالوا لها إنها يشبهان البنات . نظفتها أمهما وربتت عليهما ، إلا أنهما كانا مشغولين بالتفاخر أمام سيمون وبايارد بالمنزحة التي أحدثاها ، إلى الدرجة التي لم يهتما معها كثيراً بما تفعله أمهما . ظل جوني يقول « كان عليك أن ترى الآخرين ، وانفجر بايارد بطبيعة الحال ، وقال ، إنه لعار ملعون أن يترك ولد لينخرج إلى الشارع بجذائل الشعر المسترسل على ظهره ، وأخيراً أكره المرأة المسكينة على الموافقة على الإذن لسيمون بقص شعرهما . » ولكن هل تعرفين ماذا حدث بعد ذلك ؟ لم يسمح أحدهما أن يمس شعره . وبدا وكأنهما لم يضربا بعد عدداً من الصبية ، وكانا قد اعتزما أن يكرها المدرسة بمن فيها على أن تسلم لها بأن في استطاعتها أن يدعا شعرهما ينمو حتى كموب أقدامهما إذا كان ذلك هو ما يريدانه . أنا أحسبهما فعلاً هـ ا ، لأنهما بعد يومين أو ثلاثة عادا إلى البيت دون جراح جديدة ، ثم سمحا لسيمون أن يقصه ، بينما كانت أمهما جالسة في البهو وراء البيانو تبكي . وكانت تلك هي نهاية الأمر طوال مدة بقائهما في المدرسة هنا . أنا لا أدري السبب الذي كان يدفعهما للعراك مع الناس باستمرار بعد أن التحقا بالمدرسة خارج البلدة ، إلا أنهما كانا يجدان دائماً مبرراً . ذلك كان السبب الذي اضطررنا من أجله للتفريق بينهما عندما كانا في فيرجينيا وإرسال جوني إلى برينستون . ألقيا الزهر أو شيئاً ما من هذا القبيل ليقررنا من منهما يطرد من الجامعة ، هذا ما أتصوره ، وعندما خسر جوني الرهان ، اعتادا أن يلتقيا كل شهر تقريباً في نيويورك . وقد وجدت بعض الخطابات في مكتب بايارد ، وعلمت منهما أن رئيس البوليس في نيويورك قد كتب إلى الأساتذة في برينستون و فرجينيا يطلب منهم ألا يدعوا بايارد وجوني يعودان إلى المدينة مرة أخرى ، وهي خطابات أرسلها الأساتذة إلينا . ومرة اضطر بايارد لدفع ألف وخمسمائة دولار تعويضاً عن شيء ارتكبه ضد شرطى أو خادماً في مقهى أو شخص ما من هذا القبيل .

ومضت مس جيني تتكلم ، إلا أن نارسيسا لم تكن تنصت . كانت تتفحص الوجه المرسوم في اللوحة الصغيرة . كان وجه طفل يتطلع إليها ، وكان وجه بايارد أيضا ، ورغم هذا فقد كان فيه بالفعل شيء آخر ليس هو تلك العجرفة المكتتبة التي قدر لها أن تراها في وجه بايارد ، ولكن شكلا ما من أشكال التلقائية ، الودودة والفورية والسخية ، وقد ظلت نارسيسا قابضة على الصورة البيضاء الصغيرة في يدها والعينان الزرقاوان الراسختان تنظران إليها بالمثل بهدوء ، وقد انبت من الوجه كله المحاط بجذائله النحاسية ببشرته الناعمة ، وفه الطفولي ، انبت منه وأضاء كأنه شعاع دافئ شيء ما حلو ومرح ووحشي ، وأدركت كما لم تفعل قط في حياتها ، المأساة العمياء التي تفيض من حياة الإنسان . وقد ظلت جالسة في سكون تام والحلية في يدها ، وظنتها مس جيني تتطلع إليها ، إلا أنها كانت ترعى الطفل النائم تحت قلبها بكل ما استطاعت تحشيدته من طبيعتها المخلصة : كان الأمر وكأنه قد أصبح في استطاعتها أن تنكشف الحجاب عن شكل ذلك المصير المظلم الذي جلبته على نفسها ، كان واقفا بجوار مقعدها ، منتظرا في تكون حتى تحين ساعته . هتفت هامسة ، لا ، لا ، وكان في احتجاجها عاطفة جياشة وقد طوقت طفلها بموجة تسلو الموجة من تلك القوة التي كانت تفيض من داخلها بفزارة زادت مع تراكم الأيام ، محصنة جدرانها بحامية لا تراها العين . لقد سرت لأن مس جيني أرتها الشيء . لقد تم بذلك تحذيرها كما تحقق أيضا تحصيلها .

وقد مضت مس جيني تتحدث عن الطفل وتشير إليه باسم جوني ، وتروى طرفاً من طفولة ذلك الجون الآخر ، حتى أدركت نارسيسا أخيراً أن الاثنين قد اختلطا واشتبكا في حديث مس جيني ، فاكتشفت - بما يشبه الصدفة - أن السن قد تقدمت بمس جيني أيضاً ، وأن قلبها العجوز الذي لا يقهر ، قد حل به أيضاً ، آخر الأمر ، التعب . كانت صدمة ، لأنها لم تربط قط بين الشيخوخة ومس جيني ، التي كانت إلى أقصى حد رفيعة ، مشدودة القامة ، محتدمة ، صلبة الرأي لاتهادن ،

ورحيمة ، وكانت ترعى البيت الذى لم يكن بيدها والذى استأنفت حياتها فيه ، بعد أن اجتمعت بعنف جذورها من ذلك المسكان البعيد ، حيث كانت العادات والأساليب ، وحتى الطقس نفسه شيئاً مخالفاً وقد أدارته بكفاءة لا تجهد ، وبمعمونة زنجى عجوز متديكى. لا يتحمل من المسئولية أكثر مما يفعل طفل .

وقد ثابرت على إدارة شؤون البيت وكأن بايارد العجوز وبايارد الصغير كانا فيه . ولكن عندما كان الليل يحل ، وتجلسان للتدفئة بالنار فى المكتب ، وكان العام قد أخذ ينصرم ، والهواء ينساب مرة أخرى مثقلاً بأريج الخروب وشدو الببغاوات ، وبكل شقاوات الربيع مجدة . وأخيراً سلت حتى مس جينى بأنهما لم تعودا فى حاجة للنار - عندما كانت تتكلم فى تلك الأوقات ، لاحظت نارسيسا أنها لم تعد تتحدث عن أيام صبوتهما البعيدة ولا عن حب ستيوارت بوشاحه القرمزى وحصانه المتوج بأكاليل الغار وماندولينه ، ولكن عن زمن لا يمضى أبعد من طفولة بايارد وجون .

كأن حياتها كانت فى طريقها إلى النهاية ، لا باتجاهها إلى المستقبل ، ولكن إلى أعماق الماضى وكأنها لفة خيط يعاد طيها .

وقد كانت نارسيسا تجلس فى صفاتها وراء أسوار حذرهما الحصينة ، منصتة ، ومعجبة أكثر بما فعلت فى أى لحظة أخرى بتلك الروح التى لا تقهر ، والتى ولدت فى صحبة جسد امرأة وألقيت إلى سلالة من الرجال المتهورين الطائشين وفيما يبدو من أجل تحقيق غرض أوحد هو رعاية هؤلاء الناس حتى يصلوا إلى مصارعهم المبكرة المروعة ، فى مرحلة من مراحل التاريخ شهدت الأشقاء والزوج وهم يذبجون بنفس عشوائية الصدقة العمياء عديدة الجدوى التى تقرر مصائر الناس ، وقد رأت وكأنها تحت كابوس لا تلتئم جراحه باليقظة أو النوم ، جذور حياتها وقد انتزعت من التربة حيث كان أجدادها القدامى يضطجعون واثقين فى خير الإنسان

وعدائه - مرحلة كان الرجال فيها أنفسهم رغم اندفاعهم المتهور المترفع في ازدياد ، يصيهم الخور لو أن الأدوار التي كان عليهم أن يؤديها كانت أدواراً سلبية وكانت مصائرهم في انتظارهم . جال بخاطرهما مدى تفوق تلك الشهامة في النبيل والتضحية - وهي الشهامة التي لم ترم بجد مسنون عدواً ما كان السيف يستطيع أن يجد طريقاً له ، ذلك الإصرار غير الشاكي لهؤلاء النسوة اللاتي لم ترتل في مديحهن الأناشيد (نعم ، ولم تذرف عليهن الدموع) - على ضجيج الرجال الساحر وبريقهم الذي لا جدوى منه - هذا الضجيج وذلك البريق اللذان استطاعا أن يخفيا شهامة هؤلاء النسوة ، والآن ، إنها تحاول أن تجعل مني واحدة منهن ، أن تجعل من طفلي صاروخاً آخر يتوهج برهبة ، في السماء ، ثم يموت ، .

ولكنها عادت إلى صفائها مرة أخرى وتركت أيامها رويداً رويداً مع اقتراب موعد الوضع وأصبح صوت مس جيني مجرد صوت ، معز ومسل ولكن دون معنى ، وكانت تتلقى في كل أسبوع من هوراس رسالة هوائية المزاج تصطنع المرح ببسالة ، وهذه أيضاً كانت تقرؤها بهدوء ودون عاطفة - أي كانت تقرأ ما تستطيع أن تفك رموزه . كانت تجد دائماً صعوبة في قراءة خط هوراس ، وما كانت الأجزاء التي لا تستطيع أن تحل رموزها تعنى شيئاً بالنسبة لها إلا أنها كانت تعرف أنه كان يتوقع منها هذا .

ثم أصبحت الأيام ربيما فعلا . بدأت مشاحنات مس جيني وليزوم الموسمية التي تستخدم كل ربيع ومضت في سبيلها عنيفة غير ضارة في الحديقة تحت نافذتها . أخرجنا أبصال الزنبق من القبو وغرسناها في الأرض ، بمعاونة نارسيسا ، وسويا الأحواض الأخرى ، وقلنا أشجار الورد ، وشتل الياسمين . وكانت نارسيسا تذهب راكبة إلى البلدة ورأت طلائع زهور النسرين التي تفتحت على المرج المهجور ، وكأنها هي وهوراس مازالا يقيان هناك ، وأرسلت إلى هوراس صندوقاً منها ، ثم بعد ذلك ، من زهور النرجس . ولكن عندما ازهرت الجلاديبولا

كانت قد انقطعت عن الخروج عدا في ساعات الأصيل المتأخرة أو المساء المبكرة ، عندما كانت تمشي مع مس جيني في الحديقة بين البراعم المتفتحة والبيضاوات الصادحة ، وطيور السماء المتكاسلة في طرقات عتمة في ساعات الفسق الطويلة المترددة ، وما زالت مس جيني تتحدث عن جوني خالطة بين ذلك الذي لم يولد بعد وذلك الذي مات .

تلقوا في أيام يونية المبكرة طلبا بالمال من بايارد حيث كان في سان فرنسيسكو ، وحيث تمكن في النهاية من النجاح في إعطاء الفرصة لمن يسرق أمتعته . أرسلت مس جيني إليه النقود ، وأبرقت إليه . عليك أن تعود إلى البيت ، دون أن تقول لنارسيسا ، ثم قالت لها ، د سيعود الآن ، سترين أنه سيفعل إن لم يكن لأى غرض فليقض مضاجعنا فترة .

ولكن مضى أسبوع ولم يعد ، وأبرقت مس جيني إليه مرة أخرى ، برسالة ليلية ولكنه كان في شيكاغو لحظة لإرسال البرقية ، وعندما وصلت سان فرنسيسكو كان جالسا في ملهى على أنغام السكسفون بين فتيات مدهونات بالطلاء وأزواج في أواسط العمر ، إلى مائدة تناثرت عليها الأكواب الملوثة ، وتلطخت برماد السجائر والخز المنسكب ، كان في صحبته رجلان وفتاة . كان أحد الرجال مرتديا ثوبا عسكريا ، وعلى صدره شارة الطيران الحربى ، أما الآخر فقد كان رجلا ربعا في ثوب فضفاض من الصوف الخشن ، شائب الفودين ، بعينين خاليتين تبجثمان عن رؤى وهمية . كانت الفتاة شيئا نحيفا طويلا ، أغلبها فيما يبدو سيقان ، بفم جريء محمر وعينين باردتين وكانت ترتدى ثوب رقص شديد الأناقة ، وعندما عبر الرجلان الغرفة وتحدثا إلى بايارد ، كانت تحاول إغراءه على الشراب بإصرار لم تستطع كتمه إلا بصعوبة . وقد أخذت بعد ذلك في الرقص مع الطيار ، وكانت تنظر من فينة إلى أخرى إلى بايارد الذى أخذ في تناول الشراب بروية وهدوء ، بينما كان الرجل كك الملابس يتحدث إليه . كانت تقول ، أنا خائفة منه .

كان الرجل رث الملابس يتحدث بانفعال ملجم ، متخذنا من منشفتي

يد مطبقتين على امتداد طولها على هيئة شريطين رفيعين أراد أن يمثل بهما شيئا . كان صوته أجش مبجوحاً ، وسط ضجيج الأبواق والطبول الذي لا معنى له . وقد أنصت بايارد قليلا ، وهو يتفرس في الرجل بعينين باردتين ، ثم أخذ بعد ذلك في التطلع عبر الفرقة إلى شيء أو شخص ما ، تاركاً الرجل يتكلم دون أى اهتمام . كان يشرب من الويسكى والصودا بانتظام ، والزجاجة بجواره . وكانت يدها راسختين إلى حد ما ، ولكن وجهه كان في شحوب الموتى ، وكان مخموراً تماما ، وكانت الفتاة تقول لرفيقها وهي تنظر إلى بايارد من لحظة إلى أخرى .

« اسمع ، أنا خائفة منه . يا إلهي ، لم أكن أعرف ما أصنع ، عندما جئت إلى أنت وصديقك . عدنى ألا تذهب وتدعنا وحدنا . »

قال الطيار في لهجة ساخرة ، « أنت خائفة ؟ ، ولكنه أدار رأسه ، أيضا وتطلع إلى وجه بايارد الشاحب الأبى ، وقال « أراهن ، لن تحتاجي حتى إلى حصان . »

قالت الفتاة « أنت لا تعرفه ، وقبضت على يده ، وضغطت بجسدها المرتعد جسده ، ورغم أن ذراعه قد احتضنها بشدة ، وانزلت يده على ظهرها إلى أسفل قليلا فقد قال لها عندما اختفيا داخل حشد الراقصين المتواج الذي احتبس داخله ، قال لها باحتراس محدود ، وبسرعة :

« هوني عليك يا أختي ، إنه ينظر في هذه الاتجاه . رأيتك يحطم سنتين من فم ضابط أسترالى حاول فقط أن يتحدث إلى فتاة كانت في صحبته في حانة في لندن منذ عامين ، وتحركا معا حتى أصبحت الفرقة العازقة على الناحية الأخرى منهما . »

« ما الذى يدعوك للفرع ؟ إنه ليس هنديا أحمر ، لن يؤذيك طالما أنك تقدرين أين تضمين قدمك . إنه على ما يرام . وقد عرفته منذ مدة طويلة ، وفي أما كن يتجتم على الرجل فيها أن يكون مهذبا ، صدقيني . »

قالت مرة أخرى ، أنت لا تعرف ، أنا - ،

صعد ضجيج الموسيقى ثم انهار وصمتت ، وفي السكون المفاجئ صعد صوت الرجل رث الثياب من المائدة المجاورة ، - استطعت فقط أن أقنع أحد هؤلاء الطيارين الجبناء الملاحين على - ،

ثم غرق صوته مرة أخرى في مد الضوضاء ، أصوات سكري ، وضحك نسوي رفيع ، وأصوات جر المقاعد ، وعندما اقتربا من المائدة كان الرجل رث الملابس ماضيا في حديثه بإشارات لحوحة ملجمة ، بينما ظل بايارد يتطلع عبر الغرفة ، إلى ذلك الشيء ، أيا كان ، الذي يرقبه وهو يرفع الكأس بثبات إلى شفثيه وشدت الفتاة على ذراع رفيقها .

قالت وهي تتوسل إليه في ألفاظ سريعة ، عليك أن تساعدني على أن أتخلى عنه . أنا قلت لك ، أنا خائفة من الخروج معه وحده ، .

« تتخلين عن سارتوس ؟ أليس الرجل حيوانا كثيف الشعر ، ولا المرأة أيضا عودي إلى روضة الأطفال يا أختي . » ثم أخذ بصدق الفتاة العميق فسألها « قولي ، ماذا فعل بك على أي حال ؟ » .

« لا أدري . سيفعل أي شيء . رمى شرطي المرور ونحن قادمان إلى هنا بزجاجة فارغة . عليك أن ، » .

قال أمرا ، « كفي ، وتوقف الرجل ذو الثياب الرثة عن الكلام ورفع ناظريه وقد عيل صبره . وكان بايارد يتطلع بثبات عبر الغرفة .

قال وهو يتكلم ببطء وعناية ، « صهرى جالس هناك . لا أحدث أهدأ من الأسرة . مفيظ منا إلى درجة الجنون . أخذوا منه زوجته ،

سأل الطيار ، « أين ؟ » وأشار إلى جرسون ، « جاك ، تعال ، » .

قال بايارد ، « الرجل ذو الماسة المثبتة في ربطة عنقه . رجل شجاع

لا أستطيع أن أتحدث إليه مع ذلك . ربما يضربني . معه صديقه على كل حال ،

نظر الطيار مرة أخرى وقال ، « يبدو أن معه جسده . ونادى
الجرسون مرة أخرى ، تم قال للفتاة ، كوكيتيل آخر ؟ ثم أخذ الزجاجه
وملا كأسه . وكأس بايارد ، واتجه إلى الرجل رث الثياب ، أين كأسك ؟

أزاحها الرجل جانبا وقد عيل صبره ، وقال : وهو يلتقط مناشف
اليد مرة أخرى ، « اسمع ، تتزايد مساحة سطح الأجنحة بنسبة تزايد
ضغط الهواء ، يرفع السرعة إلى نقطة معينة ، فاهم ؟ . والآن ، كل
ما أريد أن أعرفه هو . .

قال الطيار مقاطعا ، « اسمع يا زميلي ، ارو لنا قصة أخرى أكثر
جدية . سمعت منذ عامين أن لديهم طائرة . جرسون ، تعالي هنا ، كان
بايارد يرقب الرجل ذا الملابس الرثة يبرود .

قالت الفتاة ، « أنت كففت عن الشراب ، . ولمست الطيار من
تحت المائدة . .

قال بايارد ، « نعم . موناجان لم لا تطير نعشه له ؟ ، .

وضع الطيار كأسه على المائدة وقال ، « أنا ؟ بحق جهنم ، أجازتي
تجلى في الشهر القادم ، ورفع كأسه وقال « وهذه ختامنا . ولنشرها
حتى الثمالة ، .

قال بايارد موافقا ، « نعم ، ولم يلبس كأسه . كان وجهه شاحبا
متيبسا ، فقد أصبح قناعا معدنيا مرة أخرى .

قال الرجل رث الملابس بحماسة ، « اسمعني ، لا يوجد ثمة خطر على
الإطلاق ، طالما احتفظت بالسرعة تحت نقطة معينة سأحدها لك . لقد
اختبرت الأجنحة بتعليق أنقال عليها ، وتحققت من قوة الدفع من أسفل
إلى أعلى ، وراجعت كل الأرقام ، كل ما عليك أن تفعله

قالت الفتاة بإصرار ، « ألا تشترك معنا في الشراب ؟ »

قال الطيار ، « بالتأكيد سيفعل . قل لي ، هل تتذكر تلك الليلة في أمينز ، عندما حطم ذلك الشيطان الأيرلندي الضخم كومين الناقوس الزجاجي بإطلاق صفارته بجوار الباب ؟ جلس الرجل الأشعث وهو يسوى المنشفة المطبقة على المائدة ، ثم انفجر مرة أخرى ، وكان صوته مبحوحا أجش مجنونا ، بما يعانيه من خيبة شديدة .

« لقد كددت وكددت ، واستدنت وتسولت ، والآن عندما انتهيت من صنع الآلة وجاء مفتش الحكومة ، لا أستطيع أن أقوم بتجربة ، لأنكم ، أتم أيها الطيارون الجبناء ترفضون التحليق بها . السلاح علوه بأمثالكم ، تأخذون رواتب الطيارين من أجل الجلوس على أسطح الفنادق تشربون الخمر . أتم يا طيارو وراء البحار تتحدثون عن بطولاتكم . لا عجب إن كان الألمان ... »

قال له بايارد دون حماسة وبصوته البارد الخدر . « أسكت ، .

قالت الفتاة مرة أخرى ، « أنت لا تشرب ، هيا ، وأخذت الكأس ولست به شفيتها ، ثم قدمتها إليه . وأخذها ، وأمسك بيدها أيضا ، وظل قابضا عليها كذلك ، إلا أنه كان يتطلع بعيدا عبر الغرفة .

قال ، ليس « شقيق الزوجة ، إنه الزوج الرسمي . لا ، الزوج الرسمي لشقيق الزوجة . الزوجة كانت حبيبة شقيق الزوجة . تزوجا الآن امرأة سمينة إنه رجل محفوظ ، .

سأله الطيار ، « عم تتكلم هيا ، فلنأخذ كأسا ، ،

ومالت الفتاة مبتعدة عنه بقدر ما سمحت لها ذراعها . وبيدها الأخرى رفعت كأسها وابتسمت له بدلال مقتضب يفيض بالفرح ، وقد قبض على رسغها بأصابعه القاسية ، وبينما كانت تحملق فيه بعينها الواسعتين أخذ

في جذبها ببطء نحوه قالت هامة ، د دعنى . لا تفعل ، ووضعت كأسها على المائدة ، وحاولت بيدها الأخرى تخليص رسغها من قبضته .

كان الرجل غارقا في تأملاته حول منشغاته المطيعة ، وكان الطيار مشغولا بعناية بكأسه همست مرة أخرى ، د لا تفعل ، وقد تلوى جسدها في مقعدها ، واستنابت بسرعة على يدها الأخرى حتى لا يجرها من مكانها ، وظلا يحملقان في بعضهما البعض لحظة - هي وفي عينيها رعب صامت هائل ، وهو بكآبة ، من وراء قناعه الثلجى . ثم أطلقها ودفع مقعده للخلف .

قال للرجل الأشعث ، د أنت هيا ، وأخرج حزمة من الأوراق المالية من جيبه . ووضع أحدها أمامها على المائدة ، وقال هذه أجر عودتك إلى بيتك . ولكنها كانت جالسة تعالج الرسغ الذى كان قابضا عليه ؛ وترقبه بسكون . أما الطيار فقد كان مشغولا بمكر بقاع كأسه قال بايارد للرجل الأشعث ، د هيا ، ووقف الآخر ، ومضى في أثره .

وفي ركن صغير ، كان هارى متشل جالسا ، وعلى مائدته أيضا زجاجات وكؤوس ، وقد جلس مسترخيا في مقعده ، وعيناه مغمضتان ، ورأسه الصلعا ورديا بما عليها من عرق ، في وهج مصباح كهربى . كانت بجواره امرأة استدارت وتطلعت إلى بايارد وفي عينيها يأس مشتعل وقد وقف من حولهما نادل له رأس تشبه رأس قس . وقد لحظ بايارد وهو مارهم اختفاء ماسة ربطة عنق هارى ، وسمع أصواتهم المريرة المكتومة ، إذ كانت أيديهم تتعارك على المائدة حول شيء محتف وراء ستار جسميهما . وعندما وصل هو وصاحبه إلى باب الخروج ارتفع صوت المرأة بفيض من الألفاظ القذرة ، واستغاثة هستيرية حادة كتبت فجأة بسرعة ، وكان شخصا أطبق بيده على فمها .

وفي الغد ، ذهبت مس جيني في عربتها إلى البلدة ، وأبرقت إليه مرة أخرى . ولكن بايارد كان في لحظة إرسال البرقية - جالسا في مقعد

طائرة على عم الطيران في مطار الحكومة في دايتون ، بينما كان الرجل الأشعث يتحلق ويندفع كالمحموم هنا وهناك .

وكان عدد من طياري الجيش واقفين بالقرب منه ، صامتين ولا يعنيههم الأمر . كانت الطائرة تبدو شبيهة بأى طائرة أخرى ذات جناحين ، عدا اختفاء جميع القضبان الموصلة بين الجناحين ، اللذين كانا مثبتين من الداخل بشبكة من الأسلاك تستند إلى مجموعة من الزنبركات ولذا فإن فعالية سطوح الأجنحة كانت ذات قيمة سلبية وهي ساكنة على الأرض كانت النظرية هي التخلص عند الطيران الأفقى من أثر سطوح الجناحين المعطل في سبيل زيادة السرعة ، وعند الميل بالطائرة على أحد جنبيها ، فإن الضغط الجانبي يرفع فعالية الجناحين بطريقة آلية ، فيزيد من قدرة الطائرة على المناورة ، وكانت غرفة القيادة قريبة من الدفة .

قال الرجل الذى أعاره الخوذة وعوينات القيادة ، برود ، وهكذا فأنت تستطيع أن ترى الجناحين عندما يتقوسان . لإنهما زوج قديم من الأجنحة . ، وألقى بايارد عليه نظرة باردة مكتئبة . قال الآخر ، « سارتورس اسمع دع هذا القفص وشأنه . هذه العجائب من الرجال تأتي هنا كل أسبوع ، بشيء يحدث ثورة في عالم الطيران ، بنوع جديد من مصاديد الرجال يطير بشكل رائع - على الورق . إذا كانت السلطات الرسمية ترفض أن تقوم له طيارا وأنت تعرف أننا نجرب هنا كل شيء . يحمل محركا فإن في استطاعتك أن تراهن على أنها قامة ،

ولكن بايارد أخذ الخوذة والعوينات ومضى نحو حظيرة الطائرات . ومضت الجماعة في أثره ووقفوا متخلفين حوله بسكون ، بوجوههم الشاحبة التى لفتحها الرياح ، بينما بدأ المحرك في الدوران لترتفع درجة حرارته . وإذا صعد بايارد إلى مكانه في الطائرة وثبت عويناته ، تقدم منه الرجل الذى أعارها له ، ووضع شيئا في حجره ، وقال بحدة ، « اسمع خذ هذا معك . . كان الشيء رباط جورب امرأة ، والتقطه بايارد وأعادته إليه .

قال ، « إن أحتاج إليه . شكرا على كل حال

« حسنا . أنت أدري بشيؤنك . ولكن إذا سمحت لها أن توجه
أنفها إلى أسفل فستفقد كل شيء عدا العجلات . »

قال بايارد « أعرف هذا . سأحتفظ بها معتدلة الاتجاه ، واندفع الرجل
الأشعث مرة أخرى ، وهو ماض في الكلام ، قال بايارد وقد عيل صبره ،
« نعم ، نعم . قلت لي هذا كاه من قبل . أطلقها ، . أدار ميكانيكي
المروحة ، وإذا تحركت الآلة صوب وسط المطار ، ظل الرجل الأشعث
متعلقاً بغرفة القيادة وهو يصيح برا كها ، وسرعان ما اضطر لأن يجرى
حتى يلحق بها وظل يصيح أيضا . رفع بايارد يده وفتح خناق الوقود .
عندما وصل إلى نهاية المطار واستدار ليواجه الريح ، كان الرجل يجرى
متجها إليه وهو يلوح بيديه . وهنا فتح بايارد الخناق إلى نهايته ،
واندفعت الطائرة إلى الأمام ، وعندما عبر الرجل الواقف وسط المطار ،
كان الذيل مرتفعا عن الأرض ، والطائرة مندفعة إلى الأمام في قفزات
طويلة ، ولمح يدي الرجل الملوحتين بجنون وفه الفاجر عندما توقفت
التائرة عن قفزاتها .

تأمل كل جناح وتلوى من نقطة ارتكازه على جسم الطائرة حتى طرفه ،
وقاد الشيء بمهارة ليرتفع به عن الأرض . أدرك أنه يوجد ثمة حد إذا
تعداه أفقدته سرعته قوة السطوح الرافعة . كان على ارتفاع ألفي قدم
تقريبا ، واستدار ، وإذا فعل وجد أن ضغط الجناحين قد قضى تماما على
قوة رفع قلب الطائرة ، وضاعف قوة الرفع الخارجية ، ووجد نفسه في
أبشع انزلاقة رآها منذ أيامه مع الألمان . لم تنزلق الطائرة فقط منحدرة ،
بل قذفت ذيلها إلى أعلى وكأنها حوت غاطس ، وقفز عداد السرعة ثلاثين
ميلا فوق الحد الذي حدده المخترع كان يتجه بانحدار خفيف نحو المطار ،
وشد عصا القيادة إلى الخلف .

اثنتي طرفا الجناحين بحدة فدفعا العصا إلى الأمام في اللحظة التي كاد
فيها الجناحان أن ينفصلا عن الطائرة ، وأيقن في تلك اللحظة أن الشيء

الوحيد الذي حماه من السقوط كفضلة مقلوقة هو سرعة انقضاء الطائرة . وكانت السرعة تزايدت وسرعان ما مرق بالمطار ، وهو على ارتفاع ألف قدم . جذب العصا إلى الخلف مرة أخرى ، ومرة أخرى التوى طرفا الجناحين ، ثم دفعها إلى الأمام ، واندفع مرة أخرى في انزلاق وحشية ليخضع من سرعة الطائرة ، ومرة أخرى طوحت الطائرة ذيلها إلى أعلى في منحنى مصعد ، ولكن الجناحين انفصلا عن الطائرة هذه المرة ، وخفض رأسه بطريقة آلية عندما اندفع أحدهما نحوه بوحشية ليصطدم بعد ذلك بالذيل ، ويفصله أيضا .

- ٣ -

في ذلك اليوم ولد طفل نارسيسا ، وفي اليوم التالي أخذ سيمون مس جيني في العربة إلى البلدة وأوصلها إلى مكتب الإبراق . وقفت الخيل ، وهي تعض أوجتها وترمي برؤوسها إلى أعلى ، متوثبة بجرأة ، بعد أن شد أعنتها قليلا وبشكل غير محسوس . بينما حارب سيمون بشكل ما أن يأخذ جلسة متعجرفة وهو يرتدى معطفه الفضفاض وقبعته العالية ، وهكذا وجدته دكتور بيبودي إذ كان قادمًا في الشارع تحت أشعة الشمس في سترته التيلية المتهدلة . وكان يحمل صحيفة في يده .

قال ، « سيمون ، أنت تبدو كضفدعة . أين مس جيني ؟ » .

قال سيمون مؤيدا ، « نعم سيدي ، نعم سيدي . إنه وقت الفرح والسرور . لقد وصل السيد الصغير . نعم سيدي وصل السيد الصغير وستعود الأيام الماضية . »

قال دكتور بيبودي ، وقد فقد صبره ، « أين مس جيني ؟ » .

« إنها في الداخل هناك ، ترسل برقية إلى ذلك الولد ليعود إلى حيث ينتهي ، استدار دكتور بيبودي وابتعد فظل سيمون يرقبه ، وقد أزعجه قليلا عدم انفعاله بالأحداث التي رواها له . قال سيمون ، بصوت عال ،

وهو يفكر ، تلقاها وكأنها هراء ، وفي ألفاظه شعور بالاستخفاف والضيق ، سنحي الأيام العتيقة كلها . نعم سيدي ، الأيام العتيقة تعود مرة أخرى ، بالتأكيد . كما كان في أيام السيد جون ، عندما كان الكولونيل هو السيد الشاب ، والزوج من أكوخهم ، يتجمعون على المرج الأمامي ، وهم يلهمجون بالدعاء للسيدة والسيد الصغير ، وراقب دكتور بيبودى وهو يدخل من الباب ، وراه من صفحته الزجاجية وهو يقرب من مس جيني ، إذ كانت واقفة أمام النضد برسالتها .

قالت الرسالة التي تحمل خطها الحازم الواضح ، ، عد أيها الأحمق إلى البيت لترى أسرتك ، وإلا فسأمر بالقبض عليك ، ، قالت للعامل ، لأنها أكثر من عشرة كلمات . ولكن لأهمية لهذا هذه المرة . سيعود الآن وسترى . وإلا فسأرسل المأمور لمتعبه ، بالتأكيد سأفعل هذا ، بقدر يقيني أن اسمه سارتورس . ،

قال العامل ، ، نعم ياسيدتى ، كان فيما يبدو يلقي صعوبة في قراءتها ورفع رأسه بعد برهة وأوشك على الكلام ، عندما لاحظت مس جيني شروده وأعدت نص برقيتها بحدة .

وقالت ، ، واجعلها أشد عنفا من هذا إذا أردت . ،

قال مرة أخرى ، ، نعم ياسيدتى ، ، وأخفى رأسه وراء النضد ، وهنا وبقلق محذود ولكنه متزايد وصبر نافذ مالت مس جيني عبر النضد بدولار فضى في يدها . وأخذت ترقبه وهو يعد الكلمات ، ثلاث مرات وهو في حيرة مؤلمة .

سألته ، ، أيها الفتى ، ماذا هناك ؟ الحكومة لاتحرم ذكر اسم طفل عمره يوم في برقية أليس كذلك ؟ .

رفع العامل رأسه وقال أخيرا ، ، نعم ياسيدتى ، ليس في ذلك شيء ، ، وأعطته الدولار ، واذ ظل جالسا والدولار في يده ، ومس جيني

ترقبه بمزيد من الضيق ، جاء دكتور بيبودى ولمس ذراعها .

قال ، ، جيني - هيا بنا ، ، .

قالت وهى تستدير عندما سمعت صوته ، صباح الخير . وقت مناسب
تقوم فيه بواجبك . هذا أول سارتورس تتأخر يوما كاملا عن رؤيته
فى كل هذه السنوات الطويلة ، أليس كذلك ؟ وبمجرد أن أعيد هذا
الولد الأحمق إلى البيت ، سيكون الأمر كما كان فى الأيام الماضية ،
كما يقول سيمون ، .

، نعم ، سيمون قال لى هيا بنا .

قالت وهى تستدير إلى النضد ، دعنى آخذ باقى نقودى ، وكان العامل
واقفا مكانه بالرسالة فى يده وقطعة النقود فى اليد الأخرى ، قالت له ،
، حسنا أيها الشاب ألا يكفى دولار واحد ؟ ، .

قال مكرراً ، نعم يا سيدتى ، وحول عينيه الملامحيتين الشاردتين
إلى دكتور بيبودى . وتقدم دكتور بيبودى بجسمه الثقيل وأخذ
منه الرسالة وقطعة النقود .

قال مرة أخرى ، ، جيني هيا بنا ، ظلت واقفة مكانها برهة
فى جمود تام وهى فى ثوبها الحريرى الأسود وقبعتها السوداء فوق
رأسها معتدلة ، وظلت تحملق فيه بعينيهما النفاذتين العجوزتين . اللتين
رأتا الكثير جدا ، وأدركتا معانيه . ثم مشت بثبات إلى الباب
وخطت إلى الشارع وانتظرتة حتى لحق بها ، وكانت يدها راسخة
أيضا عندما أخذت الصحيفة التى قدمها إليها كان مكتوبا فيها بحروف
واضحة ، طيار من المسيسي ، وأعادتها إليه على الفور ، وأخرجت
من خصرها منديلا صغيرا رقيقا مسحت به أصابعها برقة

قالت ، ، ليس على أن أقرأها ، لا تصل أسماءهم إلى الصحف
إلا بطريقة واحدة ، وأنا كنت أعرف أنه فى مكان ما ، لا شأن

له بالذهاب إليه ، حيث يفعل شيئا لم يكن من شأنه أيضا ، .
قال دكتور بيبودى ، نعم ، وصحبها إلى العربية ووضع يده
المتعثرة عليها ، وهي تصعد إليها .

صاحت فيه ، لوش ، لا تضع مخالبك على ، أنا لست كسيحة ،
ولكنه سند مرفقها ، بيده الهائلة الرقيقة ، حتى أخذت مكانها في العربية ،
ثم وقف وقبعته في يده بينما سوى سيمون الغطاء الصوفى فوق ركبتيها .

قال ، خذى ، ومد إليها يده بالدولار الفضى . أعادته إلى حقيبتها ،
وقفلتها ، ومسحت أصابعها مرة أخرى بالمنديل .

قالت ، حسنا ، ثم الحمد لله على أنه آخرهم . لفترة ما على كل
حال . سيمون إلى البيت ، .

جلس سيمون بجلال ، وقوس ظهره قليلا تحت تأثير المناسبة ، قال
دكتور ، متى ستحضر لرؤية السيد الصغير ؟ ، .

أجاب ، قريبا يا سيمون ، وهتف سيمون بالخييل ، ودار بالعربة
بحركة استعراضية وقد مالت قبعته ، ومال السوط برشاقة إلى الخلف بين
أصابعه . ظل دكتور بيبودى واقفا في الشارع ، برميلا ضخما بلا شكل
واضح في صورة إنسان يرتدى سترة مترهلة من التيل ، وفي إحدى يديه
قبعته ، والصحيفة مطبقة ، وفي اليد الأخرى رسالة صفراء لم ترسل ،
وظل هكذا حتى غاب عن ناظره ظهر مس جيني النحيل المعتدل ،
وزاوية قبعته الراسخة التي لا تقهر .

ولكنه لم يكن آخرهم ، ذات صباح بعد أسبوع وجد سيمون في
كوخ أحد الزوج في البلدة وقد هشمت رأسه ذات الشعر المفلفل بأداة
ثقيلة ، أجاد استعمالها مجهول .

سألت مس جيني في التليفون ، في بيت من ؟ . قال لها الصوت .

في بيت امرأة تسمى ميلوني هاريس . ميلوني ... ميل .. ومرق أمامها
وجه بيل ميتشل ، وتذكرت : الفتاة الخلاسية ذات القبعة الأنيقة والمئزر ،
والساقين الأنيقتين اللامعتين ، التي كانت تضيء على حفلات بيل جواً خاصاً ،
والتي تركت خدمة بيل لتفتتح صالونها للتجميل للسيدات . شكرت مس
جيني الصوت ، وأنهت المحادثة .

« المعجوز الأشيب الفاسد ، وذهبت إلى مكتب بايارد المعجوز وجلست ،
« إذن فهذا هو المكان الذي ذهبت إليه أموال الكنيسة ، التي ضاعت
هكذا ... ، كم تساءلت ... وجلست متصلة في تفكير منتصبه الظهر
لا تغفل الأحداث من إرادتها ويدها ساكنتان في حجرها . وفكرت ،
حسناً ، هذا هو آخر واحد منهم . ولكن لا ، لم يكن واحداً من
آل سارنورس ، كان عنده على الأقل أثر من تعقل ، بينما الآخرون ... ،
فالت مس جيني ، وهي التي لم تقض يوماً في الفراش منذ كانت في الأربعين
« أظنني سأمرض بعض الوقت . »

وقد فعلت بالضبط ما قالت . ذهبت إلى الفراش ، حيث اضطجعت
مستندة إلى الوسائد في غلالة خفيفة من الدايتلا ، ولم تسمح لأي طبيب
أن يعودها ، عدا دكتور بيودي ، الذي جاء يوماً لزيارتها بطريقة غير
رسمية ، وجلس في خجل واستحياء مدة ثلاثين دقيقة ، وهي تصب على
رأسه كل الضغينة والفضب المتجدد من فضيحة الدهان .

كانت تعقد في غرفتها اجتماعات يومية مع إيزوم والثورا ، وفي أكثر
الأوقات بعدا عن التوقع كانت تهب من نافذتها كالعاصفة ، بعنف غير
مشلوم على إيزوم وكازبي وهما في الفناء تحتها .

كان الطفل والجبل المعمر الوديع الذي يشرف عليه ، يقضيان في هذه
الغرفة معظم ساعات اليوم ، ثم جاءت معها نارسيسا بعد ذلك ، وكان
الثلاثة يقضين الساعات وهن جالسات مستغرقات يتماسن ، وقد تطهرن
جميعاً من كل شعور بالأناثية ، بينما كان ذلك الذي يتماسن عنه ينام

ويهضم ويستيقظ ويدعم نفسه من جديد وينام مرة أخرى .

قالت مس جيني ، « إنه سارتورس ، مافي ذلك شك . إلا أنه طراز أحسن . ليست فيه نظرة أعينهم الشاذة المتوحشة . الاسم كان هو السبب - فيما أعتقد . بايارد . لقد أحسنا عندما سميناها جوني .

قالت نارسيسا ، وهي تلحظ ابنها النائم بصفاء عميق هادى . « نعم ، .

وهناك ظلت مس جيني حتى حان حينها . ثلاثة أسابيع . كانت قد حددت الموعد قبل أن تذهب إلى الفراش . واستمسكت به بعناد ، رافضة حتى النهوض وحضور تعميد الطفل . وقد تم هذا يوم أحد . كان ذلك في أواخر يونيو ، وقد انسال أريج الياسمين إلى البيت في موجات منتظمة . وقد أحضرت إليها نارسيسا والمربية ، وهي تضع على رأسها عمامة أشد تزويقا وزخرفة ، الطفل ، بعد أن اغتسل ، وزين وعطر في حله الطقوسية ، ثم سمعتهم بعد ذلك وهم يمضون في العربة ، ثم استعاد البيت سكونه مرة أخرى . اهتزت الستائر بسلام في النوافذ ، وجاءت إليها كل روائح الصيف حاملة السلام فوق النسائم المشمسة ، والأصوات . . . طيور ، ومن مكان ما ناقوس يوم الأحد ، وصوت النورا ، وقد تطهر قليلا بمصاها الأخير ، وإن ظل مع ذلك رخيا ورقيقا . كانت تعد طعام الغداء . كانت تغنى باسى شيئا بلا نهاية ولا كلمات ، وهي تتجول في المطبخ ولكنها توقفت دون أن تتم أغنيتها عندما تطلعت حولها ورأت مس جيني في ثوب خروجها واقفة بالباب . كانت أكثر نحافة قليلا ، إلا أنها كانت منتصبه القامة كالعادة .

« مس جيني ! ماذا في العالم ! عليك أن تعودى إلى فراشك . هيا ، دعيني أعاونك على الذهاب إلى غرفتك ، إلا أن مس جيني تقدمت منها بثبات .

سألته ، « أين إيزوم ؟ » .
« إنه في الجرن . عليك أن تعودى إلى فراشك . سأخبر مس
نارسيسا بما فعلته . » .

قالت مس جيني ، « ابتعدى عني . سئمت البقاء في البيت .
أنا ذاهبة إلى البلدة نادى إيزوم » وظلت النورا تحتج ، ولكن
مس جيني ظلت دون انفعال على إصرارها ، وذهبت النورا إلى الباب
ونادت إيزوم وعادت ، وهي تردد تحذيراتها المشائمة المنذرة بالسوء ،
وبعد برهة دخل إيزوم .

قالت مس جيني وهي تعطيه المفاتيح ، « خذ . أخرج السيارة ،
وانطلق إيزوم ومن ورائه مس جيني متباطئة . وقد أرادت النورا أن
تدبعا ، وبها قلق مظلم ، ولكن مس جيني ردتها إلى مطهاها ، وعبرت
الفناء وجلست في السيارة بجوار إيزوم . قالت له ، « وأنت أيها الولد
عليك أن تقود هذا الشيء بعناية ، وإلا فسأجلس مكانك وأتولى الأمر
بنفسي . » .

عند ما وصلوا إلى البلدة كانت الأجراس تدق متكاسلة ، من فوق
أبراجها النجيلية المصعدة بين الأشجار ، إلى غمام الصيف الفضفاضة .
وعند طرف البلدة أمرت مس جيني إيزوم أن يعرج إلى برج مخضوضر ،
فضيا فيه ، وتوقفا بمد برهة أمام بوابات الجبابة الحديدية .

قالت موضحة الغرض من زيارتها ، « أريد أن أرى إن كانوا قد
أثروا سيمون كما ينبغي . لن أذهب إلى الكنيسة اليوم . لقد أغلق على
ما يكفى من الوقت بين الجدران ، وقد قاضت بها اتمعاشة رقيقة من مجرد
رؤيتها للشاهد الطبيعية ، وكأنها صبي صغير يلعب خارج أسوار المدرسة .

كانت مدافن الزنوج تمتد وراء أرض الجبابة الرئيسية ، وقادها إيزوم
إلى قبر سيمون . لقد أخذت جمعية دفن الموتى على عاتقها أمر الاهتمام

بسيمون الذى كان عضوا فيها وبعد مضي ثلاثة أسابيع من دفنه ، كانت التربة تزدهم بباقات الزهور التى تساقطت منها ظهورها تاركة وراءها كتلة عظيمة نجافة من السيقان ، وهياكل الأسلاك التى أخذت فى الصداً بسلام ، النورا ، أو ثمة شخص آخر ، كان قد سبقها إليه وأحاط القبر بصفوف غير مستقيمة من قطع الفخار المزوق وكسر الزجاج الملون . قالت مس جيني بصوت مرتفع ، « أحسبه يستحق شاهداً من حجر أيضاً ، واستدارت ورأت لإيزوم وهو يتساقى جذع شجرة ، كان يدور فيها ويتقافز فى حلقات حادة طائران من السمان ، أنت ، إيزوم ،

« سيدتى ، وقفز لإيزوم من فوق الشجرة فى الحال ، وهاجمته الطيور بدفعة أخيرة من الصيحات الوقحة المستيرية . دخلا قسم الموتى البيض ، ومرا بين صفوف من الأشكال الرخامية التى تحمل أسماء كانت تعرفها جيداً ، وتوارىخها فى بساطة تامة هادئة فوق الحجر الأصم . ومن حين إلى حين كانت تجتذب انتباههما قوارير رمزية وحائث ، وتحيط بهما حشائش مشدبة معنى بها ونظيفة تنعكس خضرتها على الرخام الناصع البياض والسماء الزرقاء المرقطه وأشجار الشربين السوداء حيث كانت تغنى الحائث بين أحضانها . وتستعيد ألحانها بلا نهاية . هنا وهناك كانت تستلقى الزهور اللامعة فى ألوان غير غائضة فى تجمعات عشوائية متناثرة بين الأبيض والأخضر ، ثم شد جون سارتوس ظهره وإشارة يده المتبجحة الفظة من بين حشد من أشجار الشربين التى انحدر بعدها القتل بشدة نحو الوادى .

وكان قبر بايارد أيضاً كتلة بلا شكل محدد من الأزاهير الذابلة ، وأمرت مس جيني لإيزوم أن يجمعها ويحملها بعيداً . كان البناءون يستعدون لإقامة الطوار من حوله وقد استلقى الشاهد الحجرى نفسه بالقرب من القبر تحت غطاء من النسيج الغليظ .

رفعت الغطاء وقرأت الحزوف النظيفة الجديدة . بايارد سارتورس .

١٦ مارس ١٨٩٢ - ١١ يونيو ١٩٢٠ . ذلك كان أفضل . بسيط . لم يكن ثمة رجل من آل سارتورس ليخترع الفاظاً عجاجة يضعها فوقه . لا يستطيعون حتى أن يستلقوا أمواتا في الأرض دون زهو وتبجح . ويجوار القبر كان ثمة شاهد حجري آخر ، يشبه الأخير فيما عدا ما حضر عليه من كلمات . ولكن اللسنة السارتورية كانت عليه ، رغم أنه لم يكن ثمة قبر يصحبها ، وكان الشيء كله كصوت متبجح في كنيسة حاوية . ومع ذلك فقد كان هناك شيء آخر ، وكان روحه الفطرية المرحة ذلك الذي ضحك ملء شذقيه وسخر من أكثر تراثه من الزهو الأجوف الكئيب المتبجح ، كأن روحه قد استطاعت بشكل ما حتى بعد أن قضى ، ورغم أن عظامه تستلقى في قبر مجهول وراء البحار ، أن تخفف من غلواء التلوحة المتجهة التي أشاروا بها عليه إشارة الوداع .

ملازم جون سارتورس ، سلاح الطيران الملكي

قتل في العمليات ، ٥ يوليو ١٩١٨

و أنا حملته على أجنحه نسر وجئت به إلى ،

وهمس نسيم ناعم بين أشجار الشربين وكأنه آهة مستطيلة ، تحركت فيه الأغصان بوقار ، وفي الهدوء الخيم بين الأشكال الرخامية المتباعدة شدت الحائم حينئذ المشتعل الذي لا ينتهي . وعاد ليزوم من أجل حمل آخر من الزهور الذابلة وحمله بعيداً .

وكان شاهد بايارد العجوز بسيطاً أيضاً ، فقد ولد كما حدث ، في وقت متأخر جداً ليشترك في حرب ، وفي وقت مبكر جداً ليشترك في التالية ، وتذكرت دعابة الأقدار به فقد حرمته من فرص الزهو والمفاخرة ثم أنكرت عليه امتياز الدفن على أيدي رجال ، كانوا سيبتكرون له الفاظ الزهو العجاجة الباطلة . لقد كادت أشجار الشربين أن تعجب لحدى ابنه جون وزوجته ، كانت أشعة الشمس تصلهما في ومضات ، فتزركش الحجر

الذى لوحه الطقس بنمنمة متشنجة ، لم يكن من اليسور تمييز الكتابة المدونة إلا بصعوبة . ولكنها كانت تعرف ما عليها ، ماذا ذلك السم الناقع ، الوحى ، المثل الأعلى الذى يفيض من ذلك الذى تسلط عليهم جميعاً والذى بث في المكان بأجمعه ، حيث ينبغى أن يجد المتعبون من الناس الراحة ، وقارا متعجرفا ، لا شأن له بعالم الأموات ، أكثر بما لأغلفة الكتب من شأن بما فيها من كتابة وقد استقرت تحته أيضا شواهد الزوجات اللاتي جرحوهن إلى مداراتهم المتبجحة . كانت رغم أسماء الأسر الطنانة ، متواضعة وخجولة كشدو طيور السمان تحت تصايح النسور ،

كان واقفا على منصة من حجر ، في سترته الرسمية عارى الرأس ، وقد تقدمت إحدى قدميه قليلا عن الأخرى ، واستقرت يده بحفة على عمود حجرى بجواره . كانت رأسه مرفوعة قليلا بإيماءة الكبرياء المتعالية التي كررت نفسها جيلا بعد جيل ، بإخلاص مشثوم ، كان قد أدار ظهره للعالم ، وتطلع بعينيه المنحوتتين عبر الوادى حيث كان خط السكة الحديدية الذى بناه والتلال الزرقاء التي لا تتغير والمستلقية وراءه ، ومن وراء ذلك ، استحكامات اللانهاية نفسها .

كانت المنصة والنمثال مرقطين بمواسم من المطر والشمس ، وبما يتساقط من فوق أغصان الشربين ، وقد عشيت الحروف المنحوتة بقوة بما عليها من عطن ، إلا أنه كان من الممكن تمييزها :

كولونيل جون سارتورس ، الولايات الفدرالية الأمريكية

١٨٧٦

١٨٢٣

جندى سياسى ، مواطن عالمى

من أجل تنوير الإنسان عاش

وبحجود الإنسان مات

تأنا هنا يا بن الآلام وتذكر الموت

وقد سببت هذه العبارات المنحوتة هياج أسرة القاتل ، ثم تلاه احتجاج

رسمى ، وامثالاً للرأى العام ، حقق بايارد المعجوز انتقامه : لقد أمر برفع العبارة ، بمجود الإنسان مات ، فأزيلت بطريقة غير كاملة بواسطة الأزميل ، وأضاف تحتها : سقط على يد ردلو ، سبتمبر ، ١٨٧٦ .

وقد ظلت مس جيني واقفة في تأمل عميق ، جسدا رقيقا منتصباً في حرير أسود وقبعة صغيرة لا تهادن ولا تنحنى . تخللت الرياح أشجار الشربين في آهات طويلة وفي رتابة النبض فاضت على الهواء اللامع ترديدات الحثائم المحزونة اليائسة . وعاد إيزوم ليأخذ آخر حمل من الزهور الميتة ، وإذا نظرت عبر مشهد الرخام العريض الممتد ، حيث كانت تنساب ظلال الظهيرة وتتحرك رأت عدداً من الأطفال يلعبون بهدوء ووقار محدود وهم في أناة يوم الأحد اللامعة بين الموقى الهادئين . حسناً ، كان ذلك هو الأخير منهم ، أخيراً جاء إلى تجمعهم المهيب ، في ظل الانعكاسات الخائبة ، التي تفيض من شهواتهم المتسجحة ، حيث تعود أجسادهم بهدوء إلى تراب ، تحت الرموز الوثنية التي تعبر عن أمجادهم التافهة ، وتلويحاتهم المنحوتة التي حضرت على الحجر الخالد . وتذكرت شيئاً قالت لها نارسيسا مرة ، عن عالم بلا رجال ، وتساءلت ، إن كان في مثل هذا العالم طرق هادئة ، ومنازل يغطي سقفها السلام ، ولم تكن تعرف .

عاد إيزوم ، وعندما مضى ، ناداها دكتور بيبودي . كان مرتدياً كالعادة سراويله المهلهلة الواسجة ، وسترته اللامعة المصنوعة من التيل ، وقبعته المتهدلة ، وكان ابنه يصحبه .

قالت مس جيني وهي تصافح لوش الصغير ، « حسناً ، يا ولد ، كانت عظام وجهه عريضة ومشكاة دون دقة . كانت له قبضة من الشعر الأسود المستقيم الجاف ، وكانت عيناه ثابتتين وبنيتين ، وفه كبيراً ، وفي مجموعته كان في وجهه القبيح الرقة والمرح وكل ما يغرى على الثقة به . كان نحيف البنية ، ولم يكن يحفل بملابسه وكانت يداه كبيرتين ونحيلتين كان يجرى بهما عمليات جراحية دقيقة ، بمهارة صياد ، يجتلد سنجاناً ،

ونخفة مشموذ ساحر . كان يعيش في نيويورك ، حيث كان يعمل مع جراح اسمه معروف في كل بيت . ومرة كل عام ، وأحيانا مرتين ، كان يركب القطار - ستة وثلاثين ساعة ويقضى عشرين ساعة مع أبيه (كانا يقضيانها في التجول بالأسلدة ، أو راكبين في الريف في عربته المتهالكة اليوم كله ، أو جالسين على الشرفة ، أو أمام النار يتحدثان معا) ثم يأخذ القطار مرة أخرى ليكون في عيادته بعد أن قضى اثنتين وتسعين ساعة بعيداً عنها - كان في الثلاثين من عمره ، الابن الوحيد الذي أنجبتة المرأة التي ظل دكتور بيبودى يخطب ودها أربعة عشر عاما قبل أن يستطيع أن يتزوجها . كان غرامه أيام تجواله في عربة في الإقليم بأسره ليداوى المرضى ويبتز الأطراف التالفة وكان غالبا يقطع أربعين ميلا ليراها بعد غيبة تصل إلى عام كامل ، ليقطع عليه طريقه ، ويحول إلى فراش امرأة تلد أو ساق مصابة ، فيكسني بأن يبعث لها برسالة مكتوبة على عجل ، تلتطف لها بعبء الانتظار عاما آخر .

قالت مس جيني : هانت قد عدت إلى بلدك مرة أخرى ، .

نعم يا سيدتى . وأجدك رشيقة جذابة كالعهد بك دائما .

قال دكتور بيبودى . : جيني سيئة المزاج إلى الدرجة التي لا تمكنها من عمل أى شيء إلا أن تجف تماما وتلبدد وتذروها الرياح ، .

أجابت على الفور قائلة ، : ستتذكر أنتى لا أسبح لك بأن تقوم برعايتى عندما لا أكون بخير ، ثم سألت لوش الصغير ، : أحسبك ستعود في القطار التالى ، أليس كذلك ؟ .

نعم سيدتى ، أخشى أن يكون الأمر كذلك . لم يحن موعد أجازتى بعد ، .

حسننا بهذه الطريقة التي تعيش بها ، ستقضيها يوما في بيت العجائز الرجال في مكان ما . لم لا تأتون جميعا لتناول الغداء ، ولتتمكن هو من رؤية الولد أيضا ؟ .

اجاب لوش الصغير . . . آتمنى أن أفضل هذا . إلا أنتى لا أملك الوقت الذى يمكننى من عمل كل ما أريده ، ولذا فقد قررت ألا أفضل شيئاً منها . وبالإضافة ، فإن على أن أقضى أصيل اليوم فى صيد السمك ،

وأضاف أبوه ، . . نعم ، وتقطع السمك الجيد بمطواة لرؤية تركيبه الداخلى ، دعينى أحك لك ما فعله صباح اليوم . قبض على ذلك الكلب الذى أطلق إيب عليه الرصاص فى الشتاء الماضى وشق ساقه وفك المروق المتشابكة بسرعة لم تعجز إيب وحده عن إدراك ما ينوى عمله ، بل الكلب أيضاً ، الذى لم يدرك الأمر إلا فى وقت متأخر جداً ليفج . كل ما نسيته هو أن نفوس داخله إلى عمق أكبر بحثاً عن روحه .

قال لوش الصغير دون تأثر ، . . أنت لا تعلم أنه ليست لديه روح ، قام دكتور ستراود ببعض التجارب فى الكهربية ، وهو يقول إنه يعتقد أن الروح . . .

قالت مس جينى مقاطعة ، . . هراء ، لوش ، الأفضل لك أن تحضر زجاجة من دهان ويل فولز ليحملها إلى طبيبه . حسناً - . ثم ألقت نظرة على الشمس وقالت . . الأفضل لى أن أذهب . إن لم يكن فى عزيمكا الحضور لتناول الغداء . -

اجاب لوش الصغير . . شكراً لك ياسيدتى . .

وقال أبوه ، . . أحضرته هنا لأعرض عليه بمحوصتك . لم تكن نعرف أن الهزال باد علينا إلى هذا الحد . .

اجابت مس جينى ، . . حسناً . افعلها ، ومضت ، وظلا مكانهما يرقبان ظهرها الأنيق حتى غابت عن أنظارهما وراء أشجار الشربين .

قال لوش الصغير متأملاً . . والآن قد وجد آخر منهم . ليكبر ويخاق لأمله المتاعب حتى ينجح فى النهاية فى عمل ما يتوقعونه منه أن عمله . حسناً ، ربما يخفف من غلوائه ويحد من جوحه دم بينبو . لانهم قوم

مسألون ، تلك الفتاة ، وهو راس وكأبه . . . ونساء فقط يقمن على تربيته

وصر أبوه على أسنانه وقال ، ، ولكن به دم سارتورس أيضا . .
وصلت مس جيني إلى البيت ، وقد بدت مجعدة قليلا ، وعنفها
ناريسيا قليلا ثم أقنعتها آخر الأمر أن تستلقي في فراشها بعد الغداء .
وغفلت عينها بينما مضت ساعات الأصيل . الوسنانه ، وصحت على الظلال
المستطيلة ، وصوت مفاتيح بيانو تلمس برقة في الطابق السفلي . قالت
تحدث نفسها ، وبدهشة ثقوب من الفزع ، ، نمت ساعات الأصيل
كلها ، ، إلا أنها ظلت راقنة في سكون ، والستائر تتماوج برقة على
نوافذها . وعزف البيانو يصعد إليها مختلطا بأريج الياسمين القادم من الحديقة ،
ويبدو العصافير وثرثرتها ساعة الأصيل فوق شجرة التوت في الغناء
الخلقي . ثم نهضت وعبرت البهو ودخلت حجرة ناريسيا ، حيث كان
الطفل ناعما في مهده . ، وقد غفت المربية بجواره في اطمئنان ، وخرجت
مس جيني على أطراف أصابعها ونزلت الدرج ودخلت الإدهة وسحبت

مقعدها من وراء البيانو . وتوقفت ناريسيا عن العزف
www.library4arab.com
سألها ، ، هل ارمحت بالنوم ، ما كان ينبغي عليك أن تفعل

ما فعلت صباح اليوم . .

قالت مس جيني ، ، هراء إنه يعود على بالفائدة دائما ، أن أرى كل
هؤلاء الخلق من الرجال وهم مضطجعون هناك ، بشماراتهم الرغامية
وأشيائهم الأخرى . شكراً لله ، لن يستطيع أحدهم أن يمتنى بسوء . .
أنا أحسب الله يعرف جيداً ما يصنع ، إلا أنني أعلن ، أحيانا . . .
عزفي شيئاً ، . .

أطاعتها ناريسيا ، ولمست المفاتيح برقة ، وظلت مس جيني مكانها برهة
وهي تنصت . وتلصص المساء إلى المكان ببطء ، ورويداً رويداً أصبحت
الظلال في الغرفة أكثر وضوحاً وفي الخارج كانت العصافير تثرثر وهي تطير في

سحابات حادة وأتيم رائحة الياسمين من الحديقة بانتظام التنفس ونشطت مس جيني وبدأت في الحديث عن الطفل . ومضت نارسيسا تعرف بهدوء وقد أضاء ثوبها الأبيض وطوقه الأسود في العتمة بشحوب ، في لمعان الشمع المكتوم . وانسال الياسمين وانسال ، وقد صمتت العصافير وظلت مس جيني تتكلم في ساعة الفسق عن جون الصغير بينما ظلت نارسيسا أيضا تعرف شاردة مستغرقة ، وكأنها لم تكن تنصت . ثم . ودون أن تتوقف أو تدير رأسها ، قالت .

« ليس اسمه جون ، إنه ينيبو سارتورس » .

« ماذا ؟ »

قالت مرة أخرى ، « اسمه ينيبو سارتورس » .

وظلت مس جيني صامته برهة . كانت النورا تتجول في الغرفة الملاحقة إذ كانت تعد المسائدة للعشاء ، سألتها مس جيني ، « وهل تتوقعين من هذا ثمة خير ؟ هل تظنين أن في استطاعتك أن تغيري واحدا منهم

www.library4arab.com بتغيير الاسم ؟

وقاضت الموسيقى بنعومة في العتمة ، وكانت العتمة مأهولة بأشباح أشياء قديمة مجيدة وفاجعة وفاتنة . وعندما تكون أهبها جبارة بما فيه الكفاية فمن الأكيد أن يكون فيها أحد آل سارتورس وحينئذ لا يكون هناك مناص من الفاجعة . قطع على رقعة شطرنج . ولكن اللاعب ، واللعبة التي يلعبها يجب عليه أن يطلق ثمة أسماء على قطعه التي يلعب بها .

ولكن سارتورس ، ربما يكون هو نفسه اللعبة - لعبة راح زمنها ، وتلعب بقطع من حجر شككت في وقت متأخر جداً وحسب طراز عني عليه الزمن ومات . طراز ستمه إلى حد ما اللاعب نفسه . لأن الموت يكمن في صوت الاسم نفسه ، وفيه شؤم أيضاً محتوم ذو أهبه كيبارق من فظة تندفع مبتعدة في ساعة الغروب ، أو كأصوات أبواق تفيض على امتداد الطريق إلى رونسيفو .

قالت مس جيني مرة أخرى ، د هل تعتقدين ، لان اسمه بينبو ،
انه سيكون أقل خسة وحماقة وسارتورسية من أى واحد منهم ؟ ،

وظلت نارسيسا تعزف ، وكأنها لم تكن تنصت ، ثم أدارت
رأسها ، ودون أن تتوقف عن العزف ، ابتسمت كالحالمة برقة لمس جيني
وفى ابتسامتها صفاء واستفراق وهيام ، ومن وراء رأس مس جيني الأنيقة
التي فقدت دقة معالمها فى العتمة ، استقرت الستائر الأرجوانية الداكنة فى
أماكنها فى سكون ، من وراء النافذة كان المساء حلما بنفسجيا بلارياح ،
أما تحتضن بين ذراعيها الهدوء والسلام .

www.library4arab.com

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل

www.library4arab.com

- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقى جلال	جورج جيمس	التراث المسروق	٣-
أحمد الحضرى	انجا كاريتنيكوفنا	كيف تتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إيفيتش	اتجاهات البحث اللسانى	٦-
يوسف الأنطكى	لوسيان فولمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودى	التغيرات البيئية	٩-
محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	جيرار چينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هنا عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١٣-
حسن المومنين	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيفى	إدوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
يأشرف: أحمد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	١٨-
سيد عطية	جيدى فى بل	الإيمان الشعري القديم	١٩-
يعنى طريف الحولى و بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كران	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العناتى	صعد بهرنجى	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	٢١-
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	٢٢-
سميد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل	٢٣-
بكر عباس	ياتريك بارندر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم النسوقى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى	٢٥-
أحمد محمد حسين فيكل	محمد حسين هيكل	نين مصر العام	٢٦-
يأشرف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشرى الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة فى التسامح	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عيد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	٣١-
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	الانتراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	٣٣-
حمدة إبراهيم المنيف	روجر ألن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	بول ب. نيكسون	الأسطورة والحداثة	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثة	٣٦-

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مقيث	ألن تورين	نقد العداثة	٢٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٢٩-
محمد عيد إبراهيم	أن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين باربر	عالم ماك	٤٢-
المهدى أخريف	أوكثافيو پاث	اللهب المزوج	٤٣-
مارلين تادرس	الدوس هكسلى	بعد عدة أسياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دينيا وجون فاين	التراث المغفور -	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتى	فرانسوا دوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	الإسلام فى البلقان	٤٩-
محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأثلكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وأيلة أو القبول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	٥١-
لطفى فطيم وعادل نمرداش	ب . نوقليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	العلاج النفسى التديعى	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجتون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود مطر مكي	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمد السيد والى	بيير غرسية لوركا	الأسل الشعرى الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	المحبرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفنى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
بإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	ألان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الحلیم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . اليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . تومبكنز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيميئوفا	صلاح الدين والمالک فى مصر	٧٤-

أحمد درويش	أندريه موروا	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	چاك لاكان واغواء التطيل النفسى	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأسمى الحديث (ج٣)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العزلة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعید القانى وناصر حلاوى	بوريس أوسبىنسكى	شعرية التأليف	٧٩-
مكارم الغمرى	ألكسندر بوشكين	بوشكين عند «نافورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشراوى	بندكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد على	ميجيل دى أوتامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالى	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شبيحة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرازق بركات	صلاح زكى أقطاى	منصور الحلاج (مسرحية)	٨٥-
أحمد فتحى يوسف شتا	جمال مير صادقى	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العنانى	جلال آل أحمد	نون والقلم (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقى شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالغرب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محبى الدين	أنتونى جيندز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وأخرون	رسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمرىكى المعاصر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون وسكوت لاش	محدثات العولة	٩٣-
فوزية العشماوى	صمويل بيكيت	مسرحيتنا الحب الأول والصحبة	٩٤-
سوى محمد عبد اللطيف	أندريه بوردن	خزائن من الصبح	٩٥-
إسوار العرافة	نخبة	ثلاث ريفيات ووردة ومخلص أخرى	٩٦-
بشير السباعى	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روبنسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم فتحى	بول هيرست وجراهام توميسون	مساطة العولة	١٠٠-
رشيد بنحدو	بيرنار فاليط	النص الروائى: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتانى الإدريسى	عبد الكبير الخطيبى	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤدب	قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)	١٠٣-
عبد الفقار مكاوى	برتولت بريشت	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شبيل	جيرارچينيت	مدخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف على دعبور	ماريا خيسوس روبييرامتى	الأدب الأندلسى	١٠٦-
محمد عبد الله الجعيدى	نخبة من الشعراء	مسرة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	١٠٧-
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	جون بولوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنة بيجوم	النساء فى العالم النامى	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	الاحتجاج الهادئ	١١٢-

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانٹ
- ١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستقع وول شوينكا نسيم مجلى
- ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف سمعية رمضان
- ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون نهاد أحمد سالم
- ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد منى إبراهيم وهالة كمال
- ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بٹ بارون ليس النقاش
- ١١٩- النساء والأسرة وقواتن الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل بإشراف: روف عباس
- ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد مجموعة من المترجمين
- ١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى محمد الجندى وإيزابيل كمال
- ١٢٢- نظام العربة القيم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت منيرة كروان
- ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية أنيئل ألكسندرو فنادولينا أنور محمد إبراهيم
- ١٢٤- الفجر الكاذب: أوامم الرأسمالية العالمية چون جراى أحمد فؤاد بلبع
- ١٢٥- التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفى سمحة الخولى
- ١٢٦- فعل القراءة فولقانتج إيسر عبد الوهاب علوب
- ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحي بشير السباعى
- ١٢٨- الأدب المقارن سوزان ياسنيت أميرة حسن نويرة
- ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا نولورس أسيس جاروته محمد أبو العطا وآخرون
- ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز فرانك شوقى جلال
- ١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين لويس بقطر
- ١٣٢- طائفة العرلة بايا فينيسنتين عبد الوهاب علوب
- ١٣٣- الثورة من طاريا لرواية تال على بلعب الشايب
- ١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب أحمد محمود
- ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ماهر شفيق فريد
- ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كوثو سحر توفيق
- ١٣٧- مذكرات ضابط فى العملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه كاميليا صبحى
- ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان وجيه سمعان عبد المسيح
- ١٣٩- باريسقال (مسرحية) ريتشارد فاجنر مصطفى ماهر
- ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هربرت ميسن أمل الجبورى
- ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين بنعيم عطية
- ١٤٢- الإسكندرية: تاريخ ودليل أ. م. فورستر حسن بيومى
- ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر عدلى السمري
- ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولدونى سلامة محمد سليمان
- ١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس أحمد حسان
- ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميغيل دي ليبس على عبدالرؤف البمبى
- ١٤٧- مسرحيتان تانكريد دورست عبدالغفار مكاوى
- ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكى أندرسون إمبرت على إبراهيم منوفى
- ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول أسامة إسبر
- ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليمان منيرة كروان

www.library4arab.com

بشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ١ ج ١)	١٥١-
محمد محمد الخطابي	مجموعة من المؤلفين	عدالة الهنود وقصص أخرى	١٥٢-
فاطمة عبدالله محمود	فيولين فانويك	غرام القراءة	١٥٣-
خليل كلفت	فيل سليتر	مدرسة فرانكفورت	١٥٤-
أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	الشعر الأمريكي المعاصر	١٥٥-
مى التلمساني	جى أنتال وآلان وأوديت فيرمو	المدارس الجمالية الكبرى	١٥٦-
عبدالعزیز بقوش	النظامى الكنجوى	خسرو وشيرين	١٥٧-
بشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ٢ ج ٢)	١٥٨-
إبراهيم فتحى	ديفيد هوكس	الأيديولوجية	١٥٩-
حسين بيومى	بول إيرليش	آلة الطبيعة	١٦٠-
زيدان عبدالطيم زيدان	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	مسرحيتان من المسرح الإسباني	١٦١-
صلاح عبدالعزیز محجوب	يوجنا الآسيوى	تاريخ الكنيسة	١٦٢-
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	١٦٣-
نبيل سعد	چان لاکوتير	شامبوليون (حياة من نور)	١٦٤-
سهير المصانفة	أ. ن. أفاناسيفا	حكايات الثلج (قصص أطفال)	١٦٥-
محمد محمود أبوغدير	يشعياهو ليفمان	العلاقات بين المتدينين والعمالين في إسرائيل	١٦٦-
شكرى محمد عياد	رابندرناث طاغور	في عالم طاغور	١٦٧-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	دراسات في الأدب والثقافة	١٦٨-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	إبداعات أدبية	١٦٩-
بسم الله الرحمن الرحيم الذى حسين	بجول بيرس قرانك ويجو	الطريق (مقالة) وضع الحد (رواية)	١٧٠-
محمد محمد الخطابي	نخبة	حجر الشمس (شعر)	١٧٢-
إمام عبد الفتاح إمام	ولتر ت. ستيس	معنى الجمال	١٧٣-
أحمد محمود	إيليس كاشمور	صناعة الثقافة السوداء	١٧٤-
وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	التليفزيون في الحياة اليومية	١٧٥-
جلال البنا	توم تيتنبرج	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	١٧٦-
حصه إبراهيم المنيف	هنرى تروايا	أنطون تشيخوف	١٧٧-
محمد حمدي إبراهيم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	١٧٨-
إمام عبد الفتاح إمام	آيسوب	حكايات آيسوب (قصص أطفال)	١٧٩-
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل قصبیح	قصة جاويد (رواية)	١٨٠-
محمد يحيى	فنسنت ب. ليكش	الثقافة الأمريكية من الثلاثينيات إلى الستينيات	١٨١-
ياسين طه حافظ	و.ب. بيتس	العنف والتبوء (شعر)	١٨٢-
فتحى العشرى	رينيه جيلسون	چان كوكتو على شاشة السينما	١٨٣-
دسوقي سعيد	هانز إيندورفر	القاهرة: حاملة لا تنام	١٨٤-
عبد الوهاب علوب	توماس تومسن	أسفار العهد القديم في التاريخ	١٨٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ميخائيل إنوود	معجم مصطلحات هيجل	١٨٦-
محمد علاء الدين منصور	بُزرج علوى	الأرضة (رواية)	١٨٧-
بدر النيب	ألفين كرتان	موت الأدب	١٨٨-

- ١٨٩- العصر واليسيرة: مقالات في بلاغة النقد للعالمس
١٩٠- محاورات كونفوشيوس
١٩١- الكلام وأسمال وقصص أخرى
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)
١٩٣- عامل المنجم (رواية)
١٩٤- مخترعات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)
١٩٧- سيرة الفاروق
١٩٨- الاتصال الجماهيري
١٩٩- تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل
٢٠١- الجانب الديني للفلسفة
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٤)
٢٠٣- الشعر والشاعرية
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات
٢٠٦- الهيبولية تصنع علماء جديداً
٢٠٧- ليل أفريقي (رواية)
٢٠٨- شخصية العربي في المسر الإسرائيلي
٢٠٩- من عتبات التاريخ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائي (شعر)
٢١١- فرديناند توسوسير
٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان
٢١٣- مسر منذ قوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)
٢٢٠- الهيبولية في الكون
٢٢١- شعرية كفافي
٢٢٢- فرانز كافكا
٢٢٣- العلم في مجتمع حر
٢٢٤- دمار يوغسلافيا
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)
٢٢٦- أرض النساء وقصائد أخرى
- سعيد الغانمي
محسن سيد فرجاني
مصطفى حجازي السيد
محمود علاوي
محمد عبد الواحد محمد
ماهر شفيق فريد
محمد علاء الدين منصور
أشرف الصباغ
جلال السعيد الحفناوي
إبراهيم سلامة إبراهيم
جمال أحمد الرقاعي وأحمد عبد الطيف حماد
فخزي لبيب
أحمد الأنصاري
مجاهد عبد المنعم مجاهد
جلال السعيد الحفناوي
أحمد هويدي
أحمد مستجير
علي يوسف علي
محمد أبو العطا
محمد أحمد صالح
أشرف الصباغ
يوسف عبد الفتاح فرج
محمود حمدي عبد الغني
يوسف عبدالفتاح فرج
سيد أحمد علي الناصري
محمد محيي الدين
محمود علاوي
أشرف الصباغ
نادية البنهاوي
علي إبراهيم منوفي
طلعت الشايب
علي يوسف علي
رفعت سلام
نسيم مجلي
السيد محمد نقادي
منى عبدالظاهر إبراهيم
السيد عبدالظاهر السيد
طاهر محمد علي البربري
- بول دي مان
كونفوشيوس
العاج أبو بكر إمام وآخرون
زين العابدين الراغي
بيتر أبراهامز
مجموعة من النقاد
إسماعيل قصبیح
فالتين راسبوتين
شمس العلماء شبلي النعماني
إيوين إمري وآخرون
يعقوب لاندائو
جيرمي سيبروك
جوزايا رويس
رينيه ووليك
ألطف حسين حالي
زالمان شازار
لويجي لوقا كافاللي- سفورزا
جيمس جلايك
رامون خوتاسنديز
دان أوربان
مجموعة من المؤلفين
سنائي الفرتوني
جوناثان كلر
مرزيان بن رستم بن شروين
ريمون فلادر
أنتوني جيدنز
زين العابدين الراغي
مجموعة من المؤلفين
سمويل بيكيت وفارولد بينتر
خوليو كورتاتان
كازو إيشجورو
باري باركر
جريجوري جوزدانييس
رونالد جراي
ياول فيرايند
برانكا ماجاس
جايريل جارثيا ماركيت
ديفيد هريت لورانس

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه ماريَا ديث بوركي	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	جانيت وولف	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيجان	مأزق البطل الوحيد	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز جاكوب	عن الذباب والفئران والبشر	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	الرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	ما بعد المعلومات	٢٣٢-
طلعت الشايب	آرثر هيرمان	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	ج. سبنسر تريمجهام	الإسلام في السودان	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبريزي (ج١)	٢٣٥-
أحمد الطيب	ميشيل شوكيفيتش	الولاية	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	روين فيدين	مصر أرض الوادي	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعربي مديولى أحمد	تقرير لمنظمة الأكتناد	العولمة والتحرير	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جيلا راماز - رايوخ	العربي في الأدب الإسرائيلي	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	كاي حافظ	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	٢٤٠-
ابتهسام عبدالله	ج. م. كويزي	في انتظار البرابرة (رواية)	٢٤١-
صبري محمد حسن	وليام إمبسون	سبعة أنماط من الغموض	٢٤٢-
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكييل	الغليان (رواية)	٢٤٤-
توفيق علي منصور	إليزابيتا أنيس وآخرون	نساء مقاتلات	٢٤٥-
علي إبراهيم منوفي	جابريل إارثيا ماركيت	مختارات قصصية	٢٤٦-
محمد الطاق الشاذلي	ج. م. كويزي	فكرة الصحابة والاشفاق	٢٤٧-
عبداللطيف عبدالحميم	أنطونيو جالا	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	٢٤٨-
رفعت سلام	دراجو شتامبوك	لغة التمزق (شعر)	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	يومنيك فينك	علم اجتماع العلوم	٢٥٠-
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٥١-
علي بدران	مارجو بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	٢٥٢-
حسن بيومي	ل. أ. سيمينوفا	تاريخ مصر الفاطمية	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وجودي جروفز	أقدم لك: الفلسفة	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وجودي جروفز	أقدم لك: أفلاطون	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روبنسون وكريس جارات	أقدم لك: ديكرات	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	وليم كلي رايت	تاريخ الفلسفة الحديثة	٢٥٧-
عبادة كحيله	سير أنجوس فريزر	الغجر	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	نخبة	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	٢٥٩-
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٣)	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	زكي نجيب محمود	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	إواردو مندوثا	مدينة المعجزات (رواية)	٢٦٢-
علي يوسف علي	چون جريين	الكشف عن حافة الزمن	٢٦٣-
لويس عوض	هوراس وشلي	إبداعات شعرية مترجمة	٢٦٤-

أوسكار وايلد وصمويل جونسون	روايات مترجمة	٢٦٥-
جلال آل أحمد	مدير المدرسة (رواية)	٢٦٦-
ميلان كونديرا	فن الرواية	٢٦٧-
مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	٢٦٨-
وليم جيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	٢٦٩-
وليم جيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	٢٧٠-
توماس سى. باترسون	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	٢٧١-
سى. سى. والترز	الأديرة الأثرية فى مصر	٢٧٢-
جوان كول	الاصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	٢٧٣-
رومولو جاييجوس	السيدة باربارا (رواية)	٢٧٤-
مجموعة من النقاد	د. س. اليرت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	٢٧٥-
مجموعة من المؤلفين	فنون السينما	٢٧٦-
براين فورد	الجينات والصراع من أجل الحياة	٢٧٧-
إسحاق عظيموف	البدايات	٢٧٨-
ف. س. سوندرز	الحرب الباردة الثقافية	٢٧٩-
بريم شند وآخرون	الأم والنصيب وقصص أخرى	٢٨٠-
عبد الحكيم شرر	الفردوس الأعلى (رواية)	٢٨١-
لويس وولبرت	طبيعة العلم غير الطبيعية	٢٨٢-
خوان رولفو	السهل يحترق وقصص أخرى	٢٨٣-
يوريبديس	هرقل مجنوناً (مسرحية)	٢٨٤-
محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب	الدين والسياسة فى عصر الإمام أحمد بن حنبل	٢٨٥-
وليم جيفور بالجريف	سياحة نوافل إبراهيم بن (ج١)	٢٨٦-
أنطونى كنج	الثقافة والعملة والنظام العالمى	٢٨٧-
ديفيد لودج	الفن الروائى	٢٨٨-
أبو نجم أحمد بن قوص	ديوان منوچهرى الدامغانى	٢٨٩-
جورج موان	علم اللغة والترجمة	٢٩٠-
فرانشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإشبانى فى القرن العشرين (ج١)	٢٩١-
فرانشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإشبانى فى القرن العشرين (ج٢)	٢٩٢-
روجر ألن	مقدمة للآلب العربى	٢٩٣-
بوالو	فن الشعر	٢٩٤-
جوزيف كامبل وبيل موريز	سلطان الأسطورة	٢٩٥-
وليم شكسبير	مكيث (مسرحية)	٢٩٦-
ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	فن النحو بين اليونانية والسريانية	٢٩٧-
نخبة	مأساة العبيد وقصص أخرى	٢٩٨-
جين ماركس	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	٢٩٩-
لويس عوض	أسطورة برونشوس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج١)	٣٠٠-
لويس عوض	أسطورة برونشوس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج٢)	٣٠١-
جون هيتون وجودى جرورفز	أقدم لك: فنجنشتين	٣٠٢-
لويس عوض		
عادل عبدالمنعم على		
بدر الدين عرويكى		
إبراهيم الدسوقى شتا		
صبيرى محمد حسن		
صبيرى محمد حسن		
شوقى جلال		
إبراهيم سلامة إبراهيم		
عنان الشهاوى		
محمود على مكى		
ماهر شفيق فريد		
عبدالقادر التمسانى		
أحمد فوزى		
ظريف عبدالله		
طلعت الشايب		
سمير عبدالحميد إبراهيم		
جلال الحفناوى		
سمير حنا صادق		
على عبد الرزاق البمبى		
أحمد عثمان		
محمد يحيى وآخرون		
ماهر البطوطى		
محمد نور الدين عبدالمنعم		
أحمد زكريا إبراهيم		
السيد عبد الظاهر		
السيد عبد الظاهر		
مجدي توفيق وآخرون		
رجلہ ياقوت		
بدر الديب		
محمد مصطفى بدوى		
ماجدة محمد أنور		
مصطفى حجازى السيد		
هاشم أحمد محمد		
جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال		
جمال الجزيرى و محمد الجندى		
إمام عبد الفتاح إمام		

www.library4arab.com

إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب ويورن فان لون	٢٠٣- أقدم لك: بوذا
إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	٢٠٤- أقدم لك: ماركس
صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	٢٠٥- الجلد (رواية)
نبيل سعد	جان فرانسوا ليوتار	٢٠٦- العماسة: النقد الكانطي للتاريخ
محمود مكي	ديفيد باينيو وهوارد سليتا	٢٠٧- أقدم لك: الشعور
ممدوح عبد المنعم	ستيف جونز ويورين فان لو	٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة
جمال الجزيري	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	٢٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ
محيى الدين مزيد	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	٢١٠- أقدم لك: يونج
فاطمة إسماعيل	ر.ج كوانجوود	٢١١- مقال في المنهج الفلسفي
أسعد حليم	وليم نيبويس	٢١٢- روح الشعب الأسود
محمد عبدالله الجعدي	خاير بيان	٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)
هويدا السباعي	جانيس مينيك	٢١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم
كاميليا صبحي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	٢١٥- جرامشي في العالم العربي
نسيم مجلي	أي. ف. ستون	٢١٦- محاكمة سقراط
أشرف الصباغ	س. شير لايموفا- س. زنيكين	٢١٧- بلاغ
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة
حسام نايل	جايتري اسبيفاك وكريستوفر نوريس	٢١٩- صور دريدا
محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٢٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج
بإشراف: صلاح فضل	ليفى برو فنسال	٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)
خالد مفلح حمزة	دبليو بوجين كلينباور	٢٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي
هاشمي حجازي	أشرف أسدي	٢٢٣- فن السور
محمود علوي	فيليب بوسان	٢٢٤- اللعب بالتار (رواية)
كرستين يوسف	يورجين هابرماس	٢٢٥- عالم الآثار (رواية)
حسن سقر	نخبة	٢٢٦- المعرفة والمصلحة
توفيق على منصور	نور الدين عبد الرحمن الجامي	٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج ١)
عبد العزيز بقوش	تد هيوز	٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)
محمد عيد إبراهيم	مارفن شبرد	٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)
سامي صلاح	ستيفن جراي	٢٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت
سامية نياپ	نخبة	٢٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى
علي إبراهيم منوفي	نبيل مطر	٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى
بكر عباس	آرثر كلارك	٢٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥
مصطفى إبراهيم فهمي	ناتالي ساروت	٢٣٤- لقطات من المستقبل
فتحى العشري	نصوص مصرية قديمة	٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية
حسن صابر	جوزايا رويس	٢٣٦- متون الأهرام
أحمد الأنصاري	نخبة	٢٣٧- فلسفة الولاء
جلال الحفناوي	إدوارد براون	٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى
محمد علاء الدين منصور	بيرش بيربروجلو	٢٣٩- تاريخ الأدب في إيران (ج ٢)
فخرى لبيب		٢٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط

حسن حلمي	راينر ماريا رلكه	قصائد من رلكه (شعر)	٢٤١-
عبد العزيز بقوش	تور الدين عبدالرحمن الجامي	سلامان وأبسال (شعر)	٢٤٢-
سمير عبد ربه	نادين جورديمر	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	٢٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيو	الموت في الشمس (رواية)	٢٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	بونه ندائي	الركض خلف الزمان (شعر)	٢٤٥-
جمال الجزيري	رشاد رشدي	سحر محمر	٢٤٦-
بكر الطو	جان كوكتو	الصبية الطائشون (رواية)	٢٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	التصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١)	٢٤٨-
أحمد عمر شاهين	أرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٢٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٢٥٠-
أحمد الانصاري	جوزايا رويس	ميادئ المنطق	٢٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٢٥٢-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	٢٥٣-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	٢٥٤-
محمود علاوي	حجت مرتجي	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	٢٥٥-
بدر الرقاعي	بول سالم	الميراث المر	٢٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثي فريك وبيتر غاندي	متون هرمس	٢٥٧-
مصطفى حجازي السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامية	٢٥٨-
حبيب الشاروني	أفلاطون	محاورة بارمينيدس	٢٥٩-
إلى الشربيني	أرسطو	نثر أرسطو	٢٦٠-
عاطف شحاتة وأحمد حناور	أون جرحر	التصنع: التهديد والمجابهة	٢٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شبول	تلميذ بابنبرج (رواية)	٢٦٢-
صبري محمد حسن	ريتشارد جيبسون	حركات التحرير الأفريقية	٢٦٣-
نجلاء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حدائق شكسبير	٢٦٤-
محمد أحمد حمد	شارول بودليير	سأم باريس (شعر)	٢٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع الذئب	٢٦٦-
البراق عبدالهادي رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجريء	٢٦٧-
عابد خزندار	جيرالد برنس	المصطلح السري: معجم مصطلحات	٢٦٨-
فوزية العشماوي	فوزية العشماوي	المرأة في أدب نجيب محفوظ	٢٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليرلا لويت	الفن والحياة في مصر الفرعونية	٢٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	التصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	٢٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ مينغ	عاش الشباب (رواية)	٢٧٢-
علي إبراهيم منوفي	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة نكتوراه	٢٧٣-
حمادة إبراهيم	أندرية شديد	اليوم السادس (رواية)	٢٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٢٧٥-
إتوار القراط	جان أنوي وآخرون	الفضب وأحلام الستين (مسرحيات)	٢٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إنوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	٢٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٢٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنيل بات	٢٧٩- ملك في الحقيقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جونتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادي	بهاء الدين محمد إسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٢٨٥- مشتري العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	چون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازي	٢٨٨- مواظ سعدى الشيرازي (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. روبرتس	٢٩٠- الأرشيقات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٢٩١- الحافلة الليكينة (رواية)
عبداللطيف عبداللطيف	فرناندو دي لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيري	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣- في قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية في الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- ألام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى تجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتي شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد بروفيتش والآن خورخس	٢٩٨- أقدم لك: حكتور
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد بروفيتش والآن خورخس	٢٩٩- أقدم لك: كاهن
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زيادون ساردر وأخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أندرية جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان في القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغيرة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينيغر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
باشرف: صلاح فضل	ليفى بروفيتسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	ياسكال كازانوفا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأداب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينعات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأبنى والعلم والشعر

- ٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج ٥) رينيه ويليك مجاهد عبدالمنعم مجاهد
- ٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية جين هاثواي عبد الرحمن الشيخ
- ٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية جون مارلو نسيم مجلى
- ٤٢٠- مكرو ميغاس (قصة فلسفية) فولتير الطيب بن رجب
- ٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول روى متحدة أشرف كيلانى
- ٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ١) ثلاثة من الرحالة عبدالله عبدالرازق إبراهيم
- ٤٢٣- إسرعات الرجل الطيف نخبة وحيد النقاش
- ٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامى محمد علاء الدين منصور
- ٤٢٥- من طاووس إلى فرح محمود طلوعى محمود علاوى
- ٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى نخبة محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
- ٤٢٧- يانديراس الطاغية (رواية) باى إنكلان ثريا شلبى
- ٤٢٨- الخزانة الخفية محمد هوتك بن داود خان محمد أمان صافى
- ٤٢٩- أقدم لك: هيجل ليود سبنسر وأندرجى كروز إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٠- أقدم لك: كانط كرستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣١- أقدم لك: فوكز كريس هوروكس وزوران جفتيك إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٢- أقدم لك: ماكياقللى باتريك كيرى وأوسكار زاريت إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٣- أقدم لك: جويس ديفيد نوريس وكارل قلنت حمدي الجابرى
- ٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية بونكان هيث وچودى بورهام عصام حجازى
- ٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زيرج ناجى رشوان
- ٤٣٦- تاريخ الفلسفة (ج ١) فرديريك كريلستيد إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٣٧- رجاله مندى هي بد القرون الرابع عشر سبيل التعتري لالا الحفوري
- ٤٣٨- بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بييرس عايدة سيف الدولة
- ٤٣٩- موت المرابى (رواية) صدر الدين عيني محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
- ٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة كرستن بروستاد محمد طارق الشرقاوى
- ٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) أرونداتى روى فخرى لبيب
- ٤٤٢- حتشيسوت: المرأة القرعونية فوزية أسعد ماهر جويجاتى
- ٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها كيس فرستيج محمد طارق الشرقاوى
- ٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة لاوريت سيجورنه صالح علمانى
- ٤٤٥- حول وزن الشعر پرويز نائل خانلرى فمحمد محمد يونس
- ٤٤٦- التحالف الأسود ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كبير أحمد محمود
- ٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت ممدوح عبدالمنعم
- ٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور ديلان إيفانز وأوسكار زاريت ممدوح عبدالمنعم
- ٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية نخبة جمال الجزيرى
- ٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية صوفيا فوكا وريبيكا رايت جمال الجزيرى
- ٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن وبيورن فان لون إمام عبد الفتاح إمام
- ٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت محيى الدين مزيد
- ٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة جان لوك أرنو حلليم طوسون وفؤاد الدهان
- ٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال سوزان خليل

محمود سيد أحمد	فردريك كويلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تنسنى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء في الفكر السياسي الغربي
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرينال	٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتبيرج	٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وليتزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودى جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكان
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- الدولة المارقة
حصه إبراهيم المنيف	مايكل بارنتى	٤٦٤- ديمقراطية للقلّة
جمال الرفاعى	لويس جنزبيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	قيولين فانويك	٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفين نيلى	٤٦٧- التفكير السياسي والنظرة السياسية
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حبشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد الفنة	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	٤٧٠- الأراضي والجودة البيئية
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سايبيرا	٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سايبيرا	٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)
سليمان العطار	ماريلين بوث	٤٧٤- الألب والنسوية
عادل اللؤلؤ عاتى	هيلدا هوخام	٤٧٥- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين
سحر توفيق	ليوشيه شنج ولى شى دونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
أشرف كيلانى	لاو شه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدي	كو مو روا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
عبد العزيز حمدي	روى متحدة	٤٨١- بردة النبي
عبد العزيز حمدي	روبير جاك تيبو	٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية
رضوان السيد	سارة چامبل	٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية
فاطمة عبد الله	هانسن روبيرت ياوس	٤٨٤- جمالية التلقى
أحمد الشامى	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
رشيد بنهدو	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الحضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفيع الدين المراد أبادى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
عبدالحليم عبدالغنى رجب	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
سمير عبدالحميد إبراهيم	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد قادرى	٤٩٠- أسمار البيقاء
محمود رجب	نخبة	٤٩١- نصوص قصصية من روائع الألب الأرقى
عبد الوهاب علوب	جى فارجيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

محمد صالح الضالع	هارولد بالمز	خطابات إلى طالب الصوتيات	٤٩٢-
شريف الصيفي	نصوص مصرية قديمة	كتاب الموتى: الخروج في النهار	٤٩٤-
حسن عبد ربه المصري	إدوارد تيفان	اللوبي	٤٩٥-
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولى	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	٤٩٦-
مصطفى رياض	نادية العلى	العثمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	٤٩٧-
أحمد على بنوى	جونيث تاكر ومارجريت مريودز	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	٤٩٨-
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	٤٩٩-
طلعت الشايب	تيتز روكي	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	٥٠٠-
سحر فراج	آرثر جواد هامر	تاريخ النساء في الغرب (ج١)	٥٠١-
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	أصوات بديلة	٥٠٢-
محمد نور الدين عبدالمتمم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	٥٠٣-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج١)	٥٠٤-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج٢)	٥٠٥-
عبدالحاميد فهمي الجمال	آن تيلر	ربما كان قديساً (رواية)	٥٠٦-
شوقي فهم	بيتر شيفر	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	٥٠٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقى جلبنارلى	المولوية بعد جلال الدين الرومي	٥٠٨-
قاسم عبده قاسم	أدم صبرة	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	٥٠٩-
عبدالرازق عيد	كارلو جولونى	الأرملة الماكورة (مسرحية)	٥١٠-
عبدالحاميد فهمي الجمال	آن تيلر	كوكب مرثع (رواية)	٥١١-
جمال عبد الناصر	تشي كوريجان	كتابة النقد السبائني	٥١٢-
مصطفى بيومي عبد السلام	جونثان كوتر	مدخل إلى النظرية الأنثوية	٥١٣-
فدوى ماطلى بوجلاس	فدوى ماطلى بوجلاس	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	٥١٥-
صبرى محمد حسن	آرنولد واشنطن وديونا باوندى	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	٥١٦-
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	نقش على الماء وقصص أخرى	٥١٧-
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	استكشاف الأرض والكون	٥١٨-
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	محاضرات في المثالية الحديثة	٥١٩-
أمل الصبان	أحمد يوسف	الواع الفرنسي يمصر من الطم إلى المشروع	٥٢٠-
عبدالوهاب بكر	آرثر جواد سميث	قاموس تراجم مصر الحديثة	٥٢١-
على إبراهيم منوفى	أميركو كاسترو	إسبانيا في تاريخها	٥٢٢-
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونانو	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	٥٢٣-
محمد مصطفى بنوى	وليم شكسبير	الملك لير (مسرحية)	٥٢٤-
نادية رفعت	دنيس جونسون	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	٥٢٥-
محيى الدين مزيد	ستيفن كرويل ووليم رانكين	أقدم لك: السياسة البيئية	٥٢٦-
جمال الجزيرى	ديفيد زين ميروفيتس وروبرت كرمب	أقدم لك: كافكا	٥٢٧-
جمال الجزيرى	طارق على وقل إيفانز	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	٥٢٨-
حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى	محمد إقبال	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	٥٢٩-
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	٥٣٠-

- ٥٣٦- ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟ جاك دريدا
- ٥٣٧- المغامر والمستشرق هنري لورنس
- ٥٣٨- تعلم اللغة الثانية سوزان جاس
- ٥٣٩- الإسلاميون الجزائريون سيفيرين لبا
- ٥٤٠- مخزن الأسرار (شعر) نظامي الكنجوي
- ٥٤١- الثقافات وقيم التقدم سمويل منتجتون ولورانس هاريزون
- ٥٤٢- للحب والحرية (شعر) نخبة
- ٥٤٣- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني كيت دانيلر
- ٥٤٤- خمس مسرحيات قصيرة كاريل تشرشل
- ٥٤٥- توجهات بريطانية - شرقية السير رونالد ستورس
- ٥٤٦- هي تتخيل وهلاس أخرى خوان خوسيه مياس
- ٥٤٧- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث نخبة
- ٥٤٨- أقدم لك: السياسة الأمريكية ياتريك بروجان وكريس جرات
- ٥٤٩- أقدم لك: ميلاني كلاين روبرت هنتشل وآخرون
- ٥٥٠- يا له من سباق محوم فرانسيس كريك
- ٥٥١- ريموس ت. ب. وايزمان
- ٥٥٢- أقدم لك: بارت فيليب تودي وأن كورس
- ٥٥٣- أقدم لك: علم الاجتماع ريتشارد أوزيرن وبورن فان لون
- ٥٥٤- أقدم لك: علم العلامات بول كويلي وليتجانز
- ٥٥٥- أقدم لك: شكسبير نيك جروم وينرو
- ٥٥٦- توفيق وأبو محمد شيمس الدين شاماني
- ٥٥٧- قصص متالية ميغيل دي ثريانتس
- ٥٥٨- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر دانيال لوفرس
- ٥٥٩- مصر في عهد محمد علي عفاف لطفى السيد مارسوه
- ٥٦٠- الإستراتيجية الأمريكية القرن الحادي والعشرين أناتولي أوتكين
- ٥٦١- أقدم لك: جان بودريار كريس هوروكس وزوران جيفتك
- ٥٦٢- أقدم لك: الماركيز دي ساد ستوارت هود وجراهام كرولي
- ٥٦٣- أقدم لك: الدراسات الثقافية زيودين سارداروبورين فان لون
- ٥٦٤- الماس الزائف (رواية) تشا تشاجي
- ٥٦٥- صلصلة الجرس (شعر) محمد إقبال
- ٥٦٦- جناح جبريل (شعر) محمد إقبال
- ٥٦٧- بلايين وبلايين كارل ساجان
- ٥٦٨- ورود الخريف (مسرحية) خائنتو بينابينتي
- ٥٦٩- عش الغريب (مسرحية) خائنتو بينابينتي
- ٥٧٠- الشرق الأوسط المعاصر دييورا إ.ج. جيرنر
- ٥٧١- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى موريس بيشوب
- ٥٧٢- الوطن المغتصب مايكل رايس
- ٥٧٣- الأصولي في الرواية عبد السلام حيدر
- صفاء فتحي
- بشير السباعي
- محمد طارق الشرقاوي
- حمادة إبراهيم
- عبدالعزیز بقوش
- شوقي جلال
- عبدالقادر مكاوي
- محمد الحديدي
- محسن مهياحي
- رؤف عباس
- مروة رزق
- نعيم عطية
- وفاء عبدالقادر
- حمدي الجابري
- عزت عامر
- توفيق علي منصور
- جمال الجزيري
- حمدي الجابري
- جمال الجزيري
- حمدي الجابري
- سحر الهادي
- علي عبد الرؤوف البعبي
- رجاء ياقوت
- عبدالسميع عمر زين الدين
- أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
- حمدي الجابري
- إمام عبدالفتاح إمام
- إمام عبدالفتاح إمام
- عبدالحى أحمد سالم
- جلال السعيد الحفناوي
- جلال السعيد الحفناوي
- عزت عامر
- صبرى محمد التهامي
- صبرى محمد التهامي
- أحمد عبدالحميد أحمد
- علي السيد علي
- إبراهيم سلامة إبراهيم
- عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر نيب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فريود	ريتشارد ايجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولاودي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرعوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وچودي جرونز	محيي الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف النبوية (مج ١)	جون فيز وويل سيترجز	ياشراقف: محمد فتحى عبدالهادي
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاج (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدي
٥٨٨- أمخوتب الثالث	أنيس كابول	هاجر جويجاتي
٨- تمكنت الأجنة (رواية)	تيليس سيني	عبدالله عبد الوهاب
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالنواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الطلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج ٢)	إكوانو بانواى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهري	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان قوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢- ليونار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزیز
٦٠٣- النقد الثقافى	أرثر أيزابجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

صبري محمد حسن	هارى سينت فيلبى	٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج١)
صبري محمد حسن	هارى سينت فيلبى	٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج٢)
شوقي جلال	أجنر فرج	٦٠٩- الانتخاب الثقافي
على إبراهيم منوفي	رفائيل لويث جوشمان	٦١٠- العمارة المدججة
فخرى صالح	تيرى إيجلتون	٦١١- النقد والأيدولوجية
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	٦١٢- رسالة النفسية
محمد فريد حجاب	كولن مايكل هول	٦١٣- السياحة والسياسة
منى قطان	فوزية أسعد	٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية)
محمد رفعت عواد	أليس بسيرينى	٦١٥- عرض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩٩٩
أحمد محمود	روبرت يانج	٦١٦- أساطير بيضاء
أحمد محمود	هوراس بيك	٦١٧- الفولكلور والبحر
جلال البنا	تشارلز فيليس	٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	٦١٩- مقاتيح أورشليم القدس
بشير السباعي	توماش ماستك	٦٢٠- السلام الصليبي
فؤاد عكود	وليم ي. آدمز	٦٢١- النبوة المعبر الحضارى
أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى	أى تشينغ	٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانمى	٦٢٣- نوار جحا الإيراني
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	٦٢٤- أزمة العالم الحديث
محمد برادة	جان جينيه	٦٢٥- الجرح السرى
محمد عبد المنصور	نخبة	٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
عبدالمجيد	تشارلز داروين	٦٢٧- أصل الأنواع
مجدى محمود المليجى	نيقولاس جويات	٦٢٨- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية
عزة الخميسى	أحمد بللو	٦٢٩- سيرتى الذاتية
صبري محمد حسن	نخبة	٦٣٠- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر
بإشراف: حسن طلب	نواورس برامون	٦٣١- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا
رانيا محمد	نخبة	٦٣٢- الحب وفنونه (شعر)
حمادة إبراهيم	زوى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	٦٣٣- مكتبة الإسكندرية
مصطفى البهنساوى	جودة عبد الخالق	٦٣٤- التثبيت والتكيف فى مصر
سمير كريم	جناب شهاب الدين	٦٣٥- حج يولنדה
سامية محمد جلال	ف. روبرت هنتر	٦٣٦- مصر الخديوية
بدر الرفاعى	روبرت بن ودين	٦٣٧- الديمقراطية والشعر
فؤاد عبد المطلب	تشارلز سيميك	٦٣٨- فندق الأرق (شعر)
أحمد شافعى	الأميرة أناكومينيا	٦٣٩- الأكسياد
حسن حبشى	برتراند رسل	٦٤٠- برتراند رسل (مختارات)
محمد قدرى عمارة	جوناثان ميلر ويورين فان لون	٦٤١- أقدم لك: داروين والتطور
ممدوح عبد المنعم	عبد الماجد النريابادى	٦٤٢- سفرنامه حجاز (شعر)
سمير عبد الحميد إبراهيم	هوارد د. تيرنر	٦٤٣- الطوم عند المسلمين
فتح الله الشيخ		٦٤٤

- ٦٤٥- السياسة الفارسية الأمريكية بمصادرها الداخلية
تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف
- ٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية
سپهر نبيح
- ٦٤٧- رسائل من مصر
جون نينيه
- ٦٤٨- بورخيس
بياتريث سارلو
- ٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى
جى دى موياسان
- ٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط
روجر أوون
- ٦٥١- ديليبس الذى لا نعرفه
وثائق قديمة
- ٦٥٢- آلهة مصر القديمة
كلود ترونكر
- ٦٥٢- مدرسة الطغاة (مسرحية)
إيريش كستتر
- ٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)
نصوم قديمة
- ٦٥٥- أساطير وآلهة
إيزابيل فرانكو
- ٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيات)
ألفونسو ساسترى
- ٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون
مرثيديس غارثيا أرينال
- ٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث
خوان رامون خيمينيث
- ٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية
نخبة
- ٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم
ريتشارد فايفيلد
- ٦٦١- روائع أندلسية إسلامية
نخبة
- ٦٦٢- رحلة إلى الجنود
داسو سالديبار
- ٦٦٢- امرأة عادية
ليوسيل كليفتون
- ٦٦٣- حوالم أخرى
يون دافيز
- ٦٦٦- تطوير الصورة الشعرية عند شكسبير
ولفجانج اتش كليمن
- ٦٦٧- الأزمة القائمة لعلم الاجتماع الغربى
ألغن جولندر
- ٦٦٨- ثقافات العولة
فريدريك چيمسون وماساو ميوشى
- ٦٦٩- ثلاث مسرحيات
وول شوينكا
- ٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو
جوستاف أدولفو بكر
- ٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟
جيمس بولدوين
- ٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال
نخبة
- ٦٧٢- ضرب الكليم (شعر)
محمد إقبال
- ٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى
آية الله العظمى الخمينى
- ٦٧٥- أثينا السوداء (ج٢، ج١)
مارتن برنال
- ٦٧٦- أثينا السوداء (ج٢، ج١)
مارتن برنال
- ٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)
إدوارد جرانتفيل براون
- ٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)
إدوارد جرانتفيل براون
- ٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
وليام شكسبير
- ٦٨٠- سنوات الطفولة (رواية)
وول شوينكا
- ٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟
ستاتلى فش
- ٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)
بن أوكرى
- عبد الوهاب طوب
- عبد الوهاب طوب
- فتحي العشرى
- خليل كلفت
- سحر يوسف
- عبد الوهاب طوب
- أمل الصبان
- حسن نصر الدين
- سمير جريس
- عبد الرحمن الخميسى
- حليم طوسون ومحمود ماهر طه
- معدوح البستوى
- خالد عباس
- صبى التهامى
- عبد اللطيف عبد الحليم
- هاشم أحمد محمد
- صبى التهامى
- صبى التهامى
- أحمد شافعى
- جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
- على ليلة
- ليلى الجبالى
- نسيم مجلى
- ماهر البطوطى
- على عبدالأمير صالح
- إبتهاال سالم
- جلال الحفناوى
- محمد علاء الدين منصور
- إشراف: محمود إبراهيم السعنى
- إشراف: محمود إبراهيم السعنى
- أحمد كمال الدين حلمى
- أحمد كمال الدين حلمى
- توفيق على منصور
- سمير عبد ربه
- أحمد الشيمى
- صبى محمد حسن

صبري محمد حسن	ت. م. ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسي	أوراثيرو كيروجا	الأعمال التمسعية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسي	أوراثيرو كيروجا	الأعمال التمسعية الكاملة (المصحاء) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امرأة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العناني	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحي	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تادوروش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدي الجابري	ريتشارد أبيجانسي وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيري	حائيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعي (المحرقة)	٦٩٣-
حمدي الجابري	جيف كوليز وبييل ماييلين	أقدم لك: دريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روبنسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروف	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندريجي كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيري	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو فرجاش	الكاتب وواقعه	٧٠٠-
منى البرنس	وايم رود فيفيان	الذاكرة والحدائة	٧٠١-
محمود علاوى	أحمد وكليان	الأمثال الفارسية	٧٠٢-
أبين شواوى	أحمد وسراى	تاريخ الدين فى إيران (١٩٧٠)	٧٠٣-
محمد عماد الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين رومى	تاريخ الدين فى إيران (١٩٧٠)	٧٠٤-
عبدالحميد مذكور	الإمام الغزالى	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام*	٧٠٥-
عزت عامر	جونسون ف. يان	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	٧٠٦-
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	أقدم لك: فالتر بيتيامين	٧٠٧-
رعوف عباس	بونالد مالكولم ريد	فراغنة من؟	٧٠٨-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	معنى الحياة	٧٠٩-
دعاء محمد الخطيب	يان هاتشباى وجوموران إليس	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	٧١٠-
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	درة التاج	٧١١-
سليمان البستاني	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج١)	٧١٢-
سليمان البستاني	هوميروس	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج٢)	٧١٣-
حنا صاوه	لامنيه	ميراث الترجمة: حديث القلوب	٧١٤-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج١)	٧١٥-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٦-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٣)	٧١٧-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٤)	٧١٨-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٥)	٧١٩-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٦)	٧٢٠-
مصطفى لبيب عبد الغنى	هـ. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	٧٢١-

الصفصافي أحمد القطوري	يشار كمال	الصفحة وتخصص أخرى	٧٢٢-
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	تحديات ما بعد الصهيونية	٧٢٣-
عبد الريس	بول روبنسون	اليسار القرويدي	٧٢٤-
مى مقلد	جون فيتكس	الاضطراب النفسى	٧٢٥-
مروة محمد إبراهيم	غيزمو غوثاليس بوستو	الموريسكيون فى المغرب	٧٢٦-
وحيد السعيد	ياچين	حلم البحر (رواية)	٧٢٧-
أميرة جمعة	موريس أليه	العولة: تدمير العمالة والنمو	٧٢٨-
هويدا عزت	صائق زيبا كلام	الثورة الإسلامية فى إيران	٧٢٩-
عزت عامر	آن جاتى	حكايات من السهول الأفريقية	٧٣٠-
محمد قدرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	النوع: النكر والأشئ بين التميز والاختلاف	٧٣١-
سمير جريس	إنجو شولتسه	قصص بسيطة (رواية)	٧٣٢-
محمد مصطفى بدوى	وليم شيكسبير	مأساة عطيل (مسرحية)	٧٣٣-
أمل الصبان	أحمد يوسف	بوتابرت فى الشرق الإسلامى	٧٣٤-
محمود محمد مكي	مايكل كوبرسون	فن السيرة فى العربية	٧٣٥-
شعبان مكارى	هوارد زن	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج١)	٧٣٦-
توفيق على منصور	باتريك ل. أبوت	الكوارث الطبيعية (مج٢)	٧٣٧-
محمد عواد	جيرار دى جودج	مشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الثورة الملوكية	٧٣٨-
محمد عواد	جيرار دى جودج	مشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	٧٣٩-
مرفت ياقوت	يارى هندس	خطابات القوة	٧٤٠-
أحمد هيكل	يرنارد لويس	الإسلام وأزمة العصر	٧٤١-
رزق بهنسى	خوسيه لاكوادرا	أرض حارة	٧٤٢-
شوقي حلال	رويات وروايات	التأفة: هذا هو	٧٤٣-
سمير عبد الحيد	محمد (قبائل)	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	٧٤٤-
محمد أبو زيد	بيك اللنبلى	المآثر السلطانية	٧٤٥-
حسن النعمى	جوزيف أ. شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	٧٤٦-
إيمان عبد العزيز	تريفور وايتوك	الاستعارة فى لغة السينما	٧٤٧-
سمير كريم	فرانسيس بويل	تدمير النظام العالمى	٧٤٨-
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	إيكولوجيا لغات العالم	٧٤٩-
باشراف: أحمد عثمان	هوميروس	الإلياذة	٧٥٠-
علاء السباعى	نخبة	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	٧٥١-
نمر عارورى	جمال قارصلى	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	٧٥٢-
مهنس يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	التنمية والقيم	٧٥٣-
عبد السلام حيدر	أنا ماري شيميل	الشرق والغرب	٧٥٤-
على إبراهيم منوفى	أندرو ب. ديبكى	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	٧٥٥-
خالد محمد عباس	إنريكي خاردييل بونثيلا	ذات العيون الساحرة	٧٥٦-
أمال الرويى	باتريشيا كرون	تجارة مكة	٧٥٧-
عاطف عبد الحميد	بروس روبنز	الإحساس بالعولة	٧٥٨-
جلال الحفناوى	مولوى سيد محمد	النثر الأردى	٧٥٩-
السيد الأسود	السيد الأسود	الدين والتصور الشعبى للكون	٧٦٠-

- ٧٦١- جيوب منقطة بالحجارة) فيرجينيا وولف
٧٦٢- المسلم عنراً و صديقاً ماريما سوليداد
٧٦٣- الحياة في مصر أنريكو بيا
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوي (شعر غزل) غالب الدهلوي
٧٦٥- ديوان خواجه الدهلوي (شعر تصوف) خواجه الدهلوي
٧٦٦- الشرق المتخيل تييري هنتش
٧٦٧- الغرب المتخيل نسيب سمير الحسيني
٧٦٨- حوار الثقافات محمود فهمي حجازي
٧٦٩- أدياء أحياء فريدريك هتمان
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا بينيتو بيريث جالدوس
٧٧١- السيد سيجوننو سومبرا ريكاردو جويرالديس
٧٧٢- بريخت ما بعد الحدائة إليزابيث رايت
٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (ج٢) جون فيزد ويول ستيرجز
٧٧٤- الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكات مجموعة من المؤلفين
٧٧٥- مرآة العروس نذير أحمد الدهلوي
٧٧٦- منظومة مصيبت نامة (مج١) فريد الدين العطار
٧٧٧- الانفجار الأعظم جيمس إ. ليدسي
٧٧٨- صفوة المديح مولانا محمد أحمد ورضا القادري
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى نخبة
٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠ غلام رسول مهر
٧٨١- الحورية التي يمكن أن يكون أي شيء من
٧٨٢- المرشد للشيخ من كارلسون
٧٨٣- العولة والرعاية الإنسانية فيك جورج ويول ويلدنج
٧٨٤- الإساءة للطفل ديفيد أ. وولف
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان كارل ساجان
٧٨٦- المذبذبة (رواية) مارجریت أتوود
٧٨٧- العودة من فلسطين جوزيه بوفيه
٧٨٨- سر الأهرامات ميروسلاف فونر
٧٨٩- الانتظار (رواية) هاجين
٧٩٠- الفرائد الكفونية العربية مونيكا يونتو
٧٩١- العطور ومعامل العطور في مصر القديمة محمد الشيمي
٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفرة منى ميخائيل
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل جون جريفيس
٧٩٤- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (ج٢) هوارد زن
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (ج١) نخبة
٧٩٦- أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن نعوم تشومسكي
٧٩٧- الرؤية في ليلة معتمة (شعر) نخبة
٧٩٨- الإرشاد النفسي للأطفال كاترين جيلدرود ودافيد جيلدرود
- فاطمة ناعوت
عبدالعال صالح
نجوى عمر
حازم محفوظ
حازم محفوظ
غازي برو وخليل أحمد خليل
غازي برو
محمود فهمي حجازي
رندا النشار وضياء زاهر
صبري التهامي
صبري التهامي
محسن مصيلحي
باشراف: محمد فتحى عبدالهادي
حسن عبد ربه المصري
جلال الحفاوي
محمد محمد يونس
عزت عامر
حازم محفوظ
سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشي
سمير عبد الحميد إبراهيم
جلال عبد الرحمن
جلال عبد المقصود
طلعت السروجي
جمعة سيد يوسف
سمير حنا صادق
سحر توفيق
إيناس صادق
خالد أبو اليزيد البلتاجي
منى الدروبي
جيهان العيسوي
ماهر جويجاتي
منى إبراهيم
رؤف وصفى
شعبان مكاوي
على عبد الزوف البهمي
حمزة المزينى
طلعت شاهين
سميرة أبو الحسن

عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	٧٩٩- سلم السنوات
عبد الجواد توفيق	ميشيل مكارثي	٨٠٠- قضايا في علم اللغة التطبيقي
بإشراف: محسن يوسف	تقرير دولي	٨٠١- نحو مستقبل أفضل
شرين محمود الرفاعي	ماريا سوليداد	٨٠٢- مسلمو غرناطة في الآداب الأوروبية
عزة الخميسي	توماس باترسون	٨٠٣- التغير والتنمية في القرن العشرين
درويش الحلوجي	داتيل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	٨٠٤- سوسولوجيا الدين
طاهر البريري	كازو إيشيجور	٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)
محمود ماجد	ماجدة بركة	٨٠٦- الطبقة العليا المتوسطة
خيرى نومة	ميريام كوك	٨٠٧- يحيى حقي: تشريح مفكر مصري
أحمد محمود	ديفيد دابلو ليش	٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)
حسن النعيمي	جوزيف أ. شومبيتر	٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادي (مج٢)
فريد الزاهي	ميشيل مافيزولي	٨١٢- نامل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية
نورا أمين	أنى إرنو	٨١٣- لم أخرج من ليلي (رواية)
آمال الروبي	نافثال لويس	٨١٤- الحياة اليومية في مصر الرومانية
مصطفى لبيب عبدالغنى	هـ. أ. ولفسون	٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)
بدر الدين هروديكي	فيليب روجيه	٨١٦- العدو الأمريكي
محمد لطفي جمعة	أفلاطون	٨١٧- ماندة أفلاطون: كلام في الحب
فاصل أحمد وباتسي جمال الدين	تندريه ريمون	٨١٨- السجون والتطبيع في المغرب (ج١)
فاصل أحمد وباتسي جمال الدين	الكريستيان	٨١٩- السجون والتطبيع في المغرب (ج٢)
طانيوس أفندي	وليم شكسبير	٨٢٠- ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامي	٨٢١- هفت بيكر (شعر)
محمد نور الدين عبد المتعم	نخبة	٨٢٢- فن الرباعي (شعر)
أحمد شافعي	نخبة	٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)
ربيع مفتاح	دافيد برتش	٨٢٤- لغة الدراما
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	٨٢٥- ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج١)
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	٨٢٦- ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج٢)
محمد علي فرج	نونالد پ. كول وثريا تركي	٨٢٧- أهل مطروح البيروالمستعطلين والذين يقسمون السلاط
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	٨٢٨- ميراث الترجمة: النظرية النسبية
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأفغاني	٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	٨٣٠- ريق العشق
محمد النادي وعطية عاشور	ألبرت أينشتين وليو بولد إنفلد	٨٣١- ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة
حسن النعيمي	جوزيف أ. شومبيتر	٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادي (ج٢)
محسن الدمرداش	فرتر شميدرس	٨٣٣- الفلسفة الألمانية
محمد علاء الدين منصور	ذبيح الله صفا	٨٣٤- كنز الشعر
علاء عزمي	بيتر أوربان	٨٣٥- تشيخوف: حياة في صور
ممدوح البستاوي	مرثيدس غارثيا	٨٣٦- بين الإسلام والغرب

عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام	٨٢٧-
فى تفسير مذهب يوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى هبرى	٨٢٨-
أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى	٨٢٩-
الخواتم الثلاثة	جوتنهولد ليسينج	فوزية حسن	٨٤٠-
هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى	٨٤١-
مظلومة مصيبت نامه (مج ٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس	٨٤٢-
من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور	٨٤٣-
دراسات فى الفقر والعولة	كريمة كريم	سمير كريم	٨٤٤-
غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب	٨٤٥-
الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى	٨٤٦-
الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود	٨٤٧-
ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس فلهوزن	عبد الهادى أبو ريذة	٨٤٨-
سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق	٨٤٩-
الخيال، الأسلوب، الحدائة	مقالات مختارة	جابر عصفور	٨٥٠-
ميراث الترجمة: الطب التجريبي	كلود برنار	يوسف مراد	٨٥١-
العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى	٨٥٢-
عمارة فى الأندلس: عمارة المدن والمعسور (مج ١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى	٨٥٣-
عمارة فى الأندلس: عمارة المدن والمعسور (مج ٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى	٨٥٤-
فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد	٨٥٥-
القضية الموسيكية من وجهة نظر أخرى	الانتشيكو مار كيث بازنو ديانويا	عائشة سبيلم	٨٥٦-
أولجا (رواية)	جورج برون	كمال عبد الحامد	٨٥٧-
جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل	٨٥٨-
السياسة فى الشرق القديم	إيف شيميل	مصطفى ماهر	٨٥٩-
مصر وأوروبا	القاضى فان بلمان	لطيفة سالم	٨٦٠-
الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى	٨٦١-
ببغاء الكانكاو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش	٨٦٢-
لقاء بالشعراء	على أكبر دلقى	محمد علاء الدين منصور	٨٦٣-
أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى	٨٦٤-
فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال	٨٦٥-
رسائل خمس فى الأفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور	٨٦٦-
المهمة الاستوائية	ديفيد مايلو	صبرى محمد حسن	٨٦٧-
الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور	٨٦٨-
تطور الثقافة	روين دونبار وآخرون	شوقى جلال	٨٦٩-
عشر مسرحيات (ج ١)	نخبة	حمادة إبراهيم	٨٧٠-
عشر مسرحيات (ج ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم	٨٧١-
كتاب الطاو	لاوتسو	محسن فرجاني	٨٧٢-
معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين	٨٧٣-
النهر الخالد (مج ١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد	٨٧٤-

ظهور أحمد	جاويد إقبال	النهر الخالد (مج ٢)	٨٧٥-
أماني المنياوي	هنرى جورج فارمر	دراسات فى الموسيقى الشرقية (ج١)	٨٧٦-
صلاح محجوب	موريتس شتينثيدر	أدب الجدل والدفاع فى العربية	٨٧٧-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١)	٨٧٨-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج٢)	٨٧٩-
عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه	أحمد حسنين بك	الواحات المفقودة	٨٨٠-
هويدا عزت	جلال آل أحمد	التويريون وبورهم فى خدمة المجتمع	٨٨١-
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج١)	٨٨٢-
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج٢)	٨٨٣-
محمد رشدى سالم	باربرا تيزار ومارتن هيوز	تعلم الأطفال الصغار	٨٨٤-
بدر عرويكى	جان بودريار	روح الإرهاب	٨٨٥-
ثائر ديب	بوجلاس روبنسون	الترجمة والإمبراطورية	٨٨٦-
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	غزليات سعدى (شعر)	٨٨٧-
هويدا عزت	مريم جعفرى	أزهار مسلك الليل (رواية)	٨٨٨-
ميخائيل رومان	وليم فوكنر	ميراث الترجمة: سارتورس	٨٨٩-

www.library4arab.com

www.library4arab.com

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٢١٠ / ٢٠٠٥

www.library4arab.com



سارتورس

وليم فوكنر

"سارتورس" هي أولى سلسلة من الروايات يصف فيها فوكنر
اضمحلال أسرتي كومبسون وساراتورس، ممثلي الجنوب القديم،
وعلو نجم أسرة سنوبس الفجة التي لا تلقى كبير بال لمتطلبات
الضمير. والمهاد الأساسي لهذه الروايات هو "جفرسن" صورة
كبة لارة لار فوكنر المديين حرمات لارة وكنت تروبا
اسى ابتدغها خيال المؤلف. وتدور اسره كمبسون يتمثل فى إدمان
الخمير، ورفض العمل والحياة، والتعلق بـماضٍ أسطوري، والانغماس
فى خطابة جوفاء.

www.library4arab.com